أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

سيرة الإمام علي (ع)

تأليف

الإمام السيد محسن الأمين العاملي

تحقيق

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

الجزء الثالث

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)
بيروت - لبنان

أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

٣

أهل البيت عليهم السلام
من كتاب أعيان الشيعة

سيرة الإمام عليّ (ع)

تأليف

الإمام السيّد محسن الأمين العاملي

تحقيق
المجمع العالمي لأهل البيت (ع)



الجزء الثالث

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)
بيروت - لبنان



اسم الكتاب: اهل البيت عليهم السلام من كتاب أعيان الشيعة (ج ٣)

تاريخ وسيرة الإمام عليّ عليه السلام

المؤلف: الإمام السيد محسن الأمين العاملي

التحقيق: قسم التأليف والتحقيق في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: السيرة والتاريخ

الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: المحققة الأولى

تاريخ النشر: ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

www.ahl-ul-bayt.org
E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

ما يتعلّق به من خبر السقيفة

لما توفّي النبيّ ﷺ كان عليّ وسائر بني هاشم ومعهم قليل من غيرهم مشغولين بجهاز النبيّ ﷺ ودفنه.

قال المفيد: «ولم يحضر دفنه أكثر الناس لِمَا جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة وفات أكثرهم الصلاةُ عليه لذلك»[1].

وقال المفيد أيضاً: «واغتنم القوم الفرصة بشغل عليّ بن أبي طالب برسول الله ﷺ وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله ﷺ، فبادروا إلى ولاية الأمر، واتّفق لهم[2] ما اتّفق من اختلاف الأنصار فيما بينهم وكراهيّة الطلقاء والمؤلّفة قلوبهم تأخّر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم...»[3] الخ.

ويتلخّص الموقف في أنّ جيش أُسامة الذي أراد النبيّ ﷺ إنفاذه ـ لمّا أحسّ بدنوّ أجله لأمر سياسيّ مهمّ عنده ـ لم ينفّذ لأمرٍ سياسيّ مهم عند من لم ينفّذه، وأنّ الناس انقسموا بعد وفاته ﷺ أحزاباً ثلاثة بل أربعة أو خمسة.

١ ـ حزب سعد بن عبادة رئيس الخزرج من عشيرته الخزرج وربما كان معهم من الأوس.

٢ ـ حزب الشيخين وهم جُلّ المهاجرين.

٣ ـ حزب عليّ وهم بنو هاشم ومعهم قليل من المهاجرين، منهم الزبير

---

(١) الإرشاد ١: ١٨٩.

(٢) في المصدر (لأبي بكر).

(٣) الإرشاد ١: ١٨٩.

وكثير من الأنصار أو أكثرهم الذين قالوا: لا نبايع إلّا عليّاً كما رواه الطبري[١].

٤ ـ حزب عثمان من بني أُميّة ومن لفّ لفيفهم.

٥ ـ حزب سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمٰن بن عوف من بني زهرة.

أمّا حزب سعد بن عبادة فإنّ سعداً كان مريضاً فاجتمع عليه الأنصار في سقيفة بني ساعدة على ما رواه ابن قتيبة في الإمامة[٢] والسياسة وغيره[٣]، وسعد هذا كان له مقام في الإسلام عظيم فقد كان شهماً رئيساً جواداً وكان مُثرياً، وقد كان يبعث إلى النبيّ ﷺ الأجمال من التمر ويبعث إليه باللحم لإقراء الوفود ويبعث إلى المجاهدين بأحمال التمر، وسافر ابنه قيس مع جماعة من الصحابة فنفذ ما معهم فجعل قيس يستدين وينفق عليهم فحسده بعض رفاقه وقالوا لمن يستدين منهم: إنّه لا مال له فلمّا بلغ ذلك أباه سعداً غضب وقال: تريدون أن تُبخلوا ابني وتزعموا أنه لا مال له إنّا قوم لا نستطيع البخل، اشهدوا إنّ البستان الفلاني لقيس والحديقة الفلانيّة لقيس.

لكنّ طلبه الخلافة يغمز من قناته ولذلك ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ما معناه ـ أنّ أوّل من جرّأ الناس علينا سعد. ولا يبعد أن يكون سعد لمّا رأى تصميم المهاجرين علىٰ عدم إعطاء الحق لأهله طلبه لنفسه.

قال ابن قتيبة في روايته وغيره[٤]: فقال سعد لابنه قيس: إنّي لا أستطيع أن أُسمع الناس كلامي لمرضي ولكن تلقّ مني قولي فأسمعهم ففعل فذكر فضل الأنصار ونصرتهم الدين وإيواءهم الرسول وأنّهم أحقّ الناس بهذا الأمر

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٤٤٣.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٢.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٤٥٥.

(٤) المصدر السابق.

فأجابوه أن قد وفقت في الرأي ورضوا بأمارته[١].

وأمّا حزب الشيخين فقال الطبري: اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فجاء ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح فقال الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منّا الأمراء ومنكم الوزراء[٢].

قال ابن قتيبة: فقام الحبّاب بن المنذر ابن الجموح الخزرجي فقال: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم فإنّما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس إلّا عن رأيكم أنتم أهل العزّ والثروة والعدد والنجدة وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم أنتم أهل الإيواء والنصرة وإليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الأوّلين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية إلّا في بلادكم ولا جمّعت الصلاة إلّا في مساجدكم ولا دانت العرب للإسلام إلّا بأسيافكم فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر وإن أبى القوم فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع سيفان في غمدٍ واحد إنّه والله لا ترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم ولكن العرب لا تولّي هذا الأمر إلّا قريشاً مَن ينازعنا سلطان محمّد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته؟! إلّا مدل بباطل أو متورّط في هلكة.

فقام الحبّاب فقال: يا معشر الأنصار! املكوا على أيديكم ولا تسمعوا

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢ - ١٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٤٤٣.

مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا فاجلوهم عن بلادكم وولّوا عليكم وعليهم من أردتم أما والله إن شئتم لنعيدنّها جذعة والله لا يرد عليّ أحد ما أقول إلّا حطّمت أنفه بالسيف.

وفي رواية[١] إنّه قال: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، فلم يجبه عمر، «واعتذر بأنّه كان بينه وبينه منازعة في حياة النبيّ ﷺ فنهاه عنه فحلف أن لا يكلّمه بما يسوؤه». هكذا ذكر ابن قتيبة[٢].

ولكن الظاهر أنّه لم يجبه لمّا سمع قوله: والله لا يرد عليّ أحد ما أقول إلّا حطّمت أنفه بالسيف، وإلّا فهو قد أجابه في أوّل الأمر بأخشن جواب.

قال ابن قتيبة: «فقام أبو عبيدة وقال: يا معشر الأنصار أنتم أوّل من نصر وآوى فلا تكونوا أوّل من يبدّل ويغيّر»[٣].

قال: «وإنّ بشير بن سعد» وهو والد النعمان بن بشير الذي كان مع معاوية بصفّين وكان والياً له ثمّ لابنه يزيد على الكوفة ـ لما رأى ما اتّفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان بشير من سادات الخزرج فقال: يا معشر الأنصار لئن كنّا أولي الفضيلة في جهاد المشركين والسابقة في الدين ما أردنا إن شاء الله غير رضى ربّنا وطاعة نبيّنا وما ينبغي أن نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغي به عرضاً من الدنيا ومحمّد رجل من قريش وقومه أحقّ بميراثه وتولّي سلطانه»[٤]... الخ.

وفيما رواه ابن هشام عن عمر بن الخطّاب: «أنّ خطيب الأنصار قال: أما

(١) الاحتجاج ١: ١٧٧ / ح ٣٦.
(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٥.
(٣) المصدر السابق ١: ١٥.
(٤) المصدر السابق ١: ١٦.

بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهطٌ منّا فقال أبو بكر: أمّا ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هٰذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجرّاح وهو جالس بيننا فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثمّ الأنصار»[١].

وقال الطبري: «فقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيّهما شئتم فبايعوا فقالا: لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك ابسط يدك نبايعْك فلمّا ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه»[٢]. وقال الطبري: «فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلاّ عليّاً»[٣].

وقال ابن قتيبة: فلمّا ذهبا يبايعانه يعنى عمر وأبا عبيدة سبقهما إليه بشير الأنصاري فبايعه فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد حسدت ابن عمّك على الإمارة قال: لا ولكنّي كرهت أن أُنازع قوماً حقّاً لهم فلمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أُسيد بن حضير: لئن وليتّموها سعداً عليكم مرّة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا فبايعوه[٤] الخ. وبذلك تمّ تغلّب حزب الشيخين على حزب سعد.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ١٠٧٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٤٤٦.

(٣) المصدر السابق ٢ : ٤٤٣.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ١٦ مع اختلاف يسير باللفظ.

وكان سبب مبايعة الأنصار أبا بكر بعد ما قالوا أو بعضهم، لا نبايع إلّا عليّاً، وما رأوه من تصميم المهاجرين على صرف الأمر عن عليّ وحسد رئيس الأوس لرئيس الخزرج وحسد أحد رئيسي الخزرج لسعد وبقي حزب بني هاشم وحزب بني أُمية وبني زهرة.

قال ابن قتيبة: «وإنّ بني هاشم اجتمعت عند بيعة الأنصار إلىٰ عليّ بن أبي طالب ومعهم الزبير بن العوّام وكانت أُمّه صفيّة بنت عبد المطّلب وإنّما كان يعّد نفسه من بني هاشم، وكان عليّ يقول: ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنّا. واجتمعت بنو أُمية إلىٰ عثمان وبنو زهرة إلىٰ سعد ابن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين فقال لهم عمر: ما لي أراكم مجتمعين حلقاً شتّى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعتُه وبايعتْه الأنصار، فقام عثمان ومن معه من بني أُمية فبايعوه وقام سعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمٰن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا» الخ. وذلك لما رأى بنو أُمية وبنو زهرة الغلبة لحزب المهاجرين ولم تكن لأبي سفيان مكانة عثمان في بني أُمية فلذلك اجتمعوا علىٰ عثمان ولم يجتمعوا عليه.

واستغلّ أبو سفيان الموقف فعدل إلىٰ بني هاشم كما يأتي، «وأمّا عليّ والعبّاس ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا الى رحلهم ومعهم الزبير بن العوّام...»[١] الخ.

وبذلك تمّ تغلّب حزب الشيخين على جميع الأحزاب عدا حزب بني هاشم.

وحاصل الأمر أنّه بعد مبايعة الأنصار وفراغ بني هاشم من دفن النبيّ ﷺ

(١) الإمامة والسياسة ١:١٧ - ١٨.

جاءوا مع عليّ إلىٰ المسجد وجاء بنو أُمية مع عثمان وبنو زهرة مع سعد وعبد الرحمان فلمّا بايع بنو أُمية وبنو زهرة قام بنو هاشم ومن معهم من المسجد ولم يبايعوا، ودخلوا منزل عليّ ، ويفهم ذلك أيضاً ممّا رواه الطبرسي في الاحتجاج فإنّه روى هذا الخبر بنحو ما رواه ابن قتيبة لكن بعبارة أوضح قال: «وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم وعليّ بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا فرغ من ذلك وصلّى على النّبي والناس يصلّون عليه ـ من بايع أبا بكر ومن لم يبايع ـ جلس في المسجد فاجتمع عليه بنو هاشم ومعهم الزبير بن العوّام واجتمعت بنو أُمية إلىٰ عثمان بن عفّان وبنو زهرة إلىٰ عبدالرحمان بن عوف فكانوا في المسجد كلّهم مجتمعين إذ أقبل أبو بكر ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجرّاح فقالوا: ما لنا نراكم حلقاً شتّى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعه الأنصار والناس فقام عثمان وعبد الرحمن ومن معهما فبايعوا وانصرف عليّ وبنو هاشم إلىٰ منزل عليّ ومعهم الزبير»[١]...الخ.

ما فعله أبو سفيان

قال المفيد: «وقد كان أبو سفيان جاء الى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ والعبّاس متوافران على النظر في أمره فنادى:

بني هاشم لا تُطمعوا الناس فيكم ولا سيّما تيم بن مرّة أو عدي
فما الأمر إلّا فيكم وإليكم وليس لها إلّا أبو حسن عليّ

ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته يا بني عبد مناف: أرضيتم أن يلي عليكم

(١) الاحتجاج ١: ١٨١ / ح ٣٦ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

أبو فصيل؟!.

أما والله لو شئتم لأملأنّها عليهم خيلاً ورجلاً، فناداه أمير المؤمنين : «ارجع ياأبا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول ومازلت تكيد الإسلام وأهله ونحن مشاغيل برسول الله على كل امرىءٍ ما اكتسب وهو ولّي ما احتقب» فانصرف أبو سفيان الى المسجد فوجد بني أُميةَ مجتمعين فيه فحرّضهم على الأمر فلم ينهضوا له»(١). الخ .

والظاهر أنّ هذاكان من أبي سفيان في أوّل الأمر قبل البيعة لأبي بكر. أراد أبوسفيان أن يستغلّ الموقف وقد علم أنّ أبا بكرالتيمي وعمرالعدوي قد طلبا الأمر وحزبهما قويّ، فجاء إلىٰ بني هاشم يحرّضهم ويعدهم النصرة لعلّهم يقومون لمعارضة حزب الشيخين؛ لأنّه علم أنّ أقرب الأحزاب إلىٰ معارضة حزب الشيخين هو حزب بني هاشم فاذا عارضوهم وقعت فتنة في الإسلام وذلك ما يريد لأنه لم يدخل فيه إلّا كارهاً مرغماً وحقده عليه لم تنطفِ جمرته بعدُ ولن تنطفي، فإذا تطاحن الحزبان ولم يغلب أحدهما الآخر أوجب ذلك وهن المسلمين، فيرجو ان تقوى شوكة الشرك الذي خرج منه كارهاً فيعود إليه، وإن غلب أحدهما الآخر كان هو مع الغالب، وإن لم يعارضوهم استفاد هو من هذا التحريض والتهويش أمارة أو نحوها، كما يفعله اليوم وقبل اليوم من يريد منصباً في الدولة فيهيج الناس عليها ويُلقي الفتن ليرضوه بمال أو منصب. ويدلّ على ذلك أنّه لمّا سمع الخليفة تهويشه ولّى ابنه فرضي وسكت وقال: وَصَلَته رَحِم.

روى الطبري بسنده، قال: «لمّا استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا

(١) الإرشاد ١: ١٩٠.

ولأبي فصيل إنّما هي بنو عبد مناف، فقيل له: إنّه قد ولّى ابنك، قال: وصلته رحم»[١].. الخ.

قد علم عليّ عليه السلام أنّ أبا سفيان لم يرد بما قاله الخير لبني هاشم ولا للمسلمين وعلم مراده فلذلك أجابه بما أجابه.

بذلك تمّت البيعة لأبي بكر ولم يبق متخلّفاً عنها غير عليّ وبني هاشم ومن تبعهم وقليل سواهم، ولكنّ القضاء على هذا الحزب أصبح سهلاً بعد مبايعة جلّ المهاجرين والأنصار أبابكر.

وصُرِفَ النظر عمّا جرى يوم الغدير وما جرى في أوّل الدعوة من قوله صلى الله عليه وآله: «من يؤازرني على هذا الأمر...» الخ. فلم يجرِ له ذكر.

وأمّا حزب بني هاشم فقد عرفت أنّهم كانوا مشغولين بتجهيز النبيّ ودفنه عند اجتماع القوم في السقيفة. ولم يكن عليّ ومن معه ليتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله بغير دفن ويشتغلوا بطلب الخلافة كما فعل غيرهم.

قال المفيد: وقد جاءت الرواية أنّه جاء رجل إلىٰ أمير المؤمنين وهو يسوّي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده فقال له: إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة للأنصار لاختلافهم وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر، فوضع طرف المسحاة على الأرض ويده عليها ثم قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ *... ﴾[٢][٣].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٤٤٩.

(٢) العنكبوت: ١ - ٤.

(٣) الإرشاد ١: ١٨٩ - ١٩٠.

حكى ابن أبي الحديد عن كتاب السقيفة ـ لأحمد بن عبد العزيز الجوهري ـ عن عمر بن شبّه عن أبي قبيصة قال: لمّا توفّي النبيّ ﷺ جرى في السقيفة ما جرى وتمثّل عليّ:

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا ويطغون لمّا غال زيداً غوائله[١]

وممّا مرّ تعلم: أنّ عمدة احتجاج القوم على استحقاق الخلافة أنّهم من قريش عشيرة النبيّ وبذلك دفعوا الأنصار عنها، وهذه الحجة توجب حقّ عليّ وبني هاشم في الخلافة؛ لأنّهم أقرب الناس إلىٰ الرسول وهم عشيرته، فإن كانت الخلافة بالقرابة فهم أقرب من قريش وإن لم تكن بالقرابة فالأنصار على دعواهم، كما أشار إليه أميرالمؤمنين عليه السلام في بعض كلامه لمّا بلغته أخبار السقيفة. وفيه يقول الشاعر ـ قيل: إنه أميرالمؤمنين عليه السلام وقيل: الكميت ـ :

فإن كنت بالشورى ملكت أُمورهم فكيف بهذا والمشيرون غُيّب
وإن كنت بالقربى وليت عليهمُ فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب[٢]

واجتمع بنو هاشم مع عليّ بن أبي طالب في بيت فاطمة بعد رجوعهم من المسجد كما مرّ، وامتنعوا من البيعة؛ اجتمع معهم طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فيما رواه الطبري[٣].

وقال محمّد بن إسحاق فيما حكاه عنه ابن هشام في سيرته: إنّه إنحاز عليّ ابن أبي طالب والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة[٤].

---

(١) شرح نهج لابن أبي الحديد ٦: ١٤.
(٢) المصدر السابق ١٨: ٤١٦.
(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٤٤٣.
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٦٥٦.

وقال ابن هشام فيما رواه بسنده ـ عن عمر بن الخطّاب ـ: تخلّف عنّا عليّ ابن أبي طالب والزبير بن العوّام ومن معهما...[١] الخ.

واتفقت جميع الروايات على وجود الزبير معهم، أمّا طلحة فقد ذكر في بعضها دون بعض.

الذي يستلفت النظر اجتماع طلحة معهم مع أنّه تيميّ.

تهديد عليّ ومن معه بالإحراق إن لم يبايعوا

روى الطبري في تأريخه قال: «أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لأحرقَنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه»[٢].

ويأتي أيضاً ما يدلّ على ذلك.

متى بايع عليّ بن أبي طالب وبنو هاشم

تدلّ بعض الروايات على أنّ عليّاً بايع يومئذٍ وفاطمة حيّة. ويدلّ أكثرها على أنّه لم يبايع إلّا بعد ستّة أشهر بعد وفاة فاطمة، وبعضها على أنّه لم يبايع هو ولا أحد من بني هاشم إلّا بعد تلك المدّة، وبعضها على أنّ بني هاشم بايعوا يومئذٍ إلّا عليّ فلم يبايع إلّا بعد تلك المدة.

والذي عليه اكثر الروايات وحققّه العلماء: أنّه لم يبايع إلّا بعد وفاة فاطمة وذلك بعد ستة أشهر من وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بناء على أنّها بقيت بعده هذه المدة أو شهرين ونصف بناء على بقائها بعده ذلك.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤:٦٥٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٤٤٣.

لماذا لم يبايعوا عليّاً

لم يكن انحراف قريش عن عليّ لشيء فيه ينقص من أهليّته للخلافة مقدار شعرة ولا لشيء في غيره يوجب امتيازه عن عليّ أو مساواته له في القيام بمهامّ الخلافة، ولكنّ قريشاً وجلّ المهاجرين منها قد وترها عليّ في حروبه لتمهيد الإسلام ، وكثير منها دخل في الإسلام كرهاً والضغائن من نفوسها لم تذهب فهي لا تطيق أن تكون في بني هاشم النبوّة والخلافة وهم من عشيرتها، والبغض والحسد في الأهل والعشيرة أشدّ من غيره، مضافاً إلىٰ حبّ الرياسة الكامن في نفوس البشر، فقريش حاولت جهدها إبطال نبوّة محمّد ﷺ فلم تفلح وتغلّب عليها وقهرها وفتح مكة ودخلها مالكاً لها بعد ما خرج منها هرباً وخوفاً، فكيف تترك بني هاشم تستولي على الخلافة ثانياً ويكون الرأس فيها عليّ بن أبي طالب قاتل صناديد قريش وقاهرها ومؤسّس دولة ابن عمّه وناصرها؟ فليس من الغريب إنحيازها إلىٰ حزب أبي‌بكر وعمر وانحرافها عن عليّ إلّا أقلّها.

أمّا بنو أُمية فانحازوا أوّلاً إلىٰ عثمان ولكنّ عثمان لمّا رأى أنّه ليس في وسْعِهِ معارضة الشيخين ومن تبعهما إنحاز إلىٰ حزبهما. وبالطبع لم يكن لينحاز إلىٰ حزب بني هاشم. وهَبْهُ وطّن نفسه على ذلك، فقومه لم يكونوا ليطيعوه، وقد وترهم بنو هاشم ولا سيّما عليّ وعداوتهم معهم قديمة قبل الإسلام.

ولم تفت هذه الفرصة شيخ بني أُمية أبا سفيان أن يستفيد منها حسبما تساعد عليه الحال في ذلك الوقت فجاء إلىٰ عليّ وبني هاشم فحرّضهم على طلب الخلافة وانتقص الخليفة.

ولم يخفَ ذلك علىٰ عليّ فردّه أقبح ردّ. وولّى الخليفة ابنه فقال: «وَصلَتْك رحم»[١] وسكت.

ولم ينسَ الخليفة الثاني هذه المساعدة من عثمان وبني أُمية فولّى معاوية الشام بعد أخيه يزيد ورشّح عثمان للخلافة يوم الشورى وسنّ لها قانوناً يكون بسببه الخليفة هو عثمان حتماً كما سيأتي هناك.

وبانحياز أُسيد بن حضير رئيس الأوس ومعه الأوس كلّها إلىٰ حزب قريش حسداً لسعد قوي حزب قريش. وبانحياز بشير بن سعد أحد رؤساء الخزرج إلىٰ حزب قريش حسداً لسعد، وبقي سعد منفرداً ليس معه إلّا قليل؛ فإنّ بشيراً إنحاز معه أكثر الخزرج من عشيرته وغيرها، فعشيرة الرئيس تتبعه بالطبع وغيرها للتقرّب إلىٰ الخليفة لئلا يستأثر غيرهم بالمكانة عنده. وسرت هذه المودّة من بشير إلىٰ ابنه النعمان بن بشير الأنصاري فكان من أنصار معاوية يوم صفّين حيث لم يكن معه من الصحابة إلّا قليل هو أحدهم.

ولم ينسَ معاوية تلك المساعدة لبشير التي هي في الحقيقة مساعدة لبني أُمية علىٰ أعدائهم الألدّاء بني هاشم ومساعدة لأوليائهم فجازى ابنه النعمان عليها وعلى نصره له بصفّين بأنّ ولّاه الكوفة ثمّ ولّاه إيّاها ابنه يزيد.

وضعف بذلك أيضاً حزب بني هاشم ولم يبق معهم أحد.

وكان أقوى الأسباب في ذلك كلّه الحسد، والحسد داء بني آدم وحوّاء من زمن آدم الى اليوم.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٤٤٩.

الذين احتجّوا على البيعة من المهاجرين والأنصار

في احتجاج الطبرسي عن أبان بن تغلب : قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: جعلت فداك، هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله؟ قال: «نعم، كان الذي أنكر عليه اثنا عشر رجلاً.

من المهاجرين : خالد بن سعيد بن العاص كان من بني أُمية.

وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر وبريدة الأسلمي .

ومن الأنصار: الهيثم بن التيّهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب. وأبو أيّوب الأنصاري» .

قال: فلمّا صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم: لننزلنّه عن المنبر، وقال آخرون: لئن فعلتم إذاً أعنتم على أنفسكم. فذهبوا إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام يستشيرونه، فقالوا: تركت حقّاً أنت أحقّ به وأولى، ولقد هممنا أن نصير إليه فننزله عن المنبر فقال: «لو فعلتم ذلك لماكنتم[1] إلّا حرباً، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين، ولو فعلتم ذلك لأتوني فقالوا: بايع وإلّا قتلناك»[2]. الى آخر ما أورده الطبرسي .

ولمّا نُحّي عليّ عن الخلافة بعد يوم السقيفة إلىٰ آخر خلافة عثمان وذلك نحو من ٢٤ سنة لم يدخل مع القوم في أمارة ولا حرب وإنّما كان يشير بما فيه النصح والمصلحة العامّة للمسلمين، واشتغل بجمع القرآن بتأويله وتنزيله

(١) في المصدر زيادة (لهم).

(٢) الاحتجاج ١:١٨٦ - ١٨٧ / ح٣٧.

وتفسيره وإقرائه وإرشاد الخلق وتعليمهم، وبنشر علوم الدين والفتوى لا سيّما في المسائل الغامضة التي كان يرجع إليه فيها الصحابة، والقضاء بين الناس خصوصاً في القضايا الغامضة التي كانت تشكل على غيره حتّى جمعت عدّة كتب في قضاياه وأحكامه ومسائله العجيبة، أشرنا إليها فيما سبق، وبالتأليف في علوم الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود ونصرة المظلوم وإظهار الحق جهده والإصلاح بين الناس، واستنبط عيوناً وأنشأ عدّة بساتين ومزارع في المدينة وينبع، وقفها وجعل النظر فيها لأولاده من فاطمة وكان يقوم على ملك له بخيبر.

وما زعمه ابن الأثير من أنّه كان من جملة كتّاب الخليفة الأوّل[1] مصنوع موضوع لا أصل له، فهو كان يرى نفسه أعلى من ذلك.

أخباره في خلافة الخليفة الأوّل

فمن أوّل ما وقع في خلافته مطالبة فاطمة له بإرثها من أبيها وبفدك الذي كان نحلها إيّاه في حياته بسهم ذى القربى، أمّا الإرث فردّها عنه بما رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **أنّا معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة**[2]، وأمّا فدك فطلب منها البينة فشهد لها عليّ وأُمّ أيمن فقال: قد علِمت يا بنت رسول الله أنّه لا يجوز إلّا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين[3].

وهل كان عليّ دون خزيمة ذي الشهادتين؟!

وطلبت سهمها من الخمس فقال لها: لم يبلغ علمي أنّ هذا السهم من

(١) الكامل في التأريخ ٢: ٤٢٠.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٤٤٨.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٢٠ بتفاوت يسير باللفظ.

الخمس مُسلَّم إليكم كاملاً بل انفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين ، فلم تذعن فاطمة لذلك وغضبت، وكذلك عليّ لم يذعن لذلك وقال في بعض خطبه متألّماً: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونِعْمَ الْحَكم الله»[١].

ثم إنّ الزهراء خطبت خطبة طويلة في هذا الشأن وجرى بينها وبين الخليفة حوار ومحاجّة وجدال وبقي الخليفة مصرّاً على منعها وبقيت هي مصرّة على المطالبة كما مرّ ذلك كلّه مفصّلاً في سيرتها في الجزء الثاني[٢].

قال المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهما[٣] في روايتهم: ثمّ انكفأت وأميرالمؤمنين عليه السلام يتوقّع رجوعها إليه ويتطلّع طلوعها عليه، فلمّا استقرّت بها الدار قالت لأمير المؤمنين: «يا ابن أبي طالب: اشتملت شملة الجنين وقعدت حجزة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة ابتزّني نحيلة أبي وبليغة ابنيّ لقد أجهد في خصامي وألفيته ألدّ في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع ولا ناصر ولا شافع، خرجت كاظمة وعُدت راغمة، أضرعت خدّك يوم أضعت جدّك، افترست الذئاب وافترشت التراب، ما كففتَ قائلاً ولا أغنيت طائلاً، ولا خيار لي، ليتني مُتُّ قبل منيتي ودون ذلّتي، عذيري الله منك عادياً وفيك حامياً، ويلاي في كلّ شارق، ويلاي في كلّ غارب، مات العمد ووهت العَضُد، شكواي إلىٰ أبي وعدواي إلىٰ رَبّي، اللّهم إنّك أشدّ قوّةً وحَوْلاً وأحدّ بأساً وتنكيلاً.

فقال لها أمير المؤمنين : لا ويل لك بل الويلُ لشانئك، نهنهي عن وجدك يا ابنة

---

(١) نهج البلاغة: ٤١٧ /ك ٤٥.

(٢) انظر الجزء الأوّل من هذه الطبعة ص٥٣٢ ـ ٥٤٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ٥٠ ـ ٥١، الاحتجاج ١: ٢٨٠ - ٢٨٢ / حديث ٤٩.

الصفوة وبقيّة النبّوة فما ونيتُ عن ديني ولا أخطأتُ مقدري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقُكِ مضمون وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لك أفضل مما قطع عنك فاحتسبي الله، فقالت: حسبي الله، وأمسكت»(١).

وهذا اللوم، والتأنيب من الزهراء لأميرالمؤمنين عليهما السلام لا ينافي عصمته وعصمتها وعلوّ مقامهما، فما هو إلّا مبالغة في الإنكار وإظهار لما لحقها من شدّة الغيظ كما فعل موسى عليه السلام لمّا رجع إلىٰ قومه غضبان أسفا وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه وشريكه في الرسالة يجرّه إليه.

ومّر في الجزء الثاني(٢) في السيرة النبويّة، أنّ الشيخين استأذنا على فاطمة ليسترضياها، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها وجرى بينها وبينهما ما مرّ هناك.

أخباره في قصة بني حنيفة

وهي من حوادث سنة إحدى عشرة، فقد تزوّج خولة الحنفية من سبي بني حنيفة، وولد له منها ابنه المعروف بمحمّد ابن الحنفية. وأراد بعض أن يستدل بذلك على رضاه بإمامة من قبله. وردّه آخرون فكان لذلك مساس بأحواله وأخباره.

قال الشريف المرتضى في كتاب الشافي : «روى جميع أهل النقل أن أبا بكر وصّى الجيش الذين أنفذهم لقتال أهل الرّدة بأن يؤذّنوا ويقيموا فإن

(١) الشافي في الإمامة ٤: ٧١ - ٧٧ ولم يذكر ذيل الخبر الذي أورده المصنف عن روايات المرتضى والطوسي والسيد هنا ذكر الخطبة من بداية الكلام إلىٰ أن قال وانكفأت إلىٰ قبر أبيها ولم يذكر بعدها شيئاً، أمالي الطوسي: ٦٨٣ - ٦٨٤ / ح١٤٥٥ .

(٢) راجع الجزء الأول من هذه الطبعة: ٥٤٣.

أذّن القوم بأذانهم وأقاموا كفّوا عنهم، وإن لم يفعلوا أغاروا عليهم»[١].

قال: «وقصة مالك بن نويرة اليربوعي معروفة عند من تأمّلها من أهل النقل، لأنّه كان على صدقات قومه بني يربوع من قبل رسول الله ﷺ، فلمّا بلغته وفاته أمسك عن أخذ الصدقة من قومه وقال لهم: تربّصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبيّ ﷺ وننظر ما يكون من أمره. وقد صرّح بذلك في شعره حيث يقول:

وقال رجال سدّد اليوم مالك ... وقال رجالٌ مالكٌ لم يسدد
فقلت دعوني لا أباً لأبيكم ... فلم أخُط رأياً في المقال ولا اليد
وقلت: خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيئ به غدي
فدونكموها إنّما هي مالكم ... مصررة أخلافها لم تجدد
ساجعل نفسي دون ما تحذرونه ... وأرهنكم يوماً بما قلته يدي
فإن قام بالأمر المحدث قائم ... اطعنا وقلنا الدين دين محمّد

فصرّح كما ترى أنّه استبقى الصدقة في أيدي قومه رفقاً بهم وتقرّباً إليهم إلىٰ أنّ يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه.

قال: وقد روى جماعة من أهل السير ـ ذكره الطبري في تاريخه ـ أنّ مالكاً نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات»[٢].

ثم ذكر رواية الطبري في ذلك ونحن ننقلها من تاريخ الطبري بوجه أتمّ مع بعض اختصار. وروى الطبري في تأريخه بسنده: «أنّ خالد بن الوليد قدم البطاح فلم يجد عليه أحداً ووجد مالكاً قد فرّقهم في أموالهم ونهاهم عن

(١) الشافي في الإمامة ٤: ١٦٣.

(٢) المصدر السابق ٤: ١٦٤ - ١٦٥.

الاجتماع(١) وقال: يا بني يربوع إنّا قد كنّا عصينا أُمراءَنا إذ دعونا إلىٰ هذا الدين وبطّأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح وإنّي قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة وإذا أمر لا يسوسه الناس فإيّاكم ومعاداة قوم يصنع لهم(٢) فتفرّقوا إلىٰ دياركم وادخلوا في هذا الأمر، فتفرّقوا على ذلك إلىٰ أموالهم ورجع مالك إلىٰ منزله، فلمّا قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بدعاية الإسلام وأن يأتوه بكلّ من لم يجب وإن امتنع يقتلوه، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع فاختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي فكان فيمن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد منادياً فنادى: ادفئوا أسراكم فظنوا أنّه أمرهم بقتلهم لأنّ هذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة للقتل فقتل ضرار بن الأزور مالكاً. وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة: هذا عملك فزبره خالد وتزوّج خالد أُمّ تميم ابنة المنهال زوجة مالك»(٣). وكانت أُمّ تميم هذه بارعة في الجمال.

وروى الطبري أيضاً في تأريخه بسنده: «إنّ أبا بكر كان من عهده إلىٰ جيوشه أن إذا غشيتم داراً فسمعتم فيها أذاناً للصّلاة فأمسكوا عن أهلها حتّى تسألوهم ما الذي نقموا، وإن لم تسمعوا أذاناً فشنّوا الغارة.

---

(١) في الشافي: عن الاجتماع على منع الصدقات كما سمعت وليس ذلك في الطبري (تاريخ الأُمم والملوك) وكأن المرتضىٰ فهم منه أن المراد من الاجتماع الاجتماع علىٰ منع الصدقات والصواب أنه نهاهم عن الاجتماع في مكان واحد وأمرهم بالتفرق في أموالهم لئلا يظن بهم الجيش العصيان إذا رآهم مجتمعين.

(٢) أراد مالك أنه وجد أمر الإسلام أمراً إلهياً يتأتىٰ ويحصل بغير سياسة من الناس وأن الله تعالى يضع للمسلمين ما فيه نصرهم فلذلك نهاهم عن معاداة المسلمين لأن مَنْ يسوس الله أمورهم ويصنع لهم لا يُعادون. ـ المؤلف ـ

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٥٠٢.

وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها. وكان يحدّث أنهم لمّا غشوا القوم رعوهم تحت الليل فأخذ القوم السّلاح فقلنا: إنّا لمسلمون، فقالوا: أو نحن لمسّلمون قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح فوضعوه ثم صلّينا وصلّوا ، وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال وهو يراجعه: ما أخال صاحبكم إلّا وقد كان يقول كذا وكذا قال: أو ما تعهد لك صاحباً؟ ثمّ قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه فلمّا بلغ قتلهم عمر بن الخطّاب تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدوّ الله عدا على امرئٍ مسلم فقتله ثمّ نزا على امرأته.

وأقبل خالد بن الوليد حتّى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطّمها ثم قال: أرئاء قتلت امرءاً مسلماً ثمّ نزوت على امرأته؟! والله لأرجمنّك بأحجارك، وخالد لا يكلّمه ولا يظن إلّا أنّ أبا بكر على مثل رأي عمر فيه، فدخل على أبي بكر واعتذر إليه فعذره فخرج خالد وعمر جالس في المسجد فقال: هلّم إليّ يا ابن اُمّ شملة، فعرف عمر أنّ أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلّمه ودخل بيته»[1]... الخ.

قال الشريف المرتضى في الشافي: «فأمّا قوله في النبيّ ﷺ صاحبك فقد قال أهل العلم: أنّه أراد القرشيّة لأنّ خالداً قرشيّ، وبعد فليس في ظاهر إضافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه، ولو كان علم من مقصده الاستخفاف

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٢:٥٠٣ - ٥٠٤ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

والإهانة لوجب أن يعتذر بذلك خالد عن الشيخين[١] ويعتذر به أبو بكر لمّا طالبه عمر بقتله فإنّ عمر ماكان يمتنع من قتل قادح في نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله وإن كان الأمر على ذلك فأيّ معنى لقول أبي بكر: تأوّل فأخطأ وإنّما تأوّل فأصاب إن كان الأمر على ما ذكره»[٢]... الخ.

وروى الطبري أيضاً: أنّ مالكاً كان من أكثر الناس شَعراً وأنّ أهل العسكر جعلوا رؤوسهم اثافي للقدور، فما من رأس إلّا وصلت النار إلىٰ بشرته إلّا[٣] مالكاً فإنّ القدر نضجت وما وصلت النار الى بشرته من كثرة شعره»[٤]...الخ.

هذا العمل الوحشيّ الدنيء الذي كشف عن وحشية فاعليه ورؤسائهم الذين وافقوهم على ذلك قد سوّد وجه الإسلام والعرب والإنسانية، وأبان عن لؤم الغلبة ونأى عن أخلاق الإسلام ومحاسنه.

وروى الطبري أيضاً بسنده أنه: قدم أخوه متمّم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم فكتب له بردّ السبي[٥].

وقد تكلّم الناس كثيراً في قتل مالك بن نويرة ونظّم فيه الشعراء، قال أبوفراس:

وَجَرّتْ مَنَايَا مَالِكِ بن نُوَيْرَةٍ عَقِيلَتَهُ الحَسْنَاءُ أيَّامَ خَالِدِ[٦]

وتزوّج عليّ عليه السلام خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، قال ابن حجر

(١) في المصدر (عن أبي بكر وعمر).
(٢) الشافي في الإمامة ٤: ١٦٧.
(٣) في المصدر (ما خلا).
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٥٠٣ وفيه (أثغوا برؤسهم القدور فما منهم رأس).
(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٥٠٣.
(٦) ديوان أبي فراس الحمداني: ٨٩ .

في تهذيب التهذيب: ويقال من مواليهم سُبيت في الرّدة من اليمامة[١]...الخ.

وربّما استدل بعضهم على رضا أمير المؤمنين عليه السلام بخلافة من تقدّمه بتزوّجه من سبيهم.

ولا دلالة فيه؛ فإنّه إن كان بنو حنيفة مرتدّين كان سبيهم حلالاً لكل أحد، وإن كانوا غير مرتدّين لم يحلّ سبيهم لأحد فإذا نكح عليّ من سبيهم لا بدّ أن يكون بعقدٍ لا بملك يمين.

وفي البحار: سئل الشيخ المفيد: لمَ أخذ عليّ عطاءهم ونكح سبيهم وحكم في مجالسهم، فقال: أمّا أخذه العطاء فأخذ بعض حقه، وأمّا نكاحه سبيهم.

فمن طريق الممانعة، أنّ الشيعة روت أنّ الحنفية زوّجها أميرالمؤمنين محمّد بن مسلم الحنفي.

ومن طريق المتابعة أنّه لو نكح من سبيهم لم يكن لكم ما أردتم لأنّ الذين سباهم أبو بكر كانوا عندكم قادحين في نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله كفّاراً فنكاحهم حلال لكلّ أحد ولو كان الذي سباهم يزيد أو زياد وإنّما كان يسوغ لكم ما ذكرتموه إذا كان الذين سباهم قادحين في إمامته ثمّ نكح أمير المؤمنين منهم. اما حكمه في مجالسهم فلأن الحكم له وإليه[٢]...الخ.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: اختلف في أمر خولة الحنفية أمّ محمّد فقال قوم: إنّها من سبايا الرّدّة سباها خالد أيّام أبي بكر فدفعها أبو بكر إلىٰ عليّ من سهمه، وقال قوم منهم أبو الحسن عليّ بن محمّد بن سيف

(١) تهذيب التهذيب ٩:٣١٥.

(٢) البحار ٢٩: ٢٤٠ - ٢٤١ / ح ٥١ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

المدائني: هي سبية في أيّام رسول الله ﷺ بعث عليّاً إلىٰ اليمن فأصاب خولة في بني زبيد وقد ارتدّوا وكانوا سبوها من حنيفة فصارت في سهم عليّ فقال له رسول الله ﷺ: «إن ولدت منك غلاماً فسمّه باسمي وكنّه بكنيتي» فولدت له محمّداً بعد موت فاطمة فكنّاه أبا القاسم. وقال قوم وهم المحقّقون وقولهم الأظهر: إنّ بني أسد غارت علىٰ بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة فباعوها من عليّ وبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة علىٰ عليّ فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم فاعتقها وتزوّجها بمهر وهذا اختيار أحمد بن يحيى البلاذري في تاريخ الأشراف[1]... الخ.

ومن أخباره في خلافة أبي بكر

ما رأيته في معجم البلدان عند الكلام على الأحقاف قال: والصحيح ما رويناه عن ابن عبّاس وابن إسحاق وقتادة أنّها رمال بأرض اليمن كانت عاد تنزلها. ويشهد بصحة ذلك ما رواه أبو المنذر هشام بن محمّد عن أبي يحيى السجستاني عن مرّة بن عمر الإربلي عن الأصبغ بن نباته قال: إنّا لجلوس عند عليّ بن أبي طالب في خلافة أبي بكر إذ أقبل رجل من حضرموت لم أرَ قطّ رجلاً أنكر منه فاستشرفه الناس وراعهم منظره وأقبل مسرعاً حتّى وقف علينا وسلّم وجثا، وكلّم أدنى القوم منه مجلساً وقال: من عميدكم؟ فأشاروا إلىٰ عليّ وقالوا: هذا ابن عمّ رسول الله ﷺ وعالم الناس والمأخوذ عنه، فقام وقال:

اسمع كلامي هداك الله من هاد وافرج بعلمك عن ذي غلّة صاد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، أنساب الأشراف، البلاذري: ٢٠١ اختلاف في اللفظ.

جاب التنائف من وادي سُكاك إلىٰ ذات الأماحل في بطحاء أجياد
تلفّه الدِّمنَةُ البوغاء معتمداً إلىٰ السداد وتعليم بإرشادِ
سمعت بالدين دين الحقّ جاء به محمّد وهو قرم الحاضر البادي
فجئت منتقلاً من دين باغيةٍ ومن عبادة أوثانٍ وأنداد
ومن ذبائح أعياد مضلّلةٍ نسيكها غائب ذو لوثة عاد
فادلل على القصد وأجلُ الريب عن خلدي بشرعةٍ ذات إيضاح وإرشاد
وألمم بفضل هداك الله عن شعثي واهدني إنّك المشهور في النادي
إنّ الهداية للإسلام نائبة عن العمى والتقى من خير أزواد
وليس يفرج ريب الكفر عن خلد أقضّه الجهل إلّا حية الوادي

فأعجب عليّاً والجلساء شعره وقال له: «لله درّك ما أرصن شعرك! ممّن أنت؟ قال: من حضرموت، فسرّ به عليّ وشرح له الإسلام وأسلم على يديه، وسأله ذات يوم ونحن مجتمعون للحديث: أعالم أنت بحضرموت إذا جهلتها لم اعرف غيرها؟ قال: أتعرف الأحقاف؟ قال: كأنّك تسأل عن قبر هودعليه السلام؟ قال: لله درّك ما أخطأت، قال: نعم خرجت في عنفوان شبيبتي في أغيلمة من الحيّ نريد قبره فسرنا في بلاد الاحقاف أيّاماً ومعنا رجل قد عرف الموضع فانتهينا إلىٰ كثيب أحمر فيه كهوف كثيرة فمضى بنا الرجل الى كهف منها فدخلناه فأمعنّا فيه طويلاً فانتهينا إلىٰ حجرين قد أطبق أحدهما دون الآخر فيه خلل يدخل منه الرجل النحيف متجانفاً فدخلته فرأيت رجلاً على سرير شديد الأدمة طويل الوجه كثّ اللحية وقد يبس على سريره فإذا مسست شيئاً من بدنه أصبته صلباً لم يتغيّر ورأيت عند رأسه كتاباً بالعربية: أنا هود النّبي الذي أسفت عليّ عاد بكفرها وماكان لأمر الله من مردّ، فقال لنا عليّ بن أبي طالب: «كذلك سمعته من أبي القاسم رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].. الخ.

---

(١) معجم البلدان ١:١١٥ - ١١٦.

أخباره في إمارة عمر

كان في إمارة عمر كثيراً ما يأتي إلىٰ ملك له بينبع، وهي ينبع النخل بنواحي المدينة وهي غير ينبع البحر، وكان لعليّ فيها عيون استنبطها ونخيل وزرع منها. وعين أبي نيزر والبغيبغة وقد تكلمنا عليهما في ج٧[1] وفي المستدرك ج ١٥ ص٤٨٧ في ترجمة أبي نيزر ونعيد بعض ما ذكرناه هناك لتعلّقه بسيرته عليه السلام وإن لزم بعض التكرار.

قال المبرّد في الكامل: رووا أنّ عليّاً لمّا أوصى إلىٰ الحسن في وقف أمواله وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف، وفيها عين أبي نيزر والبغيبغة، وهذا غلط؛ لأنّ وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته والوصية كانت عند وفاته.

حدّثنا أبو محلم محمّد بن هشام في إسناد ذكر آخره أبو نيزر: وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم قال: وصحّ عندي أنّه من ولد النجاشي فرغب في الإسلام صغيراً فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم وكان معه في بيوته مؤونته فلمّا توفي رسول الله صلى الله عليه وآله صار مع فاطمة وولدها عليهم السلام[2].

وفي معجم البلدان بالإسناد (عن محمّد بن إسحاق بن يسار): أنّ أبا نيزر الذي تنسب إليه العين هو مولى عليّ بن أبي طالب كان ابناً للنجاشي ـ ملك الحبشة الذي هاجر إليه المسلمون ـ لصلبه وأنّ عليّاً وجده عند تاجر بمكّة

---

(١) انظر الجزء الأوّل من هذه الطبعة.

(٢) عنه في معجم البلدان ٤:١٧٥ - ١٧٦.

فاشتراه إليه وأعتقه مكافأة بما صنع أبوه مع المسلمين حين هاجروا إليه.

وذكروا أنّ الحبشة مرج عليها أمرها بعد موت النجاشي وأنّهم أرسلوا وفداً منهم إلىٰ أبي نيزر وهو مع عليّ ليملكوه عليهم ويتوّجوه ولا يختلفوا عليه فأبىٰ وقال: ماكنت لأطلب الملك بعد أن منّ عليّ بالإسلام[١].

ثم قال المبرد: قال أبو نيزر: جاءني عليّ بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال: هل عندك من طعام؟ فقلت: لا أرضاه لأميرالمؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته بإهالة سنخة[٢] فقال عليه السلام: عليّ به، فقام إلىٰ الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع إلىٰ الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثمّ ضمّ يديه كل واحدة منها إلىٰ اختها وشرب بهما حسّاً[٣] من ماء الربيع ثم قال: «**يا أبا نيزر إنّ الأكفّ أنظف الآنية**»، ثمّ مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال: «**من أدخله بطنه النار فأبعده الله**»، ثمّ أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضّح جبينه عرقاً فانتكف[٤] العرق من جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنّها عنق جزور فخرج مسرعاً فقال: «**أشهد أنّها صدقة، عليّ بداوة وصحيفة**» فعجّلت بهما إليه فكتب:

---

(١) معجم البلدان ٤:١٧٥.

(٢) في الفائق الإهالة الودك (الشحم) وعن أبي زيد كل دهن يؤتدم به وفي النهاية الإهالة كلّ شيء من الأدهان ممّا يؤتدم وقيل: هو ما أُذيب من الألية والشحم وقيل: الدسم الجامد.

(٣) في تاج العروس قال سيبويه: التحسي عمل في مهلة ثم قال: واسم ما يتحسىٰ الحسية والحساء والحسو قال بن سيده: وأرى ابن الأعرابي حكىٰ في الاسم أيضاً الحسو على لفظ المصدر والحسا مقصوراً على مثال القفا: ولست منهما على ثقة... الخ. وحينئذٍ فالحسا هنا بمعنى ما يتحسىٰ أي شرب من ماء الربيع دفعات بمهلة.

(٤) انتكف العرق عن جبينه: أي مسحه ونحاه، تاج العروس ٦: ٢٦٢، النهاية في غريب الحديث ٥: ١١٦ (مادة تكف).

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدّق به عبد الله عليّ أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حرّ النار يوم القيامة لا تُباعا ولا تُوهَبا حتّى يرثها الله وهو خير الوارثين إلّا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما ليس لأحد غيرهما».

قال محمّد بن هشام: فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزرمائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال: «إنّما تصدّق بها أبي ليقي بها وجهه حرّ النار ولست بائعها بشيء»[1].

قال: وتحدّث الزبيريون أنّ معاوية كتب إلىٰ مروان بن الحكم وهو والي المدينة ذكر ما مضمونه أنّه كتب إليه أن يخطب أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد وأن يرغب له في الصداق فقرأ الكتاب علىٰ عبد الله فقال: إنّ خالها الحسين بينبع وليس ممّن يفتات عليه بأمر فأنظرني إلىٰ أن يقدم وكانت أُمّها زينب بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا قدم الحسين ذكر له ذلك عبد الله فدخل إلىٰ الجارية فقال: يا بُنيّة إنّ ابن عمّك القاسم بن محمّد بن جعفر أحقّ بك ولعلّك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات، فلمّا حضر القوم للأملاك تكلّم مروان فذكر معاوية ما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلّم الحسين فزوّجها من القاسم، فقال مروان: أغدراً يا حسين؟ فقال: أنت بدأت، خطب أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفّان واجتمعنا لذلك فزوّجتها من عبد الله بن الزبير. فقال مروان: ما كان ذلك، فالتفت الحسين إلىٰ محمّد ابن حاطب فقال: أنشدك الله أكان ذلك؟ قال: اللهم نعم.

قال: فلم تزل هذه الضيعة في يد بني عبد الله بن جعفر من ناحية أُمّ كلثوم

---

(١) معجم البلدان ٤: ١٧٦.

يتوارثونها حتى ملك المأمون فذُكر ذلك له فقال: كلّا هذا وقف عليّ بن أبي طالب عليه السلام فانتزعها من أيديهم وعوّضهم عنها وردّها إلىٰ ماكانت عليه[1].

وفي مناقب ابن شهر آشوب ما مختصره عن عبد الملك بن عمير والحاكم العبّاس قالوا: خطب الحسن عائشة بنت عثمان فقال مروان: أزوّجها عبدالله بن الزبير فلمّا قُبض الحسن ومضت أيّام من وفاته كتب معاوية إلىٰ مروان وهو عامله على الحجاز يأمره أن يخطب أُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد فأخبر مروان عبد الله بذلك فقال: إنّ أمرها ليس إليّ إنّما هو إلىٰ سيّدنا الحسين هو خالها، فأُخبر الحسين بذلك فقال: أستخير الله تعالى، اللّهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمّد، فلمّا اجتمع الناس في المسجد أقبل مروان حتى جلس إلىٰ الحسين وقال: إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أخطب أُمّ كلثوم لابنه يزيد وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ وأنّ الحسين قال له: لعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً، ثمّ ذُكر حوار دار بينهما ثم قال: إنّ الحسين قال: اشهدوا أنّي قد زوّجت أُمّ كلثوم بنت عبد الله ابن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة أو قال: أرضي بالعقيق وأنّ غلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار»[2] الحديث.

وفي الإصابة: أبو نيزر - بكسر أوّله وسكون المثناة التحتية وفتح الزاي بعدها راء - ذكره الذهبي مستدركاً وقال: يقال إنّه من ولد النجاشي جاء وأسلم وكان مع النبيّ صلى الله عليه وآله في مؤونته، ثم قال في جملة ما حكاه عن كامل المبرّد: أنّه

---

(١) معجم البلدان ١:٤٦٩ - ٤٧٠.

(٢) المناقب لابن شهر أشوب ٤:٣٨ - ٣٩ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

كان يقوم بضيعتَي عليّ اللتين في ينبع[١] تُسمّى إحداهما البغيبغة والأُخرى عين أبي نيزر[٢].

وفي معجم البلدان: ينبع، قال عرام بن الأصبغ السلمي: هي لبني حسن بن عليّ وفيها عيون عِذاب غزيرة وقال غيره: ينبع حصن به نخيل وماء وزرع بها وقوف لعليّ بن أبي طالب يتولّاه ولده[٣].

هذا ما وقفنا عليه ممّا يتعلّق بهذا المقام، وفيه مواضع ينبغي أن نتكلم عليها:

أوّلاً: إنّ المبرّد صرّح بأنّ وقف عليّ عليه السلام الضيعتين كان لسنتين من خلافته، وخطاب أبي نيزر بقوله: طعام لا أرضاه لأميرالمؤمنين وقوله في كتاب الوقف: «**هذا ما تصدّق به عبد الله عليّ أمير المؤمنين**» دالّ على أنّ ذلك في زمن خلافته وما ذكره من أنّ «وقفه للضيعتين كان لمّا جاء أبا نيزر وهو يقوم بهما وضرب في العين بالمعول فانثالت كأنّها عنق بعير» دالّ على أنّ ذلك كان وعليّ بالحجاز، مع أنّه بعد أن ذهب إلىٰ العراق واتّخذ الكوفة مسكناً لم يذكر أحد أنّه رجع إلىٰ الحجاز، ومتى كان يمكنه أن يرجع وهو قد ذهب للعراق لحرب أصحاب الجمل، وبعد فراغه اشتغل بحرب صفّين، وبعده بحرب الخوارج ثمّ استشهد فلم تكن له فرصة لأن يذهب للحجاز وليس هناك أمر مهم يدعوه للذهاب.

ثانياً: كلام المبرّد دالّ على أنّه أسلم صغيراً على يدي النبيّ صلى الله عليه وآله فكان معه في مؤونته ثمّ مع فاطمة وولدها، وكلام ابن إسحاق دالّ على أن عليّاً عليه السلام اشتراه

(١) الذي في النسخة المطبوعة البقيع بدل ينبع وهو تصحيف.

(٢) الإصابة ٤:١٩٨، رقم ١١٧٠.

(٣) معجم البلدان ٥:٤٤٩ – ٤٥٠.

وأعتقه وجعله في الضيعتين ويمكن الجمع بأن علياًعليه السلام اشتراه من تاجر وهو صغير وأعتقه ثم جاء به إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم وبقي عند النبيّ صلى الله عليه وآله إلىٰ وفاته فانتقل إلىٰ بيت عليّ فصار مع فاطمة وولدها ثم جعله في الضيعتين.

ثالثاً: قصّة مجيئه أبا نيزر إلىٰ الضيعة هذه تدلّ على أُمور :

١ - غاية زهده بأكله القرع المطبوخ بالودك المتغيّر الرائحة ولعلّه كان بغير خبز وهي واحدة من كثير ممّا يدلّ على غاية زهده.

٢ - استحباب غَسل اليد قبل الأكل.

٣ - استحباب غسل اليدين بعده.

٤ - قوله: «من أدخله بطنه النار فأبعده الله» موعظة بالغة فأكل الحرام الذي هو لذّة ساعة ثم يصير عذرة إذاكان يوجب دخول النار لا يفعله ذو عقل.

٥ - الحث على العمل والكد بضربه بالمعول حتى تفضّح جبينه عرقاً واستئنافه الضرب حتى استنبط الماء الغزير.

٦ - تأكّد استحباب الوقف في سبل الخير.

٧ - استحباب المسارعة إلىٰ فعل الخير فلذلك بادر إلىٰ الوقف بدون مهلة.

٨ - استحباب الكتابة للوقف وغيره فلذلك بادر إلىٰ طلب الدواة.

٩ - المراد بالصدقة هنا الوقف وقد سمّى الوقف صدقة جارية أي دائمة.

١٠ - انّ الوقف يجوز اشتراط الرجوع فيه عند الحاجة ولا يفسد بذلك لقوله: إلّا أن يحتاج إليها الحسن أو الحسين فهما طلق لهما... الخ. فجعل ذلك لهما دون باقي ولده إلّا أنّ الحسين لِما فيه من سموّ النفس وشرف الطبع لم يرض أن يبيع عين أبي نيزر من معاوية بمائتي ألف دينار التي تقرب من مائة ألف ليرة عثمانية ذهباً وقد ركبه الدَيْن لتبقى هذه المكرمة وثوابها لأبيه

وإن رخّص له في بيعها عند الحاجة وقال: «إنما تصدّق بها أبي ليقي بها وجهه حرّ النار ولست بائعها بشيء».

تفديك نفسي يا أبا عبد الله، وأيّ عمل عمله أبوك يخشى منه لفح النار لوجهه، يمكن أن يريد بقوله: إلّا أن يحتاج إليها الحسن والحسين الأعمّ من الحاجة إلىٰ البيع أو إلىٰ غلّتها فلهما أخذها ولا يلزمهما التصدّق بها على الفقراء وابن السبيل.

رابعاً: كلام المبرّد في خبر تزويج أُمّ كلثوم هذه يدلّ علىٰ أنّ الحسين عليه السلام نحلها البغيبغة، ورواية ابن شهر آشوب تدلّ علىٰ أنّه نحلها ضيعته بالمدينة أو أرضه بالعقيق وأرض العقيق خارجة عن البغيبغة التي بينبع، أمّا ضيعته بالمدينة فيمكن انطباقها على التي بينبع لأنها من توابع المدينة حينئذ فيرجح ما ذكره المبرّد ويضعف أنّه نحلها أرضه بالعقيق.

خامساً: نحلة الحسين عليه السلام البغيبغة الداخلة في الوقف لأُمّ كلثوم هو أخذ بالرخصة التي رخّصها له أبوه ولم يعمل بها في بيع عين أبي نيزر من معاوية للبون الشاسع بين المقامين فلذلك توارثها بنو عبد الله بن جعفر من ناحية أُمّ كلثوم.

سادساً: ما فعله المأمون أراد به الجمع بين بقاء وقف عليّ عليه السلام على حاله وعدم الحيف على ولد عبد الله بن جعفر فانتزعها منهم وردّها إلىٰ ما كانت عليه وعوّضهم عنها.

سابعاً: ما حكي في المعجم من أنّ بينبع وقوفاً لعليّ بن أبي طالب يتولاها ولده، الظاهر أن المراد به عين أبي نيزر لا البغيبغة لكون الثانية صارت إلىٰ ولد عبد الله بن جعفر.

ثامناً: يُستفاد من خبر تزويج أُمّ كلثوم هذا استحباب تقليل المهر وأنّ

مهر السنة اثنتا عشرة أوقية كل أوقية أربعون درهماً مجموعها ٤٨٠ درهماً وأنّ من أراد زيادة المهر فليجعل الزيادة على ذلك نحلة عطية غير داخلة في المهر.

حُليّ الكعبة

ومن أخباره في زمن عمر ما في نهج البلاغة : روي أنّه ذكر عند عمر ابن الخطّاب في أيّامه حليّ الكعبة كثرته فقال قوم: لو أخذته فجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحليّ؟ فهمّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه‌السلام فقال: «**إنّ هذا القرآن أُنزل على محمّد** صلى‌الله‌عليه‌وآله **والأموال أربعة.**

أموال المسلمين، فقسّمها بين الورثة في الفرائض والفيء فقسّمه على مستحقّيه.

والخمس فوضعه الله حيث وضعه. والصدقات فجعلها الله حيث جعلها.

وكان حليّ الكعبة فيها يومئذٍ، فتركه على حاله لم يخف عنه مكاناً فأقرّه حيث أقرّه الله ورسوله» .

فقال عمر: لولاك لافتضحنا وترك الحليّ بحاله...[1] الخ.

وقال ابن أبي الحديد في الشرح ما حاصله: هذا استدلال صحيح ويمكن أن يورد على وجهين:

أحدهما : أنّ الأصل في الأشياء الحظر كما هو مذهب البعض.

ثانيها: أنّ حليّ الكعبة مال مختص بالكعبة جار مجرى ستورها وبابها، فكما لا يجوز التصرّف في ستورها وبابها فكذلك الحليّ بجامع

(١) نهج البلاغة: ٥٢٢ - ٥٢٣ / ح ٢٧٠.

الاختصاص[١] الجاعل كلّ أحد منها كالجزء من الكعبة. قال: وعلى هذا الوجه يجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا على ظاهره وإلّا لكان لمعترض أن يعترض بأن الأموال الأربعة أموال متكرّرة بتكرر الأزمان يذهب الموجود ويخلفه غيره فكان الاهتمام بها أكثر وليس كذلك حليّ الكعبة. وأيضاً فهو شيء قليل ليس مثله مما يقال ينبغي أن يكون الشارع قد تعرّض لوجوه مصرفه فافترق الموضعان[٢].

وأقول: كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس ناظراً إلىٰ شيء من هذين الوجهين مع فسادهما في أنفسهما فالأصل في الأشياء الإباحة كما قرر في الأُصول لكن في غير الأموال.

واختصاص الحليّ بالكعبة يجعله جارياً مجرى ستورها وبابها، لكن كون الحليّ والستور كالجزء منها ممنوع لو سلم ذلك في الباب إلّا أنّ منع التصرف فيما هو مختص بالكعبة حتى لو صار كالجزء منها محتاج إلىٰ دليل يدخله تحت عنوان محرم.

لكنّ كلام أمير المؤمنين ناظر إلىٰ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يتصرّف في حليّ الكعبة مع حاجة المسلمين إليه لتجهيز الجيوش أشد من الحاجة التي كانت في زمن عمر ولم يكن ناسياً له فدلّ ذلك علىٰ عدم جواز التصرف فيه. هذا وجه إجمالي لعدم جواز التصرّف.

وهناك وجه تفصيليّ وهو أنّه موقوف علىٰ أن تحلّى به الكعبة.

وبذلك يعلم اندفاع ما أورده من الاعتراض وعدم الحاجة الى هذا الجواب مع فساده في نفسه.

---

(١) في المصدر (والجامع بينهما الاختصاص).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩:١٥٨ - ١٥٩ بتصرف يسير باللفظ.

إشارته عليه في حرب الروم والفرس

ومن أخباره في زمن عمر ما أشار به عليه من عدم التوجّه بنفسه إلىٰ حرب الروم والفرس، وعلّل ذلك بأنّهم إذا نظروا إليه قالوا: «**هذا رجل العرب فإن قطعتموه فقد قطعتم العرب، وكان أشدّ لكلبهم**» فربما جرى له مثل ما جرى يوم خيبر، فقال عمر: (هذا هو الرأي وقد كنت أحبّ أنّ أتابع عليه)[1] فدلّ على أنّه كان كارهاً للخروج قبل ان يشير عليه بذلك، وقد مرّ ذلك مفصّلاً في الأمر الرابع والعشرين من مناقبه وقضائه فأغنى عن إعادته.

وضع التاريخ

ومن أخباره في خلافة عمر ما أشار به عليه لمّا جمع الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ؟ فاشار أن يجعل من الهجرة، ومرّ تفصيله في الأمر الرابع والعشرين أيضاً.

قضاياه في إمارة عمر

١ - ما ذكره المفيد في الإرشاد وابن شهر آشوب في المناقب وقالا: رواه العامة والخاصة من أنّ قدامة بن مظعون شرب الخمر في إمارة عمر فأراد عمر أن يحدّه فقال: لا يجب عليّ الحد لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**﴾[2]

---

(١) الإرشاد ١: ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) المائدة: ٩٣.

فدرأ عمر عنه الحدّ فقال له عليّ: «أنّ قدامة ليس من أهل هذه الآية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرّم الله إنّ الذين آمنوا عملوا الصالحات لا يستحلّون حراماً فاردد قدامة واستتبه مما قال فإن تاب فأقم عليه الحدّ وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملّة».

وعرف قدامة الخبر فأظهر التوبة فدرأ عمر عنه القتل ولم يدر كيف يحدّه، فسأل عليّاً فقال: «حدّه ثمانين إنّ شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى» فحدّه عمر ثمانين[1].

٢ - ما في إرشاد المفيد: روي أنّ عمر استدعى امرأة كانت تتحدّث عندها الرجال، فلمّا جاءتها رسله فزعت وخرجت معهم فأسقطت ووقع إلىٰ الأرض ولدها ثم مات، فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسألهم فقالوا: نراك مؤدباً ولم ترد إلّا خيراً ولا شيء عليك، وعليّ جالس لا يتكلّم فقال له: ما عندك في هذا يا أبا الحسن؟ قال: قد سمعت ما قالوا، قال: فما عندك أنت؟ قال: قد قال القوم ما سمعت، قال: أقسمت عليك لتقولّن ما عندك، قال: «إن كان القوم قد قاربوك فقد غشّوك وإن كانوا ارتأوا فقد قصّروا؛ إنّ الدية علىٰ عاقلتك لأنّ قتل الصّبي خطأ تعلّق بك»، فقال: أنت والله نصحتني من بينهم والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني غدي ففعل[2].

وفي المناقب: روى جماعة منهم إسماعيل بن صالح عن الحسن، وذكر مثله ثمّ قال: وقد أشار الغزّالي إلىٰ ذلك في الإحياء[3].

٣ - ما في مناقب ابن شهر آشوب: أنّه أُتي إلىٰ عمر برجل وامرأة، قال

---

(١) الإرشاد ١: ٢٠٢ - ٢٠٣، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٦٦.

(٢) الإرشاد ١: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٦٦ - ٣٦٧.

لها الرجل: يا زانية فقالت: أنت أزنى مني، فأمر بأن يجلدا فقال عليّ لا تعجلوا، على المرأة حدّان حدّ لفريتها لأنّها قذفته وحدّ لإقرارها على نفسها وليس على الرجل شيء[1].

٤ - ما في المناقب أيضاً عن الرضاعليه السلام: قضى أمير المؤمنين في محصنة فجر بها غلام صغير فأمر عمر أن ترجم فقال عليّ: «**لا يجب عليها الرجم إنّما يجب الحدّ لأنّ الذي فجر بها ليس بمدرك**»[2].

٥ - ما فيه أيضاً: أمر عمر برجلٍ يمني محصن فجر بالمدينة أن يرجم فقال عليّ «**لا يجب عليه الرجم لأنه غائب عن أهله إنّما يجب عليه الحدّ**»فقال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن[3].

٦ - ما في عجائب أحكامه: عليّ بن إبراهيم حدّثني أبي عن محمّد بن أبي عميرة عن عمر بن يزيد عن أبي المعلى عن أبي عبد اللهعليه السلام: أُتي عمر بامرأة تعلّقت بأنصاريّ تهواه فلم تقدر على حيلة؟ فصبّت بياض البيض على ثيابها وجسمها ثم جاءت إلىٰ عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ هذا اخذني في موضع كذا ففضحني فهمّ عمر أن يعاقب الأنصاري فقال: يا أمير المؤمنين تثبّت في أمري فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى؟ فنظر عليّ إلىٰ بياض البيض على ثوبها فقال: **ائتوني بماء حار مغليّ**. فأمر بصبّه على ذلك البياض فإذا هو بياض البيض وأقرّت المرأة بذلك[4].

٧ - ما فيه أيضاً بعد السند المذكور (وعنه عن أبي إسحاق السبيعي عن

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢:٣٥٩ - ٣٦٠.

(٢) المصدر السابق ٢:٣٦٠.

(٣) المصدر السابق ٢: ٣٦٠ - ٣٦١.

(٤) تهذيب الأحكام للطوسي ٦: ٣٠٤، ح٨٤٨، مع اختلاف يسير في اللفظ، الكافي ٧: ٤٢٢، باب النوادر ح ٤.

عاصم بن ضمرة: سمعت غلاماً بالمدينة وهو يقول: يا حاكم الحاكمين أُحكم بيني وبين أُمّي بالحقّ فقال عمر: يا غلام لِمَ تدعو علىٰ أُمّك؟ قال: إنّها حملتني تسعاً وأرضعتني حولين كاملين فلمّا ترعرعت طردتني وانتفت منّي فأتي بها مع أربعة أُخوة لها وأربعين قسامة يشهدون لها أنّها لا تعرف الصبيّ وأنّه مدّع ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها وأنها جارية من قريش لم تتزوّج قط وأنّها بخاتم ربّها، فقال عمر: خذوا الغلام إلىٰ السجن حتى نسأل عن الشهود فإنْ عَدّلت شهادتهم جلدته حدّ المفتري؟ فمضوا به إلىٰ السجن فلقيهم عليّ فقال الغلام: يا ابن عم محمّد إنّي غلام مظلوم فقال عليّ لعمر: أتأذن لي أن أقضي بينهم؟ فقال: يا سبحان الله كيف لا وقد سمعت رسول الله عليه السلام يقول: أعلمكم عليّ بن أبي طالب؟ فقال للغلام: ما تقول: فأعاد الكلام الأوّل؛ وقال للمرأة: ما تقولين؟ فأعادت ما قالت فقال: ألك شهود؟ قالت: نعم فتقدّم الأربعون القسامة فشهدا بالشهادة الأُولىٰ فقال: والله لأقضينّ اليوم بينكما بقضيّة هي مرضاة للرب من فوق عرشه ثم قال: ألكِ ولي؟ قالت: نعم هؤلاء أُخوتي، فقال لهم: أمري فيكم وفيها جائز؟ قالوا: نعم فقال: أُشهدو الله ورسوله ومن حضر من المسلمين أني قد زوّجت هذه الجارية من هذا الغلام بأربعمائة درهم النقد من مالي، يا قنبر عليّ بالدراهم. فأتاه بها فصبّها في حجر الغلام وقال: خذها وصبّها في حجر امرأتك ولا تأتنا إلّا وبك أثر العرس، فصبّها الغلام في حجرها ثمّ أخذ بيدها وقال لها: قومي، فنادت: الأمان الأمان يا ابن عم محمّد، تريد أن تزوّجني من ولدي؟ هذا والله ولدي، زوّجوني هجيناً فولدت منه هذا فلمّا ترعرع وشبّ أمروني أن أنتفي منه فنادى عمر: وا عمراه، لو لا عليّ هلك عمر[1]...الخ.

---

(١) قضايا أمير المؤمنين عليه السلام: ح ١٠١ و ١٦١ عنه في عجائب أحكام أمير المؤمنين: ٦٨ - ٧١ / ج ٢٨.

وباختصار رواه ابن شهرآشوب في المناقب[١] عن حدائق أبي تراب الخطيب وكافي الكليني[٢] وتهذيب أبي جعفر[٣] عن عاصم بن ضمرة مثله.

٨ - ما عن ابن قيّم الجوزية في كتاب السياسة الشرعية: إنّ امرأة استنكحها رجل أسود اللون ثمّ ذهب في غزاة فلم يعد فوضعت غلاماً أسود فتعيرّته، فبعد أن شبّ استعداها إلىٰ عمر، فلم يجد شهادة إثبات وكاد يتمّ للمرأة ما أرادت بَيْدَ أنّ عليّاً أدرك في طرفه ما تجتهد المرأة في إخفائه فقال: **يا غلام أما ترضى أن أكون لك أباً والحسن والحسين أخويك؟** فقال: بلى، وقال لأولياء المرأة: **أما ترضون أن تضعوا أمرها في يدي؟** قالوا: بلى فقال: **إنّي زوّجت مولاتي هذه من ابني هذا على صداق قدره كذاكذا،** فأجفلت المرأة وقالت: النار يا عليّ والله إنّه ابني ولكن لسواد لونه[٤].

٩ - ما في مناقب ابن شهر آشوب: عن المهنّأ[٥] بن عبد الرّحمن بن عايد الأزدي: أُتي عمر بن الخطّاب بسارق فقطعه ثمّ أُتي به الثانية فقطعه ثمّ أُتي به الثالثة فأراد قطعه فقال عليّ: «**لا تفعل قد قطعت يده ورجله ولكن احبسه**»[٦].

١٠ - ما في كتاب عجائب أحكامه عن محمّد بن أبي عمير عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله قال: أُتي عمر بن الخطّاب بجارية شهدوا أنّها زنت وكانت يتيمة عند رجل كان كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبّت اليتيمة فتخوّفت

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٦١ - ٣٦٢.

(٢) الكافي ٧: ٤٢٣ / ح ٦.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٤ / ح ٨٤٩.

(٤) الطرق الحُكْميّة في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية: ٥٣ ـ ٥٤ مع اختلاف. دار الفكر ـ بيروت.

(٥) في المصدر (المنهال).

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٢: ٣٦٣.

امرأته أن يتزوّجها زوجها، فسقتها الخمر ودعت نسوة فأمسكنها وأخذت عُذرتها بيدها فلمّا قدم زوجها رمتها بالفاحشة وأقامت البيّنة جاراتها اللواتي ساعدنها على ذلك فرفع ذلك إلىٰ عمر فقال للرجل: اذهب بنا إلىٰ عليّ فقال عليّ لامرأة الرجل: ألك بيّنة؟ قالت: هؤلاء جاراتي يشهدن بذلك، فاحضرتهم وأخرج السيف من غمده طرحه بين يديه ثمّ أمر بكلّ واحدة فأدخلت بيتاً، ودعا بامرأة الرّجل فأدارها بكل وجه فأبت أن تزول عن قولها فردّها إلىٰ البيت الذي كانت فيه، ودعا إحدى الشهود وقال لها: أتعرفيني؟ أنا عليّ بن أبي طالب وهذا سيفي، وقد قالت امرأة الرّجل ما قالت ورجعت إلىٰ الحقّ وأعطيتها الأمان وإنلم تصدّقيني لاملأنّ السيف منك، فالتفتت إلىٰ عمر فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق؟ فقال لها عليّ: فاصدقي، فقالت: لا والله ولكنّها لمّا رأت جمالاً وهيأة خافت فساد زوجها فسقتها المسكر ودعتنا فأمسكناها فافتضّتها بإصبعها، فقال عليّ: الله أكبر ، وألزم على المرأة حدّ القاذف وألزمها جميع العقر جعل عقرها أربعمائة درهم وأمر بالمرأة أن تنفى من الرّجل وطلقها زوجها وزوّجه اليتيمة وساق عنه عليّ المهر[1].

١١ - ما عن كتاب أعلام الموقّعين قال : رفعت إلىٰ عمر قصّة رجل قتلته امرأة أبيه وخليلها، فتردّد عمر، هل يقتل الكثير بالواحد؟ فقال له عليّ: أرأيت لو أنّ نفراً اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً أكنت قاطعهم؟ قال: نعم قال: فكذلك هذا، فعمل عمر على رأيه وكتب إلىٰ عامله أن اقتلهما فلو اشترك أهل صنعاء كلهم فيه لقتلتهم[2].

---

(١) قضايا أمير المؤمنين عليه السلام: ح ١٠٣ نقلاً عن عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام: ٧٥ / ج ٣١ لمحسن الأميني.

(٢) أعلام الموقّعين: ١٩٢/١ .

١٢ - ما في كتاب الأذكياء لابن الجوزي : أخبرنا سماك بن حرب عن حنيش بن المعتمر أنّ رجلين استودعا امرأة من قريش مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلىٰ أحد منّا دون صاحبه حتى نجتمع ، فلبثا حولاً فجاء أحدهما فقال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانير فأبت وقالت: إنكّما قلتما لا تدفعيها إلىٰ واحد منّا دون صاحبه فتوسّل إليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتّى دفعتها ، ثم لبثت حولاً فجاء الآخر فقال: ادفعي إليّ الدنانير فقالت: إنّ صاحبك جاءني فزعم أنك مت فدفعتها إليه ، فاختصما إلىٰ عمر بن الخطّاب فأراد أن يقضي عليها فقالت: نُشدك الله أن ترفعنا إلىٰ عليّ ففعل فعرف عليّ أنهّما قد مكرا بها فقال: «**أليس قُلتما لا تدفعيها الى واحد منّا دون صاحبه**»؟ قال: بلى، قال: «**مالُك عندنا فجئ بصاحبك حتّى ندفعها إليك**»(١).

١٣ - ما في المناقب أيضاً عن القاضي نعمان في شرح الأخبار عن عمر ابن حمّاد القناد بإسناده عن أنس، قال: كنت مع عمر بمنى إذ أقبل اعرابي ومعه ظهر، فقال لي عمر: سله، هل يبيعه؟ فسألته، قال: نعم، فاشترى منه أربعة عشر بعيراً ثم قال: يا أنس ألحِق هذا بالظهر فقال الاعرابي: جرّدها من أحلاسها وأقتابها، فقال عمر: إنّما اشتريتها بأحلاسها وأقتابها، فاستحكما عليّاً فقال: كنت اشترطت عليه أقتابها وأحلاسها؟ قال عمر: لا، قال: **فجرّدها فإنّما لك الإبل** قال عمر: يا أنس جرّدها وادفع أقتابها وأحلاسها إلىٰ الاعرابي وألحقها بالظهر، ففعلت(٢).

١٤ - ما في المناقب أيضاً عن الكتاب المذكور قال أبو عثمان النهدي : جاء رجل إلىٰ عمر فقال: إني طلّقت امرأتي في الشرك تطليقة وفي الإسلام

---

(١) كتاب الأذكياء: ٣٢.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٦٣.

تطليقتين فما ترى؟ فسكت عمر فقال له الرجل: ما تقول؟ قال: كما أنت حتى يجيء عليّ بن أبي طالب فجاء عليّ فسأله فقال: **«هدم الإسلام ما كان قبله، هي عندك على واحدة»**(١).

١٥ - ما في المناقب أيضاً عن الكتابين المذكورين : عمر بن حمّاد بإسناده عن عبادة بن الصامت قال: قدم قوم من الشام حجّاجاً فأصابوا دحي نعامة فيه خمس بيضات وهم محرمون فشووهن وأكلوهن ثمّ قالوا: ما نرانا إلّا وقد أخطأنا وأصبنا الصيد نحن محرمو، فأتوا المدينة وسألوا عمر فقال: انظروا إلىٰ قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاسألوهم فسألوا جماعة فاختلفوا في الحكم بذلك فقال: إذا اختلفتم فهاهنا رجل كنّا امرنا إذا اختلفنا في شيء أن نسأله فيحكم فيه ، فاستعار أتاناً من امرأة يقال لها عطيّة فركبها وانطلق بالقوم معه حتّى أتى علياً، هو بينبع فخرج إليه عليّ فتلقّاه وقال: هلّا أرسلت إلينا فنأتيك؟! فقال: الحَكَمُ يؤتى في بيته فسألوه فقال: **«مُرهم فليعمدوا إلىٰ خمس قلائص من الإبل فيطرقوها الفحل فإذا أنتجت اهدوا ما نتج منها جزاءاً عمّا أصابوا»**، فقال عمر: يا أبا الحسن إنّ الناقة قد تجهض فقال عليّ: **«وكذلك البيضة قد تمرق، فقال عمر فلهذا أمرنا أن نسألك»**(٢).

١٦ - قضاؤه في المجنونة التي فَجَرَ بها رجل.

١٧ - في التي ولدت لستّة اشهر.

١٨ - في الحامل التي زنت.

وقد مرّت القضايا الثلاث في الأمر الثالث عشر من مناقبه وفضائله.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق ٢: ٣٦٤ - ٣٦٥.

الشورى

لمّا طُعن عمر في أواخر سنة (٢٣) جعل الأمر شورى بين ستة: عليّ وعثمان وطلحة والزبير وسعد ابن أبي وقاص وعبد الرحمٰن بن عوف وقال: إنّ رسول الله ﷺ مات هو راض عن هذه الستة[١]. وفي رواية قال: إنّهم من أهل الجنة[٢]. وأمر أن يؤخذ بأكثرية الأصوات فإن تساوت رجح الجانب الذي فيه عبد الرّحمن بن عوف وأمر أبا طلحة الأنصاري فقال: كن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم فقف على باب البيت الذي فيه هؤلاء الستّة ليتشاوروا وليختاروا واحداً منهم فإنْ اتفّق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه وإن اتّفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن بن عوف فارجع إلىٰ ما قد اتفقت عليه فإن أصرّت الثلاثة الأُخرى على خلافها فاضرب أعناقها وإن مضت ثلاثة أيّام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستّة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم[٣].

وكان قد دعاهم فحضروا فوصف كل واحد منهم بوصف عابه به، على ما ذكره الجاحظ في كتاب السفيانية وذكره غيره في باب فراسة عمر.

فقال للزبير: أما أنت فوقس لقس ـ أي عيّاب ـ مؤمن الرضا كافر الغضب يوماً إنسان ويوماً شيطان ولعلّها لو أفضت إليك ظلّت يومك تلاطم بالبطحاء على مدمن شعير.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٢٨ تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٢٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٧.

وقال لطلحة : لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أُنزلت آية الحجاب وهي قوله: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غداً فننكحهنّ!

وقال لسعد : إنّما أنت صاحب مقنب وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زهرة والخلافة وأُمور الناس؟!

وقال لعبد الرّحمن بن عوف بعد ما مدح إيمانه : ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك.

وقال لعليّ: لله أنت! لو لا دعابة فيك، أما والله لئن ولّيتهم لتحملنّهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء.

وقال لعثمان : كأني بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر فحملت بني أُمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفيء[١].

وروى الطبري في تاريخه عن عمر بن ميمون الأودي في حديث قال: «ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً؟ فقال: كنت أجمعت أن أنظر فأُولّي رجلا أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ وأشار إلىٰ عليّ، ورهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمّه إليه ويصيّره تحته فعلمت أنّ الله غالب أمره ومتوفٍ عمر فما أريد أن أتحمّلها حياً وميّتاً عليكم هؤلاء الرهط[٢] الحديث».

فلمّا دفن عمر جمعهم أبو طلحة ووقف على باب البيت في خمسين من الأنصار حاملي سيوفهم.

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٥ - ١٨٦ وقال في آخر هذا الخبر (ذكر هذا الخبر شيخنا أبو عثمان في كتاب السفيانية وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر).

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٢٨.

فقال طلحة: قد وهبت حقّي من الشورى لعثمان، فقال الزبير: قد وهبت حقي لعليّ، فقال سعد بن أبي وقّاص: وأنا قد وهبت حقّي من الشورى لابن عمّي عبد الرحمن لأنّهما من بني زهرة.

فقال عبد الرحمن لعلّي وعثمان: أيّكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار؟ فلم يتكلّم منهما أحد، فقال عبد الرحمن: أُشهدكم أني أخرجت نفسي من الخلافة على أن اختار أحدهما، فقال لعليّ: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقال: **«بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي»**[1].

وفي رواية الطبري: على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال: «أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي»[2].

وفي رواية أُخرى للطبري قال **«اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي»**[3].

وفي رواية ابن الأثير في أُسد الغابة: «أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الشيخين فيما استطعت، فعدل إلىٰ عثمان فقال: أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الشيخين، قال: نعم، فبايعه فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين»[4].

وقال الطبري: فقال عليّ: **«حبوته حبو دهر، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون»**.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق ٤: ٢٣٨.

(٤) أسد الغابة ٤: ١١٣ - ١١٤ وفيه اختلاف يسير.

فقال عبد الرحمن: يا عليّ لا تجعل على نفسك سبيلاً، فقال المقداد: يا عبد الرحمن: أما والله لقد تركته ـ يعني عليّاً ـ من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون: فقال يا مقداد: لقد اجتهدت للمسلمين فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أتى إلىٰ أهل هذا البيت بعد نبيّهم، إنّي لأعجب من قريش أنّهم تركوا رجلاً ما أقول أنّ أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل أما والله لو أجد أعواناً[١]... الخ.

ويقال: إنّ عليّاً قال له: **والله ما فعلتها إلّا لأنّك رجوت منه مثل ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم.** مثل يضرب لشدّة العداوة)، قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبد الرّحمن فلم يكلّم أحدهما صاحبه حتّى مات عبد الرحمن[٢].

وفي تاريخ أبي الفداء: لمّا أحدث عثمان ما أحدث من توليته الأمصار للأحداث من أقاربه روي أنّه قيل لعبد الرحمن بن عوف: هذا كله فعلك: فقال: لم أظن به هذا لكن الله عليَّ أن لا أكلّمه أبداً، ومات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحوّل إلىٰ الحائط ولم يكلّمه[٣] ... الخ.

وفي القصة اُمور تستلفت النظر:

الأوّل: إنّ الخليفة قد عاب كلّاً من الخمسة بأمر يبعّده عن الخلافة ولم يقل في حقّ عليّ إلّا أنّ فيه دعابة وليس فيها ما يضرّ إن لم تكن صفة مدح وشهد له مؤكّداً بالقسم بأنّه إنْ لو وليهم ليحملنّهم على الحق الواضح والمحجّة البيضاء وأنّه أحرى أن يحملهم على الحق.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٣٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٨٨.

(٣) المختصر في أخبار البشر ١: ١٦٦ .

واعتذر عن عدم توليته بأنّه لا يريد أن يتحمّلها حيّاً وميّتاً مع أن جعل الأمر شورى بين ستة لا يخرجه عن تحمّلها ميّتاً.

الثاني: إنّه عند التساوي بترجيح الجانب الذي فيه عبد الرحمن مع شهادته لعليّ بأنّه إن وليهم يحملهم على الحقّ الواضح والمحجّة البيضاء فأحرى أن يرجّح عند التساوي الجانب الذي هو فيه.

الثالث: إنّه أمر بقتل من خالف منهم بقتل الستة إن لم يتفقوا وقد شهد لهم بأنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عنهم بأنّهم من أهل الجنة مع قوله لطلحة: أنّ رسول الله مات وهو ساخط عليك.

الرابع: إنّ عليّاً لم يكن له في ظاهر الحال إلّا صوتان من الستة صوته وصوت الزبير والأربعة الباقية ليست في جانبه فطلحة لا يريده وعبدالرحمن كان صهر عثمان لأنّ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت زوجة عبدالرحمن وهي مع ذلك أُخت عثمان من أُمّه، وسعد لا يخالف عبدالرحمن إذ كلاهما من بني زهرة وسعد لم يكن له هوى في عليّ. ولمّا بويع بالخلافة لم يبايعه، ولذلك قال عليّ ـ فيما رواه الطبري ـ لقوم كانوا معه من بني هاشم: **«أن أُطيع فيكم قومكم لم تؤمّروا أبداً.** وقال للعبّاس: **عُدِلَتْ عنّا فقال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثر فإن تساووا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان فلو كان الآخران معي لم ينفعاني بل إني لا أرجو إلّا أحدهما»**(١).

فالمتأمّل في ذلك يظهر له أنّه لم يكن المقصود من الشورى؛ الشورى بل تثبيت خلافة عثمان بوجه قانوني محكم.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٢٩ - ٢٣٠ بتفاوت يسير باللفظ.

أمّا ما يذكره بعض المؤرّخين من مجابهة العبّاس عليّاً بعد هذا الكلام بقوله: (لم أرفعك في شيء إلّا رجعت إليّ مستأخراً بما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سمّاك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت)(١)، الحديث، فباطل:

أوّلاً: إنّ العبّاس كان أعرف بمقام عليّ وأشد تعظيماً له من أن يجابهه بمثل هذا الكلام.

ثانياً: إنّ العبّاس نفسه سأل النبيّ: هل يكون الأمر فيهم بعده؟ فقال له صلى الله عليه وآله: **أنتم المستضعفون بعدي**. فكيف يلوم عليّاً علىٰ عدم سؤاله.

ثالثاً: إن النبيّ صلى الله عليه وآله طلب في مرضه دواة وكتفاً ليكتب لهم ما لا يضلّون بعده فلم يفعلوا، فما فائدة سؤال عليّ له؟!

رابعاً: قد أجاب عليّ عليه السلام العبّاس عن الأمر الثاني يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: «لم أكن لأدع رسول الله صلى الله عليه وآله بلا دفن وأشتغل بذلك» فكيف يلومه عليه ثانياً؟!

خامساً: كيف يلومه على الدخول في الشورى ولم يكن ذلك اختيارنا بظاهر الحال.

وروى الطبري في تأريخه: أنّ عليّاً خطب عند اجتماع القوم للشورى فقال: **«الحمد للّه الذي بعث محمّداً منّا نبيّاً وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبّوة ومعدن الحكمة وأمان أهل الأرض ونجاة لمن طلب، لنا حقّ إنْ نُعطه نأخذه وإن نُمنعه نركب أعجاز الإبل ولو طال السّرىٰ، لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً**

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٣٠، المختصر في أخبار البشر ١: ١٦٥.

لجادلنا عليه حتّى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلىٰ دعوة حق صلة رحم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله اسمعوا كلامي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تُنتضى فيه السيوف وتُخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة يكون بعضكم أئمّة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة» ثمّ أنشأ يقول:

فإن تك جاسم هَلَكَت فإنّي بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع في الهواجر كلّ عيّ بصير بالنوى من كلّ نجم[1]

سنة (٣٠) من الهجرة

أخباره المتعلقة بأبي ذر الغفاري في خلافة عثمان

قد ذكرنا ما يتعلّق بنفي أبي ذر إلىٰ الشام ثمّ إلىٰ الربذة في ترجمته نذكر منها هنا ما له ارتباط بالمقام.

وذلك أنّ أبا ذر نُفي إلىٰ الشام ثم أُعيد منها إلىٰ المدينة ثم نُفي إلىٰ الربذة.

قال الطبري في تأريخه في حوادث ٣٠ من الهجرة: (فيها كان إشخاص أبي ذر من الشام إلىٰ المدينة)[2] وقد ذكر في سبب إشخاصه أُمور كرهت ذكر أكثرها... الخ.

وروى المفيد في المجالس: عن عليّ بن بلال عن عليّ بن عبد الله الاصفهاني عن الثقفي عن محمّد بن عليّ الحسين بن سفيان عن أبيه عن أبي

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٣٦ - ٢٣٧.
(٢) المصدر السابق ٤: ٢٨٣.

جهضم الأودي عن أبيه في حديث طويل: أنّه لما نُفي أبو ذر إلىٰ الربذة أمر عثمان أن لا يشيّعه أحد من الناس فبلغ ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام فبكى ثم قال: **أهكذا يصنع بصاحب رسول الله؟! إنّا لله وإنّا إليه راجعون**، ثم نهض ومعه الحسن والحسين وعبد الله والفضل وقثم وعبيد الله بنو العباس حتّى لحقوا أبا ذر فشيّعوه فلمّا بصر بهم حنّ إليهم وبكى وقال: بأبي وجوه إذا رأيتها ذكرت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وشملتني البركة برؤيتها ثمّ رفع يديه وقال: اللهم إنّي أُحبّهم ولو قطّعت إرباً إرباً في محبّتهم مازلت عنها ابتغاء وجهك والدار الآخرة، فارجعوا رحمكم الله، والله أسأل أن يخلفني فيكم أحسن الخلافة. فودّعه القوم ورجعوا وهم يبكون على فراقه[1]... الخ.

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن رواية الواقدي: أنّ أبا ذر دخل على عثمان بعد رجوعه من الشام، قال له عثمان في جملة كلام دار بينهما: أنت الذي تزعم أنّا نقول يد الله مغلولة وأنّ الله فقير ونحن أغنياء؟ فقال: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله علىٰ عباده - إلىٰ أن قال - : فغضب عليه عثمان، وقال: أشيرا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب، فتكلّم عليّ وكان حاضراً فقال: **«أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون ﴿فإن يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب﴾[2]»** قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه عليّ بمثله ولم نذكر الجوابين تذمماً منهما[3]...الخ.

وقال الواقدي: فقال له عثمان: إمض على وجهك هذا فلا تعدونّ الربذة

---

(١) أمالي المفيد: ٦٥ / ج ٤، المجلس العشرون.

(٢) غافر: ٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٨ و ٢٥٩.

فخرج إليها[١].

وقد وجدنا كيفية إخراج أبي ذر إلىٰ الربذة في أوراق من كتاب مخطوط من تأليف أبي مخنف ورواها أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة بنحو ممّا ذكره أبو مخنف، وربّما وجدت في أحدهما زيادة عن الآخر لا تغيّر المعنى ونحن ننقل مجموعها من الكتابين، وإذاكان في أحدهما زيادة ذكرناها.

قال ابن أبي الحديد: روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: لمّا أُخرج أبو ذر إلىٰ الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلّم أحد أبا ذر ولا يشيّعه، وأمر مروان أن يخرج به، فتحاماه الناس إلّا عليّ بن أبي طالب وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً وعمّاراً فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن يكلّم أبا ذر، فقال مروان: أيهاً يا حسن ألا تعلم أنّ أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل عليّ علىٰ مروان فضرب بالسوط بين أُذني راحلته وقال: تنحّ لحاك الله إلىٰ النار، فرجع مروان مغضباً إلىٰ عثمان فأخبره الخبر فتلظّى علىٰ عليّ، ووقف أبو ذر فودّعه القوم ومعهم أبو ذكوان مولى أُمّ هانئ بنت أبي طالب فحفظ كلام القوم وكان حافظاً، فقال عليّ عليه السلام: **يا أبا ذر إنّك غضبت لله وإنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلى ونفوك إلىٰ الفلا.**

والله لو كانت السماوات والأرض علىٰ عبد رتقاً ثم اتّقى الله لجعل له منها مخرجاً. يا أبا ذر لا يؤنسنّك إلّا الحق ولا يوحشنّك إلّا الباطل، ثم قال لأصحابه : ودّعوا عمّكم[٢]

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق ٨: ٢٥٣ - ٢٥٤، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري: ٧٦.

فودّعوه بما ذكر في ترجمته.

قال الجوهري وأبو مخنف: (ورجع القوم إلىٰ المدينة فجاء عليّ إلىٰ عثمان؛ ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟ فقال عليّ : أمّا رسولك فأراد أن يردّ وجهي فرددته وأما أمرك فلم أصغّره، فقال عثمان: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذر وتقدّمي إلىٰ الناس أن لا يشيّعوه؟ قال عليّ: أوكلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟! لا لَعمر الله ما نفعل ذاك. قال عثمان: أقد مروان من نفسك قال: ممّا ذا قال: من شتمه وضرب راحلته قال: أمّا راحلته فراحلتي بها فإن أراد أن يضربها فليفعل وأمّا شتمه إيّاي فوالله لا يشتمني شتمة إلّا شتمتك؟ مثلها بما لا أكذب فيه عليك فغضب عثمان وقال: لم لا يشتمك؟ كأنّك خير منه[1] فوالله ما أنت عندي بأفضل منه، فغضب عليّ وقال: أليّ تقول هذا يا عثمان وبمروان الطريد ابن الطريد تعدلنيّ؟! فأنا والله أفضل منه ومنك وأبي أفضل من أبيك وأُمي أفضل من أُمّك وبي جلست مجلسك هذا وهذه نبلي نبلتها فهلمّ نبلك فانتبل. فغضب عثمان واحمرّ وجهه وقام فدخل وانصرف عليّ واجتمع إليه أهل بيته ورجال من المهاجرين والأنصار، فلمّا كان من الغد اجتمع إلىٰ عثمان أهل بيته ودخل عليه الناس.

وفي رواية الجوهري: (أنّه أرسل إلىٰ وجوه المهاجرين والأنصار وإلىٰ بني أُمية فشكا إليهم علياً وقال: إنّه يبغي لي الغوائل ويظاهر عليّ من يعيبني ويعرض في أمري ويردّ عليّ رأيي قالوا: فأصلح هذا برفقك فإنّه ابن عمّك.

وفي رواية الجوهري: فقالوا: أنت الوالي عليه واصلاحه أجمل قال: وددت ذاك. قال: فائتوه فاسألوه أن يمشي إلىٰ مروان ويعتذر إليه، فأتوا علياً فذكرا له ذلك فقال: أمّا مروان فلا أمشي والله إليه معتذراً ولا حبّاً ولا كرامة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٢٥٤ - ٢٥٥، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري: ٧٧ - ٧٨.

ولكن إن أردتم أن أمشي إلىٰ عثمان فعلت، فأتوا بذلك إلىٰ عثمان، فقال مروان: يا أمير المؤمنين إنّه لو مشى إليّ لما جعلت الأمر إلّا إليك فإذا أرضاك فقد رضيت. فأرسل إليه عثمان فأتاه معه بنو هاشم فتكلّم عليّ فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلّى على نبيّه محمّد ثم قال: أمّا بعد فإنّك ظننتني في تشييعي أبا ذر ووداعه، وإنّي والله الذي لا إله إلّا هو ما أردت بذاك مساءتك ولا الخلاف عليك، وما شيّعته ولا ودّعته إلّا إرادة أن أؤدّي من حقه) ما يجب على المسلم أن يؤدّي من حَقّ أخيه المسلم عند شخوصه في سفره أو قدومه. وأما ما استقبلتُ به مروان (فإنّه استعرضني ليردّني عن قضاء حق الله فرددته ردّ مثلي مثله) وإنّما كان ذلك كالأدب مني له أن لا يرد مسلماً عن أداء حقّ من حقوق الله عليه، وأمّا ماكان بيني وبينك فإنّك عجلت عليّ وأجحفت ففرط مني ما لم أكن أحب أن يفرط وأنا استغفر الله لي ولكم.

فتكلّم عثمان فحمد الله وأُثنى عليه ثمّ قال: (أمّا بعد، ما مشيت إليّ فيه فقد حمدتك على ذلك ووهبت لك ماكان منك وأمّا ماكان منك إلىٰ مروان فقد عفا لك عنه وأما ما حلفت عليه فأنت البرّ الصادق فادن يدك فأخذ يده فضمّها إلىٰ صدره)[1].

ولمّا خرج عليّ من عند عثمان أقبلت سفهاء قريش وبنو أُمية علىٰ عثمان فقالوا: أنت رجل قريش حقّرك عليّ وضرب راحلتك وقد تفانت وائل في ضرع ناقة وهمدان في قتل قيس وعبس وذبيان في لطمة فرس والأوس والخزرج في تسعة رحل، وتحتمل من عليّ صنعه بك؟! فدعوا إلىٰ

(١) السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري: ٧٨. وهذه هي رواية أبي بكر الجوهري في كتابه وقد قوسنا كلامه لفصله عن كلام أبي مخنف، وقد قال المصنف ﷺ في بداية كلامه: انه وجد أوراق مخطوطة لديه لأبي مخنف.

حمية الجاهلية.

قال أبو مخنف : فقال مروان: أما والله إن أردت تلك منه ما قدرت عليها ولو قدرت لكان ضربي البهيمة عبثاً وشتمي علياً سفهاً وماذاك عليّ بعار إنّه الأمير المطاع والإمام المسيطر وإنّني لأرجوه للّتي ما أرجو لها أحداً من قريش.

وقال مروان في ذلك :

وإنّ علياً لا أُريد مساءه ... ففي كل يوم منه خطبة عائب
تقول قريش ما لمروان ساكتاً ... وما بي عيّ عن لؤي بن غالب
وإنّي لأجراهم إلىٰ الغاية التي ... تقصر عنها سابقات الحلائب
وأصدع ما لا يستطيعون صدعه ... وأشعب ما يعيا على كل شاعب
ولكنني أرعى له فضل مثله ... وأكره ما فيه دبيب العقارب
وأرجوه للأمر الذي ليس غيره ... له من قريش عند ضربة لازب
وما في قريش مثله لملمة ... تشيب لحاميها رؤوس الكواعب
على انّ فيه نخوة هاشمية ... لتلك التي نرجو بها في العواقب
فإن ملكتكم هاشم فالنجا النجا ... وتلك التي فيها اجتباب الغوارب
فيخلو لكم الراقصات إلىٰ منى ... بركبانها مثل النعام الخواضب
فتلك التي فيها عليهم إليه ... شرّ حروب القوم حروب الأقارب
وقال رجال رد مروان حقرة ... وأدمي بسوط خير رأس الركائب
فقلت لهم ردّي وضرب مطيّتي ... لأهون من لبسي ثياب المحارب
وقطعي بكفّي منه كفاً طويلة ... لها نبأ ما بين بصرى وقارب
وقلت دعوني لا أباً لأبيكم ... فلست لكم فيما ترون بصاحب

قال أبومخنف: وأخبرني عبد الملك بن نوفل عن أبي سعيد المقبري قال: لمّا انصرف عليّ من تشييع أبي ذر استقبله الناس فقالوا: يا أبا الحسن غضب عليك عثمان لتشييعك أبا ذر فقال عليّ: «**غضب الخيل على صم اللجم**»(١).

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي في جملة حديث: أنّ أبا ذر لمّا خرج إلىٰ الربذة أقام مدّة ثم أتى المدينة فدخل علىٰ عثمان والناس عنده سماطان فقال: يا أمير المؤمنين أخرجتني من أرضي إلىٰ أرض ليس بها زرع ولا ضرع إلّا شويهات وليس لي خادم إلّا محرّرة ولا ظلّ يظلّني إلّا ظلّ شجرة فأعطني خادماً وغنيمات أعيش فيها، فحوّل وجهه عنه فتحوّل إلىٰ السماط الآخر فقال مثلُ ذلك، فقال له حبيب بن سلمة: لك عندي ألف درهم وخادم وخمسمائة شاة. قال أبو ذر: أعط خادمك وألفك وشويهاتك من هو أحوج إلىٰ ذلك منّي فإنّي إنّما أسأل حقّي في كتاب الله. فجاء عليّ فقال له عثمان: ألا تغني عنّي سفيهك هذا؟ قال: أيّ سفيه؟! قال: أبو ذر قال عليّ: **ليس بسفيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم**.(٢)... الخ.

خبره مع عثمان وعبدالله بن مسعود

كان عبد الله بن مسعود يطعن علىٰ عثمان. قال المرتضى في الشافي:

---

(١) هذا الكلام نقله المصنف عن أوراق لديه.

(٢) الأمالي للطوسي: ٧١٠ / ح١٥١٤.

لا يختلف أهل النقل في طعن ابن مسعود على عثمان، وقوله فيه أشدّ الأقوال وأعظمها[١]، ثم أورد في ذلك عدّة روايات.

قال أبو مخنف: حدثني نمير بن وعلة الرقاشي من همدان عن الشعبي عن ضبعة بن قيس البكري قال: إنّي لفي مسجد رسول الله ﷺ إذ دخل عبدالله بن مسعود المسجد ومقدمه من الكوفة، إلى أن قال: فقال له عثمان: اخرج من مسجدنا يا ابن مسعود. فقال: أتخرجني من مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: أُخرج منه كما تؤمر. قال: لا أفعل.

فأمر غلاماً له - يقال له يحموم - فاحتمله فأخرجه فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه بعد ضرب شديد فلبث طويلاً مغشيّاً عليه، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب وأمر ابنه الحسن فأتى بماء فصبّ على وجهه ثم احتمله في أُناس من أهل بيته وغيرهم[٢]... الخ.

ولهذا كان الحجّاج يقول: ما أعلم أحداً يقرأ بقراءة ابن مسعود إلّا حككتها من المصحف ولو بضلع خنزير.

وكان مجيء ابن مسعود من الكوفة إلى المدينة أيّام ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة ما بين سنة (٢٥ ـ ٣٠) .

خبره مع الوليد بن عقبة حين شرب الوليد الخمر

كان الوالي في سنة (٣٠ هـ) على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط

(١) الشافي في الإمامة ٤: ٢٧٩.

(٢) نقل هذا الكلام من مخطوط. كما قال المصنف في الصفحات السابقة: أنها أوراق من مخطوط لديه.

وذكوان بن أُمية بن عبد شمس وهو أخو عثمان لأُمّه، أمّهما أروى بنت كريز[١]، وكان قد وليها سنة[٢] (٢٥ هـ) بعد سعد بن أبي وقّاص فلمّا كانت هذه السنة سكر الوليد وصلّى الصبح بأهل الكوفة أربعاً ثمّ التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم.[٣] وتقيّأ الخمر في المحراب فأخذا خاتمه من يده وهو لا يشعر وجاءوا إلىٰ المدينة فشهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان، فقال لعليّ: أقم عليه الحد فأمر عليّ ابنه الحسن بجلده فقال الحسن : ولّ حارها من تولّى قارها، فجلده عليّ[٤].

وقيل: أمر عبد الله بن جعفر فجلده، قيل: أربعين[٥] والثابت في الجلد ثمانون.

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب بسنده عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر، قال: جلد عليّ الوليد بن عقبة في الخمر أربعين جلدة بسوط له طرفان قال: وأضاف الجلد إلىٰ عليّ لأنه أمر به[٦]... الخ، وكان جلده بسوط له طرفان قائماً مقام جلده ثمانين.

قال ابن الأثير: وكان على الوليد خميصة فأمر عليّ بن أبي طالب بنزعها لمّا جلد[٧]، وفي ذلك يقول الحطيئة:

---

(١) الاستيعاب ٤: ١٥٥٢ / رقم ٢٧٢١ .

(٢) البداية والنهاية ١٠:٢٢٣ .

(٣) الاستيعاب ٤: ١٥٥٤ / رقم ٢٧٢١.

(٤) الكامل في التاريخ ٢: ٢٤٦، مروج الذهب ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(٥) الاستيعاب ٤: ١٥٥٦، رقم ٢٧٢١.

(٦) المصدر السابق ٤: ١٥٥٦، رقم ٢٧٢١.

(٧) الكامل في التاريخ: ٢٤٦ .

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه أنّ الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمّت صلاتهم أأزيدكم سكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر
كفّوا عنانك إذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري[1]

وفي الاستيعاب: (من حديث الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والوليد بن عقبة في قصّة ذكرها **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾**[2][3].

سنة (٣١ ـ ٣٣ هـ)

خبره في قصة رسول الكوفيين الى عثمان في إمارة سعيد بن العاص على الكوفة

ومن أخباره في خلافة عثمان في خبر أبي ربيعة العنزي الذي أرسله جماعة من أهل الكوفة برسالة إلىٰ عثمان يذكرون فيها أُموراً نقموها عليه يطلبون إليه الإقلاع عنها، وذلك في إمارة سعيد بن العاص على الكوفة، وكانت إمارته عليها سنة (٣٠ هـ) بعد عزل الوليد بن عقبة عنها وبقي والياً عليها إلىٰ آخر سنة (٣٣ هـ) ولا يدري في أيّ سنة منها كان ذلك.

قال أبو مخنف كما في كتابه المخطوط ـ المتقدم إليه الإشارة ـ: كان أوّل من كتب إليه في إمارة سعيد بن العاص جماعة، وعدّهم اثنى عشر رجلاً، منهم حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وسليمان بن صرد في رجال من أهل

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٥، الكامل في التاريخ ٢: ٢٤٦ - ٢٤٧.
(٢) السجدة: ١٨.
(٣) الاستيعاب ٤: ١٥٥٤ / رقم ٢٧٢١.

الكوفة ونسّاكهم وذوي بأسهم ينصحونه ويطلبون إليه الرجوع عن صرف قُرّائهم وخيارهم وقسمة فيئهم بين أشرارهم ويقولون أنت أميرنا ما عبدت الله وأطعته وأحييت ما في كتابه كان القريب والبعيد عندك في الحقّ سواء، وسنذكر الكتاب بتمامه في ترجمة كعب بن ذي الحبكة عبدة النهدي، وقالوا: لا نحبّ أن يعرفنا عثمان لأنّا لا نأمنه على أنفسنا فمن يبلّغ عنّا كتابنا لا يبالي ما أتى إليه من قتل أو ضرب أو حبس أو تسيير؟ فقام رجل من عنزة يكنّى أبا ربيعة وقال: هاتوا كتابكم فقد عزم الله لي على الصبر على هذه الخصال، فقام كعب بن ذي الحبكة النهدي وهو كعب بن عبدة وكان ناسكاً متعبّداً فقال: والله لأكتبنّ إليه بإسمي ونسبي بالغاً عنده ما بلغ فكتب إليه كتاباً ـ يأتي بنصّه في ترجمة كعب ـ وجاء ليدفعه الى العنزي فوجده قد مضى فلحقه فوجده قد قرب من العذيب فأعطاه الكتاب ومضى العنزي حتى دخل المدينة وأتى عثمان فدفع إليه كتاب أهل الكوفة فلمّا قرأه التمع لونه وتمغّر وجهه وقال: من كتب هذا الكتاب؟ قال: اجتمع عليه عامّة قرّاء أهل الكوفة وأهل الصلاح والفضل في الدين والنسك. قال: كذبت بل كتبه السفهاء وأهل البغي والجهل. قال: خبّرني مَن هُم؟ قال: ما أنا بفاعل قال: والله إذاً أوجِع جنبيك وأُطيل حبسك. قال: أظنّ أنّك ستفعل والله ما جئتك حتى ظنّت نفسي بجميع ما ذكرت، قال: وهذا كتاب آخر فاقرأه قبل أن تبسط عليّ العذاب، فأخذه وقرأه فقال: من كعب بن عبيدة؟ قال: قد نسب لك نفسه قال: فمن أيّ قبيلة هو ؟ قال: ما أنا بمخبرك عنه إلّا بما أخبرك عن نفسه، فقال عثمان لكثير بن شهاب الحارثي.. هل تعرف كعب بن عبيدة ؟ قال: نعم ،ذاك رجل

من بني نهد فأمر عثمان بالعنزي فجرّد وعليّ بن أبي طالب حاضر فقال: **سبحان الله أتضرب الرسول؟ إنّما هو رجل جاء بكتاب أو رسالة حملها فلم يجب عليه ضرب بل الرسول يُحبى ولا يجفى.** قال: فترى أن نحبسه ؟ قال: ما أرى حبسه، فخلّى سبيله وانصرف العنزي فما راعهم وهم ينتظرون قادماً يقدم عليهم فيأتيهم بخبره إذ طلع عليهم ، فما بقي بالكوفة أحد إلّا أتاه ممن كان على رأيه وعظم العنزي في أعينهم فسألوه فأخبرهم بما قال وما قيل له وأحسن القول في عليّ والثناء عليه[١].

بعث سعيد بن العاص بهدايا إلىٰ المدينة وإلىٰ عليّ

ومن أخباره في خلافة عثمان أمر الهديّة التي بعث بها إليه سعيد بن العاص أيّام ولايته على الكوفة من قبل عثمان في جملة من بعث إليهم، ومرّ أنّ ولاية سعيد هذا على الكوفة كانت سنة ثلاثين الى آخر سنة (٣٣ هـ)، ولا يُدرىٰ في أيّ سنة منها كان ذلك.

روى أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني ج ١١ ص ٢٩ـ ٣٠ بسنده عن الحارث بن حبيش قال : بعثني سعيد بن العاص أيّام ولايته على الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلىٰ المدينة وبعثني إلىٰ عليّ عليه السلام وكتب إليه: إنيّ لم أبعث إلىٰ أحد بأكثر مما بعثت به إليك إلّا أشياء في خزائن أمير المؤمنين ، قال: فأتيت عليّاً فأخبرته فقال: **«لشدّ ما تحظر بنو اُمية تراث محمّد صلى الله عليه وآله، أما والله لئن وليتها لأنفضنّها نفض القصّاب التراب الوذمة».**

(١) هذا الكلام منقول عن أوراق مخطوطة لأبي مخنف على حد قول المصنف: بأنها لديه.

قال أبو جعفر (الطبري): هذا غلط إنّما هو الوذام التربة.

وبسنده بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلة إلىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: **والله لا يزال غلام من غلمان بني أُمية يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة والله لئن بقيت لأنفضنّها نفض القصاب الوذام لتربة**، هكذا في هذه الرواية[1]... الخ.

وفي النهاية: (قال الأصمعي: سألني شعبة عن هذا الحرف فقلت: ليس هو هكذا انما هو نفض القصّاب الوذام التربة)[2].

تفسير الغريب في هذا الخبر

قوله: لشدّ ما تحظر... الخ. تحظر من الحظر وهو المنع أي: لشدّ ما حازوه ومنعوه غيرهم، أو من الحظيرة وهي الموضع الذي يحاط عليه فيمنع ذلك من دخوله، أي لشدّ ما جعلوا حظيرة على تراثه ومنعونا منه.

والضميران في «لئن وليتها لأنفضنّها» يمكن رجوعهما إلىٰ الخلافة أو إلىٰ بني أُمية، أو بالاختلاف أي: لئن وليت الخلافة لأنفضنّ الخلافة وأُنقّيها مما دنّسها، أو لئن وليت بني أُمية لأنفضنّ بني أُمية. والظاهر الوجهان الأوّلان. وممّا فعله لمّا ولي الخلافة ردّ قطائع عثمان إلىٰ بيت المال.

والقصّاب بتشديد الصاد المهملة. والرواية قد رويت بوجهين كما سمعت. والطبري قال: إنّ روايتها على الوجه الأوّل غلط من الرواة،

(١) الأغاني ١٢: ١٤٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ١:١٨٥ (مادة ترب).

والصواب الوجه الثاني. وابن الأثير في النهاية تكلّف في تفسيرها على الوجه الأوّل فقال: التِراب بكسر التاء جمع تِرْب بسكون الراء وتخفيف تَرِب بكسرها[١]. يريد اللحوم التي تعفّرت بسقوطها في التراب، والوذمة المتقطعة الأوذام وهي السيور التي تشدّ بها عرى الدلو. وقيل: أراد بالقصّاب السَبُع والتراب أصل ذراع الشاة ، والسبع إذا أخذ الشاة قبض على ذلك المكان ثم نفضها[٢]... الخ.

فأنت ترى عدم المناسبة بين تفسير التراب وتفسير الوذمة على التفسير الأوّل، والتكلف الظاهر في التفسير الثاني، أمّا على الوجه الثاني للرواية ففي القاموس: الوذمة ـ محرّكة ـ المِعي والكرش، جمعها وِذام ككتاب[٣]... الخ. والتَرِبة التي سقطت في التراب فإنّ القصّاب ينفضها حينئذ لينقّيها من التراب.

والرواية ـ لمّا أخطأ فيها بعض الرواة فقلبها ـ تكلّف العلماء في تفسيرها بهذه التكلّفات.

أخباره المتعلقة بمقتل عثمان

قال الطبري في تاريخه ما حاصله: إنّه لما نقم الناس على عثمان ما نقموا، استدعى عمّاله وفيهم معاوية ، فلمّا خرج معاوية من عند عثمان مرّ على نفر من المهاجرين وفيهم عليّ وطلحة والزبير فقال: إنكم تعلمون أنّ هذا الأمر

(١) ما بين المعقوفتين في المصدر (التّراب جمع ترب تخفيف ترب).

(٢) النهاية في غريب الحديث ١:١٨٥ (مادة ترب) .

(٣) القاموس المحيط ٤:١٨٥ (مادة وذم) .

كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيّه فتفاضلوا بالسابقة والقدمة والجهاد فإنْ أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك وردّه الله إلىٰ غيرهم وإن الله على البدل لقادر، وإنّي قد خلّفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك، فقال عليّ: «كنت أرى في هذا خيراً» فقال الزبير: والله ماكان أعظم قطّ في صدرك وصدورنا منه اليوم[١] .

قوله: «كنت أرى في هذا خيراً» أي فبان لي أنّه لا خير فيه، وهذاكلام يقوله من يريد بيان أنّ الحال الأخيرة أفظع من الأُولىٰ ولا يلزمه أنّه كان يرى فيه خيراً حقيقة، وقول الزبير «ماكان أعظم... الخ» يريد به أنّ كلامه تهديد لهم.

قال ابن أبي الحديد: من هذا اليوم أنشب معاوية أظفاره في الخلافة لأنه غلب على ظنه قتل عثمان[٢]. ألا ترى إلىٰ قوله: وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك وردّه إلىٰ غيرهم هو على البدل لقادر، وإنّما يعني نفسه ولذا تربّص بنصرة عثمان لمّا استنصره.

وقال الواقدي : لما أجلب الناس علىٰ عثمان وكثرت القالة فيه خرج ناس من مصر في ألفين وكان هواهم في عليّ وناس من الكوفة في ألفين وكان هواهم في الزبير، وناس من أهل البصرة لم يذكر عددهم وكان هواهم في طلحة[٣] .

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٣٤٤.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:١٣٩.
(٣) المصدر السابق ٢: ١٤٠.

منه يعلم أنّ تشيّع أهل مصر أقدم من تشيع أهل الكوفة وإنما فشا التشيّع في الكوفة بعد توطّن أمير المؤمنين عليّ لها فنزل المصريّون ذا خشب والعراقيون ذا المروة.

وروى الطبري قال : لمّا نزل المصريون ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عمّا يكرهون ، وعلم عثمان ذلك وجاء إلىٰ منزل عليّ فقال : يا ابن عم إنّ قرابتي قريبة ولي عليك حق وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ولك عند الناس قدر، وهم يسمعون منك، وأُحبّ أن تركب إليهم وتردّهم عنّي فإنّ في دخولهم عليّ وهناً لأمري وجرأة عليّ.

فقال عليّ:«على أيّ شيء أردهم»؟ قال: على أن أصير إلىٰ ما أشرت به ورأيته لي، فقال عليّ: «**إني قد كلمتك مرّة بعد أُخرى فكلّ ذلك تخرج تقول تعد ثم ترجع، وهذا**[1] **من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبد الله بن سعد فإنّك أطعتهم وعصيتني .**

فقال عثمان: إنيّ أعصيهم وأُطيعك.

فأمر عليّ الناس أن يركبوا معه فركب ثلاثون رجلاً من المهاجرين والأنصار فأتوا المصريين فكلّموهم فكان الذي يكلّمهم عليّ ومحمّد بن مسلمة فسمعوا منهما ورجعوا بأصحابهم يطلبون مصر، ورجع عليّ حتى دخل علىٰ عثمان فأشار عليه أن يتكلّم بكلام يسمعه الناس منه ليسكنوا إلىٰ ما يعدهم به من النزوع وقال له: **إنّ البلاد قد تمخّضت عليك ولا آمن أن يجيء ركب من جهة أُخرى فتقول لي يا عليّ اركب إليهم فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك**

(١) في المصدر (نخرج فتكلم ونقول وتقول وذلك كله).

واستخففت بحقّك.

فخرج عثمان فخطب الخطبة التي أعطى الناس فيها من نفسه التوبة وقال لهم: أنا أوّل من اتّعظ (واستغفر الله عمّا فعلت وتاب إليه)[١] فليأتني أشرافكم فليروا رأيهم وليذكر كلّ واحد ظلامته لأكشفها وحاجته لأُقضيها، والله لأعطينّكم الرضا ولأُنحينّ مروان وذويه.

فلمّا نزل، وجد مروان وسعداً ونفراً من بني أُمية في منزله وقد بلغتهم خطبته، فقال مروان: أتكلّم أم أسكت؟

فقالت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان: لا بل تسكت فأنتم واللهِ قاتلوه وميتّمو أطفاله وقد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها.

فقال لها مروان: وما أنت وذاك وذم أباها فعرّضت بذمّ أبيه فأعرض عنه عثمان ثم عاد فقال: أتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلّم.

فقال: بأبي أنت وأُمّي - والتفدية بالأب والأُمّ لها قيمتها في الخداع - والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع ولكنّك قلت ما قلت وقد بلغ الحزام الطبيين، ما زدت على أن جرّأت عليك الناس فقال عثمان: إنّ الفائت لا يرد ولم آل خيراً.

قال: إنّ الناس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال: ما شأنهم قال: أنت دعوتهم فهذا يذكر مظلمة وهذا يطلب مالاً وهذا يسأل نزع عامل، قال: فاخرج أنت إليهم فكلّمهم فإنّي أستحي أن أكلّمهم وأردّهم.

فخرج مروان إلىٰ الناس فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم؟! كأنكم جئتم

---

(١) في المصدر: واستغفر الله ممّا فعلت وأتوب إليه. تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٣٩٦.

لنهب، شاهت الوجوه، أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اغربوا عنّا. وتهددّهم فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان ومروان وأتى بعضهم عليّاً فأخبره الخبر.

فأقبل عليّ على عبد الرحمن بن الأسود الزهري فقال: **أحضرت خطبة عثمان؟ قال: نعم، قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قال: نعم، فقال : أي عباد الله يالله للمسلمين إنّي إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وخذلتني، وإن تكلّمت فبلّغت له ما يريد جاء مروان يلعب به حتّى قد صار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول .**

وقام مغضباً من فوره حتى دخل علىٰ عثمان فقال له: «**أما يرضى مروان منك إلّا أن يحرفك عن دينك وعقلك؟! فأنت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا عقله وإنيّ لأراه يوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك. أفسدت شرفك وغلبت على رأيك.** ثم نهض.

فدخلت نائلة بنت الفرافصة فقالت: قد سمعت قول عليّ لك وإنّه ليس براجع إليك ولا معاود لك وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء، قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك فإنّك متى أطعت مروان قتلك، وليس لمروان عند الناس قدر ولا هيبة وإنمّا تركك الناس لمكانه، وإنمّا رجع عنك أهل مصر لقول عليّ، فأرسل إليه فاستصلحه فإنّ له عند الناس قدماً وإنّه لا يعصى. ومنه يعلم أنّ نائلة ـ وهي امرأة ـ كانت أعقل وأنصح لعثمان من مروان .

فأرسل إلىٰ عليّ فلم يأته وقال: «قد أعلمته أنّي غير عائد»(١).

قال الطبري: فجاء عثمان إلىٰ منزل عليّ ليلاً فاعتذر إليه ووعد من نفسه الجميل وقال: إنّي فاعل وإنّي غير فاعل فقال له عليّ: أبعد ما تكلمت على منبر رسول الله ﷺ وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان إلىٰ الناس يشتمهم على بابك؟!، فخرج عثمان من عنده وهو يقول: خذلتني يا أبا الحسن وجرّأت الناس عليَّ. فقال عليّ: والله إنّي لأكثر الناس ذبّاً عنك ولكني كلمّا جئت بشيء أظنّه لك رضا جاء مروان بغيره فسمعت قوله وتركت قولي.

ولم يعد عليّ إلىٰ نصر عثمان إلىٰ أن مُنع الماء لمّا اشتدّ الحصار عليه فغضب عليّ من ذلك غضباً شديداً وقال لطلحة: أدخلوا عليه الروايا، فكره طلحة وساءه فلم يزل عليّ حتى أُدخل الماء إليه(٢)... الخ.

وقال ابن أبي الحديد: روى الواقدي والمدائني وابن الكلبي وغيرهم وذكر أبو جعفر الطبري في التاريخ وذكره غيره من جميع المؤرّخين: أنّ عليّاً لمّا ردّ المصريين رجعوا بعد ثلاثة أيّام فأخرجوا صحيفة في أُنبوبة رصاص وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالموضع المعروف بالتويت(٣) على بعير من إبل الصدقة ففتّشنا متاعه لأنا استربنا أمره فوجدنا فيه هذه الصحيفة ومضمونها: أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر من قبل عثمان بجلد عبد الرّحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وحلق رؤوسهما ولحاهما وحبسهما وصلب قوم آخرين من أهل مصر.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٣٥٨ - ٣٦٣ باختصار.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٦٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٤٤ - ١٤٨.

(٣) في المصدر (بالنيوب) وهو مدخل أهل الحجاز إلىٰ مصر.

وقيل: إنّ الذي أُخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي ويمكن أنّه كـان مصاحباً للغلام، وجاء الناس إلىٰ عليّ وسألوه أن يدخل إلىٰ عثمان فيسأله عن هذه الحال، فجاء فسأله فأقسم عثمان بالله: ماكتبته ولا علمته ولا أمرت بـه. فقال محمّد بن مسلمة: صدق، هذا من عـمل مـروان فـقال: لا أدري، فـقال المصريون: أفيجترئ عليك ويـبعث غـلامك عـلى جـمل مـن إبـل الصـدقة ويـنقش عـلى خـاتمك ويـبعث إلىٰ عـاملك بـهذه الأُمـور الفـظيعة وأنت لا تدري؟! قال: نعم فقالوا: إن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به بغير حق وإن كنت صادقاً استحققت الخلع لضعفك ، وكثرت الأصـوات واللـغط، فقام عليّ وأخرج أهل مصر معه وخرج إلىٰ منزله[1].

قـال الواقـدي: وأحـاط المـصريون والكـوفيون والبـصريون بـعثمان وحصروه وخرج عثمان يوم الجمعة فصلّى بالناس وقام عـلى المـنبر فـقال: ياهؤلاء إنّ أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمّد صلى الله عليه وآله فـامحوا الخطأ بالصواب فقام محمّد بن مسلمة فصدّقه فأقعده حكيم بن جـبلة، وقـام زيد بن ثـابت فأقـعده قـتيرة بـن وهب وثـار القـوم فـحصبوا النـاس حـتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المـنبر مـغشّياً عـليه فأدخل داره وأقبل عليّ وطلحة والزبير فـدخلوا عـلىٰ عـثمان يـعودونه مـن صرعته ويتألّمون له وعند عثمان نفر من بني أُمية منهم مروان بـن الحكـم، فقالوا لعليّ: أهلكتنا وصنعت هذا الذي صنعت والله إن بلغت هذا الأمر الذي تريده ليمرّن عليك الدنيا، فقام مغضباً وخرج الجماعة الذين حضروا معه إلىٰ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:١٥٠ - ١٥١.

منازلهم[١].

وروى الطبري: (أنّ عمرو بن العاص كان شديد التحريض والتأليب علىٰ عثمان وكان يقول: والله إن كنت لألقى الراعي فأحرّضه علىٰ عثمان فضلاً عن الرؤساء والوجوه فلمّا سعر الشر بالمدينة خرج إلىٰ منزله بفلسطين فبينما هو بقصره ومعه ابناه إذ مرّ به راكب من المدينة فسألوه عن عثمان فقال: محصور فقال عمرو: أنا أبو عبد الله، (والعير يضرط المكواة في النار)، ثم مرّ بهم آخر فسألوه فقال: قتل عثمان فقال عمرو: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها)[٢]... الخ. ثمّ إنّه حارب عليّاً مع معاوية طلباً بدم عثمان فكان مجتهداً مأجوراً!.

وروى الطبري في تأريخه: (إنّ عليّاً كان في ماله بخيبر لمّا حصر عثمان[٣] فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة. قال: وكان لطلحة في حصر عثمان أثر فلمّا قدم عليّ أتاه عثمان وقال له: إنّ لي حق الإسلام وحق الإخاء والقرابة والصهر ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتز بنو تيم أمرهم ، يعني طلحة ، فقال له عليّ: أنا أكفيك ثم خرج إلىٰ المسجد فرأى أُسامة بن زيد فتوكّأ على يده حتى دخل دار طلحة وهي مملوءة من الناس فقال له: يا طلحة ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان؟ فقال يا أبا حسن بعد أن مسّ الحزام الطبيين. فانصرف عليّ حتّى أتى بيت المال فقال افتحوا فلم يجدا المفاتيح فكسر الباب وفرّق ما فيه على

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:١٤٢ بتفاوت يسير في اللفظ.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٣٥٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:١٤٤.

(٣) لعل المراد لما أُريد حصر عثمان لدلالة الأخبار الكثيرة أنّه كان بالمدينة عند حصر عثمان.

الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده وسرّ عثمان بذلك، وجاء طلحة إلىٰ عثمان تائباً فقال: ما جئت تائباً بل مغلوباً، الله حسيبك)[١]... الخ.

وقد ظهر ممّا مرّ أن طلحة وعمرو بن العاص كانا من أشدّ الناس علىٰ عثمان وأحرصهم على قتله.

وروى الطبري عن عبد الله بن عيّاش[٢] بن أبي ربيعة المخزومي قال: (دخلت على عثمان فمرَّ طلحة فقام إليه ابن عديس البلوي فناجاه ثمّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل إلىٰ عثمان ولا يخرج من عنده. فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة اللّهم اكفني طلحة فإنّه حمل هؤلاء القوم وألّبهم عليّ والله لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه)[٣]...الخ.

وقال الطبري أيضاً: (كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفاً فقال طلحة يوماً: قد تهيّأ مالك فاقبضه فقال: هو لك معونة على مروءتك فلمّا حصر عثمان قال عليّ لطلحة: **أُنشدك الله إلّا كففت عن عثمان**، قال: لا والله حتى تعطي بنو أُمية الحقّ من أنفسها[٤]، فكان عليّ يقول: لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل)[٥]... الخ.

وكذلك عائشة كانت تقول في عثمان: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، كما رواه الطبري[٦] وغيره[٧]، ثم حارب طلحة مع أُمّ المؤمنين عليّاً يوم الجمل طلباً

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤٥٣ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) في المصدر (ابن عبّاس).

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤١١ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٤) المصدر السابق ٣: ٤٣٣ بتفاوت يسير.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٦١.

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٣: ٤٧٧.

(٧) الإمامة والسياسة ١: ٧٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢١٥.

بثأر عثمان وكان الباعث لطلحة على التحريض علىٰ عثمان الطمع في الخلافة كما كان الباعث لأُمّ المؤمنين على ذلك الطمع في الخلافة لقريبها طلحة التيمي كما كان ذلك هو الباعث على طلب ثأره من عليّ، وكان الباعث لعمرو على حرب عليّ الطمع في أمارة مصر، أو أنّ الباعث للدلالة على ذلك الاجتهاد الذي يُؤجر المخطئ فيه أجراً واحداً والمصيب أجرين !!

لله در مهيار حيث يقول:

وللقتيل يأزمون[1] دمه وفيهم القاتل غير من قتل[2]

وفي شرح نهج البلاغة: (أنّ ابن عبّاس جاء عليّاً برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلىٰ ماله بينبع ليقلّ هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله من ذلك من قبل فقال: **يا ابن عبّاس ما يريد عثمان أن يجعلني إلّا جملاً ناضحاً بالغرب[3] أُقبل وأُدبر بعث إليّ أن أخرج ثم الآن يبعث إليّ أن اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما**)[4]... الخ.

قال الطبري: (كتب عثمان إلىٰ معاوية وابن عامر وأُمراء الأجناد يستنجدهم فتربّص به معاوية وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره فأشاروا أن يرسل إلىٰ عليّ ويطلب إليه أن يرّد الناس ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه الإمداد فقال: إنهم لا يقبلون التعليل وقد كان منّي في المرة الأُولى ما كان. فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فإنّهم قوم قد بغوا عليك ولا عهد لهم فدعا عليّاً وقال له: قد ترى ما كان من الناس

(١) في المصدر (يلزمون).

(٢) الغدير للأميني ٤:٢٥٥.

(٣) الناضح البعير يستقي عليه «والغرب» الدلو العظيمة ـ المؤلّف ـ.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣:٢٩٦.

ولست آمنهم على دمي فارددهم عنّي فإني أُعطيهم ما يريدون من الحقّ من نفسي ومن غيري، فقال عليّ: إنّ الناس إلىٰ عدلك أحوج منهم إلىٰ قتلك وإنهم لا يرضون إلّا بالرضى وقد كنت أعطيتهم من قبل عهداً فلم تفِ به فلا تغرر في هذه المرة فإنّي معطيهم عنك الحقّ قال: أعطهم فوالله لأفينّ لهم فخرج عليّ إلىٰ الناس فقال: إنّكم إنّما تطلبون الحقّ وقد أُعطيتموه وإنّه منصفكم من نفسه، فسأله الناس أن يستوثق لهم، وقالوا: إنّا لا نرضى بقولٍ دون فعل فدخل إليه فأعلمه، فقال: اضرب بيني وبين الناس أجلاً، قال: لا أقدر على تبديل ما كرهوا في يوم واحد فقال عليّ: أمّا ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وأمّا ما غاب فأجله وصول أمرك، قال: نعم فأجّلني فيها بالمدينة ثلاثة أيّام فأجابه إلىٰ ذلك وكتب بينه وبين الناس كتاباً على ردّ كل مظلمة وعزل كلّ عامل كرهوه فكفّ الناس عنه وجعل يتأهّب سرّاً للقتال ويستعد بالسلاح واتّخذ جنداً فلمّا مضت الأيّام الثلاثة ولم يغيّر شيئاً ثار عليه الناس وخرج قوم إلىٰ مَن بذي خشب من المصريين فأعلموهم الحال فقدموا المدينة)[1].

قال الطبري: (ثمّ إنّ محاصري عثمان أشفقوا من وصول أجناد من الشام والبصرة تمنعه فحالوا بين عثمان وبين الناس ومنعوه كل شيء حتى الماء فأرسل عثمان سرّاً إلىٰ عليّ وإلىٰ أزواج النبيّ ﷺ إنّهم قد منعونا الماء فجاء عليّ في الغلس فوقف على الناس فوعظهم وقال: إنّ الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين؛ إنّ الفرس والروم لتأسر فتطعم وتسقي فالله الله لا تقطعوا الماء عن الرجل فأغلظوا له وقالوا: لا نعم ولا نعمة عين، فلمّا

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٣٧٣ و ٤٠٣ - ٤٠٤ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

رأى منهم الجد رمى بعمامته إلىٰ دار عثمان يعلمه أنه قد نهض وعاد)[١].

قال الطبري : (وبقي عثمان ثلاثة أيّام لا يدفن ثم إنّ حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلّما عليّاً في أن يأذن في دفنه ففعل فلمّا سمع الناس بذلك قعد له قوم في الطريق بالحجارة وخرج ناس يسير من أهله ومعهم الحسن بن عليّ وابن الزبير بين المغرب العشاء فأتوا به حائطاً من حيطان المدينة يعرف بحش كوكب خارج البقيع فصلّوا عليه وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل عليّ فمنع من رجم سريره وكفّ الذين راموا منع الصلاة عليه)[٢].

وفي نهج البلاغة، من خطبة له في معنى قتل عثمان (لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني، وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجازع)[٣].

قال ابن أبي الحديد: (ظاهر هذا الكلام أنّه ما أمر بقتله ولا نهى عنه ولا يجوز أن يحمل هذا الكلام على ظاهره لما ثبت من عصمة دم عثمان ولما ثبت في السير والأخبار أنّه كان ينهىٰ عن قتله)[٤].

وأجاب بحمل النهي على المنع باليد وإنّما لم يمنع باليد لأنه غلب على

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤١٦ - ٤١٧ وفيه بأختصار.

(٢) المصدر السابق ٣:٤٣٨ .

(٣) نهج البلاغة: ٧٣ / خ ٣٠.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:١٢٦.

ظنه أنّه غير مؤثر فهو قد كان ينهى عنه باللسان[١]، هذا حاصل جوابه، وهو يرجع إلىٰ أنه غير قادر على المنع وهو كذلك لقلّة الأنصار وخذلان الأكثر وقوّة المحاصرين له وكثرتهم قال : ولأجل اشتباه هذا الكلام على السامعين قال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام من أبيات:

أرى الشام تكره أهل العراق	وأهل العراق لهم كارهونا
وقالوا عليّ إمام لنا فقلنا	رضينا ابن هند رضينا
وما في عليّ لمستعتب	مقال سوى ضمّه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب	ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حذا شبهة	وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط	ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سرّه	ولا بدّ من بعض ذا أن يكون[٢]

قال، وما قال هذا الشعر إلّا بعد أن نقل إلىٰ أهل الشام كلام كثير لعليّ في عثمان يجري هذا المجرى كقوله: ما ساءني وما سرّني وقيل له: أرضيت؟ فقال: لم أرض فقيل له: أسخطت، قال: لم أسخط.

وأمّا قوله: غير أنّ من نصره... الخ. فقال: معناه أنّ خاذليه كانوا خيراً من ناصريه، لأنّ الذين نصروه كان أكثرهم فسّاقاً كمروان بن الحكم وأضرابه وخذله المهاجرون والأنصار[٣].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٢) في المصدر (يكونا).
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:١٢٧ - ١٢٨.

بيعته بالخلافة

بويع عليّ عليه السلام بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة على رواية الطبري[١] سنة (٣٥ هـ)، وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة[٢] فكان بين قتله وبيعة عليّ سبعة أيّام.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده أنّه استخلف عليّ بن أبي طالب سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر.

قال الحاكم في المستدرك: (اختلفت الروايات في وقته فقيل: إنه بويع بعد أربعة أيّام من قتل عثمان وقيل: بعد خمسة وقيل: بعد ثلاثة وقيل: بويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة)[٣]، قال: (وأصحّ الروايات أنّه امتنع عن البيعة إلىٰ أن دفن عثمان ثم بويع على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ظاهراً. وكان أوّل من بايعه طلحة فقال: هذه بيعة نكث)[٤].

روى الحاكم في المستدرك بسنده (أنّه لمّا بويع عليّ بن أبي طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبُنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتن
رجوناه أولى الناس بالناس إنّه ... أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإنّ قريشاً ما تشق غباره ... إذا ما جرى يوماً على الضمر والبدن

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤٥٧.
(٢) المصدر السابق ٣٢: ٤٤٢.
(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١٢٣ / ح٤٥٩٤.
(٤) المصدر السابق ٣: ١٢٤ / ح٤٥٩٤.

وفــيه الذي فــيهم مــن الخـير كـلّه   وما فيهم كل الذي فيه من حسن[١].

وروى فيه بسنده: (أنّها لما جاءت بيعة عليّ إلىٰ حذيفة قال: لا أبايع بعده إلّا أصعر أو أبتر)[٢].

قال الطبري: (اختلف السلف من أهل السير في بيعة مـن بـايعه والوقت الذي بويع فيه)[٣]، وقال ابن الأثير: (اختلفوا في كيفية بيعته)[٤].

أقول: ونحن نذكر ذلك مقتبساً من مجموع ما رواه الطبري وذكره ابـن الأثير، وهو أنّه لمّا قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليّاً فقالوا: إنّه لا بدّ للناس من إمام، قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به، قالوا: ما نختار غيرك وتـردّدوا إليـه مرارا وقالوا له في آخر ذلك: إنّا لا نجد اليوم أحداً أحـقّ بـهذا الأمـر مـنك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك، قال : ففي المسجد ، فإنّ بيعتي لا تكون خُفياً ولا تكون إلّا عن رضى المسلمين، وكان في بيته، وقيل: في بعض حيطان المدينة.

وفي رواية: فغشي الناس عليّاً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نـزل بـالإسلام فقال: دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القـلوب ولا تثبت عليه العقول، فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى الإسلام ألا ترى الفتنة؟ فقال: قد أجبتكم وإنيّ إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم.

---

(١) المصدر السابق ٣:١٢٤ / ٤٥٩٥.

(٢) المستدرك للحاكم ٣:١٢٤ / ٤٥٩٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤:٤٢٧.

(٤) الكامل في التأريخ ٢:٥٥٤.

فلمّا دخل المسجد دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثمّ بايعه الناس فكان أوّل من بايعه طلحة والزبير، فنظر حبيب بن أبي ذؤيب إلىٰ طلحة حين بايع فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلّاء لا يتّم هذا الأمر، وجاءوا بسعد بن أبي وقّاص فقال عليّ: بايع، قال لا أبايع حتى يبايع الناس وجاءوا بابن عمر، فقال مثل ذلك فقال: ائتني بكفيل قال: لا أرى كفيلاً، قال الأشتر: دعني أضرب عنقه، قال عليّ: دعوه، أنا كفيله، إنّك - ما علمت - لَسّيء الخلق صغيراً وكبيراً[١].

أقول: وادّعى بعضهم[٢] أن طلحة والزبير بايعا مكرَهين. ولكن النظر الصحيح ينفي ذلك فمن لم يقبل أوّل الأمر بالبيعة حتّى الحّوا عليه إلحاحاً شديداً لا يمكن أن يبدأ بيعته بالإكراه ومن لم يكره سعدا وابن عمر عليها وليسا بدون طلحة والزبير مكانة في الناس لا سيّما سعد لا يمكن أن يكره طلحة والزبير على البيعة.

المتخلّفون عن بيعته

في مروج الذهب: قعد عن بيعته جماعة عثمانية وجماعة لم يروا إلّا الخروج من الأمر[٣].

وفي أسد الغابة : تخلّف عن بيعته جماعة من الصحابة فلم يلزمهم بالبيعة وسئل عليّ عمّن تخلّف عن بيعته فقال: **أولئك قعدوا عن الحق ولم ينصروا الباطل**[٤]، وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن الحسن قال: بايعت الأنصار

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٤٢٧ - ٤٢٩، الكامل في التأريخ ٢: ٥٥٤ ـ ٥٥٦.
(٢) الكامل في التأريخ ٢: ٥٥٧.
(٣) مروج الذهب ٢:٣٦١.
(٤) أسد الغابة ٤:١٢٣.

عليّاً إلّا نفراً يسيراً منهم وعدّهم وقال:كانوا ثمانية[١]... الخ.

ونحن نذكر أسماء المتخلّفين مأخوذة من مجموع ما ذكره هؤلاء وهم: حسّان بن ثابت. كعب بن مالك وكانا شاعرين. مسلمة بن مخلد أو خالد. أبوسعيد الخدري. محمّد بن مسلمة حليف بني عبد الأشهل. النعمان بن بشير. زيد بن ثابت. رافع بن خديج. فضالة بن عبيد. كعب بن عجرة. سعد بن أبي وقاص. عبد الله بن عمر. صهيب بن سنان. سلمة بن وقش. أُسامة بن زيد. عبد الله بن سلام. قدامة بن مظعون. المغيرة بن شعبة الثقفي. وهبان بن صيفي[٢].

قال عبد الله بن الحسن فيما رواه عنه الطبري في العشرة الأُول أنّهم كانوا عثمانية وقال: أمّا حسّان فكان شاعراً لا يبالي ما صنع وأمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال فلمّا حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين، فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلّا لأنه أكثر لك من العبدان. وأمّا كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له[٣].

وقال المسعودي: وبايع ابن عمر يزيد بعد ذلك والحجّاج لعبد الملك بن مروان[٤].

وقال ابن الأثير: فأمّا النعمان بن بشير فإنّه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قطعت وقميص عثمان الذي قُتل فيه وهرب فلحق بالشام فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٤٢٩ - ٤٣٠.

(٢) مروج الذهب ٢٠/ ٣٦١ ـ ٣٦٢، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٤٢٩ ـ ٤٣٠، الكامل في التاريخ: ٥٥٥/٢.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٤٣٠.

(٤) مروج الذهب ٢:٣٦١.

غيظاً وجدّوا في أمرهم ثم يرفعه فإذا أحسّ منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص: حرّك لها حوارها تحنّ فيعلقهما[١].

وقال المسعودي : بعثت أُم حبيبة بنت أبي سفيان إلىٰ أخيها معاوية بقميص عثمان مخضّباً بدمائه مع النعمان بن بشير الأنصاري[٢].

وقال ابن الأثير : (وهرب بنو أُمية فلحقوا بمكة[٣] وجيء بقوم كانوا قد تخلّفوا فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامّة فبايعوا)[٤].

وفي مروج الذهب: وأتاه جماعة ممّن تخلّف عن بيعته من بني أُمية منهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط فجرى بينه وبينهم خطب طويل، وقال له الوليد: إنّا لم نتخلّف عنك رغبة عن بيعتك لكنّا قوم وَتَرنا الناس وخِفنا على نفوسنا فعذرنا فيما نقول واضح: أمّا أنا فقتلت أبي صبراً وضربتني حداً، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً وقال له الوليد: أما سعيد فقتلت أباه وأهنت مثواه وأمّا مروان فإنّك شتمت أباه وكبتّ عثمان في صنعه إياه.

قال: وقد ذكر أبو مخنف ـ لوط بن يحيى ـ أنّ حسّان بن ثابت وكعب بن مالك والنعمان بن بشير قبل نفوذه بالقميص أتوا علياً في آخرين من العثمانية فقال كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين ليس مسيئاً من أعتب، وخيرُ كفر ما محاه عذر، في كلام كثير، ثم بايع وبايع من ذكرنا جميعاً .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢:٥٥٥ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢:٣٦٢ .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٥٥٥ .

(٤) المصدر السابق ٢:٥٥٦ .

قال: واتصلت بيعته بالكوفة وغيرها من الأمصار، وكان أهل الكوفة أسرع إجابة إلىٰ بيعته وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري حتّى تكاثر الناس عليه[١]... الخ. ولم يتخلّف عنه سوى أهل الشام مع معاوية فلم يبايعوه.

وفي إرشاد المفيد: روى الشعبي أنّه لمّا اعتزل سعد بن أبي وقّاص وعبدالله بن عمر ومحمّد بن مسلمة وحسّانُ بن ثابت وأُسامةُ بن زيد أميرالمؤمنين وتوقّفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «أيها الناس إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وإنّما الخيار للناس قبل أن يبايعوا فإذا بايعوا فلا خيار لهم وإنّ على الإمام الاستقامة وعلى الرعيّة التسليم وهذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام واتّبع غير سبيل أهله ولم تكن بيعتكم إيّاي فلتة وليس أمري وأمركم واحد وإنّي أُريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، وأيمُ الله لأنصحنّ للخصم ولأنصفنّ المظلوم، وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأُسامة وعبد الله وحسّان بن ثابت أُمور كرهتها والحق بيني وبينهم»[٢].

قال الحاكم في المستدرك: أمّا قول من زعم أنّ عبد الله بن عمر وأبامسعود الأنصاري وسعد بن أبي وقّاص وأبا موسى الأشعري ومحمّد بن مسلمة الأنصاري وأُسامة بن زيد قعدوا عن بيعته فإنّ هذا قول من يجحد حقيقة تلك الأحوال فاسمع الآن حقيقتها[٣].

قال: (أمّا عبد الله بن عمر) ـ وروى حديثاً مسنداً عن الزهري عن حمزة ابن عبد الله بن عمر ـ أنّه بينما هو جالس مع أبيه إذ جاءه رجل من أهل العراق

(١) مروج الذهب ٢:٣٦٢.

(٢) الإرشاد ١:٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) المستدرك للحاكم ٣:١٢٤ ذيل الحديث ٤٥٩٦.

فقال: يا أبا عبد الرحمن إنّي والله لقد حرصت أن أتسمّ بسمتك وأقتدي بك في أمر فرقة الناس وأعتزل الشر ما استطعت وإنّي أقرأ آية من كتاب الله محكمة قد أخذت بقلبي فأخبرني عنها، قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلىٰ أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسِطوا إنّ الله يحبّ المقسطين﴾(١)، أخبرني عن هذه الآية فقال عبد الله : ما لك؟! ولذلك: انصرف عنّي، فانطلق حتى توارى عنّا سواده ، وأقبل علينا عبد الله بن عمر فقال: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في أمر هذه الآية إنّي لم أُقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عزّ وجلّ، ثم قال الحاكم: هذا باب كبير قد رواه عن عبد الله بن عمر جماعة من كبار التابعين وإنمّا اقتصرت على حديث الزهري لأنه صحيح على شرط الشيخين(٢).

أقول : قد احتجّ هذا العراقي على ابن عمر بما لم يستطع ردّه وما كان ينبغي أن يقول له: ما لك ولذلك ، فإنّ هذا إنّما يقال لمن يدخل فيما لا يعنيه، لا لمن يأمر بمعروف ويرشد إلىٰ أهم واجب ويحتجّ بالدليل القاطع والبرهان الساطع، بل كان يلزم أن يمدحه ويقول له: أصبت وأرشدت لا أن يطرده ويقول: انصرف عني، بل يقول له: مرحباً بك يعترف أمامه بخطئه كما اعترف أمام جلسائه.

قال الحاكم: وأمّا ما ذكر من إمساك أُسامة بن زيد، وذكر حديثاً مسنداً عن أُسامة قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرّية في أُناس من أصحابه فاستبقنا أنا

(١) الحجرات: ٩.

(٢) المستدرك للحاكم ٣:١٢٥ / ح٤٥٩٨ وذيله.

ورجل من الأنصار إلىٰ العدو فحملت على رجل فلمّا دنوت منه كبّر فطعنته فقتلته ورأيت أنّه إنّما فعل ذلك ليحرز دمه فلمّا رجعنا سبقني إلىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله لا فارس خير من فارسكم إنّا استلحقنا رجلاً فسبقني إليه فكبّر فلم يمنعه ذلك أن قتله (فقال) النبيّ صلى الله عليه وآله : يا أُسامة ما صنعت اليوم؟ فقلت: حملت على رجل فكبّر فرأيْتُ أنّه إنّما فعل ليُحرز دمه فقتلته، فقال: كيف بعد الله أكبر، فهلّا شققت عن قلبه؟! فلا أُقاتل رجلاً يقول الله أكبر ممّا نهاني عنه حتى ألقاه[١].

قال: وأمّا ما ذكر من اعتزال سعد بن أبي وقّاص عن القتال، وذكر حديثاً مسنداً أنّ سعداً قال له رجل: أنّ عليّاً يقع فيك إنّك تخلّفت عنه فقال سعد: والله إنّه لرأي رأيته أخطأ رأيي، إنّ عليّ بن أبي طالب أُعطي ثلاثاً لأن أكونُ أُعطيت إحداهنّ أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: «**هل تعلمون أني أولى بالمؤمنين؟ قلنا: نعم قال: اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه**» وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر فقال: يا رسول الله إني أرمد. فتفل في عينيه ودعا له فلم يرمد حتى قتل وفتح عليه خيبر. وأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه العبّاس وغيره من المسجد فقال له العباس: تخرجنا نحن عصبتك وعمومتك وتُسكن عليّاً؟ فقال: «**ما أنا أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه**»[٢].

وأمّا ما ذكر من اعتزال أبي مسعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري فإنهّما كانا على الكوفة فأرسل محمّد ابنه ومحمّد بن أبي بكر لأخذ البيعة،

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٢٥ - ١٢٦ / ح٤٥٩٩.

(٢) المصدر السابق ٣: ١٢٦ / ح٤٦٠١.

فامتنع أبو موسى أن يبايع[١]، فبعث إليه عمّار بن ياسر والحسن بن عليّ فعزلاه، واستعمل قرظة بن كعب فلم يزل عاملاً حتى قدم عليّ من البصرة فعزله فلمّا سار إلىٰ صفّين استخلف عقبة بن عمر وأبا مسعود الأنصاري حتى قدم من صفّين[٢].

وأمّا قصة اعتزال محمّد بن مسلمة الأنصاري عن البيعة فروي عنه أنّه قال: يا رسول الله: كيف أصنع إذا اختلف المصلّون؟ قال: «تخرج بسيفك إلىٰ الحرة فتضربه بها ثم تدخل بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة»[٣].

قال الحاكم : بهذه الأسباب وما جانس ،كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع عليّ قتال من قاتله[٤]... الخ.

أقول: حاصل ما ذكره أنّ امتناع من امتنع عن بيعته ليس لاعتقادهم عدم أهليّته للخلافة ولا عناداً بل لشبهة دخلت عليهم.

فابن عمر وسعد ظنّا أنّها فتنة ، والأرجح عدم الدخول فيها ثم بان لهما خطؤهما وندما على ترك القتال وعدّا أنفسهما مذنبين. وأُسامة دخلتْ عليه شبهة عدم جواز قتل من أظهر الإسلام ولم يتفطّن للفرق بين المقامين وأنّها شبهة واهية، وأبو مسعود استخلفه على الكوفة حيث سار إلىٰ صفّين فدلّ على أنّه بايع وتاب وانحصر الإصرار والامتناع في أبي موسى.

وهذا الذي ذكره الحاكم لا يصلح أن يكون عذراً مبرراً لامتناع هؤلاء عن البيعة وقتال أهل البغي، ولا الحاكم أراد أن يعتذر عنهم بذلك إنّما أراد

(١) المستدرك للحاكم ٣:١٢٦ / ح٤٦٠٢.

(٢) المصدر السابق ٣:١٢٦ - ١٢٧ / ح٤٦٠٢.

(٣) المصدر السابق ٣:١٢٧ / ح٤٦٠٤.

(٤) المصدر السابق ٣:١٢٧، ذيل الحديث ٤٦٠٥.

بيان حقيقة الحال في قعودهم.

وروى الطبري ما حاصله: أنّه اجتمع إلىٰ عليّ طلحة والزبير في عدّة من الصحابة وطلبوا منه أن يقيم الحد على من شرك في دم عثمان ممّن في المدينة وأنّه ردّهم ردّاً رفيقاً فقال: «**يا إخوتاه لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم، فهل ترون موضعا لقدرةٍ على ما تريدون؟**»، قالوا: لا، ثمّ طلب منهم الهدوء حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، واشتدّ على قريش، وحال بينهم وبين الخروج، وإنّما هيّجه على ذلك هرب بني أُمية ، وتفرّق القوم، بعضهم يقول:لَترك هذا الأمر إلىٰ ما قال عليّ أمثل، وبعضهم يقول إنّ عليّاً لمستغن برأيه وأمره عنّا لا نراه إلّا سيكون على قريش أشدّ من غيره.

فذكر ذلك لعليّ فقام، فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وأنّه ليس له من سلطانهم إلّا ذلك، والأجر من الله عزّ وجلّ ونادى: بُرئت الذمة من عبد لم يرجع إلىٰ مواليه وقال: «**يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم**»[1].

وروى الطبري أيضاً ما حاصله: أنّ عليّاً عليه السلام قال لابن عبّاس: سر إلىٰ الشام فقد وليتّكها فلم يقبل واعتذر بالخوف من معاوية قال: ولكن أُكتب إليه فمنّه وعدِه فأبى عليّ وقال: «الله لا كان هذا أبداً» وإنّ المغيرة بن شعبة أشار على عليّ بإقرار معاوية وعمّال عثمان علىٰ أعمالهم فإذا بايعوا له واطمأن الأمر له عزل من أحبّ وأقرّ من أحبّ فأبى عليه وقال: «**والله لا أُداهن في ديني وألّا أعطي الدنيء في أمري**»، قال: فانزع من شئت واترك معاوية فإنّ له جرأة وهو في

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٥٨ - ٤٥٩.

أهل الشام يُسمع منه. فقال له: «لا أستعمل معاوية يومين أبداً» ثم جاءه فأشار عليه بعزلهم فسئل عن ذلك فقال: نصحته في الأُولى فعصاني فغششته في الثانية وإنّ ابن عبّاس وافق المغيرة على رأيه وأشار عليه بأن يثبت معاوية وقال: فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله فقال: «والله لا أُعطيه إلّا السيف» ثم تمثّل:

وما ميتة إن متها غير عاجز   بعار إذا ما غالت النفس غولها[١]

وفي هذه الرواية ما يقتضي التأمّل: أمّا إشارة المغيرة عليه أوّلاً بما زعمه نصحاً فالمغيرة لم يكن يرجى منه النصح لعليّ وكان عليّ أعرف الناس به، ولا يبعد أن يكون غاشّاً في المقامين، وأراد بالإشارة بتثبيت معاوية النصح لمعاوية لا لعليّ، وبإظهار الموافقة ثانياً التقرّب إلىٰ عليّ ودفع التهمة عن نفسه، فإنّ عليّاً إذا أقرّه لم يكن في استطاعته عزله، ومتى همّ بعزله خلعه وطلب بدم عثمان واستطاع استمالة أهل الشام لذلك بما استمالهم به أوّلاً بأنّه ولّي الدم، مع أنّ معاوية في دهائه كان يعلم أنّ عليّاً إذا ولّاه لا بدّ أن يعزله فلم تكن لتنطلي عليه هذه الحيلة، فلو كتب إليه عليّ عهده على الشام لردّ ذلك وقال له: ثبّت خلافتك أوّلاً وابرأ من دم عثمان أو سلّم إلينا قتلته فلم يكن في ذلك فائدة غير تولية من لا يستجيز عليّ توليته.

وبالجملة هذه حال من يريد أن يداهن معاوية ويستفيد من مسالمته أن تثبت له الخلافة والإمرة فيستمرّ على مداهنته محافظةً على ملكه وإمرته كما يفعله اليوم وقبل اليوم من يريد إمارة ونحوها فيداهن ويحابي ويمدح من يستحق الذم ويذم من يستحق المدح ويرتكب ما لا يُرضي الله في سبيل

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤٦١ - ٤٦٢.

المحافظة على الإمرة وعدم الإخلال بها، أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن للإمرة عنده شيء من الأهميّة. وقد صرح بذلك لابن عبّاس لمّا كان نازلاً بذي قار لمّا قال له: ـ عن النعل ـ إنّها خير عنده من إمرتهم إلّاأن يقيم حقّاً أو يدفع باطلاً.

فإن قال قائل: إنّ المداراة لا تنافي ذلك بل هي لازمة في الشرع كما كان يصنع النبيّ صلى الله عليه وآله مع المؤلّفة قلوبهم بل الله تعالى قد فرض لهم نصيباً من الزكاة، قلنا كل ذلك ما لم يستلزم ارتكاب محرَم أو إخلالاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما كان يصنع مع المؤلّفة قلوبهم، أجنبيّ عن ذلك.

أوّل خطبة خطبها عليّ عليه السلام حين استُخلِفَ

أوّل خطبة خطبها حين استخلف، فيما رواه الطبري بسنده عن علّي بن الحسين: حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشرّ فخذوا بالخير ودعوا الشرّ، الفرائض أدّوها إلىٰ الله سبحانه يُؤدّكم إلىٰ الجنة إنّ الله حرّم حُرُماً غير مجهولة وفضّل حُرمة المسلم على الحُرُم كلّها وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسلم من سلم المسلمون[١] من لسانه ويده إلّا بالحقّ، لا يحلّ دم امرئٍ مسلم إلّا بما يجب فإنّ النار أمامكم وإنّ مِن خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا[٢] تلحقوا اتّقوا الله عباد الله في بلاده وعباده، إنكم مسؤولون حتّى عن البقاع والبهائم ثم أطيعوا الله فلا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فدعوه، إذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض**»[٣].

---

(١) في المصدر (الناس).
(٢) في المصدر (تخففوا).
(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٥٧.

قال الطبري: فلمّا فرغ من خطبته قال المصريون، وفي رواية قالت السبئية أي أصحاب عبد الله بن سبأ.

أقول: إنّ صحّت الرواية فالقائل واحد منهم ولا يمكن أن يكون جميعهم، فكأنّ الراوي ظنّ أنّه يعبّر عن رأيهم:

خُذها إليك احذرن أبا حسن إنّا نمرّ الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأشداد السفُنْ بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلدن كالشطن حتى يمرّن على غير عنن

فقال عليّ:

إنّي عجزت عجزة لا أعتذر سوف أكيس بعدها واستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجر وأجمع الأمر الشتيت المنتشر
إن لم يشاغبني العجول المنتصر أو تتركوني والسلاح يُبتَدر[1]

ومن مجموع ما تقدم يعلم حراجة موقف عليّ عليه السلام وتشعّب الأُمور عليه وأنّه ساسها بحكمة وسياسة رشيدة لا يمكن لأحد يريد أن يجمع بين رضا الله وسياسة الخلافة والإمرة أن يأتي بأحسن منها وأوفق بالمصلحة، بل ولا بمثلها. فالشورى كانت قد غرست في نفس طلحة والزبير وغيرهما أنّهما أهل للخلافة، وطمحت بذلك نفوسهما إلىٰ مساماة عليّ ومجاراته فيها. والأحداث التي وقعت في زمن عثمان كانت أثّرت في النفوس والأخلاق أثرها، وحسّاد عليّ ومنافسوه وأصحاب الثارات والدماء التي أهرقها في سبيل توطيد الإسلام لم يزالوا باقين، وعدوّه الألد معاوية متمكّن من الشام قد حكمها واستوطنها أعواماً عديدة وعرف أخلاق أهلها، وعلم من أين تُؤكل

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤٥٧ - ٤٥٨.

الكتف، وقَتْلُ عثمان كان قد فتح باباً واسعاً لمن يريد الفتن والوصول إلىٰ آمال ما كان يحلم بها، وكانت بسببه الآراء قد تشعّبت والقلوب قد تنافرت وصار الناس أحزاباً وفرقاً وتمهّدت السبل لكلّ ذي غاية وغرض. وقد أشار إلىٰ بعض ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في كلامه المتقدّم: إنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان... الخ.

ومع ذلك فقد ساس الأُمّة سياسة بهرت العقول واستعمل المداراة والشدّة واللين كلّاً في محلّه حيث لا يخلّ بشيء من طريقته ومنهجه.

خطبة أُخرى له بعد استخلافه

قال ابن أبي الحديد: روى ابن الكلبي بسند يرفعه إلىٰ أبي صالح عن ابن عبّاس أنّ علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «انّ كل قطيعة **أقطعها عثمان وكلّ مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال؛ فإنّ الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوّج به النساء وفُرّق في البلدان لرددته إلىٰ حاله فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور أضيق**»[(١)][(٢)].

قال ابن أبي الحديد: وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أُميّة وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج وأسقط عنهم خراجها وقد كان عمر أقطع قطائع لكن لأرباب الغناء في الحرب وعثمان أقطعها صلة لرحمه من غير عناء في الحرب[(٣)]... الخ.

---

(١) أي إذا ضاق على الوالي تدبير أُموره في العدل فهي في الجور أضيق عليه لأن الجائر في مظنّة أنْ يمنع ويصد عن جوره (كذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) ـ المؤلّف ـ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١:٢٦٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٦٩.

وفي مروج الذهب: وانتزع عليّ أملاكاً كانت لعثمان أقطعها جماعة من المسلمين وقسّم ما في بيت المال على الناس ولم يفضّل أحداً على أحد[١]...الخ.

إرسال أمير المؤمنين عليه السلام عمّاله إلىٰ الأمصار

قال الطبري وابن الأثير: لمّا دخلت سنة ٣٦ فرّق عليّ عمّاله، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عبّاس على اليمن، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وسهل بن حنيف على الشام، ومخنف بن سليم على إصبهان وهمذان.

فأمّا سهل فإنّه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا: من أنت قال؟ أمير قالوا على أيّ شيء؟ قال: على الشام، قالوا: إن كان بعثك عثمان فحيّهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع. قال: أو ما سمعتم بالّذي كان؟ قالوا: بلى فرجع إلىٰ عليّ.

وأمّا قيس بن سعد فإنّه لمّا انتهى إلىٰ أيلة لقيته خيل فقالوا له: من أنت؟ قال: من قتلة عثمان فأنا أطلب من آوي إليه فانتصر به لله، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتّى دخل مصر فافترق أهل مصر فرقاً، فرقة دخلت في الجماعة فكانوا معه وفرقة اعتزلت بخربتا ـ بخرنبا ابن الأثير ـ وقالوا: إنْ قَتَلَ قتلة عثمان فنحن معكم وإلّا فنحن على جديلتنا حتى نحرّك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع عليّ ما لم يقد أخواننا وهم في ذلك مع الجماعة، وكتب قيس إلىٰ أمير المؤمنين بذلك.

---

(١) مروج الذهب ٢:٣٦٢.

وأمّا عثمان بن حنيف فسار فلم يرّده أحد عن دخول البصرة ولم يجد لابن عامر في ذلك رأياً ولا استقلالاً بحرب، وعبد الله بن عامر كان عامل عثمان عليها، وافترق الناس بها، فاتّبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة، وفرقة قالت ننظر ما يصنع أهل المدينة.

وأمّا عمارة بن شهاب فلمّا بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بثأر عثمان فقال له: ارجع فإنّ القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً فإنّ أبيت ضربت عنقك، فرجع عمارة إلىٰ عليّ بالخبر.

وكان عامل عثمان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة، وانطلق عبيد الله بن عبّاس إلىٰ اليمن فجمع يعلى بن منبه[1] وعامل عثمان على صنعاء كل شيء من الجبانة، وخرج به على حاميته إلىٰ مكة فقدمها بالمال ودخل عبيد الله اليمن.

وكتب عليّ إلىٰ أبي موسى، فكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للّذي كان والراضي به حتّى كان عليّ كأنّه يشاهدهم.

وكتب عليّ إلىٰ معاوية مع سبرة الجهني: **«أمّا بعد فإنّ الناس قد قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي وبايعوني بمشورة منهم واجتماع فإذا أتاك كتابي فبايع لي وأوفد إليّ أشراف أهل الشام قبلك».**

فلم يجبه معاوية بشيء. وكلّما يتنجز سبرة جوابه لم يزده على قوله:

ادم ادامة حصن أو خذن بيدي حرباً ضروساً تشب الجزل والضرما
في جاركم ابنكم إذ كان مقتله شنعاء شيبت الأصداغ واللمما

(١) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة التحتية وهي أُمّه واسم أبيه أُميّة.

أعـيا المسـود بـها والسـيدون فـلم يوجد لها غـيرنا مـولى ولا حكـما

حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا مـعاوية رجـلاً من بني عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه: من معاوية إلىٰ عليّ وقال له: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ثـم أوصـاه بـما يقول، وأعاد رسول عليّ معه فقدما المدينة في ربـيع الأوّل فـدخلها العـبسي كما أمره، وقد رفع الطومار فتبعه النـاس يـنظرون إليـه وعـلموا أنّ مـعاوية معترض، ودخل الرسول على عليّ فدفع إليه الطومار ففض ختمه فلم يجد فيه كتاباً، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم إنّ الرسول لا يـقتل، قال: تركت قوماً لا يرضون إلّا بالقود، قال ممن؟ قال: مـن خـيط رقـبتك، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهـم قـد ألبسوه منبر دمشق. قال: أمنّي يطلبون دم عثمان؟ ألست مـوتوراً؟ كـترة[1] عثمان؟ اللهم إنّي أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلّا أن يشاء الله فإنّه إذا أراد أمراً أصابه، أُخرج. فخرج العبسي[2].

وقال ابن أبي الحديد: إنّ معاوية كتب مع العبسي[3] إلىٰ الزبير بن العوّام: لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان: سلام عليك أمّـا بـعد فإنّي قد بايعت لك أهـل الشـام فأجـابوا واسـتوسقوا كـما يسـتوسق الحـلب، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبـي طـالب فـإنّه لا شـيء بـعد هذين المصرين وقد بايعت لطـلحة مـن بـعدك فأظـهرا الطـلب بـدم عـثمان

(١) الكترة: السنام، وقيل السنام العظيم شبه بـالقبة وقـيل هـو أعـلاه، وقـيل رجـل رفـيع الكـتر فـي الحسب والنسب ـ لسان العرب ٥: ١٣١.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٤٤٢ - ٤٤٤، الكامل في التاريخ ٢: ٥٦٥ - ٥٦٧.

(٣) في المصدر (بعث رجلاً من بني عميس).

وادعوا الناس إلىٰ ذلك وليكن منكما الجدّ والتشمير أظفركما الله وخذل مناويكما.

فلمّا وصل الكتاب إلىٰ الزبير سرّ به وأقرأه طلحة فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ[١] وانطلت عليهما الحيلة.

وأحبّ أهل المدينة أن يعلموا رأي عليّ في معاوية وقتاله أهل القبلة، فدسّوا إليه زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعاً إلىٰ عليّ فدخل عليه فجلس فقال له عليّ: يا زياد تهيّأ فقال: لأيّ شيء؟ فقال لغزو الشام، فقال زياد: الرفق والأناة أمثل. وقال:

ومن لم يصانع في أُمور كثيرة ... يُضَرَّس بأنيابٍ ويوطأ بمنسم

فتمثّل عليّ وكأنّه لا يريده:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفاً حميّاً تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: السيف يا قوم.

ودعا عليّ محمّد ابن الحنفية فدفع إليه اللواء وولّىٰ عبد الله بن عبّاس ميمنته وعمر بن أبي سلمة أو عمر بن سفيان بن عبد الأسد ميسرته وجعل على مقدّمته أبا ليلى بن عمر بن الجرّاح ابن أخي أبي عبيدة بن الجرّاح واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يولّ ممّن خرج علىٰ عثمان أحداً، وكتب إلىٰ قيس بن سعد وإلىٰ عثمان بن حنيف وإلىٰ أبي موسى أن يندبوا الناس إلىٰ أهل الشام[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٣١.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٦٥.

قال الطبري: وأقبل عليّ على التهيّؤ والتجهيز لغزو الشام، وخطب أهل المدينة فقال: **إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح لا يهلك عنه إلّا هالك، وإنّ المبتدعات والشبهات هنّ المهلكات إلّا من حفظ الله، وإنّ في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها، والله لتفعلن أو لينقلنّ الله عنكم سلطان الإسلام ثمّ لا ينقله إليكم أبداً حتى يأزر الأمر إليها. انهضوا إلىٰ هؤلاء القوم الذين يريدون أن يفرّقوا جماعتكم لعلّ الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق**[1].

ثم جاءه خبر خروج عائشة وطلحة والزبير إلىٰ البصرة،فترك ماكان عزم عليه من الخروج إلىٰ الشام وذهب إلىٰ البصرة[2].

قال المسعودي :كان عمرو بن العاص انحرف عن عثمان لانحرافه عنه وتوليته مصر غيره فنزل الشام فلمّا اتّصل به أمر عثمان وماكان من بيعة عليّ كتب إلىٰ معاوية يهزّه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان، وكان فيماكتب به إليه: ماكنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه فاصنع ما أنت صانع[3]... الخ.

وكان هذا اجتهاداً منهما لوجه الله تعالى يثابان عليه ولو سبّب الفتنة وقتل الألوف من المسلمين!!.

حرب الجمل في جمادى الثانية سنة ٣٦ هـ

في شرح النهج: روى المدائني في كتاب الجمل قال: لمّا قُتل عثمان

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٦٥ - ٤٦٦.
(٢) الكامل في التاريخ ٢:٥٦٨ - ٥٦٩.
(٣) مروج الذهب ٢:٣٥٤.

كانت عائشة بمكة وبلغ قَتْلُهُ إليها وهي بسرف فلم تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر وقالت: بعداً لعثمان وسحقاً إيه ذا الإصبع ايه أبا شبل ايه يا ابن عمّ لكأني انظر إلىٰ إصبعه وهو يبايع له، حثّوا الإبل ودعدعوها.

قال: وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه: أنّ عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول: إيه ذا الإصبع لله أبوك أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً. فلمّا انتهت إلىٰ سرف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له: ما عندك؟ قال: قُتل عثمان، قالت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حارت بهم الأُمور إلىٰ خير محار بايعوا عليّاً، فقالت: لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا، ويحك أنظر ما ذا تقول؟ قال: هو ما قلت لك يا أُمّ المؤمنين، فولولت فقال لها: ما شأنك يا أُمّ المؤمنين والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولىٰ بها منه ولا أحقّ، ولا أرىٰ له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليّ جواباً[1].

قال : وقد روي من طرق مختلفة أنّه لمّا بلغها قتله وهي بمكة قالت: أبعده الله.

قال: وروى قيس بن أبي حازم إلىٰ أن قال: ثمّ أمرت بردّ ركائبها إلىٰ مكة ورأيتها في مسيرها إلىٰ مكة تخاطب نفسها: قتلوا ابن عفّان مظلوماً. فقلت لها: يا أُمّ المؤمنين: ألم أسمعك آنفا تقوليه: أبعده الله، وقد رأيتك قبلُ أشدّ الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً، فقالت: لقد كان ذلك ولكنّي نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في

(١) الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ٧٥ - ٧٦.

شهر حرام فقتلوه[١].

وقال ابن الأثير: إنّ عائشة كانت خرجت إلىٰ مكة وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة[٢].

قال الطبري فيما رواه بسنده وذكره ابن الأثير أيضاً: (فلمّا كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له عبيد أو عبد بن أبي سلمة وهو ابن أُمّ كلاب فقالت له: مهيم[٣]، قال: قُتل عثمان وبقوا ثمانياً قالت: ثمّ صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأُمور إلىٰ خير مجاز اجتمعوا علىٰ بيعة عليّ: فقالت ليت هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك، ردّوني ردّوني، فانصرفت إلىٰ مكة وهي تقول: قُتل واللهِ عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها: ولِمَ؟ واللهِ إنّ أوّل من أمال حرفه لأنتِ ولقد كنتِ تقولين: اُقتلوا نعثلاً فقد كفر. قالت: إنّهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأوّل، فقال لها ابن أُمّ كلاب:

منكِ البداء ومنكِ الغِيرَ ومنكِ الرياح ومنكِ المطر
وأنتِ أمرت بقتلِ الإمام وقلت لنا إنّه قد كفر
فهبنا أطعناكِ في قتله وقاتِلُهُ عندنا مَن أمر
ولم يسقط السقف مِن فوقنا ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرء يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أثوابها وما مَن وفىٰ مثل من قد غدر

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢١٥ - ٢١٦ وفيه إختلاف يسيرٍ باللفظ.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٥٦٩ - ٥٧٠.

(٣) مهيم بوزن مريم كلمة يُراد بها السؤال والاستفهام.

فدخلت مكّة وقصدت الحجر فسترت فيه فاجتمع الناس حولها[١] فقالت: أيّها الناس إنّ الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه وقد استعمل أمثالهم قبله ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها فلمّا لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ووالله لو أنّ الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يُماص الثوب بالماء أي يغسل.

فقال عبد الله بن عامر الحضرمي وكان عامل عثمان على مكة: ها أنا أوّل طالب فكان أوّل مجيب، وتبعه بنو أُمية على ذلك وكانوا هربوا من المدينة إلىٰ مكة بعد قتل عثمان ورفعوا رؤوسهم وتبعهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أُمية، وقدم عليهم عبد الله بن عامر بن كريز من البصرة بمالٍ كثير ويعلى بن أُمية وهو ابن منبه من اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم فأناخ بالأبطح[٢].

وروى الطبري بسنده عن عبيد بن عمر القرشي قال: قدم عليها مكة رجل يقال له أخضر، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمان المصريين قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون أيقتل قوماً جاءوا يطلبون الحق وينكرون الظلم؟ والله لا نرضى. ثمّ قدم آخر فقالت: ما صنع الناس قال: قتل

(١) إلىٰ هنا كان كلام ابن جرير في تاريخ الأُمم والملوك ٤:٤٥٨ - ٤٥٩ وذكر باقي الكلام بإختلاف في ص ٤٤٨ و٤٤٩ - ٤٥٠ بدون ذكر أبيات الشعر.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٥٧٠ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

المصريون عثمان قالت: العجب لأخضر زعم أنّ المقتول هو القاتل[١].

وطلب طلحة والزبير من عليّ أن يوليّهما المصرين البصرة والكوفة فقال: بل تقيما معي فإنّي لا أستغني عن رأيكما[٢]. وقيل استشار ابن عبّاس فلم يشر به[٣].

قال ابن أبي الحديد فاستأذناه في العمرة فقال لهما: «ما العمرة تريدان وإنّما تريدان الغدرة ونكث البيعة»، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث البيعة[٤] يريدان وما رأيهما غير العمرة، قال: «فأعيدا البيعة لي ثانية»، فأعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما، فلمّا خرجا قال[٥]: «والله لا ترونهما إلّا في فتنة يقتلان فيها» قالوا: يا أمير المؤمنين فمر بردّهما عليك قال: «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»[٦].

وقدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: إنّا تحمّلنا هراباً من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقّاً ولا ينكرون باطلاً ولا يمنعون أنفسهم فأمرتهم عائشة بالخروج إلى المدينة، فقالوا: نأتي الشام، فقال ابن عامر: قد كفاكم الشام معاوية فائتوا البصرة فإنّ لي بها صنائع ولهم في طلحة هوى، قالوا: قبّحك اللهُ فواللهِ ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب، فهلّا أقمت كما أقام معاوية فنكفي بك ثم نأتي الكوفة فتسد على هؤلاء القوم المذاهب؟ فاستقام الرأي على البصرة وقال

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٤٤٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٣١.

(٣) المصدر السابق ١:٢٣٢.

(٤) في المصدر (بيعةٍ).

(٥) في المصدر زيادة (لمن كان حاضراً).

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٣٢.

لها طلحة والزبير: نأتي أرضاً قد ضاعت منا وصارت إلىٰ عليّ وسيحتجون علينا ببيعتنا له ويتركوننا إلّا أن تخرجي فتأمري بمثل ما أمرت في مكة[١].

وكان عليّ عليه السلام بعث إلىٰ عبد الله بن عمر كُميلاً النخعي فجاء به فدعاه إلىٰ الخروج معه فقال: إنّما أنا من أهل المدينة فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد. قال: فاعطني كفيلاً قال: لا أفعل، فقال له عليّ: لو لا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني، دعوه فأنا كفيله، وخرج ابن عمر من تحت ليلته إلىٰ مكّة فدعوه ليسير معهم فأبىٰ[٢].

وجاءت عائشة إلىٰ أمّ سلمة فطلب إليها أن تخرج معها إلىٰ البصرة[٣] مع علمها بميل أُمّ سلمة إلىٰ عليّ وظنها القويّ بأنّها لا تجيبها إلىٰ ذلك، لكن حبّ الشيء والحرص عليه يدعو إلىٰ التوسّل لحصوله ولو بالأُمور المستبعد حصولها.

عن المفيد في كتاب الاختصاص: عن محمّد بن عليّ بن شاذان عن أحمد بن يحيى النحوي أبي العبّاس ثعلب، عن أحمد بن سهل، عن يحيى بن محمّد بن إسحاق بن موسىٰ، عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الحكم القتيبي، عن أبي كيسبة[٤] ويزيد بن رومان قالا: لمّا أجمعت عائشة على الخروج إلىٰ البصرة أتت أُمّ سلمة وكانت بمكة فقالت: يا ابنة أبي أُمية كنت كبيرة أُمّهات المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقمؤ[٥] في بيتك وكان يقسم لنا في بيتك وكان

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٦٩ - ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق ٣:٤٦٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢١٧.

(٤) في المصدر (كيسة).

(٥) يعني: يدخل. قمأ كجمع وكرم قال أبو العبّاس: ثعلب يقمؤ في بيتك يعني يأكل ويشرب وفي النهاية في

←

ينزل عليه الوحيّ في بيتك قالت لها: يا ابنة أبي بكر لقد زرتني وما كنتِ زوّاره ولأمرٍ ما تقولين هذه المقالة، قالت: إنّ ابني[١] وابن أُختي[٢] أخبراني أنّ الرجل قُتل مظلوماً وإنّ بالبصرة مائة ألف سيف يطاوعون فهل لك أن أخرج أنا وأنت لعلّ الله يصلح بنا بين فئتين (متناجزتين، أو قالت: متناحرتين[٣])؟ فقالت: يا ابنة أبي بكر أبدم عثمان تطلبين؟ فلقد كنت أشدّ الناس عليه وإن كنت لتدّعينه بالنبز[٤] أم أمر ابن أبي طالب تنقضين؟ فقد بايعه[٥] المهاجرون والأنصار إنّك سدّة[٦] بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أُمّته وحجابه مضروب على حرمه[٧] وقد جمع القرآن ذيلك[٨] فلا

← شرح الحديث والأثر: قمأت بالمكان دخلته وأقمت به وفي القاموس قمأت الإبل بالمكان أقامت به لخصبه فسمنت وتقمأ المكان وافقه فأقام به وفي الفائق في غريب الحديث: يقمؤ إلى المنزل يدخل ومنه اقتمئ الشيء إذا جمعه.

(١) الظاهر أن يقرأ بتشديد الياء ويراد بهما طلحة والزبير وإرادة أحدهما لا وجه لها لكن يُنافيه قولها: أخبراني بألف الاثنين ولعله تحريف والصواب أخبروني.

(٢) في المصدر (أخي). وابن أختي: هو عبدالله بن الزبير لأن أُمّه أسماء بنت أبي‌بكر.

(٣) في المصدر (متشاجرتين).

(٤) في المصدر (بالتبري).

(٥) في المصدر (تابعه).

(٦) السدّة: بضم السين وفتح الدال المشددة الباب. وفي النهاية (في شرح الحديث والأثر): في حديث أُمّ سلمة أنها قالت لعائشة لما أرادت الخروج إلى البصرة: إنّك سدّة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّته أي باب فمتى أُصيب ذلك الباب بشيء فقد دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله في حريمه وحوزته واستفتح ما حماه لا تكوني أنتِ سبب ذلك بالخروج وفي الفائق (في غريب الحديث): تُريد إنّك من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة سدّة الدار من أهلها فإنْ نابك أحد بنابة أو نال منك نائل فقد ناب رسول الله صلى الله عليه وآله ونال منه فلا تعرضي بخروجك أهل الإسلام لهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٧) بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمه وهو كالمفسر لقولها: أنت سدّة... الخ. وفي الفائق (في غريب الحديث) وحجابك مضروب على حرمته.

(٨) جمع الذيل كناية عن الستر وعدم التبرج وإسناد ذلك الى القرآن مجاز باعتبار أنه أمر فيه بما يقتضي ذلك بقوله تعالى: ﴿يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ﴾ وقوله ﴿وَقَرن في بيوتكنّ ولا تبرجن﴾ الأحزاب: ٥٩ و٣٣.

تندحيه[١] وسكن (وسكني خ ل) عقيراك[٢] فلا تضحّي[٣] بها (أو فلا تصحريها)[٤]، الله من وراء هذه الأُمّة[٥]، قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله مكانك ولو أراد أن يعهد إليك (علت علت)[٦] بل قد نهاك رسول الله صلى الله عليه وآله عن الفراطة أو

---

(١) في المصدر (تبذخيه). وفي القاموس ندحه كمنعه وسعه ومنه قول أُمّ سلمة لعائشة: قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه ـ أي لا توسعيه بخروجك إلى البصرة ـ ... الخ. وفي النهاية (في غريب الأثر) ندحت الشيء إذا وسعته وفي حديث أُمّ سلمة قالت لعائشة، قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه ـ أي لا توسعيه وتنشريه ـ أرادت قوله تعالى: ﴿وَقَرن في بيوتكنّ ولا تبرجن﴾ ... الخ. وفي تاج العروس ويروى لا تبدحيه بالباء أي لا تفتحيه من البدح وهو العلانية أرادت قوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن﴾. وقال الأزهري: مَنْ قاله: بالباء ذهب إلى البداح وهو ما اتسع من الأرض ومَن قاله بالنون ذهب إلى الندح وهو السعة... الخ ومنه المندوحة.

(٢) في النهاية: سكن عقيراك أي أسكنك بيتك وسترك فيه فلا تبرزيه وهو اسم مصغر مشتق من عقر الدار قال القتيبي (هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة صاحب كتاب غريب الحديث) لم أسمع بعقيري إلّا في هذا الحديث وقال ثعلب سكني عقيراك مقامك وبذلك سمي العقار لأنه أصل ثابت وعقر الدار أصلها وعقر المرأة وفي الفائق العقيري كأنها تصغير العقري فعلى من عقر إذا بقي في مكانه لا يتقدم ولا يتأخر فزعاً أو أسفاً أو خجلاً وأصله من عقرت به إذا أطلت حبسه كأنك عقرت راحلته فبقي لا يقدر على البراح أرات نفسها أي سكني نفسك التي صفتها وحقّها أن تلزم مكانها ولا تبرح بيتها واعملي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ .

(٣) قال ثعلب: فلا تضحي بها قال الله عز وجل: ﴿وأَنَّكَ لا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ أي لا تبرز للشمس قال النبيّ صلى الله عليه وآله لرجل محرم أضح لمن أحرمت له: أي اخرج الى البراز والموضع الظاهر المنكشف من الأغطية والستور... الخ. وفي رواية الفائق فلا تصحريها قال: اصحر أي خرج إلى الصحراء وأصحر به غيره وقد جاء هنا معدى على حذف الجار وإيصال العمل... الخ. ويوشك أن يكون تصحريها مصحف تضحي بها وإن اتحد المعنى.

(٤) ما بين القوسين من كلام المصنف.

(٥) أي محيط بهم وحافظ لهم وعالم بأحوالهم كقوله تعالى: ﴿واللهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ .

(٦) في المصدر (فعل). وعلت كقلت أي جرت في هذا الخروج وعدلت عن الصواب والعول الميل والجور. قال تعالى: ﴿ذلك أدنى ألا تَعولوا﴾. ومن الناس من يرويه علت بكسر العين أي ذهبت في البلاد وابعدت السير يقال: عال فلان في البلاد أي ذهب وأبعد ومنه قيل للذئب عيال. وفي النهاية: في حديث أُم سلمة قالت لعائشة: لو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعهد إليك علت أي عدلت عن الطريق وملت وقيل جواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه أي فعل، وعلت كلام مستأنف... الخ ولكن الموجود في الفائق لو أراد أن يعهد ←

(الفرطة)[١] في البلاد إنّ عمود الإسلام لا ترأبه النساء إن انثلم ولا يشعب بهنّ إن انصدع[٢]، حماديات النساء[٣] غض الأطراف[٤] وخفر الأعراض[٥] وقصر الوهازة[٦]، وماكنت قائلة لو أنّ رسول الله عرض لك (عارضك خ ل) ببعض الفلوات وأنت ناصة[٧] قلوصاً من منهل إلىٰ آخر أن يعين الله

← إليك عهد علت علت مكرراً وكل هذا يدل على أنّ جواب الشرط غير موجود في الحديث وما يوجد في بعض الكتب من ذكره بلفظ عهد أو فعل إصلاح من النساخ فالمتعين أن يكون جواب لو محذوفاً أي لفعل أو لعهد كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ أي لكان هذا القرآن.

(١) الفراطة التقدم على القوم في السير وقال ثعلب: الفراطة في البلاد السعي والذهاب. وفي رواية الفائق وابن قتيبة الفرطة بدون ألف قال في الفائق الفرطة والفروطة التقدم. وفي النهاية في حديث أم سلمة قالت لعائشة: إنّ رسول الله ﷺ نهاكِ عن الفرطة في الدين يعني السبق والتقدم ومجاوزة الحد ﷺ لكن الذي في الفائق وغيره الفرطة في البلاد ثم قال في النهاية الفرطة بالضم اسم للخروج والتقدم وبالفتح المرة الواحدة... الخ. وقال ابن أبي الحديد أي عن السفر والشخوص من الفرط وهو السبق والتقدم ورجل فارط إلى الماء أي سابق.

(٢) في رواية الفائق لا يثأب بالنساء إن مال ولا يرأب بهن إن صدع ثم قال: أثابه إذ قومه وهو منقول من ثاب اذا رجع لأنه رجع بالمائل الى الاستقامة... الخ. وفي النهاية الرأب الجمع والشد ومنه حديث أُم سلمة لعائشه لا يرأب بهن إن صدع... الخ. والصدع الشق والشعب بمعنى الرأب.

(٣) أي الصفات التي تحمد منهن في الغاية. في الفائق يقال: حماداك أن تفعل كذا أي قصارك وغاية أمرك الذي تحمد عليه... الخ.

(٤) في الفائق هكذا أورده القتيبي وفسر الأطراف بجمع طرف وهو العين ويدفعه أنّ الأطراف في جمع طرف لم يرد به سماع، بل قال الخليل إنّ الطرف لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر طرف إذا حرك جفونه في النظر ولأنه غير مطابق لخفر الأعراض ولا أكاد أشك أنه تصحيف والصواب غض الأطراق (أي بالقاف) والمعنى أن يغضضن من أبصارهنّ مطرقات أي راميات بأبصارهنّ إلى الأرض ويتخفرن من السوء معرضات عنه... الخ. ولا يبعد أن يكون الأطراف جمع طرف بالتحريك وغض الأطراف جمعها.

(٥) الخفر شدة الحياء والإعراض جعله الزمخشري في الفائق بالكسر مصدر أعرض ويمكن أن يكون جمع عرض رهو الجسد يقال: فلان طيب العرض أي طيب ريح الجسد.

(٦) في المصدر (الوهاذة). وفي الفائق الوهازة الخطو يقال: هو يتوهز ويتوهس إذا وطىء وطئاً ثقيلاً، وقال ابن الأعرابي: الوهازة مشي الخفرات... الخ.

(٧) فيالفائق نص الناقة دفعها إلى السير. وفي النهاية النصّ بالتحريك حتى يستخرج أقصى سيرالناقة ←

مهواك(١) وعلى رسوله تردِين وقد وجّهت سدافته(٢) وتركت عهيداه(٣) أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردس لاستحييت أن ألقىٰ محمّداً هاتكة حجاباً قد ضربه عليَّ، اجعلي حصنك بيتك ووقاعة(٤) الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على ذلك أطوع (ما تكونين لله ما لزمته(٥) وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه.

ثم قالت: لو ذكرتك من رسول الله ﷺ خمساً في عليّ لنهشت(٦) بها نهش(٧) الرقشاء المطرقة(٨) ذات الخبب(٩) أتذكرين إذ كان

← وأصل النصّ أقصى الشيء وغايته ثم سمي به ضرب من السير سريع، ومنه حديث أُم سلمة لعائشة: ماكنت قائلة لو أنّ رسول الله ﷺ عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصاً من منهل إلى منهل أي دافعة لها في السير... الخ. ومنه حديث منصوص أي مرفوع.

(١) هويك والهوي الانحدار في السير.

(٢) في الفائق وروي سجافته والسدافة الستارة وتوجيهها هتكها وأخذ وجهها كقولك لأخذ قذى العين تقذية. قال العجاج: يصف جيشاً (يوجه الأرض ويستاق الشجر) أو تغييرها وجعلها لها وجهاً غير الوجه الأوّل.

(٣) في الفائق العهيدي من العهد كالجهيدي والعجيلي من الجهد والعجلة قال: لأبلغن جهيداي في هذا الأمر وهو يمشي العجيلي.

(٤) في الفائق وقاعة الستر موقعه على الأرض إذا أرسلته. وروي وقاعة الستر أي وساحة الستر موضعه.

(٥) في الفائق الضمير للستر والمعنى اطوع أوقات كونك وانصرها وقت لزومك ووقت جلوسك... الخ فاطوع مبتدأ وما بعده خبر.

(٦) في المصدر (لنهشتني).

(٧) في المصدر (الحيّة).

(٨) في الفائق لو ذكرتك قولاً تعرفينه نهشته نهشى الرقشاء المطرق الرقشاء الأفعى... الخ. وفي رواية ابن قتيبة لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة والظاهر أنّ ما في الفائق تحريف من الناسخ والصواب نهشت به وهو بالبناء للمفعول أي لعضّك ونهشك ما أذكره لكي وأذكركِ به كما ينهشك أي لكانت حالتك ـ حالة من نهشته أفعى وخصت الرقشاء لأنّها من أخبث الحيات قال النابغة:

فبت كأنّي ساورتني ضئيلة　　من الرقش في أنيابها السم ناقع

الأفعى توصف بالاطراق وكذلك الأسد والنمر والرجل الشجاع قال الشاعر يصف أفعى:

أصم أعمى ما يجب الرقى　　من طول إطراق وإسبات

(٩) الخبب الخبث كما في تاج العروس عن ابن الأعرابي.

رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً فأقرع بينهنّ فخرج سهمي وسهمك فبينا نحن معه وهو هابط من قديد ومعه عليّ يحدّثه فذهبت لتهجمي عليه فقلت لك: رسول الله معه ابن عمّه ولعلّ له إليه حاجة فعصيتني: ورجعت باكية فسألتك فقلت بأنّك هجمتِ عليهما فقلتِ له: يا عليّ إنّما لي من رسول الله ﷺ يوم من تسعة أيّام وقد شغلته عنّي فأخبرتني أنّه قال لك: أتبغضينه؟ فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أُمّتي إلّا خرج من الإيمان أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت:نعم.

قالت: ويوم تبدّلنا[١] لرسول الله ﷺ فلبستُ ثيابي ولبستِ ثيابكِ فجاء رسول‌الله ﷺ فجلس إلىٰ جنبك فقال: أتظنّين يا حميراء أنّي لا أعرفك أما إنّ لأُمّتي منك يوماً مرّاً أو يوماً أحمر، أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت:نعم، قالت: ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبوك وصاحبه يستأذنان فدخلنا الخدر فقالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر مقامك فينا فلو جعلت لنا إنساناً نأتيه بعدك قال: أما إنّي أعرف مكانه وأعلم موضعه ولو أخبرتكم به لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم، فلمّا خرجا خرجتُ إليه أنا وأنتِ وكنتِ جريئةً عليه فقلت: من كنتَ جاعلاً لهم؟ فقال: خاصف النعل وكان عليّ بن أبي طالب يصلح نعل رسول الله ﷺ إذا تخرّقت ويغسل ثوبه إذا اتّسخ فقلت: ما أرى إلّا عليّاً فقال: هو ذاك أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم، ما أقبلني لوعظك وأسمعني لقولك فإن أخرج ففي غير حرج وإن أقعد ففي غير بأس وحرج، فخرج رسولها فنادىٰ في الناس: من أراد أن يخرج فإنّ أُمّ المؤمنين غير خارجة فدخل عليها عبد الله بن الزبير فنفث في

---

(١) بالدال المهملة وفتره ما بعده.

أُذنها وفتلها في الذروة والغارب فخرج رسولها ينادي: من أراد أن يسير فليسر فإنّ أُمّ المؤمنين خارجة. فلمّا كان من ندمها أنشأت أُمّ سلمة تقول:

لو كان معتصماً من زلّة أحد ... كانت لعائشة الرتبى على الناس
كم سنة لرسول الله ذاكرة[1] ... وتلو آي من القرآن مدراس
قد ينزع الله من قوم[2] عقولهم ... حتى يكون الذي يقضي على الناس
فيرحم الله أُمّ المؤمنين لقد ... كادت[3] تبدّل إيحاشاً بإيناس[4]

وروى الطبرسي في الاحتجاج[5] محاورة أُم سلمة مع عائشة بطريقين نحواً مما ذكرناه، من أرادهما فليرجع إليه والطريق الثاني عن الصادق عليه السلام وأورد الأبيات بتفاوت فقال:

لو كان معتصماً من زلة أحد ... كانت لعائشة الرتبىٰ على الناس
من زوجة لرسول الله فاضلة ... وذكر آي من القرآن مدراس
وحكمة لم تكن إلّا لهاجسها ... في الصدر تذهب عنها كل وسواس
يستنزع الله من قوم عقولهم ... حتى يمرّ الذي يقضي على الرأس
ويرحم الله أُمّ المؤمنين لقد ... تبدّلت بي ايحاشا بإيناس

فقالت لها عائشة: شتمتني يا أُختِ فقالت لها أُم سلمة: ولكن[6] الفتنة إذا أقبلت غطّت على البصيرة وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل[7]... الخ

(١) في المصدر (تاركه).
(٢) في المصدر (ناس).
(٣) في المصدر (كانت).
(٤) الاختصاص: ١١٦ - ١٢٠ ولم يذكر المصنف قطعة من الحديث.
(٥) الاحتجاج ١: ٣٨٧ و ٣٩١ / ح ٨١ و ٨٢.
(٦) في المصدر (لا).
(٧) الاحتجاج ١: ٣٩٣ - ٣٩٤ / ح ٨٢.

وأورد ابن أبي الحديد في شرح النهج[١] هذه المحاورة نقلاً عن أبي مخنف نحو ذلك.

وطلبوا من حفصة المسير معهم إلىٰ البصرة فأجابتهم فمنعها أخوها عبد الله بن عمر.

وجهّزهم يعلى بن منبه بالستمئة بعير والستمئة ألف درهم التي معه وجهّزهم ابن عامر بمال كثير[٢].

قال ابن الأثير : (ونادى مناديها أنّ اُمّ المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلىٰ البصرة فمن أراد إعزاز الإسلام وقتل المُحِلّين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا ستمئة على ستمئة بعير)[٣].

وأعطى يعلى بن منبه عائشة جملاً اسمه عسكر اشتراه بثمانين ديناراً فركبته، وقيل: اشتروه من رجل من عرينة أعطوه ناقة لها مهربة وزادوه أربعمائة أو ستمئة درهم[٤].

وساروا في ستمئة وقيل تسعمائة وقيل ألف من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس فكانوا في ثلاثة آلاف رجل ومعهم أبان والوليد ابنا عثمان ومروان بن الحكم وسائر بني اُمية[٥].

قال الطبري: (وأمّرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتاب بن اُسيد فكان يصلّي بهم في الطريق والبصرة حتى قتل. قال: فتركت الطريق ليلة وتيامنت

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢١٧.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤٧٠ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٨.

(٤) المصدر السابق ٣:٢١٠ .

(٥) المصدر السابق ٣:٢٠٨ - ٢٠٩ .

عنها كأنّهم سيّارة ونجعة مساحلين (لم يدن أحد منهم من المنكدر ولا واسط[١] ولا فلج) حتى أتوا البصرة في عام خصب وتمثّلت :

دعي بلاد جموع الظلم إذ صلحت فيها المياه سيري سير مذعور
تخيّري النبت فارعي ثم ظاهرةً وبطن واد من الضمار ممطور[٢]

وبعثت أُمّ الفضل بنت الحارث زوجة العبّاس بن عبد المطّلب بكتاب إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام تخبره الخبر مع رجل من جهينة اسمه ظفر استأجرته على أن يطوي المنازل فأتاه بكتابها[٣].

فلمّا جازوا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت ونحرها يثعب فتطيّروا. وأذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء فقال: على أيّكما أُسلّم بالإمرة وأوذّن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله: وقال محمّد بن طلحة على أبي محمّد. فأرسلت عائشة إلىٰ مروان وقالت له: أتريد أن تفرّق جمعنا، ليصلِّ ابن أُختي فكان يصلّي بهم عبد الله بن الزبير، ومرّ أنّها أمرت غيره ، فكان بعضهم يقول لو ظفرنا لاقتتلنا[٤].

وروى الطبري بسنده (عن المغيرة بن الأخنس قال: لقيَ سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال: أين تذهبون وثاركم على أعجاز الإبل)[٥]؟ قال ابن الأثير: (يعني عائشة وطلحة والزبير. اقتلوهم ثم ارجعوا إلىٰ منازلكم لا تقتلوا أنفسكم قالوا. بل نسير فلعلّنا نقتل قتلة

(١) في المصدر (لم يدن من المنكدر ولا واسط ولا فلج منهم أحد).
(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٧٢ .
(٣) المصدر السابق ٣:٤٧٠ .
(٤) المصدر السابق ٣:٤٧٣ .
(٥) المصدر السابق ٣:٤٧٢ .

عثمان جميعاً)[١].

وإلى ذلك يشير مهيار بقوله في لاميته الطويلة:

وللــــــقتيل يـــــلزمون دمـــــه وفــيهم القــاتل غــير مـن قـتل[٢]

فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ قالا: لأحدنا أيّنا اختاره الناس، قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنّكم خرجتم تطلبون بدمه، قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم قال: فلا أراني أسعى لأخرجهما من بني عبد مناف فرجع ورجع معه جماعة[٣].

قال الطبري: (وتبعها أُمهّات المؤمنين إلىٰ ذات عرق فبكوا على الإسلام فلم يرَ يوم كان أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم فكان يسمى يوم النحيب)[٤]... الخ. ولم يبين أنّهم لماذا تبعوها، ومن أيّ شيء بكوا على الإسلام.

ولما بلغ علياًعليه السلام نكث طلحة والزبير بيعته واجتماعهم مع عائشة على التأليب عليه خطب بالمدينة - على ما في إرشاد المفيد ناسباً له إلىٰ حفظ العلماء عنه - (فحمد الله واثنى عليه وقال: «**أمّا بعد فإنّ الله بعث محمّداً للناس كافّة وجعله رحمةً للعالمين فصدع بما أمر به وبلّغ رسالات ربه فلمّ به الصدع ورتق به الفتق وآمن به السبل وحقن به الدماء وألّف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر**[٥] **في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب ثمّ قبضه الله إليه حميداً وكان من بعده ما كان من التنازع في**

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٠٩.

(٢) الغدير في الكتاب والسنّة والأدب ٤:٣٤٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٣:٤٧٢، الكامل في التاريخ ٣:٢٠٩.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٧٨.

(٥) الوغر: الضغن والعداوة (الصحاح ٢:٨٤٦) مادة وغر.

الإمرة فتولّى أبو بكر وبعده عمر ثم تولّى عثمان فلمّا كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلتم: بايعنا فقلت: لا أفعل. فقلتم: بلى فقلت: لا وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها حتى تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم(١) على حياضها يوم وردها حتى ظننت أنكم قاتلي وإنّ بعضكم قاتل بعضاً فبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أوّلكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ثمّ لم يلبثا أن استأذناني في العمرة والله يعلم أنّهما أرادا الغدرة فجدّدتُ عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا الأُمّة الغوائل فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين ولو شئت أن أقول لقلت: اللهم احكم عليهما بما صنعا في حقّي وصغّرا من أمري وظفّرني بهما»(٢).

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي مخنف في كتاب الجمل أنّ علياً خطب لمّا سار الزبير وطلحة من مكة ومعهما عائشة يريدون البصرة فقال: أيّها الناس إنّ عائشة سارت إلىٰ البصرة ومعها طلحة والزبير وكلّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه أمّا طلحة فابن عمّها وأمّا الزبير فختنها والله لو ظفروا بما أرادوا ولن ينالوا ذلك أبداً ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد والله إنّ راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحلّ عقدة إلّا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة - إلىٰ أن قال -: وربّ عالم قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه حسبنا الله ونعم الوكيل فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية. أين المحتسبون؟ أين المؤمنون؟ مالي ولقريش؟ اما والله لقد قاتلتهم كافرين ولأُقاتلنّهم مفتونين وما لنا إلىٰ عائشة من ذنب إلّا أنّا أدخلناها في حيّزنا والله لأبقرنّ الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها. ثمّ نزل(٣).

(١) الهيم: العطاش (الصحاح ٥:٢٠٦٣) مادة هيم.

(٢) الإرشاد ١:٢٤٤ - ٢٤٥ بإختصار بعض الجمل.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٣٣.

قال ابن الأثير: ولمّا بلغ عليّاً خروجهم إلىٰ العراق دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «**إنّ آخر هذا الأمر لا يصلح إلّا بما صلح أوّله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم**»، فتثاقلوا فلمّا رأىٰ زياد بن حنظلة تثاقلهم قال له: من تثاقل عنك فإنّا نخفّ معك فنقاتل دونك. وقام رجلان صالحان من أعظم الأنصار: أبو الهيثم بن التيّهان وهو بدري وخزيمة ابن شبيت قيل: ذو الشهادتين وقيل: غيره لأنّ ذا الشهادتين مات أيّام عثمان فأجابا إلىٰ نصرته. وقال أبو قتادة الأنصاري لعليّ: يا أمير المؤمنين إنّ رسول الله ﷺ قلّدني هذا السيف وقد أغمدته زماناً وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لا يألون الاُمّة غشّاً. وقالت اُمّ سلمة: يا أمير المؤمنين لو لا أن أعصي الله وأنك لا تقبله منّي لخرجت معك وهذا ابني عَمر وهو والله أعزّ عليّ من نفسي يخرج معك ويشهد مشاهدك، فخرج معه ولم يزل معه واستعمله على البحرين.

واستخلف عليّ على المدينة تمّام بن العبّاس وقيل سهل بن حنيف، وعلى مكّة قثم بن العبّاس، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفّفين في سبعمائة رجل وهو يرجو أن يدركهم فيردّهم قبل وصولهم إلىٰ البصرة أو يوقع بهم. وسار من المدينة في تعبيته التي تعبّاها لأهل الشام آخر ربيع الأوّل سنة (٣٦ ﻫ) حتى انتهى إلىٰ الربذة فأتاه الخبر بأنّهم سبقوه[١].

قال المفيد: لمّا نزل أمير المؤمنين عليه السلام الربذة لقيه بها آخر الحاج فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه، وهو في خبائه ، قال ابن عبّاس : فأتيته فوجدته يخصف نعلاً فقلت له : نحن إلىٰ أن تصلح أمرنا أحوج منّا إلىٰ ما تصلح[٢] فلم

(١) الكامل في التاريخ ٣:٢٢١ - ٢٢٣ وفيه أختصار وتقديم وتأخير.

(٢) في المصدر (تصنع).

يكلّمني حتّى فرغ من نعله ثمّ ضمّها إلىٰ صاحبتها[١] وقال لي«قومهما» فقلت: ليس لهما قيمة، قال: «عليّ ذاك» قلت : كسر درهم قال «والله لهم أحبّ إليّ من أمركم هذا إلّا أن أُقيم حقّا أو أدفع باطلاً».

قلت: إن الحاج قد اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلّم فإن كان حسناً كان منك وإن كان غير ذلك كان منّي قال: «لا، أنا أتكلم» ثمّ وضع يده على صدري - وكان شثن[٢] الكفّين[٣] فآلمني - ثمّ قام فأخذت بثوبه وقلت: نشدتك الله والرحم كأنّه خاف أن يتكلّم بما ينفر الحاج قال : «لا تنشدني» ثمّ خرج فاجتمعوا عليه فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال :

«أمّا بعد فإنّ الله بعث محمّداً وليس في العرب أحد يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة فساق الناس إلىٰ منجاتهم، أما والله ما زلت في ساقتها ما غيّرت ولا بدّلت ولا خنت حتّى تولّت بحذافيرها. مالي ولقريش أما والله لقد قاتلتهم كافرين ولأُقاتلنّهم مفتونين وإنّ مسيري هذا عن عهد إليّ فيه أما والله لأبقرن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته، ما تنقم منّا قريش إلّا أنّ الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيّزنا» وانشد:

ادمت[٤] لَعَمْريْ شُرْبُكَ المحضَ خالِصاً   واكلك بالزبد المقشرةالبجرا[٥]

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن   عليّاً وحطنا دونك الجرد و[٦]السمرا[٧]

---

(١) في المصدر (ثم).

(٢) شثن كفه أي خشنت وغلظت (الصحاح ٥:٢١٤٢) مادة شثن.

(٣) في المصدر (الكف).

(٤) في المصدر (ذَنْبُ).

(٥) البجر: جمع بجراء وهي المنتفخة البطن، يعني التمر الجيد الكبار. (لسان العرب ٤:٤٠) مادة بجر).

(٦) الجرد والسمر: يعني الخيل.

(٧) الإرشاد ١:٢٤٧ - ٢٤٨.

وأرسل عليّ عليه السلام الى المدينة فأتاه ما يريد من دابّة وسلاح[١] وأتاه وهو بالربذة جماعة من طيء فقيل له: هذه جماعة قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك، قال: «جزىٰ الله كليهما خيراً وفضّل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً» ثمّ سار من الربذة وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجرّاح، والراية مع محمّد بن الحنفيّة، وعلى الميمنة عبد الله بن العبّاس، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة، وعليّ على ناقة حمراء يقود فرساً كميتاً حتّى نزل بفيد فأتته أسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم فقال: الزموا قراركم، في المهاجرين كفاية[٢].

وسارت عائشة ومن معها حتّى مرّوا بماء يُدعى (الحوأب) فنبحتهم كلابه فقالوا أيّ ماء هذا؟ قيل: هذا ماء الحوأب ، فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ثمّ قالت: والله صاحبة كلاب الحوأب طرقوا، ردّوني تقولها ثلاثاً، فأناخت وأناخوا حولها يوماً وليلة فقال لها عبد الله بن الزبير: إنّه كذب[٣].

وجاءوا لها بأربعين رجلاً وقيل بخمسين من الأعراب رشوهم فشهدوا أنّ هذا ليس بماء الحوأب.

قال أبو مخنف: فقال لها قائل[٤]: مهلاً يرحمك الله فقد جُزنا ماء الحوأب قالت: فهل من شاهد فلفّقوا لها خمسين أعرابياً جعلوا لهم جعلاً فحلفوا لها

---

(١) الكامل في التاريخ ٣:٢٢٣.

(٢) المصدر السابق ٣:٢٢٤ - ٢٢٥ بتلخيص..

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٧٥، الكامل في التاريخ ٣:٢١٠ وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٤) في المصدر (الزبير)

أنّ هذا ليس بماء الحوأب فسارت[١]... الخ. وكانت أوّل شهادة زور أُقيمت في الإسلام.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أمّ سلمة قالت: ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله خروج بعض اُمّهات المؤمنين، فضحكت عائشة فقال: «**أُنظري يا حميراء أن لا تكوني أنت**»[٢] الحديث.

وبسنده عن قيس بن أبي حازم لمّا بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت: أيّ ماء هذا؟ قالوا: الحوأب قالت: ما أظنّني إلّا راجعة فقال الزبير: لا، تقدّمي ويراك الناس ويصلح الله ذات بينهم قالت: ما أظنّني إلّا راجعة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**كيف بإحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب**»[٣].

قال الطبري: ولم يزل بها عبد الله بن الزبير وهي تمتنع فقال لها: النجاء النجاء قد أدرككم عليّ بن أبي طالب فارتحلوا[٤] نحو البصرة فلمّا كانوا قريباً منها أرسلت عبد الله بن عامر بن كريز الذي كان أميراً على البصرة من قبل عثمان وله فيها صنائع فاندسّ إلى البصرة، وكتبت إلى الأحنف بن قيس وجماعة من وجوه البصرة وأقامت بالحفير تنتظر الجواب: ولمّا بلغ ذلك عثمان بن حنيف أمير البصرة من قبل عليّ عليه السلام أرسل إليها عمران بن حصين، وكان رجل عامة وأبو الأسود الدؤلي وكان رجل خاصة فانتهيا إليها بالحفير فأذنت لهما فدخلا وسلّما وسألاها عن مسيرها فقالت: ما مثلي يغطّي لبنيه

---

(١) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ٩٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢٢٥.

(٢) المستدرك للحاكم ٣:١١٩.

(٣) المصدر السابق ٣:١٢٠.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٣:٤٧٥.

الخبر إنّ الغوغاء نزاع القبائل غزوا حرم رسول اللهﷺ وأحدثوا فيه المحدثين فاستوجبوا لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل المسلمين بلا ترة ولا عذر فسفكوا الدم الحرام وانتهبوا المال الحرام وأحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام، فخرجت في المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا وما ينبغي لهم من إصلاح هذه القصة وقرأتْ: ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾[1] الآية فهذا شأننا إلىٰ معروف نأمركم به ومنكر ننهاكم عنه.

فخرجا من عندها وأتيا طلحة فقالا: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم عثمان قالا: ألم تبايع علياً؟ قال: بلى والسيف علىٰ عنقي وما استقبل علياً البيعة إن لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان. فأتيا الزبير فقالا له مثل ذلك فأجابهما بمثل قول طلحة ورجعا إلىٰ عثمان، ونادى مناديها بالرحيل، فدخلا علىٰ عثمان فقال أبوالأسود :

يا ابن حنيف قد أُتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر
وأبرز لهم مستلئماً وشمّر

فقال عثمان: إنّا لله وإنّا إليه راجعون دارت رحى الإسلام وربّ الكعبة ، فقال عمران : لتعركنّكم عركاً طويلاً، قال: فأشِر عليَّ، قال: اعتزل فإنّي قاعد، قال: بل أمنعهم حتّى يأتي أمير المؤمنين ، فانصرف عمران إلىٰ بيته وقام عثمان في أمره[2].

وقال أبو مخنف: لمّا انتهت عائشة وطلحة والزبير إلىٰ حفر أبي موسى قريباً من البصرة أرسل عثمان بن حنيف - عامل عليّ على البصرة - إلىٰ

---

(١) النساء:١١٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٧٩ - ٤٨٠ وفيه اختلاف باللفظ.

القوم أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم، فجاء حتّى دخل علىٰ عـائشة فسألها عن مسيرها قالت: أطلب بدم عثمان قال: إنّه ليس بالبصرة من قـتلة عـثمان أحد قالت: صدقت ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة، وجئت استنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عـثمان ولا نـغضب لعـثمان مـن سيوفكم؟ فقال لها: ما أنتِ مـن السـوط والسـيف إنّـما أنتِ حـبيس رسـول الله ﷺ أمركِ أن تقرّي في بيتك وتتلي كتاب ربّك وليس على النساء قتال ولا لهنّ الطـلب بـالدماء وإنّ عـليّاً لأولىٰ بـعثمان مـنك أمسّ رحـماً فـإنّهما ابـنا عبدمناف. قالت: لست منصرفة حتى أمضي لما قدمت له.

أفتظن يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتقاتلن قتالاً أهونه الشديد.

ثمّ قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله عهد النـاس بك وأنت يـوم بـويع أبوبكر آخذ بقائم سيفك تقول لا أحد أولى بهذا الأمر من ابـن أبـي طـالب، وأين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له دم عثمان فـقال: أنت وصـاحبك وليّـتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلىٰ طلحة فاسمع ما يقول، فـذهب إلىٰ طـلحة فـوجده مصرّاً على الحرب والفتنة، فرجع إلىٰ عثمان بن حنيف فـقال: إنّـها الحـرب فتأهّب لها[1] فأتاه هشام بن عامر فخوّفه عـاقبة الحـرب وقـال: ارفـق بـهم وسامحهم حتّى يأتي أمر عليّ فأبىٰ ونادىٰ عثمان في الناس وأمرهم بـلبس السلاح فاجتمعوا إلىٰ المسجد وأمرهم بالتجهيز وأراد عـثمان أن يـعرف مـا عند الناس فدسّ إليهم رجلاً خدعاً كوفياً قيسياً، فـقام فـقال: أيّـها النـاس إنّ هؤلاء القوم الذين جاءوكم إن كانوا جاءوكم خائفين فقد أتوا من بـلد يأمـن

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢٢٥ - ٢٢٦.

فيها الطير، وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته فأطيعوني وردّوهم من حيث جاءوا.

فقام الأسود بن سريع السعدي فقال: إنما أتوا يستعينون بنا على قتلة عثمان منّا ومن غيرنا فحصبه الناس، فعرف عثمان أن لهم بالبصرة ناصراً فكسره ذلك.

وأقبلت عائشة فيمن معها حتّى انتهوا إلىٰ المربد وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ووقفوا حتّى خرج عثمان فيمن معه وتكلّم طلحة: فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحلّ منه ودعا إلىٰ الطلب بدمه وحثّ عليه وكذلك الزبير، فقال أصحابهما: صدقا وبرّا وأمرا بالحقّ.

وقال أصحاب ابن حنيف: فجرا وغدرا وأمرا بالباطل، بايعا عليّاً ثم جاءوا يقولان ما يقولان وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا.

فخطبت عائشة وكانت جهورية الصوت، فحمدت الله وقالت: كان الناس يتجنّون علىٰ عثمان ويزرون علىٰ عمّاله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبرونا عنهم فننظر في ذلك فنجده برّاً تقيّاً وفيّاً ونجدهم فجرة غدرة كذبة فلمّا قووا كاثروه واقتحموا عليه داره واستحلّوا الدم الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر، إلّا ممّا ينبغي لا ينبغي لكم غيره أخذ قتلة عثمان وإقامة كتاب الله، وقرأتْ: **﴿ألم تر إلىٰ الذين أُتوا نصيباً من الكتاب﴾**[1]. الآية، فافترق أصحاب ابن حنيف فرقتين: فرقة قالت صدقت وبرّت، وقال آخرون: كذّبتم والله ما نعرف ما جئتم به فتحاثوا وتحاصبوا فلمّا

---

(١) آل عمران: ٢٣.

رأت عائشة ذلك انحدرت ومال بعض أصحاب ابن حنيف إلىٰ عائشة وبقي بعضهم معه[1].

قال الطبري وابن الأثير: وأقبل جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أُمّ المؤمنين واللهِ لقتلُ عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلام انه قدكان لك من الله سَتر وحرمة فهتكتِ سِترك وأبحتِ حرمك إنّه من رأى قتالك يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلىٰ منزلك وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس.

وخرج غلام من بني سعد إلىٰ طلحة والزبير فقال: أرى أُمّكما معكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا قال: فما أنا منكم في شيء، واعتزل، وقال في ذلك:

صنتم حلائلكم وقُدتم أُمّكم هذا لعمرك قلّة الإنصاف
أُمرت بجرّ ذيولها في بيتها فهوت تشق البيد بالإيجاف
غرضا يقاتل دونها أبناؤها بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها هذا المخبر عنهم والكافي

وأقبل حكيم بن جبلة العبدي وهو على الخيل فانشب القتال وأشرع أصحاب عائشة رماحهم وأمسكوا ليمسك حكيم وأصحابه فلم ينته وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ويقول:

طعنا دراكاً إنها قريش ليردبنها جبينها والطبش

واقتتلوا على فم السكة، وأشرف أهل الدور ممنّ كان له في واحد من الفريقين هوىً فرموا الآخرين بالحجارة.

وحجر الليل بينهم ورجع عثمان إلىٰ القصر، وأتى أصحاب عائشة إلىٰ

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٤٨٠ - ٤٨٢ بتفاوت يسير باللفظ.

ناحية دار الرزق وباتوا يتأهّبون، وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق وأصبح عثمان بن حنيف فناداهم وغدا حكيم بن جبلة فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً إلىٰ الزوال وكثر القتل في أصحاب ابن حنيف وكثر الجراح في الفريقين، فلمّا عضّتهم الحرب تنادوا إلىٰ الصلح وتوادعوا فكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلىٰ المدينة يسأل أهلها فإن كان طلحة والزبير أُكرها على البيعة خرج ابن حنيف عن البصرة وإلّا خرج عنها طلحة والزبير. وأرسلوا كعب بن سور إلىٰ المدينة يسألهم فلم يجبه أحد إلّا أُسامة بن زيد فقال: لم يبايعا إلّا وهما كارهان، فأمر به تمّام بن العبّاس فواثبه سهل بن حنيف والناس، وثار صهيب وأبو أيّوب الأنصاري في عدّة فيهم محمّد بن مسلمة حين خافوا أن يقتل أُسامة وأخذ صهيب أُسامة إلىٰ منزله ورجع كعب.

وبلغ عليّاً الخبر، فبادر بالكتاب إلىٰ عثمان يعجزه ويقول: «**والله ما أُكرها على فُرقة ولقد أُكرها على جماعة وفضل**[١]**، فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظروا**»، فقدم الكتاب علىٰ عثمان وقدم كعب بن سور فأرسلوا إلىٰ عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب وقال: هذا أمر آخر غير ما كنّا فيه، فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح وندى ومطر ثم قصد المسجد، فوافيا صلاة العشاء وكانوا يؤخّرونها فأبطا عثمان بن حنيف فقدّما عبد الرحمن بن عتّاب فشهر الزط[٢] والسبابجة[٣] السلاح ثمّ وضعوه

---

(١) يعني إن صح أنهما أُكرها فلم يُكرها على أمرٍ قبيح كالفرقة، حتى يتركا ما أكرها عليه ولو فرض الإكراه فهو على جماعة وفضل فليس لهما مخالفة ذلك وقد عرفت أنهما بايعا طائعين.

(٢) الزط: جنس من السودان والهنود.

(٣) السبابجة: بالبائين الموحدتين والجيم قال الجواهري: السبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن ـ المؤلّف ـ.

فيهم فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا السبابجة وهم أربعون رجلاً فادخلا الرجال على عثمان فأخرجوه إليهما فوطئوه بأقدامهم فأرسلوا إلى عائشة فقالت: اطلقوه وقيل: بل قالت: اقتلوه فقالت لها امرأة: نشدتك الله في عثمان وصحبته لرسول الله ، فقالت: احبسوه، وقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه ودخلوا القصر وأخرجوا منه الحرس الذين كانوا مع عثمان وكانوا يعتقبون حرس عثمان في كل يوم وفي كل ليلة أربعون[١].

قال الطبري فيما رواه: كتبت عائشة لمّا قدمت البصرة إلى زيد بن صوحان بالكوفة: من عائشة أُمّ المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعدُ فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذّل الناس عن عليّ.

فكتب إليها : من زيد بن صوحان إلى عائشة أمّا بعد فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ بيتك وإلّا فأنا أوّل من نابذك.

قال زيد بن صوحان: رحم الله أُمّ المؤمنين أُمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أُمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أُمرنا به ونهتنا عنه[٢].

وقيل في أخذ ابن حنيف غير هذا، وهو أنّه لمّا قدمت عائشة ومن معها البصرة قال لهم عثمان بن حنيف: ما نقمتم على صاحبكم؟ فقالوا: لم نره أولى بها منّا وقد صنع ما صنع. قال فإنّ الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٨٢ - ٤٨٥، الكامل في التاريخ ٣:٢١٣ - ٢١٦ وفيهما الكلام باختصار وتلخيص.
(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٩٢.

جئتم له على أن أُصلّي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عنه فكتب فلم يلبث إلّا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وأرادوا قتله ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه وأصبح طلحة والزبير بعد أخذ ابن حنيف وبيت المال والحرس في أيديهما فجعلوا على بيت المال عبدالرحمن بن أبي بكر والناس معهما ومن لم يكن معهما استتر.

وقام طلحة والزبير خطيبين فقالا: يا أهل البصرة توبة لحربة إنّما أردنا أن نستعتب أمير المؤمنين عثمان فغلب السفهاء الحلماء فقتلوه.

فقال الناس لطلحة: يا أبا محمّد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا، فقال الزبير: هل جاءكم منّي كتاب في شأنه؟ ثمّ ذكر قتل عثمان وأظهر عيب عليّ.

فقام إليه رجل من عبد القيس فقال: يا معشر المهاجرين أنتم أوّل من أجاب رسول الله ﷺ، فكان لكم بذلك فضل ثمّ دخل الناس في الإسلام كما دخلتم فلمّا توفّي رسول الله بايعتم رجلاً منكم فرضينا وسلّمنا ولم تستأمرونا في شيء ثم مات واستخلف عليكم رجلاً فلم تشاورونا فرضينا وسلّمنا فلمّا توفي جعل أمركم إلى ستّة فاخترتم عثمان عن غير مشورتنا، ثّم أنكرتم منه شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منّا، ثم بايعتم عليّاً عن مشورة منّا، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله؟ هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحقّ أو أتى شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه؟ فهّموا بقتل الرجل فمنعته عشيرته، فلمّا كان الغد وثبوا عليه وعلى من معه وقتلوا منهم سبعين.

وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس وتوجّه نحو دار الرزق وبها طعام يرتزقه الناس فأراد عبد الله بن الزبير أن

يرزقه أصحابه فقال عبد الله: ما لك يا حكيم؟ قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلّوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتّى يقدم عليّ والله لو أجد أعواناً عليكم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وأنّ دماءكم لنا لحلال بمن قتلتم من اخواننا؛ أما تخافون الله عزّ وجلّ؟! بِمَ تستحلّون سفك الدماء؟!

قال: بدم عثمان، قال: فالذين قتلتم قتلوا عثمان؟ ما تخافون مقت الله ؟ فقال له ابن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليّاً.

قال حكيم: اللهم إنّك حكم عدل فاشهد، وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء، ونادى أصحابَ عائشة: من لم يكن من قتلة عثمان فليكفف عنّا فإنّا لا نريد إلّا قتلة عثمان، فأنشب حكيم القتال ولم يرع للمنادي فاقتتلوا قتالاً شديداً ومع حكيم أربعة قوّاد فكان حكيم بحيال طلحة وذريح بحيال الزبير وابن المحرّش بحيال عبد الرحمن بن عتّاب وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلثمائة رجل وجعل حكيم يضرب السيف ويقول:

أضربهم باليابس ضرب غلام عابس
من الحياة آيس في الغرفات نافس

فضرب رجل ساق حكيم فقطعها فأخذ حكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه ثم حبا إليه فقتله واتّكأ عليه وقال:

يا فخذ[1] لا تراعي إن معي ذراعي
أحمي بها كراعي

(١) في المصدر (يا ساقي).

وقال:

أقــول لمّــا جــدّ بــي زمــاعي للــرجلِ يــا رجــلي لن تــراعــي

إنّ معي من نجدة ذراعي

وقال:

ليس عــلـيّ أن أمــوتَ عــار والعــار فــي النــاس هــو الفــرار

والمجد لا يفضحه الدمار

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر، فقال: ما لك يا حكيم؟ قال قُتلت قال: من قتلك؟ قال: وسادتي.

فاحتمله فضمّه في سبعين من أصحابه فتكلّم يومئذٍ حكيم وإنّه لقائم على رجل واحدة وإنّ السيوف لتأخذهم فما يتعتع ويقول:

إنّا خلّفنا هذين وقد بايعا عليّاً وأعطياه الطاعة ثمّ أقبلا مخالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفّان ففرّقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم إنّـهما لم يريدا عثمان. فقتل حكيم والسبعون الذين معه مـن عـبد القـيس وقـتل مـع حكيم ابنا الأشرف وأبو الرعل بن جبلة، واختلف في قاتل حكيم فقيل: قتله رجل من الحدان يقال له: ضخم وقيل: قتله يزيد بن الأسحم الحدانـي فـوجد حكيم قتيلاً بين يزيد بن الأسحم وأخيه كعب بن الأسحم وهما مقتولان. فلمّا قتل حكيم أرادوا قتل عثمان بن حنيف فقال لهـم إنّ أخـي سـهلاً والٍ عـلى المدينة فإن قتلتموني قتل مـنكم فأطـلقوه وقـتل ذريـح ومـن مـعه وأفـلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه فلجأوا إلىٰ قومهم، ثم صار حرقوص بعد ذلك من الخوارج وقتل يوم النهروان.

فنادى منادي طلحة والزبير: من كان فيهم أحد ممّن غزا المدينة فـليأتنا بهم فجيء بهم فقتلوا ولم ينج منهم إلّا حرقوص بن زهير فإنّ عشـريته بـني

سعد منعوه فمسّهم في ذلك أمر شديد وضربوا لهم فيه أجلاً وخشنوا صدور بني سعد مع أنّهم عثمانية، وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل بعد الوقعة ومن كان هرب إليهم إلىٰ ما هم عليه من لزوم طاعة عليّ، وأمر طلحة والزبير للناس بأعطياتهم وأرزاقهم وفضّلا أهل السمع والطاعة، فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول فبادروهم إلىٰ بيت المال وأكبّ عليهم الناس فأصابوا منهم وخرجوا حتّى نزلوا على طريق عليّ وكتب طلحة والزبير إلىٰ أهل الشام يخبرونهم بذلك ويحثّونهم على النهوض فكان ممّا كتبوا به: إنّا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله فبايعنا خيار أهل البصرة وخالفنا شرارهم، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أُمّ المؤمنين رهينة إن أمرتهم بالحقّ وحثّتهم عليه وإنّنا نناشدكم الله في أنفسكم إلّا نهضتم بمثل ما نهضنا به وكتبوا إلىٰ أهل الكوفة وأهل اليمامة وأهل المدينة. وكتبت عائشة إلىٰ أهل الكوفة تخبرهم بذلك وتأمرهم أن يثبّطوا الناس عن عليّ وتحثّهم على طلب قتلة عثمان، فممّا ذكرته في كتابها: أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه، قدمنا البصرة فدعوناهم إلىٰ إقامة كتاب الله فأجابنا الصالحون واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح، وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلّا قاتلوني حتى منعني الله عزّ وجلّ بالصالحين واحتجوا بأشياء فاصطلحنا عليها فخافوا وغدروا وخانوا وحشروا.

وكتبت إلىٰ رجال بأسمائهم : فثبّطوا الناس عن هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم فإنّ هؤلاء لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفّان وفرّقوا بين جماعة الأُمّة وخالفوا الكتاب والسنة حتى شهدوا علينا بالكفر، فأنكر ذلك الصالحون وقالوا: ما رضيتم أن قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيّكم إن أمرتكم بالحقّ لتقتلوها وأصحاب رسول الله وأئمة المسلمين، فكان

ذلك الدأب ستة وعشرين يوماً ندعوهم إلىٰ الحقّ فغدروا وخانوا فغادروني في الغلس ليقتلوني والذي يحاربهم غيري فلم يبرحوا حتّى بلغوا سدة بيتي فوجدوا نفراً على الباب فدارت عليهم الرحى.

وكتبت إلىٰ أهل اليمامة وأهل المدينة.

وكانت هذه الوقعة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين. وبايع أهل البصرة طلحة والزبير فقال الزبير: إلّا ألف فارس أسير بهم إلىٰ عليّ ثم أقتله بياتاً أو صباحاً قبل أن يصل إلينا فلم يجبه أحدٌ، فقال: إنّ هذه للفتنة التي كنا نحدّث عنها فقال له مولاه: أتسمّيها فتنة وتقاتل فيها[١].

وكان عليّ عليه السلام أرسل وهو بالربذة محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن جعفر إلىٰ الكوفة وكتب إليهم: «إنّي اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأُمّة إخواناً»[٢].

فقدما الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب عليّ وقاما في الناس بأمره فلم يُجابا إلىٰ شيء واستشار ناس من أهل الحجى أبا موسى فقال: القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا، فغضب محمّد ومحمّد وأغلظا لأبي موسى فلم ينجع فيه فانطلقا إلىٰ عليّ فأخبراه الخبر وهو بذي قار[٣].

ولّما نزل عليّ عليه السلام الثعلبيّة أتاه خبر عثمان بن حنيف فأخبر أصحابه وقال: «اللّهم عافني ممّا ابتلَيتَ به طلحة والزبير من قتل المسلمين». فلمّا انتهى إلىٰ الآساد أتاه خبر حكيم بن جبلة فقال:

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٨٦ - ٤٩٢، الكامل في التاريخ ٣:٢١٦ - ٢٢٠ وفيهما إختلاف باللفظ وتقديم وتأخير في الكلام.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٩٤، الكامل في التاريخ ٣: ٢٢٣.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٩٦ - ٤٩٧، الكامل في التاريخ ٣:٢٢٦ - ٢٢٧.

دعـــا حكـــيم دعـــوة الزمـــاع   حـــلّ بـــها مـــنزلة النـــزاع

فلمّا نزل بذي قار أتاه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعرة وقيل أتاه: بالربذة فقال: يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد فقال: «أصبت أجراً وخيراً»(١).

قال المفيد: ولمّا نزل بذي قار أخذ البيعة على من حضره وتكلّم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال:

«قد جرت أُمور صبرنا عليها في أعيننا القذىٰ تسليماً لأمر الله تعالى فيما امتحنّنا به ورجاء الثواب على ذلك وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرّق المسلمون وتسفك دماؤهم. نحن أهل بيت النبوّة وعترة الرسول وأحق الخلق بسلطان الرسالة ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأُمّة، وهذا طلحة والزبير وليسا من أهل النبوّة ولا من ذرّية الرّسول حين رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر لم يصبرا حولاً واحداً ولا شهراً كاملاً حتّى وثبا على دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّي ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي»(٢).

وأقام بذي قار ينتظر محمّداً ومحمّداً فأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق كما تقدّم فقال: «عبد القيس خير ربيعة وفي كلّ ربيعة خير» وقال:

يـــا لهـــف مـــا نـفسي عـلى ربـيعة   ربـــــيعة الســـامعة المـــطيعة

قـــد ســـبقتني فـــيهم الوقـــيعة   دعـــا عـــليّ دعـــوة ســـميعة

حلّوا بها المنزلة الرفيعة

وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لها: ما قال لطيء وأسد.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٩٦، الكامل في التاريخ ٣:٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) الإرشاد ١:٢٤٩.

ولمّا جاءه محمّد ومحمّد وأخبراه خبر أبي موسى بذي قار (قال للأشتر: أنت صاحبنا في أبي موسى إذهب أنت وابن عبّاس فاصلح ما أفسَدْتَ)، وكان الأشتر أشار بإبقاء أبي موسى لمّا أراد أمير المؤمنين عزله.

فأتيا الكوفة فكلّما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهلها فلم يكن من أبي موسى غير التثبيط، فقال في جملة كلامه: هذه فتنة صمّاء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب والراكب خير من الساعي فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنّة واقطعوا الأوتار حتى تنجلي هذه الفتنة. وكان يكرّر هذا الكلام ونحوه في كلّ مقام، فرجعا إلىٰ عليّ فأخبراه الخبر فأرسل ابنه الحسن وعمّار بن ياسر. وقيل: بل أرسلهما أوّلاً ثم أرسل الأشتر وابن عبّاس وهو الأقرب إلىٰ الاعتبار؛ فإنّ الحسن عليه السلام وعمّاراً شأنهما اللين والرفق والأشتر شأنه الشدّة، فلمّا لم يفد في أبي موسى الرفق استعملت الشدة وآخر الدواء الكيّ، فأقبل الحسن وعمّار حتى دخلا المسجد فلقيهما المسروق بن الأجدع فسلّم وأقبل علىٰ عمّار فقال: يا أبا اليقظان علامَ قتلتمُ عثمان؟ فجرى بينهما في ذلك حوار، وخرج أبو موسى فضم الحسن إليه وجعل يكلّم عمّاراً في قتل عثمان ويؤنبّه، فقال له الحسن: **«لم تثبّط الناس عنّا فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء»**.

فقال: صدقت بأبي أنت وأُمّي ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله يقول: ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله إخوانا وحرّم علينا دماءنا وأموالنا[١]

(١) الكامل في التاريخ ٣:٢٢٦ - ٢٢٨ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

وتلا في ذلك آيات.

قال الطبري: فغضب عمّار وساءه[١]. وقال ابن الأثير: وسبّه وقال: يا أيّها الناس إنمّا قال له خاصّة: «أنت فيها قاعداً خير منك قائماً»[٢].

أقول: العجب لأبي موسى يحتجّ بمثل هذا الذي لا حجة فيه ويغفل عن قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلىٰ أمر الله﴾[٣].

وقام رجل من بني تميم فقال لعمّار: اُسكُت أيّها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا. وثار زيد بن صوحان وطبقته، وثار الناس، ووقف زيد على باب المسجد ومعه كتابان من عائشة إليه وإلىٰ أهل الكوفة، وفيهما الأمر بملازمة بيوتهم أو نصرتها، فقرأهما على الناس وقال: اُمرت أن تقرّ في بيتها واُمرنا أن نقاتل حتّى لا تكون فتنة فأمرتنا بما اُمرت به وركبت ما أمرنا به.

فقال له شبث بن ربعي: يا عماني - لأنه من عبد القيس وهم يسكنون عُمان - وعابه وتهاوى الناس.

وقام أبو موسى يسكّن الناس ويثبّطهم عن الخروج إلىٰ عليّ عليه السلام بشتى الأفانين وبكلام طويل، فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال: يا عبد الله بن قيس ردّ الفرات على أدراجه أردده من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، فدع عنك ما لست مدركه ثمّ قرأ: ﴿آلم أحسب الناس أن يُتركوا﴾، إلىٰ آخر الآيتين، ثم قال سيروا إلىٰ أمير المؤمنين

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٩٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٣:٢٢٨.

(٣) الحجرات: ٩.

وسيد المسلمين وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق.

وقال عبد الخير الخيواني: يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير عليّاً؟ قال: نعم قال: هل أحدث عليّ ما يحلّ به نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال لا دريت، نحن نتركك حتّى تدري، هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة، إنّما الناس أربع فرق: عليّ بظهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعاوية بالشام وفرقة بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدوّ، قال أبو موسى: أُولئك خير الناس وهي فتنة، فقال عبد الخير: غلب عليك غشّك يا أبا موسى، وقال سيحان بن صوحان: أيّها الناس لا بدّ لهذا الأمر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعزّ المظلوم ويجمع الناس وهذا إليكم يعني أمير المؤمنين ﷺ يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الأُمّة الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه.

وقام الحسن بن عليّ فقال: «أيّها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا إلىٰ إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه والله لئن يليه أولو النهىٰ أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتُلينا به وابتُليتم وإنّ أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً وإنّي أذكّر الله رجلاً رعى حق الله إلّا نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني وإن كنت ظالماً أخذ منّي، والله إنّ طلحة والزبير لأوّل من بايعني وأوّل من غدر، فهل استأثرتُ بمالٍ أو بدّلتُ حُكماً؟ فانفروا، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر»، فسامح الناس وأجابوا.

وأتى قوم من طيء عديَّ بن حاتم فقالوا: ماذا ترى وما تأمر؟ فقال: قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا إلىٰ جميل وإلىٰ هـذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون ، فقام هند بن عمرو فقال: إنّ أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا إلىٰ قوله وانتهوا إلىٰ أمره

وانفروا إلىٰ أميركم فانظروا معه في هذا الأمر وأعينوه برأيكم. وقام حجر بن عديّ فقال: أيّها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً مروا وأنا أوّلكم، فأذعن الناس للمسير(١).

وعلى الرواية الأُخرى: إنّ أمير المؤمنين أرسل الأشتر بعد ابنه الحسن وعمّار إلىٰ الكوفة فدخلها والناس في المسجد وأبو موسى يخطبهم ويثبّطهم والحسن وعمّار معه في منازعة وكذلك سائر الناس كما مرّ، والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أُمّ لك وتنحَّ عن منبرنا، فجعل الأشتر لا يمرّ بقبيلة فيها جماعة إلّا دعاهم وقال: أتبعوني إلىٰ القصر فانتهى الى القصر في جماعة من الناس فدخله وأخرج غلمان أبي موسى منه فخرجوا يعدون وينادون: يا أبا موسى هذا الأشتر قد دخل إلىٰ القصر فضربَنا وأخرَجنا فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الأشتر أُخرج لا أُمّ لك اخرج الله نفسك فواللهِ إنّك لمن المنافقين قديماً. ذكره الطبري فقال: أجّلني هذه العشية فقال: هي لك ولا تبيتنّ في القصر الليلة، ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى فمنعهم الأشتر وقال: أنا له جار فكفّوا(٢).

وقال الحسن: أيّها الناس إنّي غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء في الماء، فنفر معه تسعة آلاف أخذ في البر ستة آلاف ومائتان وأخذ في الماء ألفان وثمانمئة(٣)، وقيل: إنّ عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل(٤) ويمكن كون الذين ساروا مع الحسن هم المذكورون

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٤٩٨ - ٥٠٠، الكامل في التاريخ ٣:٢٢٨ - ٢٣١. وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٠١ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٣) المصدر السابق ٣:٥٠٠.

(٤) الكامل في التاريخ ٣:٢٣١.

والباقون ساروا بعد ذلك.

روى الطبري في حديثه قال: حدّثني عمر حدثنا أبو الحسن حدّثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبي عن أبي الطفيل قال عليّ: «يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل» فقعدت على نجفة ذي قار فأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً[١].

وروى الطبري قال: لمّا التقوا بذي قار تلقّاهم عليّ في أُناس فيهم ابن عبّاس فرحّب بهم وقال: «يا أهل الكوفة أنتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم فمنعتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدّوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك الذي[٢] نريد وإن يلجّوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بظلم، ولم ندَع أمراً فيه صلاح إلّا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله»[٣].

وفي إرشاد المفيد: روى عبد الحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال: لمّا التقى أهل الكوفة أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار رحّبوا به ثم قالوا: الحمد لله الذي خصّنا بجوارك وأكرمنا بنصرك.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أهل الكوفة إنكّم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويماً وأعدلهم سنّة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب مُرَكّباً[٤] ونصاباً أنتم أشدّ العرب ودّاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته وإنّما جئتكم ثقة بعد الله بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥١٣.
(٢) في المصدر (ما).
(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٠٢.
(٤) المركب: الأصل والمنبت (الصحاح ١:١٣٩) مادة ركب.

وإقبالهما بعائشة للفتنة وإخراجهما إيّاها من بيتها حتى أقدماها البصرة فاستغووا طغامها وغوغاءها مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنعا».

فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك علىٰ عدوّك ولو دعوتنا إلىٰ أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه فدعا لهم أمير المؤمنين وأثنى عليهم.

ثّم قال: **«لقد علمتم معاشر المسلمين إنّ طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين راغبين ثم استأذناني في العمرة فأذنت لهما فسارا إلىٰ البصرة فقتلا المسلمين وفعلا المنكر. اللّهم إنّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألّبا الناسَ عليَّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم ما أبرما وأرهما المساءة فيما عملا»**[١]...الخ.

واجتمعوا عنده بذي قار، وعبد القيس بأسرها في الطريق بين عليّ والبصرة ينتظرونه وهم اُلوف وكان رؤساء الكوفيين: القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب وزيد بن صوحان والأشتر وعدي بن حاتم والمسيّب بن نجبة ويزيد بن قيس وحجر بن عدي[٢] وأمثالهم.

قال ابن الأثير: سأل عليّ جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره بدقيق أمرهما وجليله وقال له: أمّا الزبير فيقول: بايعنا كُرهاً وأمّا طلحة فيتمثل الأشعار ويقول:

ألا أبلغ بني بكر رسولا   فليس إلىٰ بني كعب سبيل

---

(١) الإرشاد: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٠٢.

سيرجع ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضول

فتمثّل عليّ عندها:

ألم تعلم أبا سمعان أنا نردّ الشيخ مثلك ذا صداع[١]
ويذهل عقله بالحرب حتّى يقوم فيستجيب لغير داعِ
فدافع عن خزاعة جمعُ بكر وما بك يا سراقة من دفاعِ[٢]

وسار عليّ عليه السلام من ذي قار ومعه الناس حتى نزل على عبدالقيس فانضمّوا إليه، وسار من هناك فنزل الزاوية، وسار من الزاوية يريد البصرة، وسار طلحة والزبير وعائشة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زايد، فلمّا نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلىٰ عمرو بن مرجوم العبدي أن اخرج فإذا خرجت فمِل بنا إلىٰ عسكر عليّ، فخرجا في عبد القيس وبكر بن وائل فعدلوا إلىٰ عسكر عليّ وأقاموا ثلاثة أيّام، لم يكن بينهم قتال، فكان يرسل عليّ إليهم يكلّمهم ويدعوهم، وكان نزولهم في النصف من جمادىٰ الآخرة سنة ٣٦ يوم الخميس قاله الطبري[٣] وابن الأثير[٤].

وفي مروج الذهب: وكان مسير عليّ إلىٰ البصرة سنة ٣٦ وفيها كانت وقعة الجمل وذلك في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأُولىٰ منها[٥]...الخ.

وظاهر الطبري وابن الأثير أنّ وصوله كان بذلك التاريخ، وظاهر

(١) في المصدر (الصداعُ).
(٢) الكامل في التاريخ ٣:٢٣٦.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ٣:٥١٣ - ٥١٤.
(٤) الكامل في التاريخ ٣:٢٣٦.
(٥) مروج الذهب ٢:٣٥١.

المسعودي أنّ الوقعة كانت قبل ذلك التاريخ بخمسة أيّام.

وخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمّرين قد منعوا حرقوص بن زهير وهم معتزلون قال ابن الأثير: وكان الأحنف قد بايع عليّاً بالمدينة بعد قتل عثمان لأنّه كان قد حجّ وعاد من الحج، فبايعه، فقال لأمير المؤمنين: اختر منّي واحدة من اثنتين إمّا أن أُقاتل معك وإمّا أن أكفّ عنك عشرة آلاف سيف؟ قال: بل اكفف عنّا عشرة آلاف سيف، فاعتزل، فلمّا كان القتال فظفر عليّ دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين(١).

وروى الطبري قال: كانت ربيعة مع عليّ يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ونصف الناس يوم الوقعة، وكانت تعبيتهم مضر ومضر وربيعة وربيعة واليمن واليمن(٢).

كان عسكر عائشة ثلاثين ألفاً وعسكر عليّ عليه السلام عشرين ألفاً وافترق أهل البصرة ثلاث فرق فرقة مع عليّ وفرقة مع عائشة وفرقة اعتزلوا(٣).

قال المفيد في الإرشاد: من كلامه عليه السلام حين دخل البصرة جمع أصحابه فحرضهم على الجهاد وكان ممّا قال: «**عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم منشرحة صدوركم بقتالهم فانهم نكثوا بيعتي واخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السبابجة قتلوا حكيم بن جبلة العبدي وقتلوا رجالاً صالحين ثم تتبعوا منهم من يحبني يأخذونهم في كل حائط تحت كل رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبراً ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون انهدوا اليهم وكونوا أشداء عليهم وألقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم وقد وطنتم أنفسكم على الطعن**

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣: ٥٣٤ - ٥٣٥.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٢٤١ - ٢٤٢.

والضرب ومبارزة الأقرن وأي امريءٍ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذبّ عن أخيه الذي فضل عليه كما يذبّ عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله»[١].

وخطب عليه السلام لما تواقف الجمعان فقال: لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم[٢] حجة أُخرى إذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، إذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل وإذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمنَ أعراضكم وسببنَ أُمراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القول[٣] والأنفس والعقول لقد كنا نؤمَر بالكف عنهن وأنهنّ لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المراة بالهراوة والجريدة فيُعبّر بها وعقبه من بعده[٤].

روى الحاكم في المستدرك أيضاً أنّ عائشة كانت خطيبة القوم[٥] وهم لها تبع[٦].

فلمّا تراءي الجمعان خرج الزبير على فرس عليه السلاح فقيل لعليّ: هذا الزبير فقال: «أما إنه أحرى الرجلين إن ذُكّر بالله أن يذكر» وخرج طلحة فخرج إليهما عليّ فدنا منهما حتى اختلفت اعناق دوابهم فقال عليّ: «لعمري لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً﴾[٧] ألم أكن أخاكما في دينكما تُحرّمان دمي وأُحرّم

(١) الإرشاد ٢٥٢:١ - ٢٥٣ بتفاوت يسير باللفظ.
(٢) في المصدر (يبدؤكم).
(٣) في مصدر (القوى).
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٨:٦.
(٥) في المصدر (بها وهم).
(٦) المستدرك للحاكم ١١٨:٣ .
(٧) النحل: ٩٢.

دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي، قال طلحة: ألّبت الناس علىٰ عثمان، قال عليّ: ﴿يومئذ يُوفّيهم الله دينهم الحقّ ويعلمون ان الله هو الحقّ المبين﴾[١]، يا طلحة تطلب بدم عثمان ؟ فلعن الله قتلة عثمان يا طلحة أجئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وآله تقاتل بها وخبّأت عرسك! أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف علىٰ عنقي[٢].

قال الطبري: وقال عليّ للزبير: أتطلب منّي دم عثمان وأنت قتلته؟! سلّط الله على أشدّنا عليه اليوم ما يكره، يا زبير: أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليّ فضحك وضحكت إليه فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك: صه إنّه ليس به زهو ولتقاتلنّه وأنت له ظالم». فقال: اللهم نعم ولو ذكرت ما سرتُ مسيري هذا والله لا أُقاتلك أبداً.

فانصرف عليّ إلىٰ أصحابه فقال: أمّا الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم. ورجع الزبير إلىٰ عائشة فقال لها: ماكنت في موطن منذ عقلت إلّا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا، قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أُريد أن أدعهم وأذهب، فقال له ابنه عبد الله: جمعت بين هذين العسكرين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب، لكنّك خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنّها تحملها فتية أنجاد وإن تحتها الموت الأحمر فجبنت، فاحفظه ذلك، وقال: إنّي حلفت أن لا أُقاتله، قال: كفّر عن يمينك وقاتله، فاعتق غلامه مكحولاً فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي:

لم أر كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفّر الأيمان
بالعتق في معصية الرحمٰن

(١) النور: ٢٥.
(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٩.

وقال رجل من شعرائهم:

يـــعتق مكـــحولاً لصـــون ديـــنه كــــــفّارة لله عـــــن يـــمينه
والنكث قد لاح على جبينه[١]

وفي رواية: أنّ الزبير أنصل سنان رمحه وحمل علىٰ عسكر عليّ برمحٍ لا سنان له فقال عليّ: افرجوا له فإنّه محرج ثمّ عاد إلىٰ أصحابه ثمّ حمل ثانيةً ثمّ ثالثة ثم قال لابنه: أجبناً ويلك ترى؟ فقال: لقد أعذرت وقال الزبير:

نــادى عــليّ بأمــر لست أُنكــره وكان عـمر أبـيك الخـير مـذ حـين
فقلت حسبك مـن عـذلٍ أبـا حسـن بعض الذي قلت منذ اليوم يكـفيني
تــرك الأُمـور التـي تـخشى مـغبّتها لله أمـثل فــي الدنـيا وفـي الديـن
فــاخترت عــاراً عـلى نـار مـؤجّجة أنّىٰ يقوم لهـا خـلق مـن الطـين[٢].

مقتل الزبير

فترك الزبير الحرب ولم يحارب مع عـليّ وتـوجّه مـن فـوره إلىٰ وادي السباع قاصداً المدينة ومعه غلام له يدعى عطية، والأحنف بن قـيس هـناك معتزل في جمع من بني تميم، فقال الأحنف : جمع الزبير بين عسكرين من المسلمين حتّى إذا ضرب بعضهم بعضاً لحقَ ببيته وقال: من يأتـينا بـخبره؟ فقال عمر بن جرموز: أنا ، فأتبعه وكان فاتكاً فلمّا نظر إليـه الزبـير قـال: مـا وراءك؟ قال: إنّما أُريد أن أسألك، فقال غلام الزبير: إنّه معد، فقال: ما يهولك من رجل، وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز: الصلاة، فقال الزبـير: الصـلاة،

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥١٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٣٤.

فنزلا واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه فقتله، وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وخلّى عن الغلام فدفنه بوادي السباع، ورجع إلى الناس بالخبر.

فأما الأحنف فقال: والله ما أدري أحسنت أم أسأت. ثمّ انحدر إلى عليّ وابن جرموز معه وقيل: ذهب ابن جرموز إلى عليّ وحده فدخل عليه فأخبره فدعا بالسيف فهزّه فقال: سيف طالما كشف به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي رواية أنّه قال له: أنت قتلته؟ قال نعم، قال: **والله ما كان ابن صفية جباناً ولا لئيماً ولكن الحين ومصارع السوء**، فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين، فقال: **أما إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: بشرّ قاتل ابن صفيّة بالنار**، ثمّ خرج ابن جرموز على عليّ عليه السلام مع أهل النهر فقتله معهم فيمن قُتل) ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج[1].

وروى أبو مخنف أنّه لمّا تزاحف الناس يوم الجمل قال عليّ عليه السلام لأصحابه: **لا يرمينّ رجل منكم بسهم ولا يطعنن أحدكم فيهم برمح حتى يبدؤوكم بالقتال وبالقتل**، فرمى أصحاب الجمل عسكر عليّ عليه السلام بالنبل رمياً شديداً متتابعاً فضج إليه أصحابه وقالوا: عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين، وجيء إليه برجل فقيل له: هذا فلان قد قُتل، فقال: **اللّهم اشهد**، ثم قال: **اعذروا إلى القوم** فأتي برجل آخر فقيل: وهذا قد قُتل فقال: **اللهم اشهد، اعذروا إلى القوم**، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل أخاه عبد الرّحمن قد أصابه سهم فقتله فقال: يا أمير المؤمنين هذا أخي قد قُتل، فاسترجع عليّ عليه السلام ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول فلبسها فتدلّت على بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله فحزم وسطه بعمامة وتقلّد ذا الفقار، ودفع إلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٣٥ - ٢٣٦ مع تفاوت يسير باللفظ.

ابنه محمّد راية رسول الله السوداء وتعرف بالعقاب، وقال لحسن وحسين عليهما السلام: إنّما دفعت الراية إلىٰ أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: وطاف عليّ على أصحابه وهو يقرأ ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾[1].

ثم قال: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعزّ لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهيرا في كلّ أمر.

ثم رفع مصحفاً بيده فقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلىٰ ما فيه وله الجنة؟

فقام غلام شاب اسمه مسلم، عليه قباء أبيض فقال: أنا آخذه، فنظر إليه عليّ وقال: يا فتى إنْ أخذته فإنّ يدك اليمنىٰ تُقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تُقتل.

فقال الغلام: لا صبر لي على ذلك، فنادى عليّ ثانية فقام الغلام وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مراراً حتّى قال الغلام: أنا آخذه وهذا الذي ذكرت في الله قليل، فأخذه وانطلق فلمّا خالطهم ناداهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه أُخرى فقطع اليسرى فاحتضنه وضربوه بأسيافهم حتّى قُتل فقالت أُم ذريح العبدية في ذلك:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم بمصحف أرسله مولاهم
للعدل والإيمان قد دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

(١) البقرة:٢١٤.

فــخضّبوا مـــن دمـــه ظـباهم   وأُمّـــــهم واقـــفة تـــراهـــم
تأمرهم بالغيّ لا تنهاهم

فعند ذلك أمر عليّ عليه السلام ولده محمّداً أن يحمل بالراية فحمل وحمل معه الناس واستحر القتل في الفريقين وقامت الحرب على ساق[1].

وروى الطبري في تاريخه هذه القصة بما يخالف ذلك بعض المخالفة فقال: (أخذ عليّ مصحفاً يوم الجمل فطاف به في أصحابه وقال: **من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلىٰ ما فيه وهو مقتول؟** فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشوّ اسمه مسلم بن عبد الله فقال: أنا، فأعرض عنه ثم أعاده ثانياً، فقال الفتى: أنا، فاعرض عنه ثم أعاده الثالثة، فقال: أنا ، فدفعه إليه فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدره)، وفي رواية بأسنانه[2] (والدماء تسيل على قبائه فقُتل ، فكان أوّل قتيل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة ، فقال عليّ: **الآن حلّ قتالهم**، فقالت أُمّ الفتى ترثيه:

لا هــــــمّ إنّ مســـلماً دعـــاهم   يــتلوكـــتاب الله لا يـــخشاهم
فرمّلوه[3] رملت لحاهم)[4]

وفي رواية أُخرى للطبري:

لا هــــــمّ إنّ مســـلماً أتـــاهم   مســـتسلماً للـــموت إذ دعـــاهم

---

(١) وقعة الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ١٦٣ - ١٦٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩:١١١ - ١١٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٢٠ .

(٣) في المصدر (قد خضبت من علق لحاهم).

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٢١ ـ ٥٢٢ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

إلىٰ كـــتاب الله لا يـــخشاهم فـــــرمّلوه مــــن دمٍ إذ جـــاهم
وأُمّـــــهم قـــائمة تـــراهـــم يأتـــمرون الغـــيّ لا تـنهاهم[(١)]

واقتتل الناس وركبت عائشة الجمل المسمّى عسكراً ،الذي كـان اشـتراه لها يعلى بن منبّه في مكة بمائتي دينار وألبسوا هودجها الرفرف وهو البسط، ثم اُلبس جلود النمر ثم اُلبس فوق ذلك دروع الحديد، وكان الجمل لواء أهل البصرة لم يكن لهم لواء غيره .

وخطبت عائشة والناس قد أخذوا مصافّهم للحرب فقالت: أمّا بعد فإنّا كنّا نقمنا علىٰ عثمان ضرب السوط وإمرة الفتيان ومـوقع السـحابة المـحميّة ألا وإنّكم استعتبتموه فأعتبكم فلمّا مصتموه[(٢)]كما يُماص الثـوب الرحـيض[(٣)] عدوتم عليه فارتكبتم مـنه دماً حـراماً، وأيـم الله إن كـان لأحـصنكم فـرجـاً وأتقاكم لله[(٤)].

وأخذ كعب بن سور وهو قاضي البصرة بخطام الجـمل وجـعل يـرتجز ويقول:

يـــا أُمّـــنا عـــائش لا تُـــراعـــي كـــلّ بـــنيك بـــطل المـــصاع
يـــنعى ابـــن عـــفان إليكِ نـــاعي كـــعب بـــن ســـور كـاشف القناع
فـــارضي بـــنصر الســـيد المـــطاع والأزد فـــيهم كـــرم الطـــباع[(٥)]

وكان أخذ مصحف عائشة فبدر به بين الصفين يناشدهم الله في دمـائهم

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٣٥ - ٥٣٦ .

(٢) الموص: الغسل بالأصابع يقال: مُصه أموصُه مَوصاً. (النهاية لابن الأثير ٣٧٢:٤ (مادة موص).

(٣) الرَّحيضُ: المغْسُول. النهاية لابن الأثير ٢٠٨:٢ (مادة رحض).

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٢٧:٦.

(٥) الجمل للمفيد: ٣٤٨ - ٣٤٩ ولم يذكر باقي أبيات الرجز، ذكر هذه الأبيات ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢٥٥:١ وقال من الرجز المشهور يوم الجمل ما قاله أهل البصرة.

فرشقوه رشقاً واحداً فقتلوه[١] وكان في الجاهلية نصرانياً[٢] وكان أوّل قتيل بين يدي عائشة من أهل البصرة والكوفة.

واقتتلوا إلىٰ صدر النهار وقيل إلىٰ الزوال ثم انهزم عسكر عائشة[٣].

قال الطبري: ضرب محمّد بن الحنفيّة يد رجل من الأزد فقطعها فنادى: يا معشر الأزد! فرّوا، واستحر القتل في الأزد فنادوا: نحن على دين عليّ بن أبي طالب[٤].

وأقبل المنهزمون يريدون البصرة فلمّا رأوا الخيل أطافت بالجمل عادوا إلىٰ الحرب وكان القتال في صدر النهار مع طلحة والزبير وفي وسطه مع عائشة أكثرهم ضبة والأزد[٥].

مقتل طلحة

أمّا طلحة فجاءه سهم غرب ـ لا يُدرى راميه ـ عند هزيمة الناس فشكّ رجله بصفحة الفرس، وفي رواية: فخل ركبته[٦] بالسرج وهو ينادي: إليّ إليّ عباد الله، الصبر الصبر ، فقال له القعقاع بن عمرو: يا أبا محمّد إنّك لجريح وإنّك عمّا تريد لفي شغل ، فادخل البيوت فدخل ودمه يسيل وهو يقول: اللّهم خذ لعثمان منّي حتى ترضى» وفي رواية: اعط عثمان منّي حتى

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٣٥ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٢٤١ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٢٢ .

(٤) المصدر السابق ٣: ٥٢٢ .

(٥) المصدر السابق ٣: ٥٢٢ و ٥٢٣ .

(٦) المصدر السابق ٣: ٥١٩ .

يرضى[١]. فلمّا امتلأ خفّه دماً وثقل قال لغلامه اردفني وامسكني وابلغني مكاناً أنزل فيه لا أُعرف فيه فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً منّي[٢]. فدخل البصرة فأنزله في دار خربة فمات فيها.

قال ابن الأثير: وكان الذي رمى طلحة مروان بن الحكم وقيل غيره...الخ. وكان ذلك منه أخذاً بثأر عثمان. ولمّا قضى دُفن في بني سعد.

وقال الطبري: إنّه لمّا دخل البصرة تمثّل مثله ومثل الزبير:

فإن تكن الحوادث أقصدتني ... وأخطأهنّ سهمي حين أرمي
فقد ضيّعت حين تبعت سهماً ... سفاهة ما سفهت وضلّ حلمي
ندمت ندامة الكُسعَي لما ... شريت رضا بني سهم برغمي
أطعتهم بفرقة آل لأي ... فالقوا للسباع دمي ولحمي[٣]

وحرّضت عائشة الناس فحملت مضر البصرة حتى ردّت مضر الكوفة، وكانت راية عليّ عليه السلام يوم الجمل مع ولده محمّد بن الحنفية فنخس قفاه وقال له: أحمل فتقدم حتى لم يجد متقدّما إلّا على سنان رمح فقال: تقدّم لا أُمّ لك فتلكّأ فتناول الراية من يده وقال: **يا بني بين يدي**[٤].

وفي رواية ابن أبي الحديد: إنّه دفع إليه الراية يوم الجمل وقد استوت الصفوف. وقال له «**احمل**» فتوقف قليلاً فقال له: «**احمل**» فقال: يا أمير المؤمنين : أما ترى السهام كأنّها شآبيب المطر؟! فدفع في صدره وقال: «**أدركك عرق من أُمّك**» ثمّ أخذ الراية فهزّها ثم قال:

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٣٤.
(٢) الكامل في التاريخ ٣:٢٤٣ - ٢٤٤.
(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤:٥٠٨.
(٤) الكامل في التاريخ ٣:٢٤٥.

اطـــعن بـــها طـــعن أبـــيك تـــحمد لا خـــير فـــي الحـــرب إذا لم تـــوقد
بالمشرفي والقنا المسدَّد

ثمّ حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة.

قيل لمحمد: لِمَ يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين؟! فقال: «إنّهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه»(١).

ثمّ دفع الراية إلىٰ محمّد وقال: **أمح الأولىٰ بالأخرى وهذه الأنصار معك**، وضمّ إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين في جمع من الأنصار كثير من أهل بدر، وحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسناً، فقال خزيمة بن ثابت،لعليّ عليه السلام: أما إنّه لوكان غير محمّد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن(٢) وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه وإن كنت أردت أن تعلّمه الطعان فطالما علّمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين! لو لا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين ما قدّمنا على محمّد أحداً من العرب فقال عليّ عليه السلام «**أين النجم من الشمس والقمر أما إنّه قد أغنى وأبلى وله فضله**، فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمّد ما في عودك اليوم وصمة ولاكنت في الحرب الضروس معودا(٣)
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله عليّ وسمّاك النّبي محمّدا
فلوكان حقّاً من أبيك خليفة لكنت ولكن ذاك ما لا يرى أبدا
وأنت بحمد الله أطول غالبٍ لساناً وأنداها بما ملكت يدا
وأطعنهم صدر الكمي برمحه وأكساهم للهام عضباً مهنّدا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٤٣ - ٢٤٤.
(٢) في المصدر (الحين).
(٣) في الصمدر (معردا).

سوى أخويك السيدين كلاهما إمام الورى والداعيان إلىٰ الهدى
أبىٰ الله أن يعطي عدوّك مقعدا من الأرض أو في اللوح مرقى ومصعدا[١]

وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدّام الجمل ومع عليّ قوم من غير مضر منهم زيد بن صوحان، طلبوا ذلك منه فقال لزيد رجل من قومه : تنحّ إلىٰ قومك، مالك ولهذا الموقف؟! ألست تعلم أنّ مضراً بحيالك والجمل بين يديك وإنّ الموت دونه، فقال: الموت خير من الحياة ، الموت أريد ، فأُصيب هو وأخوه سيحان وارتث أخوهما صعصعة واشتدّت الحرب، فلمّا رأى ذلك عليّ بعث إلىٰ اليمن وإلىٰ ربيعة أن اجتمعوا على من يليكم[٢].

قال القعقاع: لقد رأيتنا يوم الجمل ندافعهم بأسنّتنا ونتكئ على ازجّتنا وهم مثل ذلك حتى لو أنّ الرجال مشت عليها لاستقلّت بهم.

وقال آخر: لمّا كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنّا بالرماح حتى تشبّكت في صدورنا وصدورهم ، ثمّ قال عليّ: **السيوف يا أبناء المهاجرين فما شُبهت أصواتها إلّا بصوت القاصرين**[٣]، وتزاحفت الناس وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم ، وربيعة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم، ونهد عليّ بمضر الكوفة إلىٰ مضر البصرة وقال: **إنّ الموت ليس منه فوت يدرك الهارب ولا يترك المقيم**[٤] وهذه من الكلمات الجليلة الخالدة.

ثمّ عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم خمسة عشر من همدان وخمسة من سائر اليمن فلمّا رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت في يده.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٥١٤، الكامل في التاريخ ٣:٢٤٥.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٣٨ . الكامل في التاريخ ٣:٢٥٩.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٢٤ .

وقال ابن أبي نمران الهمداني من أصحاب عليّ عليه السلام وهو يقاتل:

جرّدتُ سيفي في رجال الأزد أضرب في كهولهم والمرد
كلَّ طويل الساعدين نهد

ورجعت ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل على رايتهم اثنان واشتدّ الأمر فلمّا رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا: طرّفوا إذا فرغ الصبر، فجعلوا يقصدون الأطراف: الأيدي والأرجل، فما رُئي وقعة كانت أعظم منها قبلها ولا بعدها ولا أكثر ذراعاً مقطوعة وكان الرجل منهم إذا أُصيب شيء من أطرافه استقتل إلىٰ أن يقتل.

ونظرت عائشة من على يسارها فقالت: من القوم؟

قال صبرة بن شيمان: بنوك الأزد، فقالت يا آل غسّان حافظوا اليوم فجلادكم الذي كنّا نسمع به وتمثّلت:

وجالد من غسان أهل حفاظها وكعب وأوس جالدت وشبيب

فكان الأزد يأخذون بعر الجمل يشمونه ويقولون: بعر جمل أُمّنا ريحه ريح المسك.

وقالت لمن عن يمينها: من القوم؟ قالوا: بكر بن وائل، قالت: لكم يقول القائل:

وجاءوا إلينا في الحديد كأنّهم من الغرّة القعساء بكر بن وائل

إنّما بإزائكم عبد القيس، تحرّضهم بذلك لأنّ عبد القيس معروفون بولاء عليّ عليه السلام فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك، وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت: من القوم؟ قالوا: بنو ناجية، قالت: بخ بخ سيوف أبطحية قرشية فجالدوا جلاداً يتفادى منه - وفي رواية ـ: إنّها قالت: صبرا يا بني ناجية فإنّي

أعزف فيكم شمائل قريش[1].

وبنو ناجية مطعون في نسبهم فقُتلوا حولها جميعاً، ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت: ويهاً جمرة الجمرات فلمّا رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت: من أنتم ؟ قالوا بنو عدي خالطنا إخواننا فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديداً، وكره القوم بعضهم بعضاً وأنضمّت مجنبتا عليّ فصاروا في القلب وكذلك فعل أهل البصرة وتلاقوا جميعاً بقلبيهم.

وقال أصحاب عليّ عليه السلام: لا يزال القوم أو يصرع الجمل ، وأخذ عميرة بن يثري برأس الجمل وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور ، فشهد الجمل هو وأخوه عبد الله قال عليّ عليه السلام: **من يحمل على الجمل؟** فانتدب له هند بن عمرو الجملي المرادي، وكان خطام الجمل مع ابن يثري، فدفعه إلىٰ ابنه واعترض هنداً فاختلفا ضربتين فقتله ابن يثري ثم حمل علباء بن الهيثم السدوسي فاعترضه ابن يثري فقتله[2] ثم دعا إلىٰ البراز فقال زيد بن صوحان العبدي: يا أمير المؤمنين : إنّي رأيت يداً أشرفت عليّ من السماء وهي تقول: هلم إلينا وأنا خارج إلىٰ ابن يثري فاذا قتلني فادفنّي بدمي ولا تغسّلني فإنّي مخاصم عند ربي، ثمّ خرج فقتله ابن يثري وقتل سيحان بن صوحان وارتث[3] صعصعة، ثمّ رجع إلىٰ خطام الجمل وجعل يرتجز ويقول:

أرديت علباء وهنداً في طلق ثمّ ابن صوحان خضيباً في علق
قد سبق اليوم لنا ما قد سبق والوتر منّا في عدّي ذي الفرق
والأشتر الغاوي وعمرو بن الحمق والفارس المعلم في الحرب الحنق

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٦٥.
(٢) الكامل في التاريخ ٣:٢٤٦ - ٢٤٨ وفيه تفاوت يسير باللفظ.
(٣) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وبه رمق.

أعـــني عــــليّاً ليـته فـينا مـرق ذاك الذي في الحادثات لم يـطق[١].

وقال ابن يثري[٢]:

أنـا لمـن يـنكرني ابـن يُـثري قـاتل عـلباء وهـند الجـملي

وابن لصوحان على دين عليّ

وقال أيضاً:

أضـربهم ولا أرى أبـا حسـن كـفى بـهذا حـزناً مـن الحـزن

إنّا نمرّ الأمر إمرار الرسن

فبرز إليه عمّار وهو ابن تسعين سنة أو أكثر وعليه فرو، قد شدّ وسطه بحبل ليف، وهو أضعف من بارزه فاسترجع الناس وقالوا: هذا لاحق بأصحابه.

فترك الزمام في يد رجل من بني عدي اسمه عمرو بن بجرة وضرب عمّاراً فاتقاه بدرقته فنشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج، وضربه عمّار على رجليه فقطعهما فوقع على اُسته واُخذ أسيراً فأُتي به الى عليّ، فقال: استبقِني، فقال: أبعد ثلاثة تقتلهم؟ وأمر به فقتل ، وقيل: إنّ المقتول عمرو بن يثري وإنّ عميرة بقى حيّاً حتى ولي قضاء البصرة مع معاوية[٣].

أقول: اختلف كلام المؤرّخين في هذا المقام كثيراً، فابن الأثير[٤] ذكر كما مرّ، والطبري[٥] نسب ما مرّ عن ابن الأثير والرجز الأوّل إلىٰ ابن يثري

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١:٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) في الصمدر (يثربي).

(٣) الكامل في التاريخ ١:٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق ١:٢٤٨ .

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٢٦ .

من دون أن يسمّيه ثمّ قال: وقتل يومئذٍ عمرو بن يثري علباء بن الهيثم السدوسي وهند بن عمرو الجملي وزيد بن صوحان وهو يرتجز ويقول: أضربهم ولا أرى أبا حسن، الرجز المتقدم .

قال: وعرض عمّار لعمرو بن يثري وذكر نحواً ممّا مرّ إلىٰ قوله: فنشب سيفه فيها، ثمّ قال: ورماه الناس حتّى صرع وهو يقول :

إن تقتلوني فأنا ابن يثري   قاتل علباء وهند الجملي
ثمّ ابن صوحان على دين عليّ

وأخذ أسيرا[١] إلىٰ آخر ما مرّ.

وقال بعضهم: إنّ عمرو بن يثري كان فارس أهل الجمل وشجاعهم[٢] فلمّا برز قال للأزد: إنّي قد وترت القوم وهم قاتلي ولست أخشى أن أُقتل حتى أُصرع فإن صُرعت فاستنقذوني، فقالوا ما نخاف عليك إلّا الأشتر قال: فإيّاه أخاف فخرج الأشتر وهو يقول:

إنّي إذا ما الحرب أبدت نابها   وغلّقت يوم الوغى أبوابها
ومزّقت من حنق أثوابها   كنا قدّامها ولا أذنابها
ليس العدو دوننا أصحابها   من هابها اليوم فلن أهابها
لا طعنها أخشى ولا ضِرابها

ثمّ حمل عليه الأشتر فطعنه فصرعه وحامت عنه الأزد فاستنقذوه فوثب وهو مشرف على الموت فلم يستطع أن يدفع عن نفسه، فطعنه رجل فصرعه ثانية، وسحبه آخر برجله حتى أتى به عليّاً فناشده الله وقال: يا أمير المؤمنين

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٢٧ - ٥٢٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١:٢٥٨.

أعف عنّي فإنّ العرب لم تزل قائلة عنك إنّك لم تجهز على جريح قطّ فعفا عنه وأطلقه، فجاء إلىٰ الصحابة وحضره الموت فقيل له: دمك عند أيّ الناس فقال: ضربني فلان وفلان وصاحبي الأشتر فقالت ابنته ترثيه وشكرت الأزد وعاتبت قومها وشعرها هذا من جيّد الشعر والنساء إذا رثت أجادت لما في طباعهنّ من الرقة:

يا ضب إنّك قد فجعت بفارس ... حامي الحقيقة قاتل الأقران
عمرو بن يثري الذي فجعت به ... كل القبائل من بني عدنان
لم يحمه وسط العجاجة قومه ... وحنت عليه الأزد أزد عمان
فلهم عليّ بذاك حادث نعمة ... ولحبّهم أحببت كلّ يماني
لو كان يدفع عن منيّة هالك ... طول الأكف بذابل المران
أو معشر وصلوا الخطى بسيوفهم ... وسط العجاجة والحتوف دواني
ما نيل عمرو والحوادث جمّة ... حتى يُنال النجم والقمران
لو غير الأشتر ناله ... لندبته وبكيته ما دام هضب أبان
لكنه من لا يعاب بقتله ... أسد الأُسود وفارس الفرسان(١)

والذي يغلب على الظن أنّه وقع اشتباه بين عميرة بن يثري وأخت عبد الله وعمرو بن يثري فنسب ما لأحدهم للأخر، ورواية عفو أمير المؤمنين عليه السلام عنه بعد ما وجب عليه القصاص بقتل من قتل مستبعدة.

ولما قتل ابن يثري دفع العَدوي الزمام إلىٰ رجل من بني عدي وبرز فخرج إليه ربيعة العقيلي وهو يرتجز ويقول:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٠ - ٢٦١ مع إختلاف يسير باللفظ.

يــــا أُمّــنا اعــق أمّ نــعلم والأمّ تــغذو ولدهـا[١] وتَـرحَـمُ
ألا تــرين كــم شـجاع يُكـلَم وتـختلي مـنّا يـد ومـعصم

ثمّ اقتتلا فاثخن كل واحد منهما صاحبه، فماتا جميعا[٢].

وقال أبو مخنف: الرجز للحارث بن زهير الأزدي من أصحاب عليّ عليه السلام[٣].

وقام مقام العدوي الحارث الضبّي فما رُئي أشد منه وجعل يقول:

نـحن بـني ضبّة أصحاب الجمل تـنعىٰ ابـن عـفان بـأطراف الأمـل
المـوت أحـلى عـندنا مـن العسـل ردّوا عـلينا شـيخنا ثـمّ بـجل[٤]

وفي رواية:

نـحن بـني ضبة أصحاب الجمل نـبارز القـرن إذا القـرن نـزل
نـنعى ابـن عـفّان بأطـراف الأسـل الموت أحلى عـندنا مـن العسـل[٥]

وفي رواية: أنّ وسيم بن عمرو بن ضرار الضبّي كان يوم الجمل يقول:

نـحن بـني ضبّة أصحاب الجمل نـنازل المـوت إذا المـوت نـزل
والموت أشـهى عـندنا مـن العسـل نَـنعىٰ ابـن عـفّان بأطـراف الأسـل

ردّوا علينا شيخنا ثمّ بجل[٦]

قال الطبري: كان عمرو بن يثري يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا الخطام يرتجزون:

---

(١) في المصدر (ولداً).
(٢) الكامل في التاريخ ٢:٦٠٥.
(٣) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٦٤.
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٥١٧ - ٥١٨.
(٥) الكامل في التاريخ ٢:٦٠٥.
(٦) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٥١٨.

نحن بني ضبّة لا نَفِرّ حتى نري جَماجِماً تحزّ
يحزّ منها العلق المحمر
يا أُمّنا يا عيش لا[١] تراعي كلّ بنيك بطلٌ المصاع[٢]
يا أمّنا يا زوجة النبيّ يا زوجة المبارك المهديّ[٣]

قال أبو مخنف: خرج عوف بن قطن الضبّي وهو ينادي ليس لعثمان ثار إلّا عليّ بن أبي طالب وولده، فأخذ خطام الجمل وقال:

يا أُمّ يا أُمّ خلا منّي الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هاهنا محشر عوف بن قطن إنْ فاتنا اليوم عليٌّ فَالغَبن
أو فاتنا ابناه حسين وحسَنَ إذن أمُت بطول همٍّ وحَزَن

ثمّ تقدّم فضرب بسيفه حتى قتل وتناول عبد الله بن أبزي خطام الجمل، وكان من أراد الجدّ في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقّدم إلىٰ الجمل فيأخذ بخطامه. ثمّ شدّ ابن أبزي علىٰ عسكر عليّ فقال:

أضربهم ولا أرى أبا حسن ها إنّ هذا حزن من الحزن

فشدّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام بالرمح فطعنه فقتله وقال: قد رايت أبا حسن فكيف رأيته؟ وترك الرمح فيه، وأخذت عائشة كفّاً من حصى فحصبت به أصحاب عليّ وصاحت بأعلىٰ صوتها: شاهت الوجوه، كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين، فقال لها قائل: وما رميت إذ رميت ولكن الله[٤]

(١) في المصدر (لن).
(٢) في المصدر (شجاعُ).
(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٥١٨.
(٤) في المصدر (الشيطان) بدل (الله).

رمى[١].

ولم يزل الأمر كذلك حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً.

قالت عائشة: ما زال جملي معتدلاً حتّى فقدتُ أصوات بني ضبّة وأخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش كلّهم يقتل وهو آخذ به. وممن أخذ به محمّد بن طلحة فجعل لا يحمل عليه أحد إلّا حمل وقال: حمّ لا ينصرون[٢].

قال ابن الصبّاغ: وكان ذلك شعار أصحاب عليّ عليه السلام وكان عليّ قد أوصى أصحابه أن لا يقتلوا محمّد بن طلحة ،فحمل عليه شريح بن أوفى العبسي فقال: حم ، وقد سبقه شريح بالطعنة فأتى على نفسه فكان كما قيل : سبق السيف العذل، وكان محمّد بن طلحة هذا من العبّاد الزهّاد واعتزل الناس، وإنّما خرج برّاً بأبيه[٣]. أقول: ولكنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقال الطبري: اجتمع عليه أربعة نفر كلّ ادّعى قتله فأنفذه بعضهم بالرمح[٤]. وقال ابن الصبّاغ: وفي ذلك يقول قاتله شريح:

وأشعث قوّام بآيات ربّه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح[٥] جيب قميصه فخرّ صريعاً لليدين وللفم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً علياً ومن لا يتبعُ الحقَ يندمِ
يذكرني حم والرمح شاجر فهلاّ تلاحم قبل التقدّم[٦]

وأحدق أهل النجدات والشجاعة بعائشة فكان لا يأخذ الخطام أحدٌ إلّا

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٥٦ - ٢٥٧.
(٢) الكامل في التاريخ ٢:٦٠٦ .
(٣) الفصول المهمة: ٨٠.
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤:٥٢٦.
(٥) في الصمدر (شككت بصدر الرمح).
(٦) الفصول المهمة: ٨٠.

قتل، وما رامه أحد من أصحاب عليّ إلّا قتل أو أُفلت فلم يعد.

وحمل عديّ بن حاتم الطائي عليهم ففقئت عينه[١]، خرج رجل من عسكر البصرة يعرف بجناب بن عمرو الراسبي فارتجز فقال:

أضربهم ولو أرى عليّاً عمّمته أبيض مشرفيّا
أُريح منه معشرا غويّاً

فصمد له الأشتر فقتله، ثمّ تقدّم عبد الرحمٰن بن عتّاب بن أُسيد بن أبي العاص بن أُمية ابن عبد شمس وهو من أشراف قريش كان اسم سيفه وَلْوَل، فارتجز فقال:

أنا ابن عتّاب وسيفي وَلوَلُ والموت عند[٢] الجمل المجلَّل

فحمل عليه الأشتر فقتله[٣].

وقتل الأشتر جندب بن زهير الغامدي وعبد الله ابن حكيم ابن حرام اشترك في قتله هو وعديّ بن حاتم[٤].

وكانت راية بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذهل، كانت مع الحارث بن حسّان بن خوط الذهلي فقيل له: ابق على نفسك وقومك، فأقدم وقال: يا معشر بكر بن وائل إنّه لم يكن أحد له من رسول الله ﷺ مثل منزلة صاحبكم فانصروه، فأقدم فقتل وقتل ابنه وقتل خمسة أُخوة له، وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً، فقال رجل لأخيه وهو يقاتل: يا أخي ما أحسن قتالنا إن كنّا على حق قال: فأنا على الحق إنّ الناس أخذوا يميناً وشمالا وإنّما

(١) الكامل في التاريخ: ٦٠٧.
(٢) في الصمدر (دون).
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦٤ - ٢٦٥.
(٤) الكامل في التاريخ: ٦٠٨.

تمسّكنا بأهل بيت نبيّنا ، فقاتلا حتى قُتلا، وجرح عمير بن الأهلب الضبّي فمرّ به رجل من أصحاب عليّ وهو يفحص برجليه ويقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا — فلم ننصرف إلّا ونحن رواء

لقد كان عن نصر ابن ضبّة أمّه — وشيعتها مندحة وغناء

أطعنا قريشاً ضلّةً من حلومنا — ونصرتْنا أهل الحجاز عناءً

أطعنا بني تيم بن مرّة شقوة — وهل تيم إلّا أعبدُ وإماء؟!

فقال له الرجل قل: لا إله إلّا الله ، قال: ادن منّي فلقنّي في فمي فبي صمم، فدنا منه الرجل فوثب عليه فعضّ أُذنه فقطعها[١].

وخرج عبد الله بن خلف الخزاعي وهو رئيس البصرة وأكثر أهلها مالاً وضياعا، وطلب المبارزة وسأل أن لا يخرج إليه إلّا عليّ وارتجز عليه فقال:

يا أبا تراب أُدنُ منّي فترا — فإنّني دان إليك شبراً

وإنّ في صدري عليك غَمْراً

فخرج إليه عليّ فلم يمهله أن ضربه ففلق هامته[٢].

واستدار الجمل كما تدور الرحى، وتكاثفت الرجال حوله واشتدّ رغاؤه واشتدّ زحام الناس عليه، وقصد أهل الكوفة قصد الجمل ودونه كالجبال كلّما خفّ قوم جاء أضعافهم، فنادى أمير المؤمنين : ويحكم! ارشقوا الجمل بالنبل، اعقروه، فرشق بالسهام ، فلم يبق فيه موضع إلّا أصابه النبل ، وكان مجففا فتعلقت السهام به فصار كالقنفذ.

ونادت الأزد وضبة: يا لثارات عثمان فأخذوها شعاراً، ونادى أصحاب

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٥٢٢ و ٥٢٤، الكامل في التاريخ ٢: ٦٠٨ - ٦٠٩. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦١ - ٢٦٢.

عليّ: يا محمّد، فأخذوها شعاراً واختلط الفريقان ونادى عليّ بشعار رسول الله صلى الله عليه وآله: يا منصورُ أمِت، وقيل كان شعاره: حَم لا يُنصرون اللهم انصرنا على القوم الناكثين[١] وهذا في اليوم الثاني من أيّام الجمل فلمّا دعا بها تزلزلت أقدام القوم وذلك وقت العصر بعد أن كانت الحرب من الفجر ثم تحاجز الفريقان والقتل فاشٍ فيهما إلّا أنّه في أهل البصرة أكثر وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة. ثمّ توافقوا في اليوم الثالث - فجاء عبد الله بن الزبير فلم يتكلّم وكان كل من يأخذ الخطام ينتسب فقالت عائشة: من أنت قال: ابنك ابن أُختك قالت: واثكل أسماء[٢].

وفي رواية: إنّ عبد الله بن الزبير برز في اليوم الثالث أوّل الناس ودعا إلىٰ المبارزة فبرز إليه الأشتر فقالت عائشة: من برز إلىٰ عبد الله قيل: الأشتر فقالت: واثكل أسماء، وكان الأشتر طاوياً ثلاثة أيام وكانت هذه عادته في الحرب، وهو شيخ عالي السن، فضرب الأشتر عبد الله على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضربه عبد الله ضربةً خفيفة واعتنق كل واحد منهما صاحبه وسقطا إلىٰ الأرض يعتركان، فقال ابن الزبير:

اقتلوني ومالكا اقتلوا مالكا معي

فلو يعلمون من مالك لقتلوه، وإنّما كان يعرف بالأشتر فحمل أصحاب عليّ عائشة فخلّصوهما.

ودخل الأشتر علىٰ عائشة بعد حرب الجمل فقالت: أنت الذي صنعت بابن أُختي ما صنعت؟ قال: نعم ولولا أنّي كنت طاوياً ثلاثة أيّام لأرحت أُمّة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٢.

(٢) هذه الجملة في تاريخ الأُمم والملوك ٤:٥٢٥، الكامل في التاريخ ٢:٦٠٧.

محمّد منه. قالت: أما علمت أنّ رسول الله ﷺ قال: لا يحل دم مسلم إلّا بأحد أُمور ثلاثة كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير حق فقال: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أُمّ المؤمنين، والله ما خانني سيفي قبلها وقد أقسمت أن لا يصحبني بعدها وفي ذلك يقول الأشتر:

أعائشُ لو أنني كنت طاويا ... ثلاثاً لألفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح[1] تنوشه ... كوقع الصياصي[2] أُقتلوني ومالكا
فلم يعرفوه إذ دعاهم وغمّه ... خدب عليه في العجاجة باركا
فنجّاه منّي أكله وشبابه ... وإنّي شيخ لم أكن متماسكا
وقالت على أيّ الخصال صرعته ... بقتل أتى أم ردّة لا أبالكا
أم المحصن الزاني الذي حلّ قتله ... فقلت لها لا بدّ من بعض ذالكا[3]

وأخذ الخطام الأسود بن أبي البختري فقتُل وهو قرشيّ وأخذه عمرو بن الأشرف العتكي فقُتل وقُتل معه ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته وهو أزديّ. ولم يبق شيخ من بني عامر إلّا أُصيب قدّام الجمل وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلّا قُتل حتى ضاع الخطام.

وكان آخر من أخذه زفر بن الحارث وهو يرتجز ويقول:

يا أُمّنا مثلك لا يراع ... كل بنيك بطل شجاع[4]

وزحف عليّ نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين

(١) في المصدر (والرجال تحوزه).

(٢) في المصدر (باضعف صوت).

(٣) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ١٩٦ - ١٩٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٢ - ٢٦٣ وفيهما تقديم تأخير في الكلام.

(٤) الكامل في التاريخ ٣: ٢٥١ و ٢٥٣ بتفاوت يسير باللفظ.

والأنصار وحوله بنوه حسن وحسين ومحمّد ودفع الراية إلىٰ محمّد وقال: أقدم بها حتى تُركّزها في عين الجمل ولا تقفنّ دونه. فتقدّم محمّد فرشقته السهام فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفد سهامهم فلم يبق إلّا رشقة أو رشقتان فانفذ عليّ إليه يحثّه ويأمره بالمناجزة فلمّا أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال: له: أقدم لا أُمّ لك فكان محمّد إذا ذكر ذلك يبكي ويقول: لكأنّي أجد ريح نفسه في قفاي والله لا أنسى ذلك أبداً.

ثّم أدركتْ عليّاً رقّة على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في اليُمنىٰ ثمّ حمل فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمّار نحن نكفيك يا أميرالمؤمنين، فلم يجب أحداً منهم ولا ردّ إليهم بصره وظل ينحطّ ويزأر زئير الأسد حتى فرّق من حوله وتبادروه وإنّه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله ولا يردّ حوارا ثم دفع الراية إلىٰ محمّد ثم حمل حملة ثانية فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدماً قدماً والرّجال تفرّ من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثمّ رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته فاعصوصب به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنّك إن تُصَب يذهب الدين فأمسك ونحن نكفيك فقال: والله ما أُريد بما ترون إلّا وجه الله والدار الآخرة. ثم قال لمحمّد: هكذا تصنع يا ابن الحنفية، فقال الناس: من يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين[1]؟!

وعن المدائني والواقدي ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٥٧.

وأكثره لبني ضبّة والأزد الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه، ولقد كانت الرءوس تندر[١] عن الكواهل والأيدي تطيح من المعاصم وأقتاب[٢] البطن تندلق من الأجواف وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل. ونادى عليّ عليه السلام: «**اعقروا الجمل فإنّه إن عقر تفرقّوا عنه**»[٣]. وفي رواية: حتّى لقد صرخ عليّ بأعلى صوته: «**ويلكم اعقروا الجمل فانه شيطان**» ثم قال: «**اعقروه وإلّا فنيت العرب ولا يزال السيف قائماً وراكعا حتى يهوى هذا البعير إلىٰ الأرض**»[٤].

روى أبو مخنف عن حبّة العرني قال: لمّا رأى عليّ أنّ الموت عند الجمل وأنّه ما دام قائماً فالحرب لا يطفأ وضع سيفه علىٰ عاتقه وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك والخطام مع بني ضبّة فاقتتلوا قتالاً شديداً وقُتل من بني ضبة مقتلة عظيمة، وخلص عليّ عليه السلام في جماعة من النخع همدان إلىٰ الجمل فقال لرجل من النخع اسمه بجير: دونك الجمل يا بجير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرّانه[٥] الأرض وعجّ عجيباً[٦] لم يسمع بمثله[٧] فلمّا سقط الجمل كانت الهزيمة[٨] وفرّت الرّجال عنه كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب[٩].

(١) نَدَرَ: سقط النهاية لابن الأثير: ٣٥ (مادة ندر) وهنا ا أراد سقوطها عن الكواهل أي انقطعت.

(٢) أقتاب: الأمعاء النهاية لابن الأثير ٤:١١ مادة (قتب).

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٢٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٥) الجران: باطن عنق الناقة (النهاية لابن الأثير ١:٢٦٣) (مادة جرن).

(٦) في المصدر (عجيجاً).

(٧) في المصدر (بأشد منه).

(٨) في المصدر (فما هو إلّا أن صرع الجمل حتى).

(٩) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ٢٠٥ - ٢٠٦ ،شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٦٥ - ٢٦٦.

وجاء محمّد بن أبي بكر معه عمّار بن ياسر فقطعا الأنساع عن الهودج واحتملاه فلمّا وضعاه أدخل محمّد يده فقالت: من هذا؟ قال أخوك محمّد، فقالت مذمّم، قال: يا أُخيّه هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت من ذاك، قال: فمن إذاً؟ الضلال وقالت: بل الهداة[1].

وقيل: إنّها لمّا سألته قال: أخوك البرّ. قالت عقوق[2].

وأمر عليّ عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يُذرى في الريح وقال: لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، وقرأ: ﴿**وانظر إلىٰ إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنّه ثم لننسفنّه في اليمّ نسفا**﴾[3][4].

وأمر نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأنّه كالقنفذ لما فيه من السهام وأمر أخاها محمّد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة فلمّا كان الليل أدخلها البصرة فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار بالبصرة[5] وكان عليّ عليه السلام يقول ذلك اليوم بعد الفراغ من القتال:

إليك أشكو عجري وبجري[6] ومعشرا اغشوا عليّ بصري
قتلت منهم مضري بمضرى شفيت نفسي وقتلت معشري[7]

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٣٩ وفيه تفاوت يسير باللفظ.
(٢) الكامل في التاريخ ٣:٢٥٤.
(٣) طه: ٩٧.
(٤) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ٢٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٦٦.
(٥) انظر البداية والنهاية ٧:٢٧٢ - ٢٧٣.
(٦) في المصدر (بجرى).
(٧) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٣٤.

العفو العام

وأمر عليّ عليه السلام منادياً فنادى: ألاّ تتبعوا مدبراً ولا تُجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ولا ترزءوا سلاحاً ولا ثياباً ولا متاعاً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن[١].

وتسللّ الجرحى من بين القتلى ليلاً فدخلوا البصرة وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يطوف على القتلى[٢].

حكى ابن أبي الحديد عن الأصبغ ابن نباتة: أنّه سار في القتلى يستعرضهم[٣]، قال المفيد: ومن كلامه عند تطوافه على القتلى: «**هذه قريش، جدعت أنفي وشفيت نفسي، لقد تقدّمت إليكم أُحذركم عضّ السيف**[٤] **ولكنه الحَينُ**[٥] **وسوء المصرع وأعوذ بالله من سوء المصرع**».

ثم مرّ على معبد بن المقداد فقال: «**رحم الله أبا هذا لو كان حيّاً لكان رأيه أحسن من رأي هذا**» فقال عمّار بن ياسر: الحمدلله الذي أوقعه وجعل خدّه الأسفل إنّا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي مَنْ عَنَدَ عن الحقّ مِن وَالدٍ وولدٍ، فقال أمير المؤمنين: «**رحمك الله وجزاك عن الحقّ خيراً**» ومرّ بعبد الله بن ربيعة بن درّاج فقال: «**هذا البائس ماكان أخرجه، أدين أم نصر لعثمان؟! والله ماكان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن**» ثمّ مرّ بمعبد بن زهير فقال: «**لو كانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا**

(١) الكافي ٥:١٢ / ح٢، تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٠٦، الكامل في التاريخ ٣:٢٥٣ - ٢٥٤، وفيهما اختلاف في اللفظ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٣:٢٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٤٨.

(٤) في المصدر (السيوف).

(٥) الحين: الهلاك (الصحاح ٥:٢١٠٦) مادة حين.

الغلام» ثمّ مرّ بمسلم بن قرظة فقال: «البرّ أخرج هذا ؟ والله لقد كلّمني أن أكلّم عثمان في شيء كان يدّعيه قبله بمكة فأعطاه عثمان وقال: لو لا أنت ما أعطيته إنّ هذا ما علمت، بئس أخو العشيرة، ثم جاء المشؤم للحين ينصر عثمان».

ثمّ مشى قليلاً فمرّ بكعب بن سور فقال: «هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أمّه يدعو الناس إلىٰ ما فيه ، ثم استفتح فخاب كل جبّار عنيد، أما إنّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله، أجلسوا كعب بن سور فأُجلس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ياكعب لقد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدت ماوعدك ربّك حقّا؟، ثم قال : أضجعوه فأضجعوه»[1]. وفي رواية الأصبغ بن نباتة أنّه قال له : «ويل أمّك كعب بن سور لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان أضلّك فأذلّك فجعلك إلىٰ النار، أرسلوه»[2].

قال المفيد: ومرّ علىٰ طلحة فقال: «هذا الناكث بيعتي والمنشيء الفتنة في الأمّة والمجلب عليّ والداعي إلىٰ قتلي وقتل عترتي، اجلسوا طلحة» فأُجلس، فقال: «ياطلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً فهل وجدت ماوعدك ربك حقا؟ اضجعوا طلحة»[3] وفي رواية الأصبغ: ثمّ مرّ بعبد الله بن خلف الخزاعي وكان قتله بيده مبارزة، وكان رئيس أهل البصرة فقال: «أجلسوه» فاجلس فقال: «الويل لك يا ابن خلف لقد عاينت أمراً عظيماً».

قال ابن أبي الحديد: وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : ومرّ بعبد الرحمن بن عتّاب بن أُسيد فقال: «أجلسوه» فأُجلس ، فقال: هذا يعسوب قريش هذا اللباب المحض من بني عبد مناف» ثمّ قال : «شفيت نفسي وقتلتُ معشري إلىٰ الله أشكو عجري

---

(١) الإرشاد ١: ٢٥٤ - ٢٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١:٢٤٨.

(٣) الإرشاد ١:٢٥٦.

وبجري[١]، قتلت الصناديد من بني عبد مناف وافلتني الأعيار من بني جمح».

فقال له قائل: لشدّ ما أطريت هذا الفتى منذ اليوم يا أمير المؤمنين ، قال: «إنّه قام عنّي وعنه نسوة لم يقمن عنك»[٢]... الخ.

وأقام عليّ عليه السلام بظاهر البصرة ثلاثاً وأذن للناس في دفن موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم[٣].

وفي مروج الذهب: خرجت امرأة من عبد القيس تطوف القتلى يوم الجمل فوجدت ابنين لها قد قتلا وقدكان قتل زوجها واخوان لها فيمن قتل قبل مجيء عليّ البصرة فأنشأت تقول:

شهدت الحروب فشيّبنني فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضرّ على مؤمن فتنة وأقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة في بيتها وليتك عسكر لم ترتحل[٤]

... الخ.

كانت عبدالقيس معروفة بولاء عليّ عليه السلام وابناها قُتلا مع عليّ عليه السلام وزوجها وأخوها قتلا في طاعته.

قال الطبري: وصلّى عليّ على القتلى من أهل البصرة والكوفة وأمر فدفنت الأطراف المقطوعة من الأيدي ونحوها في قبر عظيم[٥].

---

(١) عجري وبجري: أي همومي وأحزاني. وأصل العجرة نفخة في الظهر فاذاكانت في السرة فهي بجرة. وقيل: العجر العروق المتعقدة في الظهر، والبجر العروق المتعقدة في البطن، ثم نقلا إلى الهموم والأحزان. النهاية لابن الأثير ١:٩٦ - ٩٧ (مادة بجر).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٣:٥٤٢.

(٤) مروج الذهب: ٢/٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٣:٥٤٢.

وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ في قول الواقدي[١] والمسعودي[٢]. لكنّه مرّ عن الطبري أنّ نزولهم كان في النصف من جمادى الآخرة يوم الخميس سنة ٣٦ وأنّهم بقوا ثلاثة أيّام لم يكن بينهم قتال. وقد ذكر الطبري أيضاً أنّ الوقعة كانت يوم الخميس ومرّ أنّ القتال استمر ثلاثة أيّام وفي ذلك من التنافي ما لا يخفى.

لكنّ المسعودي قال: إنّ وقعة الجمل كانت وقعة واحدة في يوم واحد.

ويمكن الجمع بأنّ الوقعة العظمى الفاصلة كانت في يوم واحد وغيرها كان مناوشات[٣].

وكان القتلى خمسة عشر ألفاً قتل من أهل البصرة في المعركة الأولىٰ خمسة آلاف وفي المعركة الثانية مثلها، وقتل من أهل الكوفة خمسة آلاف وقيل: كان جميع القتلى عشرة آلاف نصفهم من أصحاب عليّ ونصفهم من أصحاب عائشة ، وقتل من ضبّة ألف رجل وقتل من بني عدي حول الجمل سبعون قد قرأوا القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ[٤].

ويقال: إنّ أهل المدينة علموا بالوقعة يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس من نسر مرّ بماء حول المدينة سقط منه كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتّاب، وعلم مَن بين مكّة والمدينة والبصرة بالوقعة بما ينقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام.

ثمّ دخل عليه السلام البصرة يوم الاثنين بعد الوقعة بثلاث فانتهى إلىٰ المسجد

(١) عنه في تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٣٩.

(٢) مروج الذهب ٢:٣٥١.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥١٣.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٤٣ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

فصلّى فيه ثم دخل البصرة فأتاه الناس[١].

قال المفيد: فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «**أمّا بعدُ فإنّ الله ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة وعفو جّم وعقاب أليم قضى أنّ رحمته ومغفرته وعفوه لأهل طاعته من خلقه وبرحمته اهتدى المهتدون وقضى أنّ نقمته وسطواته وعقابه على أهل معصيته من خلقه وبعد الهدى والبيانات ما ضلّ الضالّون، فما ظنّكم يا أهل البصرة قد نكثتم بيعتي وظاهرتم عليٰ عَدوّي؟**»[٢].

فقام إليه رجل فقال: نظنّ خيراً ونراك قد ظهرت وقدرت فإنّ عاقبت فقد اجترمنا وإن عفوت فالعفو أحبّ إلىٰ الله تعالى، فقال: **قد عفوت عنكم فإيّاكم والفتنة فإنّكم أوّل الرعية نكث البيعة وشقّ عصا هذه الأُمّة**». ثّم جلس للناس فبايعوه... الخ قال الطبري: فبايعه أهلها على راياتهم حتّى الجرحىٰ والمستأمنة، وبايع الأحنف من العشي لأنه كان خارجاً في بني سعد[٣].

قال الطبري: ثمّ راح إلىٰ عائشة على بغلته فلمّا انتهى إلىٰ دار عبد الله بن خلف وجد النساء يبكين علىٰ عبد الله وعثمان ابني خلف، وكان عبد الله قتل مع عائشة وعثمان قتل مع عليّ[٤]، وكانت صفيّة بنت الحارث - وهي أُمّ طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف - مختمرة تبكي، فلمّا رأته قالت له: يا عليّ يا قاتل الأحبّة يا مفرّق الجمع أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبدالله منه، فلم يردّ عليها شيئا، ودخل علىٰ عائشة فسلّم عليها وقعد عندها. وفي رواية: إنّه لم يسمع أحد من قول عليّ شيئاً إلّا أنّ عائشة كانت امرأة عالية

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٤٦ ـ ٥٤٧.

(٢) الإرشاد ١:٢٥٧.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٤٤.

(٤) الكلام بين الفواصل من الكامل في التاريخ ٣:٢٥٦.

الصوت قالوا فسمعنا كهيئة المعاذير إنّي لم أفعل[١]. ثم قال: «**جبهتنا صفيّة، أما إنّي لم أرها منذ كانت جارية**»، فلمّا خرج عليّ أعادت عليه القول[٢] فكفّ بغلته وقال: «**أما لهممت**» - وأشار إلىٰ الأبواب من الدار - **أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه.**

وكان أُناس من الجرحى قد لجأوا إلىٰ عائشة منهم مروان بن الحكم في حجرة ومعه جماعة وعبد الله بن الزبير في حجرة ومعه جماعة آخرون في حجرة[٣]، فأُخبر عليّ بمكانهم عندها فتغافل عنهم فسكتت، فخرج عليّ فقال رجل من الأزد: والله لا تغلبنا[٤] هذه المرأة فغضب وقال له: «**طه[٥] لا تهتكنّ ستراً ولا تدخلنّ داراً ولا تهجنّ امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفّهن أُمراءكم وصلحاءكم فإنهنّ ضعاف ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهنّ لمشركاتٍ وإنّ الرجل ليكافئنّ المرأة ويتناولها بالضرب فيعيّر بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن أحدٍ عرَضَ لامرأة فأنكل به شرار الناس**»[٦] أقول: وهذا غاية الحلم ونهاية الصفح والكرم ومكارم الأخلاق الخارجة عن مجرى العادة.

قال الطبري: ولمّا فرغ أمير المؤمنين من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال، فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة فقسّمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة، وقال: لكم إذا[٧] أظفركم الله عزّ وجلّ بالشام

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ١١١، كنز الدقائق ٢: ٥٢٨.

(٢) في المصدر (الكلام).

(٣) تفسير فرات الكوفي: ١١٢.

(٤) في المصدر (تفلتنا).

(٥) صه.

(٦) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٧) في المصدر (إن).

مثلها إلىٰ أُعطياتكم[١]... الخ.

وحكى ابن أبي الحديد عن أبي الأسود الدؤلي قال: لمّا ظهر عليّ عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في أُناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم فلمّا رأى كثرة ما فيه قال: «غرّي غيري»، مراراً ثمّ نظر إلىٰ المال وصعّد فيه بصره وصوّب وقال: «أقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة» فقسّم بينهم فلا والذي بعث محمّداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره، كان ستة آلاف ألف درهم - أي ستة ملايين - والناس اثنىٰ عشر ألفاً»[٢] أقول: هذه الرواية أقرب إلىٰ الصواب لأنّ جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان عشرين ألفاً كما مرّ فقتل منه خمسة آلاف على رواية يبقى خمسة عشر ألفاً وخمسة آلاف وسبعمائة على أُخرى يبقى أربعة عشر ألفاً وثلثمائة. وكلا الروايتين وإن كان لا ينطبق علىٰ أن يكون الباقي اثني عشر ألفاً إلّا أنّ مثل ذلك التفاوت يتسامح فيه عادة في عدد الجيش وعدد من يقتل منه بخلاف رواية ستمائة ألف فإنّا إذا قسّمناها خمسمائة خمسمائة كان الباقي من الجيش ألفاً ومائتين وهو لا يقارب شيئا من الروايات ولا يطابقه فلا يبعد أن يكون ستمائة ألف تصحيف ستة آلاف ألف والله أعلم.

ثم حكى عن حبّة العرني قال: قسّم عليّ بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة وأخذ خمسمائة درهماً كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة فقال يا أمير المؤمنين: كنت شاهداً معك في قلبي وإن غاب عنك جسمي فأعطني من الفيء شيئا فدفع إليه الذي أخذه لنفسه ولم يصب

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤٩.

في الفيء شيئاً[١].

قال الطبري: وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به إلىٰ مسجد البصرة وقال: «من عرف شيئاً فليأخذه إلّا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان»[٢].. الخ.

ولكنّ ابن أبي الحديد يقول: اتّفقت الرواة كلّها على أنّه عليه السلام قبض ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابّة ومملوك ومتاع وعروض فقسّمه بين أصحابه وإنّهم قالوا: إنّه أقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقا فقال: «لا فقالوا: كيف تحلّ لنا دماؤهم ويحرم علينا سبيهم؟ فقال: «كيف يحلّ لكم ذرية ضعيفة في دار هجرة وإسلام؟ أمّا ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، أمّا ما دارت عليه الدور وأُغلقت عليه الأبواب فهو لأهله»، فلمّا أكثروا عليه، قال «اقترعوا علىٰ عائشة» فقالوا: نستغفر الله[٣].

قال المفيد: ثمّ كتب بالفتح إلىٰ أهل الكوفة: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلىٰ أهل الكوفة سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو أمّا بعد: فإن الله حكمٌ عدل لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال أُخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة ومن تأشّب[٤] إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير ونكثهم صفقة أيمانهم فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبر من سار إليها وجماعتهم[٥] وما فعلوا[٦] بعاملي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٥٠.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٤٢ - ٥٤٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٥٠.

(٤) تأشّب إليهم: انضم إليهم واختلط بهم (الصحاح ١: ٨٨) مادة أشب.

(٥) في المصدر (وجماعتها).

(٦) في المصدر (صنعوا).

عثمان بن حنيف حتى قدمت ذا قار فبعثت الحسن بن عليّ وعمّار بن ياسر وقيس بن سعد فاستنفرتكم بحقّ الله وحقّ رسوله ﷺ وحقّي فأقبل إليّ إخوانكم سراعاً حتى قدموا عليّ فسرت بهم حتّى نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدعاء وقمت بالحجة وأقلتُ العثرة والزّلة من أهل الرّدة من قريش وغيرهم واستتبتهم من نكثهم بيعتي وعهد الله عليهم فأبوا إلّا قتالي وقتال من معي والتمادي في الغيّ[1] فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثاً وولّىٰ من ولّى إلىٰ مصرهم وقُتل طلحة والزبير وخُذلوا وأدبروا وتقطّعت بهم الأسباب، فلمّا رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم فقبلت منهم وغمدت السيف عنهم وأجريت الحق والسُنّة فيهم واستعملت عبد الله بن العبّاس على البصرة وأنا سائر إلىٰ الكوفة إن شاء الله وقد بعثت زحر بن قيس الجعفي لتسألوه فيخبركم عنّا وعنهم وردّهم الحق علينا وردّ الله لهم وهم كارهون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

وروى الكشّي في رجاله بسنده والمفيد في الرسالة الكافية بسندين أحدهما من طريق العامّة والآخر من طريق الخاصّة وابن أبي الحديد في شرح النهج بألفاظ متقاربة: قالوا: بعث أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بعد وقعة الجمل عبد الله بن عبّاس إلىٰ عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلّة العرجة.

قال ابن عبّاس: فأتيتها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة فطلبت الإذن عليها فلم تأذن فدخلت من غير إذن فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس فإذا هي من وراء ستر فضربت ببصري فإذا في جانب البيت رجل عليه طنفسة فمددت الطنفسة فجلست عليها ، فقالت من راء الستر : يا ابن عبّاس أخطأت السُنّة دخلت بيتنا بغير إذننا وجلست على وسادتنا بغير إذننا ،

---

(١) في المصدر (البغي).

(٢) الإرشاد ١:٢٥٨ - ٢٥٩.

فقال لها ابن عبّاس : نحن أولى بالسنّة منك ونحن علّمناك السُنّة وإنّما بيتك الذي خلّفك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجتِ منه فإذا رجعت إلىٰ بيتك لم ندخله إلّا بإذنك ولم نجلس على وسادتِك إلّا بأمرك ، إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يأمركِ بالرحيل إلىٰ المدينة وقلّة العرجة ، قالت: واين أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطّاب، قال: وهذا عليّ بن أبي طالب، قالت: أبيت أبيت ، قال: أما والله إن كان إباؤك فيه إلّا قصير المدّة عظيم التبعة ظاهر الشؤم بين النكد، وماكان إباوك فيه إلّا حلب شاة حتّى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين وماكنت إلّاكما قال أخو بني أسد :

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن صوتك بينهم في كل مجمعة طنين ذباب

قال: فبكت حتّى سمع نحيبها من وراء الحجاب، ثمّ قالت: إنّي معجّلة الرحيل إلىٰ بلادي والله ما من بلد أبغض إليّ من بلد أنتم فيه، قال: ولم ذاك ؟ وقد جعلناك للمؤمنين اُمّاً وجعلنا أباك صدّيقاً، قالت: يا ابن عبّاس تمنّون عليّ برسول الله ؟ قال: ولم لا نمنّ عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننت به علينا ونحن لحمه ودمه ومنه وإليه وما أنت إلّا حشية من تسع حشايا فصرتِ تأمرين فتُطاعين وتَدعين فتُجابين. ثمّ نهضتُ وأتيْتُ أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته بمقالتها وما رددت عليها فسرّ بذلك وقال لي: ﴿ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[1].

وفي رواية : «أناكنت أعلم بك حيث بعثتك»[2].

---

(١) ال عمران: ٣٤.

(٢) رجال الكشي: ٥٧ - ٦٠، بحار الأنوار ٣٢:٢٦٩ - ٢٧١ / ح ٢١٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦:٢٢٩.

وروى الطبري: أنّ عمّار بن ياسر قال لعائشة حين فرغ القوم: يا أُمّ المؤمنين ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك! قالت: أبو اليقظان ؟ قال: نعم، قالت: والله إنّك - ما علمت - قوّال بالحقّ ، قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك(١).

قال : وجهّز عليّ عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلّا من أحبّ المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وأرسل معها أخاها محمّداً وخرجت يوم السبت لغرّة رجب سنة ٣٦ (٢).

وفي إثبات الوصية للمسعودي: وكلّ بها نساء ملثّمات أركبهنّ الخيل(٣).

وفي تذكرة الخواص عن هشام الكلبي: بعث معها أخاها عبد الرّحمن في ثلاثين رجلاً وعشرين امرأة ألبسهنّ العمائم وقلّدهنّ السيوف وقال: «لا تعلمنها أنكنّ نسوة وتلثّمن ولا يقرب منها رجل» فلمّا وصلت المدينة عرّفنها أنهنّ نسوة(٤).

وفي كامل المبرد: قال عمرو بن العاص لعائشة: لوددت أنّك كنت قُتلت يوم الجمل ، فقالت: ولِمَ؟ لا أبا لك! فقال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ(٥).

واستخلف أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة ابن عبّاس وولّى زياداً الخراج

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٤٨.

(٢) المصدر السابق ٣:٥٤٧.

(٣) إثبات الوصية للمسعودي: ١٢٧.

(٤) تذكرة الخواص: ٨٠.

(٥) الكامل للمبرّد: ١٥١.

وبيت المال وتوجّه إلىٰ الكوفة(١).

ثم إنّ ابن عبّاس كتب إليه يذكر اختلاف أهل البصرة فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام سأخبرك عن القوم: «هم من بين مقيم لرغبة يرجوها أو عقوبة يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه والإنصاف له والإحسان إليه، وحل عقدة الخوف عن قلوبهم وأحسن إلىٰ هذا الحيّ من ربيعة وكلّ من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت إن شاء الله والسلام». وكتب عبد الله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة ٣٦(٢).

وكتب إلىٰ ابن عبّاس أيضاً «أمّا بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلّات المسلمين وفيئهم فأقسمه على من قبلك حتى تغنيهم وابعث إلينا بما فضل نقسّمه فيمن قبلنا والسلام»(٣).

وكتب عليه السلام إلىٰ أمراء الجنود: «إن لكم عندي أن لا احتجز دونكم سرّاً إلّا في حرب ولا أطوي عنكم أمراً إلّا في حكم ولا أؤخّر حقّاً لكم عن محلّه ولا أرزأكم شيئاً وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء فإن أبيتم أن تستقيموا لي على ذلك لم يكن أهون عليّ ممّن فعل ذلك منكم ثمّ أُعاقبه عقوبة لا يجد عندي فيها هوادة»(٤).

وكتب إلىٰ أمراء الخراج: «إرحموا تُرحَموا ولا تعذّبوا خَلق الله ولا تكلّفوهم فوق طاقتهم وانصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم فإنّكم خزّان الرعية لا تتخذنّ حجاباً ولا تحجبنّ أحداً عن حاجة حتى ينهيها إليكم لا تأخذوا أحداً بأحد إلّا كفيلاً عمّن كفل عنه وإيّاكم وتأخير العمل ودفع الخير فإنّ في ذلك الندم والسلام»(٥).

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٤٦.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٥.

(٣) المصدر السابق: ١٠٦.

(٤) المصدر السابق: ١٠٧.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٨.

وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين بسنده: أنّه لمّا قدم أمير المؤمنين من البصرة إلىٰ الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين وقد أعزّ الله نصره وأظهره على عدوّه ومعه أشراف الناس وأهل البصرة استقبله أهل الكوفة وفيهم قرّاؤهم وأشرافهم فدعوا له بالبركة وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أتنزل القصر ؟ يعني قصر الإمارة قال: «لا ولكني أنزل الرحبة» وهي محلّة بالكوفة[١].

وفي رواية: أنّه لمّا لحقه ثقله ، قالوا أي القصرين تنزل؟ فقال: «قصر الخبال لا تنزلونيه» ونزل على جعدة بن هبيرة المخزومي[٢] وهو ابن أُخته أُمّ هانيء تزوّجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي فأولدها جعدة وكان شريفاً.

ويظهر من هذه الرواية أنّه كان بالكوفة قصران للإمارة ، والخبال: الفساد، والظاهر أنّه لم يرض أن ينزل بقصر الإمارة وسمّاه قصر الخبال باعتبار من كان ينزله من بعض حكّام الجور.

فتنزّه عن أن ينزل في محلّ نزولهم مبالغة في إنكار الظلم. ولم يعلم أنّه هل استمرّ على هجر قصر الإمارة أو نزله بعد ما تمهّدت له الأُمور ، لم نجد في ذلك تصريحاً للمؤرّخين.

وفي طبقات ابن سعد: نزل عليّ الكوفة في الرّحبة التي يقال لها رحبة عليّ في أخصاص كانت فيها ولم ينزل القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله[٣] . ولعلّه نزل أوّلاً على جعدة ثم نزل الرحبة، ولكن يظهر من بعض أحاديث وفاته أنّها كانت بالقصر فيكون قد نزله بعد ذلك.

وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلّى فيه ركعتين.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣.

(٢) المصدر السابق: ٥.

(٣) الطبقات الكبرى ٦: ١٢.

أوّل خطبة خطبها عليّ عليه السلام بالكوفة

ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله وقال: «أمّا بعدَ يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدّلوا وتغيّروا، دعوتُكم إلىٰ الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيّرتم. ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله، فأمّا في الأحكام والقسم فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه، ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل، فأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة. ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة والآخرة قد ترحّلت مقبلة ولكل واحدة منهن بنون فكونوا من أبناء الآخرة ، اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، الحمد لله الذي نصر وليّه وخذل عدوّه وأعزّ أنصار الحق وأذلّ الناكث المبطل عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيّكم الذين هم أوْلى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المدّعين المقبلين[١] لنا يتفضّلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا وينازعونا حقّنا ويدافعوا[٢] بنا عنه فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يَلْقَوْن غيّا. ألا إنّه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زارِ فاهجروهم وأسمِعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليُعرف بذلك حزب الله عند الفرقة».

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي وكان صاحب شرطته فقال: والله إني لأرى الهُجر وسماع المكروه لهم قليلاً والله لئن أمرتنا لنقتلهم. فقال عليّ: «سبحان الله: يا مالك جزت المدى وعدوتَ الحد وأغرقت في النزع».

فقال يا أمير المؤمنين:

لَبَعضُ الغشم أبلغ في أُمور ... تنوبك من مهادنة الأعادي

(١) في المصدر (المقابلين).

(٢) في المصدر (ويدافعونا).

فقال عليّ عليه السلام[١]: «هكذا قضى الله يا مالك، قال[٢] ﴿النفس بالنفس﴾[٣] فما بال الغشم.

وقال: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً﴾[٤] والاسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه وذلك هو الغشم».

فقام إليه أبو بردة بن الأعوف الأزدي وكان ممّن تخلّف عنه فقال: يا أميرالمؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بِم قُتِلوا؟ قال: «قتلوا شيعتي وعمّالي وقتلوا أخا ربيعة العبيدي رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين، قالوا: لا ننكث كما نكثتم ولا نغدركما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إليّ قتلة إخواني أقتلهم بهم ثمّ كتاب الله حكم بيني وبينهم فأبوا عليّ وقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي فقتلتهم بهم أفي شكّ أنت من ذلك» ؟ قال: قد كنت في شكّ فأمّا الآن فقد عرفت واستبان لي خطأ القوم وأنّك أنت المهديّ المصيب.

قال نصر : وكان أشياخ الحيّ يذكرون أنّه كان عثمانيّاً وقد شهد مع عليّ على ذلك صفّين لكنه بعد ما رجع كان يكاتب معاوية فلمّا ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلّوجة وكان عليه كريما[٥].

ثم إنّ عليّاً تهيّأ لينزل وقام رجال ليتكلّموا فلمّا رأوه نزل جلسوا وسكتوا[٦].

---

(١) في المصدر (ليس هكذا).

(٢) في المصدر (قتل).

(٣) المائدة: ٤٥.

(٤) الإسراء: ٣٣.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣ - ٥.

(٦) المصدر السابق: ٥.

وفي رواية أنّه لمّا قدم الكوفة نزل على باب المسجد فدخل وصلّى ثمّ تحوّل فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة فقيل: استأثر الله به فقال: «إنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه [إنّما أراد الله بالموت إعزاز نفسه وإذلال خلقه]»(١). وقرأ : ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يُميتكم ثم يحييكم﴾(٢).

ودخل عليه سليمان بن صرد الخزاعي فعاتبه وعذله وقال له : «ارتبت وتربّصت وراوغت وقد كنتَ من أوثق الناس في نفسي وأسرعهم فيما أظنّ إلىٰ نصرتي فما قعد بك عن أهل بيت نبيك ومازهّدك في نصرهم؟!» فقال: يا أمير المؤمنين لا تردّنّ الأُمور على أعقابها ولا تؤنّبني بما مضى فيها واستبق مودّتي تخلص لك نصيحتي وقد بقيتْ أُمور تعرف بها وليّك من عدوِك فسكت عنه.

وجلس سليمان قليلاً ثمّ نهض فخرج إلىٰ الحسن بن عليّ وهو قاعد في المسجد فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيتُ منه من التبكيت والتوبيخ؟! فقال له الحسن: «إنّما يعاتب من ترجى مودّته ونصيحته» فقال: إنّه بقيت أُمور سيستوسق فيها القنا وينتضى فيها السيوف ويحتاج فيها إلىٰ أشباهي فلا تستشبعوا غيبتي ولا تتّهموا نصيحتي فقال له الحسن: «رحمك الله ما أنت عندنا بالظنين».

ودخل عليه سعد بن قيس فسلّم عليه ، فقال له عليّ: «وعليك السلام وإن كنت من المتربّصين» فقال: حاش الله يا أمير المؤمنين لستُ من أُولئك قال: «فعل الله ذلك»(٣).

---

(١) ما بين المعقوفتين ليست في المصدر. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣:١٠٥ عن نصر بن مزاحم في وقعة صفّين.

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥ - ٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣:١٠٥ - ١٠٦.

ودخل عليه مخنف بن سليم فإذا بين يديه رجال يؤنّبهم وهم عبد الله بن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي وكانت لهما صحبة، وأبو بردة بن عوف الأزدي وغريب بن شرحبيل الهمداني وهو يقول لهم «ما أبطأ بكم عنّي وأنتم أشراف قومكم، والله لئن كان من ضعف النيّة وتقصير البصيرة إنّكم لبور وإن كان من شكّ في فضلي ومظاهرة عليّ إنّكم لعدوّ» قالوا: حاش الله يا أمير المؤمنين نحن سِلمُك وحرب عدوّك ثم اعتذروا بمرض أو غيبة أو عذر آخر. ونظر إلىٰ مخنف فقال: «لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلّفوا ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى: ﴿وإنّ منكم لمن ليبطّئنّ فإن اصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾(١)»(٢).

وأتمّ عليّ الصلاة يوم دخل الكوفة فلمّا كانت الجمعة وحضرت الصلاة صلّى بهم وخطب(٣).

وأقام بالكوفة واستعمل العمّال فبعث يزيد بن قيس الأرحبي على المدائن جوخى كلّها، وبعث مخنف بن سليم على اصبهان وهمدان فلمّا هرب بالمال قال: «عذرت القردان فما بال الحلم»(٤)!

---

(١) النساء: ٧٢ - ٧٣.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٧ - ٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣:١٠٦ - ١٠٧ وفيهما تقديم وتأخير في الرواية.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٩.

(٤) القردان جمع قراد وفي النهاية: القَردان الطبوع يلصق بجسم البعير وفي المصباح: الحلم القراد الضخم وكأنه أراد بالقردان هنا الفار منه أي عذرت أسافل الناس فما بال أشرافهم. وفي مجمع الأمثال للميداني: القِردان جمع قراد والحلم جنس منه صغار وهذا قريب من قولهم: استنت الفصال حتى القرعى... الخ وتفسيره الحلم بالصغار مخالف لما عليه أهل اللغة.

وبعث قرظة بن كعب على البهقباذات، وقدامة بن مظعون الأزدي على كسكر، وعدي بن الحارث على مدينة بهرسير[١] واستانها[٢]، وأبا حسّان البكري على ستان العالي، وسعد بن مسعود الثقفي على استان الزوابي، وربعي بن كاس[٣] على سجستان وخليد إلىٰ خراسان، فلمّا دنا من نيسابور بلغه أنّ أهل خراسان قد كفرا ونزعوا أيديهم من الطاعة وقدم عليهم عمّال كسرى من كابل فقاتل أهل نيسابور فهزمهم وحصر أهلها وبعث إلىٰ عليّ بالفتح.

وبعث الأشتر على الموصل ونصيبين ودارا وسنجار وآمد وهيت وعانات وما غلب عليه من أرض الجزيرة.

وبعث معاويةُ بن أبي سفيان الضحّاك بن قيس الفهري على ما في سلطانه من أرض الجزيرة وكان بيده حرّان والرقّة والرها وقرقيسيا، وكان مَن بالكوفة والبصرة من العثمانيّة قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية، فخرج الأشتر يريد الضحّاك بن قيس بحرّان فلمّا بلغ ذلك الضحّاك بعث إلىٰ أهل الرقّة فأمدّه وجلّ أهلها عثمانية فالتقى بهم بمرج مرينا بين حرّان والرقّة فرحل الأشتر حتّى نزل عليهم فاقتتلوا قتالا شديداً، فلمّا كان المساء رجع الضحّاك بمن معه فسار ليلته كلّها حتى أصبح بحرّان وأصبح الأشتر فرأى ما صنعوا فتبعهم حتى أتى حرّان فحصرهم وأتى الخبر معاوية فبعث عبد الرحمٰن بن خالد في خيل يغيثهم فلمّا بلغ ذلك الأشتر كتّب كتائبه وعبّأ جنوده وخيله ثم ناداهم الأشتر: ألا تنزلون أيّها الثعالب الروّاغة احتجرتم

(١) بَهْرِ سِيْر لفظ فارسي معناه المعُدّ للتنزه.

(٢) في القاموس الأستان أربع كور ببغداد غال وأعلى وأدنى وأسفل.

(٣) كاس أُمه يُعرف بها وهو من بني تميم.

احتجار الضباب؟! ثمّ تركهم وانصرف لمّا علم بالمدد وبلغ عبد الرحمن بن خالد انصرافه فانصرف[١].

وحشر عليّ أهل السواد فلمّا اجتمعوا أذن لهم فلمّا رأى كثرتهم قال: «إنّي لا أُطيق كلامكم ولا أفقه عنكم فاسندوا أمركم إلىٰ أرضاكم في أنفسكم وأعمّه نصيحة لكم» قالوا: نرسا، ما رضى فقد رضيناه وما سخط فقد سخطناه، ، فتقدّم فجلس إليه، فقال: أخبرني عن ملوك فارس كم كانوا؟ قال: كانت ملوكهم في هذه المملكة الآخرة اثنين وثلاثين ملكاً، قال: كيف كانت سيرتهم؟ قال: ما زالت سيرتهم في عُظم أمرهم واحدةً حتى ملكنا كسرى بن هرمز فاستأثر بالمال والأعمال وخالف أوّلينا وأخرب الذي للناس وعمّر الذي له واستخفّ بالناس فأوغر نفوس فارس حتى ثاروا إليه[٢] فقتلوه» فقال: «يا نرسا إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق بالحقّ ولا يرضى من أحد إلّا بالحقّ وفي سلطان الله تذكرة مما خوّل الله وإنّها لا تقوم مملكة إلّا بتدبير ولا بدّ من إمارة» - ثم أمّر على أهل السواد أُمراءهم.

ثمّ كتب إلىٰ العمّال في الآفاق، كتب إلىٰ جرير بن عبدالله البجلي مع زحر بن قيس، وكان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان يخبره بوقعة الجمل ونكثهم بيعته وفعلهم بعامله عثمان بن حنيف وعفوه عنهم ومسيره إلىٰ الكوفة، فخطبهم جرير فقال: أيّها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وقد كان أمرُه وأمرُ عدوّه ما نحمد الله عليه وقد بايعه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولو جُعل هذا الأمر شورى بين المسلمين كان أحقّهم بها، ألا وإنّ

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠ - ١٣.

(٢) في المصدر (عليه).

البقاء في الجماعة والفناء في الفرقة وعليّ حاملكم على الحق ما استقمتم فإن ملتم أقام ميلكم. فقال الناس: سمعا وطاعة رضينا رضينا. فكتب جرير جواب كتابه بالطاعة، وكان مع عليّ رجل من طيء ابن أُخت الجرير فكتب إلىٰ خاله أبياتاً مع زحر بن قيس منها:

جرير بن عبد الله لا تُرددِ الهُدى ... وبايع علياً إنني لك ناصحُ
فإنّ علياً خير من وطيء الحصى ... سوى أحمدٍ والموتُ غادٍ ورائحُ
فإنّك إن تطلب به الدين تُعطه ... وإن تطلب الدنيا فبيعك رابحُ
أبى الله إلّا أنه خير دهرهِ ... وأفضل من ضمّت عليه الأباطُح

وقال جرير في ذلك من أبيات:

مضينا يقيناً على ديننا ... ودين النبيّ مُجلي الظلم
أمين الإلٰه وبرهانِهِ ... وعدل البريّة والمعتصم
رسول المليك ومن بعدِه ... خليفتنا القائمُ المدَّعمْ
علياً عنيتُ وصيّ النبيّ ... نجالِدُ عنه غواة الأُمَمْ
له الفضل والسبق والمكرماتُ ... وبيت النبوّة لا يهتضم[١]

فسّر الناس بخطبة جرير وشعره.

وقال ابن الأزور القسري يمدح جريراً في خطبته[٢]:

لعمر أبيك والأنباء تنمى ... لقد جَلّىٰ بخطبته جريرُ
أتاك بأمره زحر بن قيس ... وزحر بالتي حدثت خبيرُ
فكنت بما أتاك به سميعاً ... وكدت إليه من فرح تطيرُ

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٤ - ١٨.

(٢) في المصدر: (قال رجل)، شرح نهج البلاغة: ٧٣/٣ عن نصر بن مزاحم في كتابه.

فـــاحرزتَ الثـــواب وربّ حـــادٍ حــــدا بـــالركب ليس له بـــعير
ليَـــهنِكَ مـــا ســبقت بــه رجــالاً مـــن العـلياء والفـضل الكـبيرُ[١]

ثمّ أقبل جرير من ثغر همدان حتّى ورد علىٰ عـليّ عليه السلام بـالكوفة فـبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من الطاعة.

وكتب عليّ عليه السلام إلىٰ الأشعث بن قيس مـع زيـاد بـن مـرحب الهـمداني والأشعث عامل عثمان على آذربيجان وقد كان عمر بن عثمان تـزوّج ابـنة الأشعث بن قيس: «أمّا بعد لو لا هنات كنّ فيك كنت المقدّم في هذا الأمر قبل الناس ولعلّ أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتّقيت الله ثم إنّه كان من بيعة الناس إيّاي ما قد بـلغك، وكان طلحة والزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا أُمّ المؤمنين وسارا إلىٰ البصرة فسرتُ إليهما فالتقينا فدعوتهم إلىٰ أن يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا فأبـلغت فـي الدعاء وأحسنت في البقية وإنّ عملك ليس لك بطعمة ولكنّه أمانة وفي يديك مال من مال الله وأنت من خزّان الله عليه حتّى تسلمّه اليّ ولعلّي أن لا أكون شرّ ولاتك لك إن استقمت ولا قوة إلّا بالله». - وهذا الكتاب هو عزل للأشعث -.

فقام زياد بن مرحب فخطب وذكر ما جرى لأهل الجمل ثمّ قام الأشعث فحمد الله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيّها الناس إنّ أمـير المـؤمنين عـثمان ولاّنـي آذربيجان فهلك وهي في يدي وقد بايع الناس عليّاً وطاعتنا له كطاعتنا مـن كان قبله وقد كان من أمر طلحة والزبير ما قد بلغكم وعلى المأمون ما غاب عنكم عنّا.

فلمّا أتى منزله دعا أصحابه فقال: إنّ كتاب عليّ قد أو حشني وهو آخذ مال آذربيجان وأنا لاحق بمعاوية ، فقالوا: الموت خير لك مـن ذلك، أتـدع

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٨ - ١٩.

مصر ك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام؟ فاستحيا فسار حتّى قدم علىٰ عليّ(١).

حرب صفّين

وهي من الحروب العظيمة التي وقعت في الإسلام قتل فيها من الفريقين مائة وعشرة آلاف على الأكثر وسبعون ألفا على الأقل.

وكان الباعث عليها كالباعث على حرب الجمل وهو حبّ الدنيا والعداوة للرسول وأهل بيته. ولو كانت هذه الحروب في نصرة الإسلام لجرّت على الإسلام خيراً كثيراً بقدر ما جرّت عليه من الضرر أو أكثر، أو أنّ الباعث عليه الاجتهاد وطلب ثأر الخليفة وإن كان ثأره، عند من طلب بثأره. فالاجتهاد بابه واسع فيمكن للقاتل أن يطلب بثأر القتيل لأنّ اجتهاده أدّاه إلىٰ ذلك، فيقتل بسبب ذلك مئات الأُلوف من المسلمين ويجرّ إلىٰ القاتل والمقتول منهم نفعاً عظيماً فيكون كلاهما في الجنة. وأيّ سعادة أعظم من دخول الجنة؟!

الكتب المؤلّفة في وقعة صفّين

وقد صُنفّت في وقعة صفّين كتب مستقلة مثل كتاب نصر بن مزاحم المنقري وكتاب إبراهيم بن ديزيل وكتاب أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي وغيرها.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٠ - ٢١.

مقدار الجيشين

قال المسعودي : اختُلِفَ في مقدار ماكان مع عليّ من الجيش وماكان مع معاوية، فمكثر ومقلّ، والمتّفقَ عليه من قول الجميع أنّه كان مع عليّ تسعون ألفاً ومع معاوية خمسة وثمانون ألفاً[1].

تأريخ الوقعة

الذي ذكره جماعة من المؤرّخين أنّهاكانت من ابتداء ذى الحّجة سنة ٣٦ وانتهت في ١٣ صفر سنة ٣٧، ففي جمادىٰ الآخرة سنة ٣٦ كانت وقعة الجمل كما مرّ، وفي ١٢ رجب منها سار أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلىٰ الكوفة والمسافة بينهما نحو عشرة أيّام فيكون وصوله إليها في نحو ٢٢ منه.

وقال نصر في كتاب صفّين: في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ٣٦ قدم عليّ من البصرة إلىٰ الكوفة[2]... الخ. وظاهره أنّ وصوله إليهاكان بذلك التاريخ ويمكن أن يريد خرجه إليها.

ثمّ خرج إلىٰ النخيلة معسكر الكوفة في أواخر شهر رمضان أو أوّل شوال منها.

وفي ٥ أو ٦ من شوال سار من النخيلة إلىٰ صفّين[3]. أمّا وصوله إلىٰ صفّين فلا يحضرني الآن تعيينه.

ويظهر من الطبري أنّ وصولهم إلىٰ صفّين كان في أواسط ذي القعدة

(١) مروج الذهب ٢:٣٧٥.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣.

(٣) المصدر السابق: ١٣١.

سنة ٣٦ إنّه بعد ما ذكر القتال على الماء عند وصولهم قال: فمكث عليّ يومين لا يراسل معاوية، ثمّ راسله أوّل ذي الحجة[١]... الخ فيكون مقامهم في الطريق بين الكوفة وصفّين نحو شهر وعشرين يوماً، والمسافة بينهما وإن كان يمكن قطعها بأقلّ من نصف هذه المدة إلّا أنّ مسير جيش فيه تسعون ألفاً أو أكثر بأثقالها لا يمكن إلّا أن يكون في قليل من كلّ يوم غدوة وعصراً لا سيّما إن كان يجمع العساكر في طريقه من المدائن وغيرها وأنّ أهل الرقة منعوه من العبور وقطعوا الجسر ومضت مدّة حتى أعادوه وجرت خطوب كما يأتي استغرقتْ زمناً طويلاً.

وقال المسعودي وغيره: إنّ مقامهم بصفّين كان مائة يوم وعشرة أيّام كان فيها نحو تسعين أو سبعين وقعة[٢]... الخ وهو يقارب ما ذكره الطبري بأن يكون وصولهم إلىٰ صفّين في العشرين من ذي القعدة فإذا ضمّت العشرين الباقية منه إلىٰ ذي الحجة والمحرّم وصفر الذي كتبت الصحيفة لأيّام بقيت منه لعلّها لا تتجاوز الثلاثة فهذه نحو مائة يوم وإلىٰ أن اُمضيت الصحيفة واستعدّوا للسفر مضى نحو ثلاثة عشر يوماً فهذه مائة يوم وعشرة أيّام.

وقال المسعودي أيضاً: كان بين دخول عليّ إلىٰ الكوفة والتقائه مع معاوية للقتال بصفّين ستة أشهر و ١٣ يوماً[٣]. لعله أراد المدة بين دخوله الكوفة وانتهاء الحرب فخرج من البصرة في ١٢ رجب ووصل الكوفة في آخره فقطع المسافة بينهما في ١٨ يوماً وإن كان يمكن قطعها بأقّل فأقام بها

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٣:٥٦٩.
(٢) مروج الذهب ٢:٣٥٢.
(٣) المصدر السابق ٢:٣٥٢.

شعبان ورمضان وخرج إلىٰ صفّين في شوّال أو أواخر شهر رمضان ووصلها في ذي القعدة وانتهت الحرب في ١٣ صفر فهذه ستة أشهر و ١٣ يوماً.

والحاصل أنّه في جمادى الآخرة سنة ٣٦ كانت وقعة الجمل وفي ١٢ رجب منها سار أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلىٰ الكوفة وفي آخر رمضان أو أوّل شوال خرج من الكوفة إلىٰ النخيلة وفي ٥ أو ٦ من شوّال سار من النخيلة إلىٰ صفّين فوصلها في ذي القعدة وابتدأ الحرب في أوّل ذي الحجة سنة ٣٦ قاله ابن الأثير[١] وغيره. واستمرّ إلىٰ آخره وتركوا الحرب في المحرم سنة ٣٧ واستونف واشتدّ في أوّل صفر إلىٰ ١٣ منه فوقع الصلح.

وفي مروج الذهب كان الصلح لأيّام بقين من صفر سنة ٣٧ وقيل بعد هذا الشهر منها[٢] وفيه في موضع آخر: وكتبت صحيفة الصلح لأيّام بقين منه[٣]... الخ.

واجتمع الحكمان في شعبان سنة ٣٧.

هذا ما ذكره جماعة من المؤرّخين في تواريخ هذه الوقعة.

وقيل: كانت الوقعة سنة ٣٨ وعليه ينطبق قول المسعودي[٤] «كان التقاء الحكمين سنة ٣٨» وما حكاه الطبري[٥] عن الواقدي أنّ اجتماع الحكمين كان في شعبان سنة ٣٨ أو أنّ اجتماع الحكمين تأخّر أكثر من سنة وهو بعيد.

وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفّين: إنّهم تراسلوا بعد وصول عليّ عليه السلام

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٧ و ٢٨٩، تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٧١.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٩٣.

(٣) المصدر السابق ٢: لم اعثر عليه.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٥٢ و ٣٩٥.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٥٢.

إلىٰ صفيّن ثلاثة شهور ربيع الثاني[١] وجماديين[٢]، وهو يقتضي أن يكون وصولهم لصفيّن في أواخر ربيع الأوّل، وهو يخالف ما مرّ من أنّ وصولهم كان في أواخر ذي القعدة مع عدم انطباقه على كون الوقعة سنة ٣٦ ولا على كونها سنة ٣٧ ولا ٣٨ ؛ لأنه إن كان من سنة ٣٦ فحرب الجمل لم تكن قد وقعت بعد. وإن كان من سنة ٣٨ يلزم كون مقامهم بصفّين أكثر من سنة، وقد مرّ أنه كان مائة يوم وعشرة أيّام، وإن كان من سنة ٣٨ فيلزم أن يكون مقامهم بصفين أكثر من سنة أيضاً.

ونحن نعتمد في حرب صفّين على كتاب نصر بن مزاحم فإنّه من الكتب المعتمدة فإن أخذنا شيئاً من غيره صرّحنا به.

قال نصر بن مزاحم:

إنّ علياً مكث بالكوفة فقال الشنيُّ في ذلك شن[٣] عبد القيس:

قُل لهذا الإمام قد خبت الحرب ... وتمّت بذلك النعماءُ
وفرغنا من حرب من نقض العهد ... وبالشام حيّة صمّاءُ
تنفث السم ما لمن نهشته ... فارمها قبل أن تعضّ شفاءُ
إنّه والذي تحجّ له الناس ... ومن دون بيته البيداءُ
لضعيف النخاع إن رُمي اليوم ... بخيل كأنّها الأشلاءُ
تتبارى بكل أصْيَدَ كالفحل ... بكفّيه صعدة سمراءُ
أو[٤] تذره فما معاوية الدهرَ ... بمعطيك ما أراك تشاءُ

(١) في المصدر (ربيعاً الآخر).
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٩٠.
(٣) في المصدر زيادة (بن).
(٤) في المصدر (إنْ).

ولنيل السماك أقرب من ذاك ونجم العيون والعواءُ
فاضرب الحد والحديد إليهم ليس والله غير ذاك دواء[١]

وكتب عليّ إلىٰ العمال في الآفاق وكان أهمّ الوجوه إليه الشام[٢]، وقدم عليه الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة وحارثة بن بدر وزيد بن جبلة وأعين بن ضبيعة، فتكلّم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنّها لم تنصر عليك وقد عجبوا أمس ممّن نصرك وعجبوا اليوم ممّن خذلك لأنّهم شكّوا في طلحة والزبير ولم يشكّوا في معاوية، وعشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدوّ وانتصفنا بهم وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس.

فقال عليّ لجارية بن قدامة وكان رجل تميم بعد الأحنف: «**ما تقول يا جارية؟**» فأجاب بما يدلّ على كراهته لإشخاص قومه عن البصرة، وكان حارثة بن بدر أسَدَّ الناس عند الأحنف وكان شاعر بني تميم وفارسهم، فقال عليّ: «**ما تقول يا حارثة**»؟

فقال من جملة كلام : إنّ لنا في قومنا عدداً لا نلقي بهم عدّواً أعدى من معاوية ولا نسدّ بهم ثغراً أشدّ من الشام. ووافق الأحنف في رأيه.

فقال عليّ للأحنف: «**اكتب إلىٰ قومك**» فكتب إلىٰ بني سعد: أمّا بعد فانه لم يبق أحد من بني تميم إلّا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيي لكم حتّى نلتم ما رجوتم وأمنتم ما خفتم وأصبحتم منقطعين من أهل البلاء لاحقين بأهل العافية وإنّي أُخبركم إنّا قدمنا على تميم الكوفة فأخذوا عيناً

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٨ - ٩.
(٢) المصدر السابق: ١٥.

بفضلهم مرّتين بمسيرهم إلينا مع عليّ وإجابتهم إلىٰ المسير الى الشام فأقِبلوا إلينا ولا تتكّلوا عليهم.

وكتب معاوية بن صعصعة وهو ابن أخي الأحنف إليهم:

تميم ابن مُرّ إنّ احنف نعمة ... من الله لم يخصص بها دونكم سعدا
وعمّ بها من بعدكم أهل مصركم ... ليالي ذمّ الناس كلّهم الوفدا
سواه لقطع الحبل عن أهل مصره ... فأمسوا جميعا آكلين به رغدا
وكان لسعد رأيه أمس عصمةً ... فلم يُخطِ لا الاصدارَ فيهم ولا الوردا
وفي هذه الأُخرى له مخض زبدةٍ ... سيخرجها عفواً فلا تُعجلوا الزُّبدا
ولا تبطئوا عنه وعيشوا برأيه ... ولا تجعلوا ممّا يقول لكم بُدّا
أليس خطيب القوم في كلّ وفدةٍ ... وأقربهم قرباً وأبعدهم بُعدا
وإنّ عليّاً خير حاف وناعل ... فلا تمنعوه اليوم جهدا ولا جدّا
ومن نزلت فيه ثلاثون آية ... تسميه فيها مؤمناً مخلصاً فردا
سوى موجبات جئن فيه وغيرها ... بها أوجب الله الولاية والوّدا

فلمّا انتهى كتاب الأحنف وشعر معاوية بن صعصعة إلىٰ بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة قدمت عليهم ربيعة[١].

إرسال جرير إلىٰ معاوية

(وأراد عليّ أن يبعث إلىٰ معاوية رسولاً، فقال له جرير بن عبد الله البجلي: إبعثني إليه فإنّه لم يزل لي مستنصحاً، فأدعوه إلىٰ أن يسلّم لك الأمر على أن يكون أميراً من أُمرائك وعاملاً من عمّالك ما عمل بطاعة الله وأدعو

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٤ - ٢٧.

أهل الشام إلىٰ طاعتك وجلّهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يعصوني. فقال له الأشتر: لا تبعثه فوالله إنّي لأظّن هواه هواهم فقال له عليّ: «دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا» فبعثه وقال له: «إنّ حولي من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل الدين والرأي من قد رأيت وقد اخترتك عليهم، إئتِ معاوية بكتابي فإنْ دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلّا فانبذ إليه وأعلمه أنّي لا أرضىٰ به أميراً»(١).

وقال المبرّد في الكامل: إنّ جريراً قال له والله يا أمير المؤمنين ما أدخّرك من نصرتي شيئاً وما أطمع لك في معاوية فقال عليّ: «إنّما قصدي حجة أُقيمها»(٢).

فانطلق جرير حتى أتى الشام ودخل على معاوية فقال: أمّا بعدُ يا معاوية فإنّه قد اجتمع لأبن عمّك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز واليمن ومصر وأهل العروض وعمان وأهل البحرين واليمامة ولم يبق إلّا هذه الحصون التي أنت بها(٣) لو سال عليها سيل من أوديته غرقها. وقد أتيتك أدعوك إلىٰ ما يرشدك ويهديك إلىٰ مبايعة هذا الرجل. ودفع إليه كتاب عليّ بن أبي طالب وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعدُ فإنّ بيعتي لزمتك بالمدينة وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه فلم يك للشاهد أن يختار وللغائب أن يرّد وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماما كان ذلك لله رضا، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلىٰ ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولّى ويصليه جهنم

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧ - ٢٨. وفيه تفاوت يسير باللفظ، وقد جاء فيه (... نزلوا الكوفة، فعزت بالكوفة وكثرت، ثم قدمت...).

(٢) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣:٨٨.

(٣) في المصدر (فيها).

وساءت مصيراً. وإنّ طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردّهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الأمور إلّي فيك العافية إلّا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثمّ حاكم القوم إلّي أحملك وإيّاهم على كتاب الله فأمّا تلك التي تريدها فخدعة الصبّي عن اللبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريشٍ من دم عثمان وأعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى، وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايعْ ولا قوّة إلّا بالله».

فلمّا قرأ الكتاب قام جرير فخطب خطبة قال في آخرها: أيّها الناس إنّ أمر عثمان قد أعيا من شهده فما ظنّكم بمن غاب عنه، وإنّ الناس بايعوا عليّاً غير واتر ولا موتور، وكان طلحة والزبير ممّن بايعه ثم نكثا بيعته على غير حدث. ألا وإنّ هذا الدين لا يحتمل الفتن ألا وإنّ العرب لا تحتمل السيف. وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس. وقد بايعت العامّة عليّاً ولو ملكنا والله أُمورنا لم نختر لها غيره وما خالف هذا استعتب. فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس، فإن قلت استعملني عثمان ثم لم يعزلني فإنّ هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين وكان لكل امرىء ما في يديه، ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاة حقّ الأوّل وجعل تلك أُموراً موطّأة وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً.

فقال معاوية: أنظر وتنظر، واستطلعُ رأي أهل الشام .

وأمر معاوية منادياً فنادى الصلاة جامعة فصعد المنبر وقال : الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاناً والشرائع للإيمان برهاناً يتوقّد قابسه في الأرض المقدّسة التي جعلها الله محلّ الأنبياء والصالحين من عباده فأحلها

أهل الشام ورضيهم لها ورضيها لهم لما سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوّام بأمره والذّابين عن دينه وحرماته ثم جعلهم لهذه الأُمّة نظاماً وفي سبيل الخيرات أعلاماً يردع الله بهم الناكثين ويجمع بهم إلفة المؤمنين، والله نستعين على ما تشعّب من أمر المسلمين بعد الالتئام وتباعد بعد القرب. اللّهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا ويريدون هراقة دمائنا وإخافة سبلنا[١]، وقد يعلم الله أنّا لم نرد بهم عقاباً ولا نهتك لهم حجابا ولا نوطئهم زلقا غير أنّ الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ما جاوب الصدى وسقط الندى وعرف الهدى حملهم على خلافنا البغي والحسد فالله نستعين عليهم. أيّها الناس قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب وأني خليفة عثمان بن عفّان عليكم وأني لم أُقم رجلا منكم على خزاية قط وإنّي وليّ عثمان وقد قتل مظلوماً والله يقول: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً﴾[٢]، وأنا أُحبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلىٰ الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم ويدركوا ثأره أو يفني الله أرواحهم[٣].

(فلمّا جّن معاوية الليل وكان قد اغتّم وعنده أهل بيته قال:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي لآتٍ أُتى بالتُرهّاتِ البسابسِ
أتانا جرير والحوادثُ جمّةٌ بتلك التي فيها اجتداع المعاطس

---

(١) في المصدر (سبيلنا).

(٢) الإسراء: ٣٣.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٨ - ٣٢.

أكـــابده والسـيف بـيني وبـينهُ ولست لأثـــواب الدَّنّـــي بـلابسِ
إن الشَّـــامُ أعـطت طـاعة يـمنيَّةً تـواصـفها أشياخها فـي المجالس
فـإن يـجمعوا أصـدِمْ عـليّاًبجبهة تـغثّ[١] عـليه كـل رطب ويـابسِ
وإنّـي لأرجـو خـير مـا أنـا[٢] نـائل ومـا أنـا مـن مـلك العـراق بآيسِ

واستحثّه جرير بالبيعة فقال: يـا جـرير إنّـها ليست بـخلسة وإنّـه أمـرٌ له ما بعده فابلعني ريقي حتى أنظر[٣].

طلب معاويةُ عمرو بَن العاص

ودعا ثقاته فقال: له عتبة بن أبي سفيان وكان نظيره: استعن عـلى هـذا الأمر بعمرو بن العاص وأثمن له بدينه فإنّه من قد عرفت وقـد اعـتزل أمـر عثمان في حياته وهو لأمرك أشدّ اعتزالاً إلّا أن يرى فرصة.

فكتب معاوية إلىٰ عمرو وهو بـفلسطين كـان ذهب إليـها لمّـا حـوصر عثمان وكان له منزل بها:

«أمّا بعد فإنّه كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله في بيعة عليّ وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني أقـبل أذاكِـرُك أمـراً»، فـاستشار عمرو ابنيه عبد الله ومحمّداً فقال عبد الله: قُتل عثمان وأنت عنه غائب فـقرّ في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها.

---

(١) في المصدر (تفثُ).

(٢) في المصدر (نال).

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٣.

وقال محمّد: إنّك شيخ قريش وصاحب أمرها وإنْ تصرّم هذا الأمر وأنت فيه خامل[١] تصاغر أمرُك فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان.

فقال عمرو: أمّا أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه، فلمّا جنّه الليل رفع صوته وأهله ينظرون إليه فقال:

تطاولَ ليلي للهموم الطوارق ... وحولي التي تجلو وجوه العوائِق
وإنّ ابن هندٍ سائلي أن أزوره ... وتلك التي فيها بنات البوائق
أتاه جرير من عليّ بخطةٍ ... أمرّتْ عليه العيش ذات مضائق
فإن نال منّي ما يؤمّل ردّه ... وإن لم ينله ذلّ ذلّ المطابق[٢]
فوالله ما أدري وما كنت هكذا ... أكون ومهما قادني فهو سابقي
أُخادعه إنّ الخداع دنّية ... أم أُعطيه من نفسي نصيحةً وامقِ
أو أقعد في بيتي وفي ذاك راحة ... لشيخٍ يخاف الموت في كل شارق
وقد قال عبد الله قولاً تعلّقت ... به النفس إن لم تعتلقني[٣] عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمّد ... وإنّي لصلب العود عند الحقائق

فقال عبد الله: ترحّل الشيخ ودعا عمرو غلاما له يقال له وردان وكان داهياً مارداً فقال: إرحل يا وردان ثم قال: حط يا وردان فقال له وردان: خلطت أبا عبد الله أما إنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك قال: هات، ويحك؟! قال: اعتركتْ الدنيا والآخرة على قلبك فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا

(١) في المصدر (غافل).
(٢) المقيّد.
(٣) في المصدر (تتقطعني).

عوض من الآخرة فأنت واقف بينهما قال: والله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك قال: الآن لمّا شهدت العرب مسيري إلىٰ معاوية؟! فارتحل وهو يقول:

يا قاتل وردانا وقرحته[1] أبدى لعمرك ما في النفس وردان
أمّا عليّ فدين ليس يشركه دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعي دينا على بصرٍ وما معي بالذي أختار برهان
لكنّ نفسي تحب العيش في شرف وليس يرضى بذل العيش إنسان

فسار حتّى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده وكايد كل واحد منهما صاحبه. فلمّا دخل عليه قال: أبا عبد الله طرقتْنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال: وماذاك؟ قال: ذاك أنّ محمّد بن أبي حذيفة[2]، ـ ثم صالحه معاوية فغدر به وسجنه ـ كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين. ومنها: أنّ قيصر زحف بجماعة الروم إليّ ليغلب على الشام، ومنها: أنّ علياً نزل الكوفة متهيأ للمسير إلينا.

قال: ليس كلّ ما ذكرت عظيما أمّا ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرّك.

---

(١) في المصدر (قدحتهُ).

(٢) هو محمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبدمناف في الإصابة ما حاصله: إنّه استأذن عثمان في سكنى مصر فأذن له وكان من أشد الناس تأليباً على عثمان ثم لما قدم عبدالله بن سعد (أمير مصر) على عثمان حين طلب أُمراء الأمصار لما قدم الناس عليه استخلف عقبة بن عامر فوثب محمّد بن أبي حذيفة على عقبة فأخرجه من مصر وضبطها فلمّا أراد معاوية بن أبي سفيان المسير الى صفّين رأى أن لا يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلفه فسار إليهم في عسكر كثيف فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعه من دخول الفسطاط ثم صالحه معاوية فغدر به وسجنه.

وأمّا قيصر فاهدِ له من وصفاء الروم ووصائفها وآنية الذهب والفضّة وسله الموادعة فإنّه إليها سريع. وأمّا علّي فلا والله يا معاوية ما تسوّي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء وإنّ له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش وإنّه لصاحب ما هو فيه إلّا أن تظلمه.

وقال معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله إنّي أدعوك إلىٰ جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرى الجماعة وقطع الرحم.

قال عمرو: إلى مَنْ ؟

قال : إلىٰ جهاد عليّ .

فقال له عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعليّ بعكمي[1] بعير، ما لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه، والله إنّ له مع ذلك حدّاً وحدوداً وحظاً وحظوة وبلاءً من الله حسناً. فما تجعل لي إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك، قال: مصر طعمة، فتلكأ عليه معاوية وفي رواية قال له معاوية: إنّي أكره لك أن يتحدّث العرب عنك أنّك إنّما دخلت في هذا الأمر لعرض الدنيا.

قال: دعني عنك، قال معاوية: إنّي لو شئت أن أُمنّيك وأخدعك لفعلت، قال عمرو: لا لَعَمْر الله ما مثلي يخدع لأنا أكيس من ذلك، قال له معاوية: أُدنُ منّي برأسك أُسارّك فدنا منه عمرو يسارّه فعضّ معاوية أُذنه، وقال: هذه خدعة هل ترى في بيتي أحداً غيري وغيرك؟ فانشأ عمرو يقول :

معاوية لا أُعطيك ديني ولم أُنل ... بذلك دنيا فانظرن كيف تصنع
فإن تعطني مصراً فأربح بصفقة ... أخذت بها شيخا يضرّ وينفع

(١) العكم بالكسر العدل مادام فيه المتاع والعكمان العدلان وما أنتما بعكمي بعير أي لستما متساويين.

ومـا الديـن والدنـيا سـواء وإنّني لآخـذ مـا تـعطي ورأسـي مـقنع
وأُعـطيك أمـراً فـيه للـملك قـوّة وإنّـي بـه إن زلّت النـعش أضـرع

قال: يا أبا عبد الله ألم تعلم أنّ مصر مثل العراق؟ قال: بلى ولكنها إنّما تكون لي إذا كانت لك وإنما تكون لك إذا غلبت عليّاً على العراق ، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلىٰ عليّ. ودخل عتبة بن أبي سفيان فقال: أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر؟ إن هي صفتْ لك فليتك لا تغلب على الشام. فقال معاوية: يا عتبة بت عندنا الليلة.

فلمّا جنّ الليل علىٰ عتبة رفع صوته ليسمع معاوية وقال من أبيات:

أعـطِ عَـمْراً إنّ عَـمْراً تـارك دينه اليـوم لدنـيا لم تُـحز
أعـطه مـصراً وزده مـثلها إنّـما مـصر لمـن عـزّ وبـزّ[١]
إنّ مـصراً لعـليّ أولنـا يُـغلَبُ اليـوم عـليها مـن عـجز

فلمّا سمع معاوية قوله أرسل الى عمرو وأعطاه مصراً، فقال عمرو: لي الله عليك بذلك شاهد، قال: نعم لك الله عليّ بذلك إن فتح الله علينا الكوفة، فقال عمر ﴿والله على ما نقول وكيل﴾[٢].

فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة قالا: وما مصر في ملك العرب؟ قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما. وكتب معاوية له بمصر كتابا وكتب على أن لا ينقض شرط طاعة، فكتب عمرو: على أن لا ينقض طاعة شرطاً فكايد كل واحد منهما صاحبه[٣].

---

(١) في المصدر (نبز).

(٢) القصص:٢٨.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤ - ٤١، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٢: ٦١ - ٦٧ وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

ذكر هذا اللفظ أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد في الكامل[١]، وتفسيره: أنّ قول معاوية «على أن لا ينقض شرط طاعة» أي إنّ الإخلال بما شرط له لا ينقض طاعة عمرو له فعليه أن يطيعه ولو أخلّ بالشرط. وقول عمرو: على أن لا ينقض طاعة شرطا أي إنّ الإخلال بالطّاعة لا ينقض هذا الشرط فعليه أن يفي بما شرط ولو أخل عمرو بالطاعة.

وكان مع عمرو ابن عمّ له فتى شاب وكان داهياً حليماً، فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال: ألا تخبرني يا عمرو بأيّ رأي تعيش في قريش؟ أعطيت دينك ومُنّيت دنيا غيرك. أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلىٰ معاوية وعلّي حيّ؟ وتراها إن صارت إلىٰ معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب؟

فقال عمرو: يا ابن الأخ إنّ الأمر لله دون عليّ ومعاوية، فقال الفتى في ذلك شعراً:

ألا يا هند أُخت بني زياد ... دُهي[٢] عمرو بداهية البلاد
له خدع يحار العقل فيها ... مزخرفة صوائد للفؤاد
تشرّط[٣] في الكتاب عليه حرفاً ... يناديه بخدعته المنادي
وأثبت مثله عمرو عليه ... كلا المرأين حية بطن وادي
ألا يا عمرو وما أحرزت مصراً ... وما ملت الغداة إلىٰ الرشاد
وبعت الدين بالدنيا خساراً ... فأنت بذاك من شرّ العباد
فلو كنت الغداة أخذت مصراً ... ولكن دونها خرط القتاد

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢:٦٧ - ٦٨.
(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: (رُمي).
(٣) في المصدر (منشرط).

وفــــدَت إلىٰ مــعاوية بــن حــرب فكــــنت بــها كــوافــد قــوم عــاد
وأعــــطيت الذي أعــطيت مــنه بــــطرس فــيه نــضح مــن مــدادِ
ألم تـــعرف أبـــا حســـنٍ عــليّاً ومـــا نــالت يــداه مــن الأعــادي
عـــدلت بــه مــعاوية بــن حــرب فـــيا بــعد البــياض مــن الســوادِ
ويـــا بــعد الأصــابع مــن سُــهيلٍ ويـــا بــعد الصــلاح مــن الفســادِ
أتـــأمن أن تـــراه عــلى خــدب يـــحث الخـيل بـالأسل الحـداد
يـــنادي بـــالنزال وأنت مـــنه بــعيد[1] فـانظرن مـن ذا تـعادي

فقال عمرو: يا أبن أخي لو كنت مع عليّ وسعني بيتي ولكـن الآن مـع معاوية فقال له الفتى: إنّك إن لم تُرد مـعاوية لم يـردك ولكـنك تـريد دنـياه ويريد دينك.

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فـهرب فـلحق بـعليّ فـحدّثه بأمـر عـمرو ومعاوية فسرّه ذلك وقرّبه.

وغضب مروان وقال: ما بالي لا أُشترى كما أُشتري عـمرو ؟! فـقال له معاوية : إنّما تبتاع الرجال لك.

وقال معاوية لعمرو: ماترى؟ قال: امض الرأي الأوّل فـبعث مـالك بـن هبيرة الكندي في طلب ابن أبي حذيفة فأدركه فقتله وبعث إلىٰ قيصر بالهدايا فوادعه، ثم قال: ما ترى في عليّ؟ قـال: إنّ رأس أهـل الشـام شـرحـبيل بـن السمط بن جبلة الكندي هو عدوّ لجرير المرسل إليك فأرسل إليه ووطّـن له ثقاتك فليفشوا في الناس أنّ عـليّاً قـتل عـثمان وليكـونوا أهـل الرضـا عـند شرحبيل فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على مـا تـحبّ وإن تـعلّق بـقلبه لم

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: (قريبٌ).

يخرجها شيء أبداً فكتب إليه: إنّ جرير بن عبد الله قدم علينا من عند عليّ بن أبي طالب بأمر فظيع فأقدم، ودعا جماعة هم رؤساء قحطان واليمن وثقات معاوية وخاصّته وبنو عمّ شرحبيل وأمرهم أن يلقوه ويخبروه أنّ علياً قتل عثمان.

فلمّا قدم عليه كتاب معاوية وهو بحمص استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه فقام إليه عبد الرحمن بن غنم الأزدي وكان أفقه أهل الشام فقال: «إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم إنّه قد أُلقي إلينا قتل عثمان وإنّ علياً قتله فإنْ يك قتله فقد بايعه المهاجرون والأنصار وهم الحكّام على الناس وإن لم يكن قتله فعلا م تُصدّق معاوية عليه؟! لا تهلك نفسك وقومك ، فأبى شرحبيل إلاّ أن يسير إلىٰ معاوية.

فبعث إليه عياض اليماني[1] وكان ناسكا بهذه الأبيات:[2]

أيا شُرُحُ يا ابن السمط إنّك بالغ ... بودّ عليّ ما تريد من الأمرِ
ويا شُرُحُ إنّ الشام شامُكَ ما بها ... سواك فدع قول المضلّل من فهرِ
فإنّ ابن حرب ناصبٌ لك خدعةً ... تكون علينا مثل راغية البَكْرِ
فإن نال ما يرجو بنا كان ملكُنا ... هنيئاً له والحرب قاصمةٌ الظهرِ
وإنّ علياً خيرُ من وطىء الحصى ... من الهاشميين المداريك للوتر
له في رقاب الناس عهد وذمة ... كعهد أبي حفصٍ وعهد أبي بكرِ
فبايع ولا ترجع على العقب كافراً ... أُعيذك بالله العزيزِ من الكفرِ
ولا تسمَعَنَّ قول الطّغامِ فإنّما ... يريدون أن يُلقوك في لُجّةَ البحر

(١) في المصدر (الثمالي).

(٢) ليست في المصدر وفي المصدر هكذا (يا شرح).

ومــاذا عــليهم إن تُــطاعن دونــهم عــليّاً بأطــراف المــثقّفة السَّــمرِ
فــإن غــلبوا كــانوا عــلينا أئــمّة وكــنّا بــحمد الله مــن ولد الطـهر(١)
وإن غُـلبوا لم يَـصْلَ بـالحرب غـيرُنا وكــان عــليٌّ حــرْبَنا آخــرَ الدهــرِ
يــهون عــلىٰ عُــليا لؤيّ بـن غـالب دماءُ بني قحطان في مـلكهم تـجري
فـدع عـنك عـثمان بـن عـفّان إنـنّا لك الخـير لا نـدري وإنّك لا تـدري
عـلى أيّ حـال كـان مـصرع جـنبه فلا تسمعن قـول الأُعـيور أو عـمرو

فلمّا قدم شرحبيل على معاوية تلقّاه الناس فأعظموه ودخل على معاوية، فقال معاوية: إنّ جرير بن عبد الله يدعونا إلىٰ بيعة عليّ وعليّ خير الناس لولا أنّه قتل عثمان بن عفّان وحبست نفسي عليك وإنّما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ماكرهوا.

فقال شرحبيل: أخرج فأنظر فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له فكلّهم يخبره بأنّ عليّاً قتل عثمان فرجع إلىٰ معاوية مغضباً فقال: يا معاوية أبى الناس إلّا أنّ عليّاً قتل عثمان ووالله لئن بايعت له لنخرجنّك من الشام أو لنقتلنّك قال معاوية: ماكنت لأُخالف عليكم ما أنا إلّا رجل من أهل الشام قال: فردّ هذا الرجل إلىٰ صاحبه إذن.

فعرف معاوية أنّ شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأنّ الشام كله مع شرحبيل(٢).

فخرج شرحبيل فقال لحصين بن نمير: إبعث إلىٰ جرير فبعث إليه فاجتمعا عنده فقال شرحبيل: يا جرير أتيتنا بأمر ملفّف لتلقينا في لهوات

(١) في المصدر (الظهر).
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٧٠ - ٧٣.

الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت علياً وهو قاتل عثمان والله سائلك عمّا قلت يوم القيامة.

فقال جرير: أمّا قولك إنّي جئت بأمر ملفّف فكيف يكون أمراً ملفّفا وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على ردّه طلحة والزبير؟ وأمّا قولك إنّي ألقيتك في لهوات الأسد ففي لهواته ألقيت نفسك، وأمّا خلط العراق بالشام فخلطها بها على حقٍّ خير من فرقتها على باطل. وأمّا قولك إنّ علياً قتل عثمان فوالله ما في يديك من ذلك إلّا القذف بالغيب من مكان بعيد ولكنّك ملت إلىٰ الدنيا وشيء كان في نفسك عليّ زمن سعد بن أبي وقّاص[١].

فبلغ معاوية قول الرجلين فبعث إلىٰ جرير فزجره وكتب جرير إلىٰ شرحبيل:

شرحبيل يا ابن السمط لا تتّبع الهوى ... فما لك في الدنيا من الدين من بدلْ

وقل لابن حرب ما لك اليوم حرمة ... تروم بها ما رمت فاقطع له الأملْ

شرحبيلُ إنّ الحق قد جَدَّ جِدّهُ ... وإنّك مأمون الأديم من النغَلْ

وأرود[٢] ولا تفرُط بشيء نخافُه ... عليك، ولا تعجل فلا خير في العجل

ولأنك[٣] كالمجْرِي إلىٰ شرّ غايةٍ ... فقد خُرق السِّربالُ واستنوَقَ الجمل

وقال ابنُ هندٍ في عليّ: عضيهةً[٤] ... ولله في صدر ابن أبي طالب أجَلُّ

وما لعليّ في ابن عفّانَ سقطةٌ ... بأمر، ولا جَلَبٌ عليه ولا قَتَلْ

وما كان إلّا لازماً قعر بيته ... إلىٰ أن أتى عُثمانَ في بيته الأجلْ

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٤ - ٤٨ بتفاوت يسير باللفظ.

(٢) في المصدر (فأوردِ) ارفق وتمهّل.

(٣) في المصدر (تك).

(٤) كذب.

فـمن قـال قـولاً غـير هـذا فـحسبه من الزور والبهتان بـعض[١] الذي احـتمل
وصـيُّ رسـولِ الله مـن دون أهـله وفـارسه الأوْلى بـه يُـضرب المـثل

فلمّا قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكّر وقال: هـذه نـصيحة لي فـي ديـني ودنياي، لا والله لا أعجل فـي هـذا الأمـر بشـيء فـلفلف له مـعاوية الرّجـال يدخلون إليه ويـخرجـون ويـعظّمون عـنده قـتل عـثمان ويـرمون بـه عـليّاً ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلفة حتى أعادوا رأيه وشحذوا عزمه.

وبلغ ذلك قومه فبعث إليه ابن اخت له من بارق كان يرى رأي عليّ بـن أبي طالب فبايعه وكان ممن لحق به من أهل الشام وكان ناسكاً فقال :

لعمر أبي الأشقىٰ ابن هـند لقـد رمـى شُـرَحبيلَ بـالسهم الذي هـو قـاتلُه
ولفّـف قـوماً يسـحبون ذيـولهم جميعاً وأولى النـاس بـالذنب فـاعلُه
فألقـى يـمانيّاً ضـعيفاً نُـخَاعُه إلىٰ كـلّ مـا يـهوون تُـحْدَى رواحـلُه
وقـالوا: عـليٌّ فـي ابـن عـفّان خـدعةً ودبّت إليـن[٢] بـالشَّنَانِ غـوائـلُه
ولا والذي أرسـى ثَـبيِراً مكـانَه لقـد كـفّ عـنه كـفه ووسـائلُه
ومـا كـان إلّا مـن صِـحاب محـمّدٍ وكـلُّهمُ تـغلي عـليه مـراجـلُه

فقال شرحبيل: هذا بعيث الشيطان، الآن امتحن الله قـلبي، والله لأسيرنَّ إلىٰ صاحب هذا الشعر أو ليفوتني، فهرب الفتى إلىٰ الكوفة وكان أصله منها وكاد أهل الشام أن يرتابوا[٣] .

وبعث معاوية إلىٰ شرحبيل: أنّه قد كان من إجابتك الحقّ ومـا وقـع فـيه أجرك على الله وَقَبلَهُ عنك صلحاء الناس ما علمت وإنّ هذا الأمر الذي عرفته

(١) في المصدر (قول).
(٢) في المصدر (إليه).
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٨ - ٥٠ بتفاوت يسير باللفظ.

لا يتمّ إلّا برضا العامة فسرْ في مدائن الشام وناد فيهم بأنّ علياً قتل عثمان وأنّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه.

فسار فبدأ بأهل حمص فقام فيهم خطيباً وكان مأموناً في أهل الشام ناسكاً متألّها فقال: يا أيّها الناس إنّ علياً قتل عثمان وقد غضب له قوم فقتلهم وغلب على الأرض فلم يبق إلّا الشام وهو واضع سيفه علىٰ عاتقه ثم خائض به غمار الموت حتى يأتيكم أو يحدث الله أمراً ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية فجدّوا. فأجابه الناس إلّا نسّاك من أهل حمص فإنّهم قالوا: بيوتنا قبورنا ومساجدنا وأنت أعلم بما ترى.

وجعل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم إلّا قبلوا ما أتاهم به. فبعث إليه الناشي[1] بن الحارث وكان صديقاً له:

شُرحبيلُ ما للدين فرّقتَ أمرنا ... ولكن لبغض المالكي جريرِ
وشحناء دَبّت بين سعد وبينه ... فأصبحتَ كالحادي بغير بعيرِ
أتنصل[2] أمراً غبت عنه بشبهةٍ ... وقد حار فيها عقل كلّ بصير
بقول رجالٍ لم يكونوا أئمةً ... ولا للتي لقَّوكَها بحضورِ
وما قول قوم غائبين تقاذفوا ... من الغيب ما دلاّهُمُ بُغرورِ
وتترك أنّ الناس أعطوا عهودهم ... علياً على أُنس به وسرورِ
إذا قيل هاتوا واحداً تقتدونه ... نظيراً له لم يفحصوا[3] بنظير
لعلّك أن تشقى الغداة بحربه ... شُرحبيل ما ما جئته بصغير[4]

---

(١) في المصدر (النجاشي).

(٢) في المصدر (أتفصل).

(٣) في المصدر (يفصحوا).

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠ - ٥١.

وروى نصر بن مزاحم بسنده عن الشعبي أنّ شُرحبيل دخل على معاوية فقال: أنت عامل أمير المؤمنين وابن عمّه ونحن المؤمنون فإن كنت رجلاً تجاهد علياً وقتلة عثمان حتّى ندرك ثأرنا، أو تفنىٰ أرواحنا استعملناك علينا وإلّا عزلناك واستعملنا غيرك ممّن نريد، ثمّ جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان أو نهلك.

فقال جرير: يا شرحبيل مهلاً فإنّ الله قد حقن الدماء ولمّ الشعث وجمع أمر الأُمّة ودنا من هذه الأمة سكون، فإيّاك أن تفسد بين الناس وأمسك عن هذا القول قبل أن يظهر منك قول لا تستطيع ردّه، قال: لا والله لا أُسرّه أبداً ثم قام فتكلم فقال الناس: صدق صدق ، القولُ ما قال والرأي ما رأى فأيس جرير عند ذلك من معاوية ومن عوام أهل الشام.

وكان معاوية أتى جريراً في منزله فقال: إنّي رأيت رأياً قال: هاته قال: اكتب إلىٰ صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي وأسلّم له هذا الأمر وأكتبُ إليه بالخلافة. فقال جرير: اُكتبْ بما أردتَ وأكتُبُ معك. فكتب معاوية بذلك إلىٰ عليّ.

فكتب عليّ إلىٰ جرير: «**أمّا بُعد فإنّما أراد معاوية أن لا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحبّ وأراد أن يُريّثك حتّى يذق أهل الشام. وأنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار عليّ أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيتُ ذلك عليه ولم يكن الله ليراني أتخذُ المضلّين عضداً فإن بايعك الرجل وإلّا فاقبِل**» وفشا كتاب معاوية في العرب فبعث إليه الوليد بن عقبة :

معاويَ إنّ الشام شامك فاعتصم بشامك لا تُدخِل عليك الأفاعيا
وحام عليها بالقنابل والقنا ولا تك محشوش الذراعين وانيا

وإنّ عـلياً نـاظر مـا تُـجِيبُهُ فـاهد له حـرباً يشيب[١] النَّـواصيا
وإلّا فسـلّم إنّ فـي السَّـلمِ راحـةً لمن لا يريد الحـرب فـاختر مـعاويا
وإنّ كتاباً يا ابـن حـربٍ كـتبته علىٰ طـمع يُـزجـي إليك الدواهـيا
سألتَ عـلياً فـيه مـا لن تـناله ولو نـلته لم يـبق إلّا ليـاليا
وسـوف تـرى مـنه الذي ليس بـعده بـقاء فـلا تكـثر عـليك الأمـانيا
أمـثل عـليّ تـعتريه بـخُدْعةٍ وقد كان مـا جـرّبت مـن قـبلَ كـافياً
ولو نَشـبِت أظـفارَه فـيك مـرَّةً حداكَ ابن هند منه ماكـنت حـادَيا[٢]

وأبطأ جرير عند معاوية حتّى اتّهمه الناس.

وقال عليّ: وقّت لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً أو عاصياً وأبطأ علىٰ عليّ حتى أيس منه، فكتب إليه: **«أمّا بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم ثم خيّره بين حرب مجليّة أو سلم محظية فإن اختار الحرب فانبذ له وإن اختار السلم فخذ بيعته»**.

فاقرأ معاوية الكتاب وقال :يا معاوية لا أظنّ قلبك إلّا مطبوعا أراك قد وقفت بك الحقّ والباطل. فقال معاوية: ألقاك بالفيصل أوّل مجلس إن شاء الله.

فلمّا بايع معاويّة أهلُ الشام وذاقهم قال: يا جرير الحق بصاحبك ، وكتب إليه بالحرب[٣].

قال المبرّد في الكامل: وكتب إليه مع جرير جواب كتابه المتقدّم من معاوية بن صخر إلىٰ عليّ بن أبي طالب أمّا بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين

(١) في المصدر (تُشيبُ).
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥١ - ٥٣.
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٥ - ٥٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٨٧.

بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ولكنّك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين. ولعمري ليس حججك عليّ كحججك على طلحة والزبير لأنّهما بايعاك ولم أبايعك وما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة لأنّ أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام فأمّا شرفك في الإسلام وقرابتك من النبيّ صلى الله عليه وآله وموضعك من قريش فلستُ أدفعه. وكتب في أسفل الكتاب أبيات كعب بن جعيل:

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
وقالوا عليّ إمامٌ لنا ... فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وما في عليّ لمستعتب ... مقال سوى ضمّه المحدثينا
وإيثاره اليوم أهل الذنوب ... ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه حدا شُبهةً ... وعمى الجواب عن السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ... ولا في النهاة ولا الأمرينا
ولا هو ساء ولا سَرّهُ ... ولا بدّ من بعض ذا أن يكونا(١)

قال المبرّد في الكامل: فأجابه عليّ عليه السلام عن كتابه هذا: «من أمير المؤمنين **عليّ بن أبي طالب إلىٰ معاوية بن صخر بن حرب: أمّا بعد فإنّه أتاني منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتّبعه، زعمت أنّما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا**

(١) عنه في شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ٨٨ - ٨٩ ولم يذكر باقي الأبيات في هذا الجزء بل في ج ٢: ١٢٧ - ١٢٨ عنه كعب بن جعيل.

وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا يضربهم بالعمى. وبعد فما أنت وعثمان إنّما أنت رجل من بني أُمية. بنو عثمان أولى بذلك منك، فإن زعمت أنكّ أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على المحجّة. وأمّا تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هناك إلّا سواء لأنّها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر، وأمّا شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله ﷺ وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته»[١].

وفي هذا الجواب ما يقطع معاذير أهل الجمل وغيرهم التي كانوا يظهرون التشبّث بها وقلوبهم منطوية على خلافها فإنّهم ليس لهم المطالبة بدم عثمان مع وجود أولاده الذين هم أولياء الدم فعليهم أوّلاً أن يبايعوا ويقدّموا الطاعة ثمّ يحاكموا قتلة عثمان والمتّهمين بقتله فما يوجبه الشرع يجري عليهم. على أنّ المباشر لقتله واحد أو اثنان. ولكنّ هوى النفس ورقّة الدين والعداوة يبعثان على اختلاق المعاذير.

وأمر عليّ النجاشي فأجاب عن الشعر فقال:

دَعَنْ يا معاوي ما لن يكونا … فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم عليّ بأهل الحجازِ … وأهل العراق فما تصنعونا
يرون الطّعان خِلال العَجاجِ … وضربَ الفوارس في النَّقْع دينا
هُم هزّموا الجمعَ يوم[٢] الزبير … وطلحة والمعشرَ الناكثينا
وقالوا: يميناً على حَلْفَةٍ … لنهدي إلىٰ الشّام حرباً زبونا
تُشيب النّواصي قبل المشيب … وتلقي الحوامل منها الجَنينا

---

(١) الكامل لأبي العباس المبرد ٣: ٢٢٤ وعنه شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣:٨٩.

(٢) في المصدر (جمعَ).

فـقل للـمضلّل مـن وائـلٍ ومَـنْ جـعل الغث يـوماً سـمينا
جـعلتم عـليّاً وأتـباعه[١] نـظير ابـن هـند ألا تستَحُونا
إلىٰ أوّل النـاس بـعد الرسـول وصِـنْوِ الرسـول مـن العـالَمينا
وصـهرِ الرّسـول ومَـنْ مـثلُه إذا كـان يـوم يُشـيب القُـرونا

واجتمع جرير والأشتر عند عليّ عليه السلام فقال الأشتر: أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلىٰ معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى من خناقه وأقام حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلّا فَتحَه أو يخاف غمّه إلّا سدّه فقال جرير: والله لو أتيتهم لقتلوك وخوّفه بعمرو وذي الكلاع وحوشب ذي ظليم وقد زعموا أنك من قتلة عثمان.

فقال الأشتر: لو أتيته لم يعيني جوابها ولم يثقل عليّ بحملها ولحملت معاوية على خطة أُعجّله فيها عن الفكر قال: فائتهم إذن قال: الآن وقد أفسدتهم؟!، ووقع بينهما الشر.

وفي رواية إنّ الأشتر قال: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا وأخبرتك بعداوته وغشّه؟! وأقبل الأشتر يقول: يا أخا بجيلة والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حيّاً إنّما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا تهدّدنا بهم وأنت واللهِ منهم ولا أرى سعيك إلّا لهم ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسنّك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتّى تستبين هذه الأُمور ويهلك الله الظالمين.

قال جرير: وددت والله أنّك كنت مكاني بُعثت، إذاً والله لم ترجع. فلمّا سمع جرير ذلك لحق بقرقيسا ولحق به أُناس من قسر من قومه فخرج عليّ

(١) في المصدر (أشياعه).

إلىٰ دار جرير فهدم منها وحرق مجلسه فقيل له: إنّ فيها أرضا لغير جرير فخرج منها وأحرق دار ثوير بن عامر وهدم منها وكان لحق بجرير(١).

ولمّا أراد معاوية المسير إلىٰ صفّين قال لعمرو بن العاص: إنّي رأيت أن نلقي إلىٰ أهل مكة وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمر عثمان فإمّا أن ندرك حاجتنا وإمّا أن يكف القوم عنّا. فقال عمرو: وإنّما نكتب إلىٰ ثلاثة نفرٌ راض بعليّ فلا يزيده ذاك إلّا بصيرة، ورجلٌ يهوى عثمان فلن نزيده علىٰ ما هو عليه ورجل معتزل فلست بأوثق في نفسه من عليّ.

قال: عليَّ ذلك فكتبا فأجابهما عبد الله بن عمر ما أنتما والخلافة أمّا أنت يا معاوية فطليق وأمّا أنت يا عمرو فظَنون ألا فكفّا فليس لكما وليّ ولا نصير(٢).

وكتب معاوية إلىٰ عبد الله بن عمر خاصة وإلىٰ سعد بن أبي وقاص وإلىٰ محمّد بن مسلمة، فكان في كتابه إلىٰ ابن عمر: أمّا بعد فإنّه لم يكن أحد من قريش أحبّ إلّي أن تجمع عليه الأُمة بعد قتل عثمان منك ثم ذكرت خذلك إيّاه وطعنك على أنصاره فتغيّرت لك وقد هوّن ذلك عليَّ خلافك علىٰ عليّ فاعنّا رحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فإنّي لست أُريد الإمارة عليك ولكنّي أُريدها لك فإنْ أبيت كانت شورى بين المسلمين. فأجابه ابن عمر: بأنّه لن يترك عليّاً في المهاجرين والأنصار وطلحة والزبير وعائشة أُمّ المؤمنين ويتّبعه.

وكتب إلىٰ سعد : أمّا بعد فإنّ أحقّ الناس بنصر عثمان أهل الشورى من

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٨ - ٦١.

(٢) المصدر السابق: ٦٢ - ٦٣.

قريش الذين أثبتوا حقّه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكان في الأمر ونظيراك في الإسلام وخفّت لذلك أُمّ المؤمنين فلا تكرهنّ ما رضوا ولا تردنّ ما قبلوا فإنّا نردّها شورى بين المسلمين.

وقال أبياتاً أوّلها:

ألا يا سعد قد اظهرتَ شكّا   وشكّ المرء في الأحداث داءُ
فأمّا إذ أبيت فليس بيني   وبينك حرمةٌ، ذهَبَ الرجاءُ
سوى قولي إذا اجتمعت قريش   على سعدٍ من اللهِ العفاءُ

فأجابه سعد : أمّا بعد فإنّ عمر لم يُدخل في الشورى إلّا من تحلّ له الخلافة من قريش غير أنّ عليّاً قد كان فيه ما فينا ولم يكن فينا ما فيه فأمّا طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما والله يغفر لأُمّ المؤمنين ما أتت. وأجابه عن شعره بأبيات أوّلها:

معاويَ داؤك الداء العياءُ   فليس لما تجيءُ به دواءُ
فما الدنيا بباقية لحيٍّ   ولا حيٌّ له فيها بقاءُ
أتطمع في الذي أعيا عليّاً   على ما قد طمِعت به العفاءُ
ليوم منه خير منك حياً   وميتاً أنتَ للمرءِ الفداءُ[1].

وكتب معاوية إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام كتابا نذكره مع جوابه عبرة لمن نظر واعتبر ليعلم أنّه كيف يصف الطائي بالبخل ما درّ ويعيّر قسّاً بالفهاهة بأقل ويقول السهى للشمس أنت ضئيلة ويقول الدّجى للصبح لونك حائل وتفاخر الأرض السماء وتطاول الشهب الحصى والجنادل وأنّه لا يستبعد وقوع شيء في هذا الكون من بني البشر وأنّ ابن آدم يمكنه أن يحتجّ على الليل بأنه نهار

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٧١ - ٧٦ بتلخيص .

وعلى النهار بأنه ليل وعلى أن العلقم أحلى من العسل ويقبل ذلك منه ويجد له عليه أعوانا.

قال ابن أبي الحديد: كتب معاوية: «من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلىٰ عليّ بن أبي طالب أمّا بعدُ فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿ولقد أُوحِيَ إليكَ وإلىٰ الّذينَ مِن قَبلِكَ لئِن أشركت ليَحْبطنَّ عَمَلُكَ﴾[1] وإنّي أُحذِّرك الله أنْ تحبط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الأُمّة وتفريق جماعتها فاتّق الله واذكر موقف القيامة واقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول «**لو تمالأ أهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار**» فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين بلهَ ما طَحنت رحى حربه من أهل القرآن وذوي[2] العبادة والإيمان من شيخ كبير وشاب غرّير كلّهم بالله مؤمن وبرسوله مقرّ فإن كنت أبا حسن إنّما تحارب على الإمرة والخلافة فلعمري لو صحّت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين ولكنّها ما صحّت لك وأنّى[3] صحتها وأهل الشام لم يدخلوا فيها وخف الله وسطواته وأغمد سيفك عن الناس فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلّا كالثمد في قرارة الغدير والله المستعان.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام - وبعضه مذكور في نهج البلاغة[4] -: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ معاوية بن أبي سفيان: **أمّا بعد فقد أتتني**

(١) الزمر: ١٥.

(٢) في المصدر (وذي).

(٣) في المصدر (أنّى بصحتها).

(٤) نهج البلاغة: ٣٦٧ / الكتاب رقم ٧.

منك موعظة موصلة ورسالة محبرة نَمقتَها بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فأتبعه فهجر لاغطاً وضلّ خابطاً. فأمّا أمرك لي بالتقوى فأرجو أن تكون[١] من أهلها وأستعيذ بالله من أن أكون من الذين إذا أمروا بها أخذتْهم العزّة بالإثم، وأمّا تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك ولكنّي وجدت الله يقول: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلىٰ أمر الله﴾[٢] فنظرنا إلىٰ الفئتين فأمّا الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها لأنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام، وكما لزمت يزيد أخاك بيعة عمر وهو أمير لأبي بكر على الشام. وأما شقّ عصى هذه الأُمّة فأنّا أحقّ أن أنهاك عنه. وأمّا تخويفك لي من قتل أهل البغي فإنّ رسول الله ﷺ أمرني بقتالهم وقتلهم وقال لأصحابه: «إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» وأشار إليّ وأنا أولى من اتّبع أمره. وأمّا قولك إنّ بيعتي لم تصح لأنّ أهل الشام لم يدخلوا فيها كيف وإنّما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لا يثني فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار الخارج منها طاعن والمروِّئ فيها مداهن فأربَعْ على ظَلعِك وانزع سربال غيّك واترك ما لا جدوى له عليك فليس لك عندي إلّا السيف حتّى تفيء إلىٰ أمر الله صاغراً تدخل في البيعة راغماً[٣].

قال نصر بن مزاحم: وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ معاوية: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ معاوية بن أبي سفيان سلام على من اتّبع الهدى - إلىٰ أن قال -: «واعلم يا معاوية أنّك قد ادّعيت أمراً لست من أهله ولست تقول فيه بأمر بيّن ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعيّة أو ولاة لأمر هذه الأُمّة

(١) في المصدر (اكون).

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٤٢ - ٤٣.

بغير قدم حسن ولا شرف سابق على قومكم فإنّك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم في العروق.

واعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلىٰ الناس أو بأيديهم لحسدونا وامتنّوا به علينا ولكنّه قضاء ممن امتنّ به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق. لا أفلح من شكّ بعد البرهان والبينة».

وفي الكلام الأخير دلالة على أنّ الإمامة بالنصّ.

فأجابه معاوية : «أمّا بعد فدع الحسد فإنّك طالما لم تنتفع به ولا تفسد سابقة قدمك بِشرَة نخوتك فإنّ الأعمال بخواتيمها ولعمري ما مضى لك من السابقات يشبه أن يكون ممحوقا لما اجترأت عليه من سفك الدماء وخلاف أهل الحق فاقرأ سورة الفلق وتعوّذ من شر نفسك فإنّك الحاسد إذا حسد»(١).

ومثل هذا الجواب نذكره عبرة للناظر كالذي مضى قبله.

ولمّا قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام أرسل معاوية إلىٰ عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنّ الله قد أحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله، وقد رأيت أن أُقيمه خطيباً فيشهد علىٰ عليّ بقتل عثمان وينال منه، فقال: الرأي ما رأيت فبعث إليه معاوية فأتاه فقال: يا ابن أخ لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك وتكلّم بكلّ فيك فأنت المأمون المصدَّق فاشتم علياً واشهد عليه أنّه قتل عثمان فقال: أمّا شتمه فإنّه عليّ بن أبي طالب وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم فما عسى أن أقول في حسبه وأمّا بأسه فهو الشجاع المطرق وأمّا أيّامه فما عرفت ولكنّي ملزمه دم عثمان فقال عمرو: وإذاً والله قد نكأت القرحة.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٨ - ١١٠.

فلمّا خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتله الهرمزان ومخافة عليّ علىٰ نفسه ما أتانا أبداً، ألم تر إلىٰ تقريظه عليّاً؟! فقال عمرو: يا معاوية إنْ لم تغلب فاخلب[١]؟ فخرج حديثه الى عبيد الله، فلمّا قام خطيباً تكلّم بحاجته حتّى إذا أتى إلىٰ أمر عليّ أمسك فقال له معاوية: ابن أخ إنّك بين عيّ أو خيانة فبعث إليه كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان وعرفت أنّ الناس محتملوها عنّي فهجره معاوية واستخفّ بحقه وفسّقه. فقال شعراً يذكر فيه إنّ عليّاً آوى قتلة عثمان وقرّبهم، فلمّا بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه وقرّبه وقال: حسبي هذا منك[٢].

وقام أبو مسلم الخولاني في ناس من قرّاء الشام إلىٰ معاوية فقالوا: علامَ تقاتل عليّاً وليس لك مثل صحبته ولا قرابته ولا سابقته؟ قال لهم: ما أُقاتل عليّاً وأنا ادّعي أنّ لي في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتل مظلوما؟ قالوا: بلى قال: فليدفع إلينا قتلته فنقتلهم به ولا قتال بيننا وبينه. قالوا: فاكتب إليه كتاباً يأته به بعضنا فكتب إليه مع أبي مسلم الخولاني:

«بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلىٰ علي بن أبي طالب سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله لا إله إلّا هو أمّا بعدُ فإنّ الله اصطفى محمّداً بعلمه وجعله الأمين على وحيه وأجتبى له من المسلمين أعوانا أيّده الله بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فكان أفضلهم الخليفة من بعده وخليفة خليفته والثالث الخليفة المظلوم فكلّهم حَسَدْتَ

(١) من الخلابة والخداع بالقول اللطيف ومعنى إن لم تغلب فاخلب إذ أعياك الأمر مغالبة في طلبه مخادعة.
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٨٢ - ٨٥.

وعلى كلّهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر[١] وقولك الهجر وتنفّسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء تقاد إلىٰ كلّ منهم كما يُقاد الفحل المخشوش[٢] حتّى تبايع ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسداً منك لابن عمك عثمان فقطعت رحمه وألّبتَ الناس عليه فقتل معك في المحلة فأُقسم صادقاً أن لو قمت فيما كان من أمره مقاماً واحداً تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً، وأُخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنين إيواؤك قتلة عثمان وقد ذكر لي أنّك تنتصل من دمه فإن كنت صادقاً فأمكِنّا من قتلته نقتلهم به ونحن أسرع إليك وإلّا فليس لك ولأصحابك إلّا السيف. والله الذي لا إلٰه إلّا هو لنطلبنّ قتلة عثمان في الجبال والرمال والبرّ والبحر أو لتلحقن أرواحنا بالله والسلام».

فقدم أبو مسلم بهذا الكتاب علىٰ عليّ فقام خطيباً وقال في جملة خطبته: إنّ عثمان قتل مسلماً محرماً مظلوماً فادفع إلينا قتلته وأنت أميرنا فقال له عليّ: أُغدُ عليّ غداً فخذ جواب كتابك، فجاء من الغد فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فلبست الشيعة أسلحتها ثمّ غدوا فملئوا المسجد وأخذوا ينادون: كلّنا قتلة ابن عفّان. وأُذن لأبي مسلم فدخل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال أبو مسلم: قد رأيت قوما ليس لك معهم أمر. قال «وما ذاك»؟ قال: بلغهم أنّك تريد قتلة عثمان فضجّوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنّهم كلهم قتلة عثمان.

فقال عليّ «والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه

---

(١) الشزر: النظر عن اليمين والشمال وليس بمستقيم الطريقة. النهاية لابن الأثير ٢: ٤٧٠ (مادة شزر).

(٢) المخشوش: البعير الذي جعل في أنفه الخشاش: عُوَيدٌ يُجعل في أنف البعير. النهاية لابن الأثير ٢: ٣٣ - ٣٤ (مادة خشش).

ما رأيت ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلىٰ غيرك» وأعطاه جواب كتاب معاوية فخرج بالكتاب وهو يقول: الآن طاب الضراب[١].

وكان الجواب : «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ معاوية بن أبي سفيان: أمّا بعد فإنّ أخا خولان قدم عليّ بكتاب منك تذكر فيه محمّداً صلى الله عليه وآله وما أنعم تعالىٰ في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر إلىٰ هجر والداعي مسدّده إلىٰ النضال وذكرت أنّ الله اجتبى له من المسلمين أعواناً فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام فلعمر الله إنّي لأرجو إذا أعطى الله الناس على قدر فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ورسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر، إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لمّا دعا إلىٰ الإيمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به فلبثنا أحوالاً مجرّمة[٢] وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا فأراد قومنا قتل نبيّنا واجتياح أصلنا وهمّوا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل فمنعونا الميرة وأمسكوا عنّا العذب وأحلسونا الخوف وجعلوا علينا الأرصاد والعيون واضطرونا إلىٰ جبل وعر وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى ندفع إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله فيقتلوه ويمثلوا به فلم نكن نأمن فيهم إلّا من موسم، فعزم الله لنا على منعه والذبّ عن حوزته والرمي من وراء حرمته والقيام بأسيافنا دونه فأمّا من أسلم من قريش بعدُ فإنّهم ممّا نحن فيه أخلياء فمنهم حليف ممنوع أو ذو عشيرة تدافع عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا احمرّ البأس وأحجم الناس أقام أهل بيته فاستقدموا فوقىٰ بهم أصحابه حرّ الأسنّة والسيوف فقتل عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد وجعفر يوم مؤتة وأراد من لو شئت ذكر اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة مع النبيّ صلى الله عليه وآله غير مرّة إلّا أنّ آجالهم عجّلت ومنيته أُخّرت. وأمّا

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٨٥ - ٨٧ وفيه تقديم خطبة أبي مسلم الخولاني على كتاب معاوية.

(٢) مجرّمة: أي سنين كاملة.

ما ذكرت من أمر عثمان فإنّه عمل ما بلغك فصنع الناس به ما قد رأيت، وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينيه فلم أر دفعهم إليك ولا إلىٰ غيرك. ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك ولا يكلّفونك أن تطلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل»[1].

ولمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلىٰ أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، قال المسعودي: وكان معه من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجل منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار وشهد معه من الأنصار ممّن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة[2].

فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: **«أمّا بعد فإنّكم ميامين الرأي مراجيح الحلم مقاويل بالحق مباركو الفعل والأمر وقد أردنا المسير إلىٰ عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم»**.

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جدُّ خبير، هم لك ولأشياعك أعداء وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء وهم مقاتلوك ومجاهدوك، لا يبقون جهداً مشاحة على الدنيا وضنّاً بما في أيديهم منها وليس لهم إربة غيرها إلّا ما يخدعون به الجهّال من الطلب بدم عثمان. كذبوا ليس بدمه يثأرون ولكن الدنيا يطلبون. فسر بنا إليهم فإن أجابوا إلىٰ الحق فليس بعد الحق إلّا الضلال وإن أبوا إلّا الشقاق فذلك الظن بهم والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٨٨ - ٩١ بتلخيص.

(٢) مروج الذهب ٢:٣٥٢.

يطاع إذا نهى أو يسمع إذا أمر.

وقام عمّار بن ياسر فذكر الله بما هو أهله وحمده وقال: يا أمير المؤمنين إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فاشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على الصدد والفرقة وادعهم إلىٰ رشدهم وحظّهم فان قبلوا سعدوا وإن أبوا إلّا حربنا فوالله إنّ سفك دمائهم والجدّ في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامة منه.

ثمّ قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين انكمش بنا إلىٰ عدوّنا ولا تعرّج فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك والروم لإدهانهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم فيما يزعمون قطين. قال: يعني رقيق.

فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهما لِمَ تقدّمت أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام فقال: أما إنّي عارف بفضلكم معظّم لشأنكم ولكنّي وجدت في نفسي الضغن الذي جاش في صدوركم حين ذكرت الأحزاب فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليُجب أمير المؤمنين عن جماعتكم فقالوا: قم يا سهل بن حنيف، فقام سهل فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ورأينا رأيك ونحن كفّ يمينك وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك فإنّهم هم أهل البلد وهم الناس فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب وأمّا نحن فليس عليك منّا خلاف متى دعوتنا أجبناك ومتى أمرتنا أطعناك.

فجمع أمير المؤمنين عليه السلام أهل الكوفة وحرّضهم وأمرهم بالمسير إلىٰ صفّين لقتال أهل الشام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**سيروا إلىٰ أعداء السنن والقرآن سيروا إلىٰ بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار**»، فقام رجل من بني فزارة اسمه أربد فقال: أتريد أن تسيّرنا إلىٰ إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلىٰ اخواننا من أهل البصرة فقتلناهم؟! كلّا لا ها[1] الله إذاً لا نفعل ذلك.

فقام الأشتر فقال: من لهذا أيّها الناس؟ وهرب الفزاري واشتدّ الناس على أثره فلحق في مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قتل فقيل: يا أمير المؤمنين، قُتل الرجل، قال: «**ومن قتله**»؟ قالوا همدان وفيهم شوبة من الناس. فقال: «**قتيل عمية لا يُدرىٰ من قتله ديته من بيت مال المسلمين**» فقال علاقة التيمي:

أعوذ بربّي أن تكون منيّتي ... كما مات في سوق البراذين أربد
تعاوره همدان خفقُ نعالهم ... إذا رفعت عنه يدٌ وضعت يد

وقام الأشتر فقال: يا أمير المؤمنين لا يهولنّك ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن إنّ جميع من ترى من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبّون بقاءً بعدك فإن شئت فسر بنا إلىٰ عدوّك والله ما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من أحبّه وما يعيش بالآمال إلّا شقي وإنا لعلىٰ بيّنةٍ من ربّنا إنّ نفساً لن تموت حتّى يأتي أجلها، فكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين فأسخطوا الله واظلمّت بأعمالهم الأرض وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير.

---

(١) «كلّا، ها» كما في المصدر. وها: التنبيه، قد يقسم بها، كما هنا. قال ابن منظور: «إن شئت حذفت الألف التي بعد الهاء، وان شئت أثبت».

فقال عليّ عليه السلام: «الطريق مشترك والناس في الحق سواء ومن أجهد رأيه في نصيحة العامّة فله ما نوى وقد قضى ما عليه»[١].

وقام عديّ بن حاتم الطائي فقال: يا أمير المؤمنين ما قُلتَ إلّا بعلم ولا دعوت إلّا إلىٰ حق ولا أمرتَ إلّا برشد. ثمّ أشار بالتأنّي والكتابة إلىٰ أهل الشام.

وقام زيد بن حصين الطائي وكان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال: والله لئن كنّا في شك من قتال من خالفنا لا يصلح لنا النية في قتلهم حتى نستأنيهم، ما الأعمال إلّا في تباب ولا السعي إلّا في ضلال. والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دمه فكيف باتباعه القاسية قلوبهم القليل في الإسلام حظّهم، أعوان الظلم ومسدّدي أساس الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان.

فقام رجل من طيء فقال: يا زيد أكلام سيّدنا عدي بن حاتم تهجن؟ فقال: ما أنت باعرف بحقّ عدي منّي ولكن لا أدع القول بالحقّ وإن سخط الناس.

فقال عدي: الطريق مشترك والناس في الحقّ سواء فمن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فقد قضى الذي عليه[٢].

ثمّ قام عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أمير المؤمنين إنّ القوم لو كانوا يريدن الله أو للهّ يعملون ما خالفونا ولكنّ القوم إنّما يقاتلون فراراً من الأُسوة وحبّاً للإثرة وضنّاً بسلطانهم وكرهاً لفراق دنياهم التي في

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٩٢ - ٩٥.

(٢) المصدر السابق: ٩٨ - ١٠٠.

أيديهم وعلى إحن في أنفسهم وعداوة يجدونها في صدرهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم وإخوانهم، ثم التفت إلىٰ الناس فقال: كيف يبايع معاوية علياً وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجدّه عتبة في موقف واحد؟! والله ما أظنّ أن يفعلوا ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أُمور جمّة بين الفريقين[1].

وقال له عمرو بن الحمق: إنّي والله يا أمير المؤمنين ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك ولا إرادة مال تؤتينيه ولا التماس سلطان يرفع ذكري به ولكن أحببتك لخصال خمس: إنّك ابن عمّ رسول الله ﷺ وأوّل من آمن به وزوج سيدة نساء الأُمّة فاطمة بنت محمّد ﷺ أبو الذرّية التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد فلو أنّي كلّفت نقل الجبال الرواسي أو نزح[2] البحور الطوامي حتّى يأتي عليّ يومي في أمر أُقوّي به وليّك وأوهِن به عدوّك ما رأيت أنّي قد أدّيت فيه كل الذي حقّ عليّ من حقّك.

فقال أمير المؤمنين: «اللهّم نوّر قلبه بالتقى واهده إلىٰ صراط مستقيم ليت إنّ في جندي مائةً مثلك».

فقال حجر: إذاً والله يا أمير المؤمنين صحّ جُندك وقلّ فيهم من يغشّك.

ثم قام حجر فقال: يا أمير المؤمنين: نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها قد ضارستنا وضارسناها ولنا أعوان ذوو صلاح وعشيرة ذات

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٢.
(٢) في المصدر (ونزح).

عدد ورأي مجرّب وبأس محمود وأزمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شَرّقتَ شرّقنا وإنّ غرّبت غرّبنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال عليّ: «**أكلّ قومك يرى مثلَ رأيك؟**» قال: ما رأيت منهم إلّا حسناً وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة وبحسن الإجابة فقال له عليّ خيراً[1].

ودخل يزيد بن قيس الأرحبي على عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نحن على جهاز وعدّة وأكثر الناس أهل القوة ومن ليس بمضعف وليس به علّة فمرّ مناديك فليناد الناس يخرجوا إلىٰ معسكرهم بالنخيلة، فإنّ أخا الحرب ليس بالسؤوم ولا النؤوم ولا من إذا أمكنته الفرص أجّلها واستشار فيها ولا من يؤخّر الحرب في اليوم إلىٰ غد وبعد غد.

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس وقال ممّا يعرف فتوكّل على الله وثق به واشخص بنا إلىٰ هذا العدوّ راشداً معافىٰ فإن يرد الله بهم خيراً لا يَدَعوك رغبةً عنك إلىٰ من ليس مثلك في السابقة مع النبيّ والقدم في الإسلام والقرابة من محمّد صلى الله عليه وآله، وإلّا يُنيبوا ويقبلوا ويأبوا إلّا حربنا، نجد حربهم علينا هيّنا، رجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس[2].

وخرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام واللعن فأرسل إليهما أمير المؤمنين عليه السلام: «**أن كُفّا عمّا يبلغني عنكما**»، فأتياه فقالا: ألسنا محقّين ؟ قال: «**بلى ولكن كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين ولو وصفتم مساويء أعمالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان اللعن والبراءة: اللهم**

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٣ - ١٠٤ ط .

(٢) المصدر السابق: ١٠١ - ١٠٢.

أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم وأهدهم من ضلالتهم، كان أحبّ إليّ وخيراً لكم» فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدّب بأدبك[١].

ودخل عليه عبد الله بن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي في رجال من غطفان فأشار عليه التميمي مظهراً النصح أن يقيم ويكاتب معاوية ولا يعجل وقال: إنّي ما أدري ولا تدري لمن تكون ـ إذا التقيتم ـ الغلبة وعلى من تكون الدبرة. وتكلّم العبسي ومن معهما بنحو ذلك.

فقال عليه السلام: «أمّا الدبرة فإنّها على العاصين ظفروا أو ظُفر بهم وأيم الله إنّي لأسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفا ولا ينكروا منكراً» فقال معقل بن قيس الرياحي: إنّ هؤلاء ما أتوك بنصح بل بغشٍ فاحذرهم.

وقال له مالك بن حبيب: بلغني أنّ حنظلة هذا يكاتب معاوية فادفعه إلينا نحبسه حتى تنقضي غزاتك.

وقال عبّاس[٢] بن ربيعة وفائد بن بكير العبسيّان: يا أمير المؤمنين إنّ صاحبنا عبد الله بن المعتم بلغنا أنّه يكاتب معاوية فاحبسه حتى تنقضي غزاتك أو ادفعه إلينا نحبسه، فجعلا يقولان: هذا جزاء من نصركم وأشار عليكم بالرأي.

فقال لهما عليّ عليه السلام: الله بيني وبينكم وإليه أكلكم وبه أستظهر عليكم، اذهبوا حيث شئتم فلحق ابن المعتّم بمعاوية مع أحد عشر رجلاً من قومه.

وبعث عليّ عليه السلام إلىٰ حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب وهو صحابيّ فقال: أعليّ أم لي؟ قال: لا عليك ولا لك، ثمّ هرب إلىٰ معاوية مع

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٣.
(٢) في المصدر (عياش).

ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه لكنّهما اعتزلا الفريقين فأمر عليّ عليه السلام بهدم دار حنظلة، هدمها عريفهم بكر بن تميم وشبث بن ربعي(١).

وقالت طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام له: اكتب إلىٰ معاوية وإلىٰ من قبله من قومك بكتاب تدعوهم فيه إليك وتأمر بما لهم فيه من الحظ فإنّ الحجة لن تزداد عليهم بذلك إلّا عظما فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلىٰ معاوية ومن قبله قريش سلام عليكم: فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو أمّا بعد فإنّ لله عباداً آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهوا في الدين وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم وأنتم في ذلك الزمان أعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله تكذّبون بالكتاب مجمعون على حرب المسلمين من ثقفتم منهم حبستموه أو عذّبتموه أو قتلتموه حتى إذا أراد الله إعزاز دينه وإظهار رسوله ودخلت العرب في دينه أفواجاً وأسلمت هذه الأُمّة طوعاً وكرهاً على حين فاز أهل السبق بسبقهم والمهاجرون الأوّلون بفضلهم فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم وفضائلهم أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله أولىٰ به، ثم إنّ أوّلى الناس بأمر هذه الأُمّة قديماً وحديثاً أقربها من رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين وأوّلها إسلاما وأفضلها جهاداً وأشدّها بما تحمله الرعّية من أُمورها اضطلاعاً فاتّقوا الله الذي إليه ترجعون ﴿لا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾(٢). واعلموا أنّ خيار عباد الله الذين يعملون بما يعطون وأنّ شرارهم الجهّال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم فإنّ للعالم بعلمه فضلا وإنّ الجاهل لن يزداد بمنازعة العالم إلّا جهلاً ألا وإنّي أدعوكم إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وحقن دماء هذه الأُمّة فإنْ قبلتم أصبتم رشدكم وإن أبيتم إلّا الفرقة وشقّ عصا هذه الأُمّة لن تزدادوا من الله إلّا

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٩٥ - ٩٧ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) البقرة: ٤٢.

بعداً والسلام».

فكتب إليه معاوية:

ليس بيني وبين قيس عتابُ غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فقال عليّ عليه السلام: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾(١)(٢).

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ عمّاله في الآفاق يأمرهم بالمسير إليه وحثّ الناس على الجهاد معه.

فكتب إلىٰ مخنف بن سليم عامله على إصبهان وهمذان: «**إذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف علىٰ عملك أوثق أصحابك في نفسك وأقبِل إلينا**». وكتب عبد الله بن أبي رافع سنة ٣٧ - هكذا وردت هذه الرواية وقد مرّ ما يدلّ على أن ذلك كان سنة ٣٦ - فاستعمل مخنف على اصبهان وهمدان رجلين من قومه وأقبل حتى شهد معه صفّين(٣).

وكتب إلىٰ عبد الله بن عبّاس والي البصرة: «**أمّا بعد فأشخص إلّي مَن قبلكَ مِن المسلمين والمؤمنين وذكّرهم بلائي عندهم وعفوي عنهم واستبقائي لهم ورغّبهم في الجهاد وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل**». فقرأ عليهم ابن عبّاس كتاب عليّ عليه السلام وقال: أيها الناس استعدّوا للمسير إلىٰ إمامكم وانفروا في سبيل الله خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنكم تقاتلون المحلّين القاسطين الذين لا يقرؤون القرآن ولا يعرفون حكم الكتاب ولا يدينون دين الحق مع أمير المؤمنين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والصادع بالحق والحاكم بحكم الكتاب الذي لا يداهن الفجّار ولا تأخذه في

(١) القصص:٥٦.

(٢) وقعة صفّين: ١٤٩ ـ ١٥١ بتلخيص.

(٣) المصدر السابق: ١٠٤ - ١٠٥ بتلخيص .

الله لومة لائم.

فقام الأحنف بن قيس فقال: نعم والله لنجيبنّك ولنخرجنّ معك على العسر واليسر والرضا والكره ونحتسب في ذلك الخير ونأمل من الله عظيم الأجر.

وقام إليه خالد بن المعمّر السدوسي فقال: سمعنا وأطعنا فمتى استنفرتنا نفرنا ومتى دعوتنا أجبنا.

وقام إليه عمرو بن مرجوم العبدي فقال: وفّق الله أمير المؤمنين وجمع له أمر المسلمين ولعن المحلّين القاسطين الذين لا يقرؤون القرآن، نحن والله عليهم حنقون ولهم في الله مفارقون فمتى أردتنا صحبك خيلنا ورجلنا.

وأجاب الناس إلىٰ المسير ونشطوا أو خفّوا فاستعمل ابن عبّاس على البصرة أبا الأسود الدؤلي وقدم علىٰ عليّ ومعه رؤوس الأخماس:

خالد بن المعمر السدوسي على بكر بن وائل.

وعمرو بن مرجوم العبدي علىٰ عبد القيس.

وصبرة بن شيمان الأزدي على الأزد.

والأحنف بن قيس على تميم وضبّة والرباب.

وشريك بن الأعور الحارثي على أهل العالية.

فقدموا علىٰ عليّ بالنخيلة.

ولم يبرح عليّ النخيلة حتى قدم عليه ابن عبّاس بأهل البصرة، وكان أُمراء الأسباع من أهل الكوفة:

سعد بن مسعود الثقفي على قيس.

وعبد القيس ومعقل بن قيس اليربوعي.

ثم الرياحي على تميم وضبة والرباب.

وقريش وكنانة وأسد.

ومخنف بن سليم على الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار وخزاعة.

وحجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة.

وزياد بن النضر على مذحج والأشعريين.

وسعيد بن قيس بن مرّة الهمداني على همدان ومن معهم من حِمْيَر.

وعدي بن حاتم على طيء وتجمعهم الدعوة مع مذحج وتختلف الرايتان راية مذحج مع زياد بن النضر وراية طيء مع عدي بن حاتم(١).

وقال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بُديل بن ورقاء: إنّ يومنا ويومهم ليوم عصيب ما يصبر عليه إلّا كلّ مشبع(٢) القلب صادق النية رابط الجأش وأيم الله ما أظنّ ذلك اليوم يبقىٰ منّا ومنهم إلّا الرذّال.

قال عبد الله بن بديل: وأنا والله أظنّ ذلك.

فقال عليّ: **«ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع إنّ الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين وكلّ آتيه منيّته كما كتب الله، فطوبى للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في طاعته»**.

فلمّا سمع هاشم بن عتبة مقالتهم حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: سر بنا يا أمير المؤمنين إلىٰ هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضى الله فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله واستولاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومنّاهم الأماني حتّى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبّب إليهم الدنيا فهم يقاتلون على دنياهم

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١١٦ - ١١٨.

(٢) في المصدر (شيع).

رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً وأفضل الناس سابقة وقدماً وهم يعلمون منك مثل الذي علمنا ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين، فأيدينا مبسوطة لك بالسمع الطاعة وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة وأنفسنا بنورك[1] جذلة على من خالفك وتولّى الأمر دونك، والله ما أحبّ أنّ لي ما في الأرض مما أقلّت وما تحت السماء ممّا أظلّت وإنّي واليت عدوّاً لك أو عاديت وليّاً لك.

قال عليّ عليه السلام: «اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والمرافقة لنبيّك صلى الله عليه وآله» .

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام صعد المنبر ودعاهم إلىٰ الجهاد وممّا قاله في خطبته :

«اعلموا أنّ الله جعل أمراس الإسلام متينة وعراه وثيقة ونحن سائرون إن شاء الله إلىٰ من سفه نفسه وتناول ما ليس له وما لا يدركه معاوية وجنده الفئة الباغية الطاغية يقودهم إبليس ويدلّيهم بغروره فلا أعرفنّ أحداً منكم تقاعس عنّي فإنّ الذود إلىٰ الذود إبل ومن لا يذد عن حوضه يتهدم. ثمّ إنّي آمركم بالشدّة في الأمر والجهاد في سبيل الله وأن لا تغتابوا مسلماً وانتظروا النصر العاجل من الله إن شاء الله.

ثم قام الحسن بن عليّ عليهما السلام خطيباً فمما قاله في خطبته: **«إنّ ممّا عظّم الله عليكم حقّه وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره ولا يؤدّى شكره ولا يبلغه صفة ولا قول ونحن إنّما غضبنا لله ولكم فإنّه لم يجتمع قوم قطّ على أمر واحد إلّا اشتدّ أمرهم واستحكمت عقدتهم فاحتشدوا في قتال عدوّكم معاوية وجنوده ولا تخاذلوا فإنّ الخذلان يقطع نياط القلوب وإنّ الإقدام على الأسنّة نجدة وعصمة لأنّه لم يمتنع قوم قطّ إلّا رفع الله**

---

(١) في المصدر (تنصرك).

عنهم العلّة وكفاهم جوائح[١] الذلة وهداهم إلىٰ معالم الملّة.

والصلح تأخذ منه ما رضيتَ به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع»

ثمّ قام الحسين بن عليّ عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أهل الكوفة أنتم الأحبّة الكرماء، الشعار دون الدثار، جدّوا في إحياء مآثر[٢] دينكم وإسهال ما توعّر عليكم ألا إنّ الحرب شرّها ذريع وطعمها فظيع، وهي جرع مستحساة، فمن أخذ لها أهبتّها فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها فذاك قمن أن لا ينفع قومه ويهلك نفسه، نسأل الله بعونه أن يدعمكم بالفئة» ثمّ نزل[٣].

فأجابه[٤] إلىٰ السير والجهاد جلّ الناس إلّا أنّ أصحاب عبد الله بن مسعود وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه قالوا: نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ونعسكر على حدة فمن رأيناه أراد ما لا يحلّ له أو بدا لنا منه بغيّ كنّا عليه فقال عليّ عليه السلام: «مرحبا وأهلاً هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر».

وإنّما رضي منهم بذلك مع ظهور الحجّة عليهم لأنه قد علم من حالهم أنّهم لا يقبلون بغير هذا، فلو ألزمهم بالحرب معه ربّما ينفرون ويكونون مع معاوية فكان رضاه بما قالوا أصلح الأمرين لأنّه يُرجىٰ انضمامهم إليه بعد ذلك.

وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود فيهم ربيع بن خثيم - وهو

---

(١) الجوائح: الدواهي والشدائد، واحدتها جائحة.

(٢) في المصدر (مادثر بينكم).

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١١١ - ١١٥.

(٤) في المصدر (فأجاب عليّاً).

المدفون بقرب المشهد الرضوي الذي يسمّيه الإيرانيون «خواجه ربيع» - وهم يومئذٍ أربعمائة رجل فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ولا غناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمّن يقاتل العدو فولّنا بعض الثغور نكون به ثمّ نقاتل عن أهله، فوجّهه على ثغر الري فكان أوّل لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خثيم(١).

ودعا عليّ باهلة فقال: «يا معشر باهلة أُشهد الله أنّكم تبغضونني وأُبغضكم فخذوا عطاءكم واخرجوا إلىٰ الديلم». وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلىٰ صفّين(٢).

قال نصر بن مزاحم: وكتب محمّد بن أبي بكر إلىٰ معاوية: من محمّد بن أبي بكر إلىٰ الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله أمّا بعد فإنّ الله تعالى خلق خلقاً اختارهم على علمه فاصطفى منهم محمّداً صلى الله عليه وآله فاختصّه برسالته فدعا إلىٰ سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أوّل من أجاب أخوه وابن عمّه عليّ بن أبي طالب فوقاه كلّ هول وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كلّ خير أوّل الناس إسلاماً وأصدق الناس نيّةً ثمّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجتهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك وعلى ذلك خلفته فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو ولده وأوّل الناس له اتّباعاً وآخرهم به عهداً يخبره بسرّه ويشركه في أمره وأنت عدوّه وابن عدوّه فتمتّع ما استطعت بباطلك وليمدد

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١١٥.

(٢) المصدر السابق: ١١٦.

لك ابن العاص في غوايتك فكأنّ أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى والسلام على من اتبّع الهدى.

فأجابه معاوية : من معاوية بن أبي سفيان إلىٰ الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله أمّا بعد فقد أتاني كتابك لرأيك فيه تضعيف ولأبيك فيه تعنيف ذكرت حقّ ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته واحتجاجك بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد إلٰهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك وقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرزاً علينا فلمّا اختار الله لنبيه ﷺ ما عنده كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه ثم قام بعده[1] عثمان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي فخذ حذرك فسترى وبال أمرك وقس شبرك بفترك تقصر من[2] أن تساوي من يزن الجبال حلمه لا تلين على قسر قناته ولا يُدرِكُ ذومَدىَ أناته أبوك مهّد مهاده وبنى ملكه وشاده فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله وإن يكن جوراً فأبوك أسّسه ونحن شركاؤه وبهديه أخذنا وبفعله اقتدينا فعب أباك ما بدا لك أودع والسلام على من اتبّع الهدى[3].

وبلغ أهل العراق مسير معاوية إلىٰ صفّين فنشطوا وجدّوا غير أنّه كان من الأشعث بن قيس شيء عند عزله عن الرياسة وذلك أنّ رياسة كندة وربيعة كانت للأشعث فجعلها أمير المؤمنين عليه السلام لحسّان بن مخدوج فتكلّم في ذلك أُناس من أهل اليمن منهم الأشتر وعدي بن حاتم الطائي وزحر بن قيس

---

(١) في المصدر (بعدهما).

(٢) في المصدر (عن).

(٣) في المصدر (والسلام على من أناب، ورجع من غوايته وناب).

وهاني بن عروة فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ رياسة الأشعث لا تصلح إلّا لمثله وما حسّان مثل الأشعث.

فغضبتْ ربيعة فقال حريث بن جابر: يا هؤلاء رجل برجل وليس بصاحبنا عجز في شرفه وموضعه ونجدته وبأسه ولسنا ندفع فضل صاحبكم وشرفه.

وغضب رجال اليمنية فأتاهم سعيد بن قيس الهمداني فتكلّم في إصلاح الحال وقال حريث بن جابر: إن كان الأشعث ملكاً في الجاهلية وسيّداً في الإسلام، فإنّ صاحبنا أهل هذه الرياسة وما هو أفضل منها، فقال حسّان للأشعث: لك راية كندة ولي راية ربيعة فقال: معاذ الله لا يكون هذا أبداً ما كان لك فهو لي وما كان لي فهو لك.

وبلغ معاوية ما صُنع بالأشعث فقال: اقذفوا إلىٰ الأشعث شيئاً تهيّجونه به على عليّ فدعوا شاعراً لهم، فقال هذه الأبيات، فكتب بها مالك بن هبيرة إلىٰ الأشعث وكان له صديقا وكان كنديّاً:

من كان في القوم مثلوجاً بأُسرته ... فالله يعلم أنّي غير مثلوجِ
زالتْ عن الأشعث الكندي رياسته ... واستجمع الأمرحسّانبن محدوج[1]
يا لَلرِّجالِ لعارٍ ليس يغسله ... ماءُ الفرات وكربٍ غيرِ مفروجِ
إن ترض كندة حسّاناً بصاحبها ... ترض الدناة وما قحطانُ بالهوجِ
كان ابنُ قيس هماماً في أرومتهِ ... ضخماً يبوء بملكٍ غير مفلوجِ
إنّ الذين تولّوا بالعراق له ... لا يستطيعون طُرّاً ذبحَ فرّوجِ

(١) في المصدر (مخدوجٍ).

ليست ربيعة أولى بـالذي خـديت[١] مـن حـقٍّ كـندة حـقُّ غـير محجوجِ

فلمّا انتهى الشعر إلىٰ أهل اليمن قال شريح بن هاني:

يا أهل اليمن ما يريد صاحبكم إلّا أن يفرّق بينكم وبين ربيعة.

ومشى حسّان بن محدوج إلىٰ الأشعث برايته حتى ركزها في داره فقال الأشعث: إنّ هذه الراية عظمت على عليّ وهي[٢] والله أخف علـيّ مـن زفّ النعام ومعاذ الله أن يغيرني، ذلك لكم، فـعرض عـليه أمـير المـؤمنين عليه السلام أن يـعيدها إليـه فأبـى وقـال: يـا أمـير المـؤمنين إن يكـن أوّلهـا شـراً فـليس آخرها بعر[٣].

فقال له عـليّ: «أنـا أشركك فيه» فـولاّه عـلى مـيمنته وهـي مـيمنة أهـل العراق[٤].

وأمر عليّ عليه السلام الحـارث الأعـور أن يـنادي فـي النـاس أن اخـرجـوا إلىٰ معسكركم بالنخيلة[٥] فنادى بذلك وبعث عليّ إلىٰ مالك بن حبيب اليربوعي

---

(١) في المصدر (حُذِيت).

(٢) في المصدر (وهو).

(٣) في المصدر (بعار).

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٣٧ - ١٤٠.

(٥) النخيلة هي معسكر الكوفة قال بحر العلوم في رسالته في صلاة المسافر أظن أنـها المـوضع المـعروف بالكفل والمسافة بينها وبين الخارج من المسجد وأوساط البلد يوشك أن يكون بريداً... الخ. والبريد أربعة فراسخ نحو مسير ست ساعات وسيأتي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خرج من النخيلة حتى إذا جاز حدود الكوفة وذلك بين القنطرة والجسر بعدما قطع النهر صلى الظهر ركعتين ثم أتى دير أبي موسى وهو على فرسخين من من لاكوفة دل على أن النخيلة في حدود الكوفه وأنه لم يخرج من حدود الكوفة حتى صار بين القنطرة والجسر بعدما قطع النهر وأن دير أبي موسى الذي هو على فرسخين من الكوفة بعد النخيلة فكيف تكون النخيلة على أربعة فراسخ من وسط الكوفة ويمكن الجواب بأن الكوفة كانت في ذلك الوقت كبيرة جداً وأنه كان بين وسطها وآخرها وبين النخيلة نحو فرسخ أو أقل وإن كان بين وسطها وبين الكفل اليوم المظنون أنه النخيلة نحو أربعة فراسخ والله أعلم.

صاحب شرطته فأمره أن يحشر الناس إلىٰ المعسكر ودعا عقبة بن عمرو الأنصاريّ فاستخلفه على الكوفة وكان أصغر أصحاب العقبة السبعين ثم خرج عليّ عليه السلام وخرج الناس معه إلىٰ النخيلة(١).

ولمّا أراد المسير إلىٰ النخيلة بعث زياد بن النضر وشريح بن هاني على مقدمته في اثني عشر ألفاً: شريح على طائفة من الجند، وزياد على الكل، وأمرهما أن يأخذا على طريق واحد ولا يختلفا، فأخذ شريح يعتزل بمن معه على حدة ولا يقترب من زياد فكتب زياد إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام مع مولى له اسمه شوذب: إنّ شريحاً لا يرى لي عليه طاعة وكتب شريح إليه إنّ زياداً تنكّر واستكبر فإن أراد أمير المؤمنين أن يعزله عنّا ويبعث مكانه فإنّا له كارهون فكتب إليهما عليّ عليه السلام: **«إن جمعكما حرب فزياد على الناس وإن افترقتما فكلّ واحد أمير على الطائفة التي ولّيناه أمرها»**(٢).

ومن ذلك يعلم كيف كان حال أصحابه في تفرّقهم.

وصايا للجيش مهمة

«واعلما أنّ مقدّمة الجيش عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر في كلّ جانب كيلا يغرّكما عدّو أو يكون لهم(٣) كمين. ولا تُسَيِّرنّ الكتائب من لدن الصبح إلىٰ المساء إلّا على تعبية فإن دهمكم مكروه كنتم قد تقدّمتم في التعبية وإذا نزلتم بعدّو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون ذلك لكم رداءاً وتكون

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٢١.

(٢) المصدر السابق: ١٢١ - ١٢٣ بتلخيص.

(٣) في المصدر (لكم).

مقاتلتكم من وجه أو اثنين، واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال وبأعالي الأشراف ومناكب الأنهار[١] يرون لكم لئلا يأتيكم عدوّ من مكان مخافة أو أمن وإيّاكم والتفرّق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا وإذا رحلتم فارحلوا جميعا وإذا غشيكم ليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح والأترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم وما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة ولا تلفي لكم[٢] غرّة فما قوم حفّوا عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل أو نهار إلّا كانوا كأنّهم في حصون. وأحرسا عسكركما بأنفسكما وإيّاكما أن تذوقا نوماً حتى تصبحا إلّا غراراً أو مضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتّى تنتهيا إلىٰ عدوّكما وليكن عندي كلّ يوم خبركما ورسول من قبلكما فإنّي ولا شيء إلّا ما شاء الله حثيث السير في آثاركما، عليكما في حربكما بالتؤدة وإيّاكما والعجلة إلّا أن تمكنكم فرصة بعد الإعذار والحجة وإيّاكما أن تقاتلا حتّى أقدم عليكما إلّا أنّ تُبدءا أو يأتيكما أمري»[٣].

وصايا إلىٰ أمراء الأجناد

وكتب إلىٰ أُمراء الأجناد: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين: أمّا بعد فاعزلوا الناس عن الظلم والعدوان وخذوا على أيدي سفهائكم واحترسوا أن تعملوا أعمالا لا يرضى الله بها عنّا فيرد علينا وعليكم دعاءنا فإنّ الله تعالى يقول ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[٤]»[٥].

---

(١) في المصدر (الهضاب).

(٢) في المصدر (منكم).

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٢٣ - ١٢٥.

(٤) الفرقان: ٧٧.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٢٥.

وصاياه الى جنوده

وكتب إلىٰ جنوده يخبرهم بالذي لهم والذي عليهم : «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين: أمّا بعدُ فإنّ الله جعلكم في الحقّ جميعا سواء أسودكم وأحمركم وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد وبمنزلة الولد من الوالد وإنّ حقّكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم والكفّ عن فيئكم فإذا فعل ذلك معكم وجبت عليكم طاعته بما وافق الحق ونصرته على سيرته والدفع عن سلطان الله فإنّكم وزعة الله في الأرض[١] ـ الوزعة الذين يدفعون عن الظلم - فكونوا له أعوانا ولدينه أنصارا ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها إنّ الله لا يحبّ المفسدين»[٢].

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام بالنخيلة حتى اجتمعت إليه الجنود ولم يبرحها حتّى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة[٣].

ومرّت عليه جنازة وهو بالنخيلة فقال: «ما يقول الناس في هذا القبر»؟ وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله فقال الحسن بن عليّ: «يقولون هذا قبر هود النبيّ لمّا أن عصاه قومه جاء فمات هاهنا» قال: «كذبوا لأنا أعلم به منهم هذا قبر يهوذا بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم بِكر يعقوب».

ثمّ قال: «هاهنا أحد من مهرة[٤]»؟ فأُتي بشيخ كبير فقال «أين منزلك؟» قال: على شاطىء البحر قال: «أين هو من الجبل الأحمر»؟ قال: قريب منه قال: وما يقول قومك فيه قال: يقولون قبر ساحر قال: «كذبوا ذاك قبر هود وهذا قبر يهوذا ابن يعقوب».

---

(١) في المصدر زيادة (قال: عمر).

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٢٦.

(٣) المصدر السابق: ١١٦.

(٤) مهرة: حي من اليمن.

وبلغ معاوية مكان عليّ بالنخيلة ومعسكره بها ومعاوية قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضّب بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون لا تجفّ دموعهم على عثمان فخطب معاوية أهل الشام فقال: يا أهل الشام قد كنتم تكذّبونني في عليّ وقد استبان لكم أمره والله ما قتل خليفتكم غيره وهو أمر بقتله وألّب الناس عليه وآوىٰ قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادكم لإبادتكم. يا أهل الشام الله الله في عثمان فأنا وليّ عثمان وأحقّ من طلب بدمه وقد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً فانصروا خليفتكم فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلما وبغياً وقد أمر بقتال الفئة الباغية حتّى تفيء إلىٰ أمر الله، فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعمل على فلسطين ثلاثة رهط جعلهم بإزاء أهل مصر لئلاّ يغيروا عليهم من خلفهم، وكتب إلىٰ معتزلة مصر وهم يومئذ يكاتبون معاوية ولا يطيقون مكاثرة أهل مصر: إن تحرّك قيس عامل عليّ على مصر أن يثبتوا له ـ وكان عليّ عليه السلام بعث قيس بن سعد الأنصاري من الكوفة إلىٰ مصر أميراً عليها - وفيها يومئذ معاوية بن خديج وحصين بن نمير[1].

ولمّا أراد عليّ عليه السلام الخروج من النخيلة وذلك لخمس مضين من شوّال يوم الأربعاء سنة ٣٦ خطب الناس وقال: «**قد أمّرت على المصر عقبة بن عمرو الأنصاري فإيّاكم والتخلّف والتربّص فإنّي قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعي وأمّرته أن لا يترك متخلّفا إلّا ألحقه بكم عاجلا إن شاء الله**».

«فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال: يا أمير المؤمنين والله لا يتخلّف عنك إلّا ظنين ولا يتربص بك إلّا منافق فأمر مالك بن حبيب أن يضرب

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٢٦ - ١٢٨.

أعناق المتخلّفين.

قال عليّ: «قد أمرته بأمري وليس مقصّراً إن شاء الله».

ودعا بدابّته فجاءته فلمّا أراد ان يركب وضع رجله في الركاب وقال: «بسم الله» فلمّا جلس على ظهرها قال: ﴿الحمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مقرنين * وإنّا إلىٰ ربّنا لمنقلبون﴾(١) ثم قال: «اللّهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحيرة بعد اليقين وسوء المنظر في الأهل والمال والولد، اللّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ولا يجمعهما غيرك لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً والمستصحب لا يكون مستخلفاً».

ثمّ خرج وخرج أمامه الحرّ بن سهم بن طريف الربعي ربيعة تميم وهو يقول:

يا فرسي سيري وأُمّي الشاما ... وقطّعي الحُزونَ والأعلاما
ونابذي من خالف الإماما ... إنّي لأرجو إن لقينا العاما
جمع بني أُميّة الطغاما ... أن نقتل العاصي والهماما
وأن نزيل من رجال هاما

وقال مالك بن حبيب وهو صاحب شرطته وهو آخذ بعنان دابّته: يا أمير المؤمنين أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد والقتال وتخلّفني في حشر الرجال؟ فقال له عليّ: «إنّهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلّا كنت شريكهم فيه وأنت هاهنا أعظم غناء منك عنهم لو كنت معهم» فقال: سمعاً وطاعة.

فخرج عليّ حتى إذا جاز حدّ الكوفة وذلك بين القنطرة والجسر بعد ما

(١) الزخرف: ١٣ - ١٤.

قطع النهر[١] أمر مناديه فنادىٰ بالصلاة فتقدّم فصلّى ركعتين حتى إذا قضى الصلاة أقبل على الناس فقال: «يا أيّها الناس ألا من كان مشيّعاً أو مقيماً فليتّم الصلاة فإنّا قوم على سفر ومن صحبنا فلا يصم المفروض والصلاة ركعتان».

ثمّ خرج حتّى أتى دير أبي موسى وهو من الكوفة على فرسخين فصلّى بها العصر فلمّا انصرف من الصلاة قال: «سبحان ذي الطول والنعم سبحان ذي القدرة والإفضال أسأل الله الرضا بقضائه والعمل بطاعته والإنابة إلىٰ أمره فإنّه سميع الدعاء»[٢].

قال نصر : ثمّ خرج حتى نزل على شاطىء البرس[٣] فصلّى بالناس المغرب فلما انصرف قال : «الحمد لله الذي يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الحمد لله كلّما وقب ليل وغسق والحمد لله كلمّا لاح نجم وخفق».

ثم أقام حتّى صلّى الغداة ثمّ شخص حتى بلغ قُبةّ قُبِّين[٤] وبها نخل طوال إلىٰ جانب البيعة فلمّا رآها قال: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾[٥]، ثمّ أقحم دابته النهر فنزلها فمكث بها قدر الغداء وسار فلمّا جاز جسر الصراة[٦] نزل

(١) كان الفرات في ذلك العصر يخترق الكوفة وعليه قنطرة وهي ما يبنى بالآجر ولها ذكر في الأخبار وعليه جسر وهو ما يعمل من السفن فبعد ما عبر النهر إما على القنطرة أو على الجسر وسار حتى جاز حد الكوفة وبلغ حد الترخص فلا يسمع الآذان ولا يرى الجدران وهو ما يجوز للمسافر عنده الإفطار وقصر الصلاة دخل وقت الظهر فصلى الظهر قصراً واعلم الناس أن فرض المسافر القصر والإفطار.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٣١ - ١٣٤ .

(٣) في المصدر (نرس). والبرس بلدة بين الكوفة والحلة. وفي معجم البلدان بُرس بالضم موضع بأرض بابل.

(٤) في القاموس قبين موضع بالعراق واسم نهر وولاية بالعراق. وفي معجم البلدان قبين بالضم ثم الكسر والتشديد ومثناة تحتية اسم أعجمي لنهر وولاية بالعراق، ثم ذكر أن الأقيشر خرج الى الشام فلما عبر على جسر سوراء نزل بقرية يقال لها قبين.

(٥) ق: ١٠.

(٦) الصرة نهر يخرج من الفرات.

فصلّى بالناس العصر.

ثمّ خرج حتى أتى دير كعب ـ ولم أجده في مظانّه فلست أدري أين هو قال: ـ ثمّ مضى نحو ساباط[1] فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزول والطعام فقال: «لا ليس ذلك لنا عليكم» وبات بساباط فلمّا أصبح وهو بمظلم ساباط[2] قال: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾[3])[4].

فلمّا انتهى إلىٰ مدينة بهرسير[5] إذا رجل من أصحابه يقال له حريز بن سهم ينظر إلىٰ آثار كسرى وهو يتمثّل قول ابن يعقوب[6] التميمي:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنما كانوا على ميعادِ

فقال عليّ: أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ ونَعمْةٍ* كَانوا فِيهَا فاكهين * كَذَلِكَ وأوْرَثْنَاهاَ قَوْماً آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهُم السَّمَاءُ والأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[7].

إنّ هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين إنّ هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إيّاكم وكفر النعم لا تحلّ بكم النّقم.

ثمّ قال: انزلوا بهذه النجوة[8].

وبعث أمير المؤمنين عليه السلام معقل بن قيس من المدائن في ثلاثة آلاف

---

(١) في معجم البلدان ٣:١٦٦ ساباط كسرى بالمدائن موضع معروف سمي باسم رجل من الفرس كان ينزله.

(٢) في معجم البلدان ٥: ١٥٢، مظلم ساباط مضاف الى ساباط التي قرب المدائن موضع هناك ولا أدري لمن سمي بذلك.

(٣) الشعراء: ١٢٨.

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٣٤ - ١٣٦.

(٥) لفظ فارسي معناه موضع التنزه.

(٦) في المصدر (يعفر).

(٧) الدخان: ٢٥ - ٢٩.

(٨) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٤٢ - ١٤٣.

وقال له: «خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القني بالرقّة فإنّي موافيها وسكّن الناس وآمنهم ولا تقاتل إلّا من قاتلك وسِرِ البَرْدَيْن وغوّر بالناس وأقم الليل ورفّه في السير ولا تسر أوّل[1] الليل فإنّ الله جعله سكناً أرح فيه بدنك وجندك وظهرك فاذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر».

فخرج حتّى أتى الحديثة وهي إذ ذاك منزل الناس، إنّما بنى مدينة الموصل بعد ذلك محمّد بن مروان فإذا هم بكبشين ينتطحان ومع معقل بن قيس رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قُتل بعد ذلك مع الحرورية فأخذ يقول: إيه إيه. فجاء رجلان فأخذ كل منهما كبشا فقال الخثعمي لمعقل: لا تْغلِبون ولا تُغلَبون أما ترى الكبشين أحدهما مشرق والآخر مغرب اقتتلا ولم ينتصف واحد منهما من صاحبه حتى فرّق بينهما.

ثم مضوا حتى أتوا علياً بالرقّة[2] وأمر عليّ الحارث الأعور فصاح في أهل المدائن: من كان من المقاتلة فليوافِ أمير المؤمنين صلاة العصر. فوافوه في تلك الساعة.

فقال: «قد تعجبت من تخلّفكم دعوتكم وانقطاعكم عن أهل مصركم في هذه المساكن الظالم أهلها والهالك أكثر سكّانها لا معروفا تأمرون به ولا منكراً تنهون عنه» قالوا: يا أمير المؤمنين إنّا كنا ننتظر أمرك ورأيك مرنا بما أحببت فسار وخلّف عليهم عدي بن حاتم فأقام عليها ثلاثا ثمّ خرج في ثمانمائة وخلّف ابنه زيداً فلحقه في أربعمائة منهم ثمّ لحقا علياً عليه السلام.

وجاء عليّ حتّى مرّ بالأنبار - وهي بلدة قرب الفلّوجة وهي الآن خراب

(١) ليست في المصدر.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٤٨ - ١٤٩.

كان كسرى يجعلها أنباراً للحبوب - فاستقبله بنو خشنوشك[١] دهاقينها. فلما رأوه نزلوا ثم جاءوا يشتدون معه قال: «ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خُلق منّا نُعظّم به الأمراء وأمّا هذه البراذين فهدية لك وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً وهيّأنا لدوابّكم علفاً كثيراً قال: أما هذا الذي زعمتم أنّه منكم خُلقٌ تُعظّمون به الأمراء فوالله ما ينفع هذا الأمراء وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وأبدانكم فلا تعودوا، له وأما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم، وأمّا طعامكم الذي صنعتم لنا فإنّا نكره أن نأكل من أموالكم شيئاً إلّا بثمن.

قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نُقوّمه ثمّ نقبل ثمنه قال: إذا لا تقوّمونَه قيمتَه نحن نكتفي بما هو دونه.

قالوا: يا أمير المؤمنين فان لنا من العرب موالي ومعارف فتمنعنا أن نهدي لهم وتمنعهم أن يقبلوا منّا؟

قال[٢]: ليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هدّيتكم وإن غصبكم أحد فأعلمونا.

قالوا: يا أمير المؤمنين إنّا نحبّ أن تقبل هديّتنا وكرامتنا قال: ويحكم نحن أغنى منكم» فتركهم[٣].

ثم مضى أمير المؤمنين عليه السلام حتى نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بالجزيرة فقال ليزيد بن قيس الأرحبي: «يا يزيد!» قال:

---

(١) في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم: قال سليمان: خش طيب. نوشك راضي يعني بني الطيب الراضي (بالفارسية).

(٢) وجاء في المصدر زيادة: (كل العرب لكم عوالٍ).

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٤٣ - ١٤٤.

لبيّك يا أمير المؤمنين قال: «**هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم ومن شرابهم فاشرب**»[١].

وصالح وفد بني تغلب على أن يقرّهم على دينهم ولا يصبغوا أبناءهم في النصرانية[٢].

ثمّ سار حتى بلغ قرية دون قرقيسيا فوافاه بها زياد بن النضر وشريح بن هاني الذين كان قد وجههما في اثني عشر ألفاً مقدّمة له فأخذا على شاطىء الفرات من قبل البر ممّا يلي الكوفة حتّى بلغا عانات، فبلغهم أخذ عليّ على طريق الجزيرة وبلغهم أن معاوية أقبل في جنود الشام من دمشق لاستقبال عليّ فقالا: والله ما هذا لنا برأي أن نسير وبيننا وبين أمير المؤمنين هذا البحر ما لنا خير أن نلقى جموع أهل الشام بقلّة من عددنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها وحبسوا عنهم السفن[٣] فأرادوا قتالهم فتحصّنوا فرجعوا إلىٰ هيت فعبروا منها ولحقا عليا بتلك القرية فقال: مقدّمتي تأتي ورائي فتقدّم إليه شريح وزياد فأخبراه بالذي رأيا فقال: «**قد أصبتما رشدكما**»[٤].

ثم سار حتّى أتى الرقّة وجلّ أهلها العثمانية الذين فرّوا من الكوفة برأيهم وأهوائهم إلىٰ معاوية فغلقوا أبوابها وتحصّنوا فيها وأميرهم سِماك بن مَخْرَمة الأسدي في طاعة معاوية وكان قد فارق عليّاً في نحو مائة رجل من

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) المصدر السابق :١٤٦.

(٣) المصدر السابق: ١٤٦.

(٤) المصدر السابق: ١٥٢ - ١٥٣ - بتقديم وتأخير في الجمل.

بني أسد ثم أخذ يكاتب قومه حتّى لحق به منهم سبعمائة رجل[١].

ووافاه بالرقّة معقل بن قيس الذي كان أرسله عليّ من المدائن في ثلاثة آلاف[٢] وقال لأهل الرقّة: «اجسروا لي جسراً لكي أعبر من هذا المكان إلىٰ الشام» فأبوا وقد كانوا ضمّوا السفن عندهم فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلّف عليهم الأشتر فناداهم: إنّي أُقسم بالله لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم حتّى يعبر منها لأُجرّدن فيكم السيف ولأقتلنّ مقاتلتكم ولأُخرّبن أرضكم ولآخذنّ أموالكم. فلقي بعضهم بعضا فقالوا: إنّ الأشتر يفي بما يقول وإنّ عليّاً خلّفه علينا ليأتينا منه الشرّ فبعثوا إليه: إنّا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا.

فأرسل الأشتر إلىٰ عليّ فجاء ونصبوا له الجسر فعبر على الأثقال والرحال ثمّ أمر الأشتر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق أحد من الناس إلّا عبر.

ثمّ إنّه عبر آخر الناس وازدحمت الخيل حين عبرت فسقطت قلنسوة عبد الرّحمٰن بن أبي الحصين فنزل فأخذها وركب وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجّاج فنزل فأخذها ثمّ ركب فقال لصاحبه:

إن يكن ظن الزاجر الطائر صادقاً كما يزعمون أُقتل وشيكاً وتُقتلِ

فقال عبد الرحمن: ما شيء أحبّ إلّي مما ذكرت فقُتلا جميعاً يوم صفّين[٣].

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٤٦.

(٢) المصدر السابق: ١٤٨ و ١٤٩.

(٣) المصدر السابق: ١٥١ - ١٥٢.

فلمّا عبر[١] عليٌّ الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هاني فسرّحهما أمامه نحو معاوية على حالهما الذي كانا عليه حين خرجا من الكوفة في اثني عشر ألفاً.

فلقيهم أبو الأعور في جند أهل الشام فدعوهم إلىٰ الدخول في طاعة أميرالمؤمنين عليه السلام فأبوا فبعثوا إلىٰ عليّ عليه السلام إنّا قد لقينا أبا الأعور السلمي بسور الروم في جند من أهل الشام فدعوناه وأصحابه إلىٰ الدخول في طاعتك فأبوا فمرنا بأمرك فأرسل عليّ الأشتر فقال: «يا مال إنّ زياداً وشريحاً أرسلا إليّ يُعلماني أنّهما لقيا أبا الأعور في جند من أهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول أنّه تركهم متواقفين فالنجاء إلىٰ أصحابك النجاء فإذا أتيتهم فأنت الأمير عليهم وإيّاك أن تبدأ القوم بقتال إلّا أن يبدؤوك، ولا يجرمنّك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرّة بعد مرّة، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً وقف في القلب ولا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب ولا تتباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى أُقدم عليك فإنّي حثيث السير إليك إن شاء الله».

وكتب إليهما: «أمّا بعد فإنّي أمّرتُ عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا أمره فإنّه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عمّا الاسراع إليه أحزم ولا الاسراع إلىٰ ما البطؤ عنه أمثل».

فقدم عليهم الأشتر وكفّ عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتّى إذاكان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم انصرف أهل الشام.

ثمّ خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسنٍ عُدتُّها وعددُها وخرج إليهم أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل

---

(١) في المصدر (قطع).

والرجال على الرجال فصبر القوم بعضهم لبعض ثم انصرفوا وبكّر عليهم الأشتر فقتل منهم عبد الله بن المنذر التنوخي وكان فارس أهل الشام، قتله ظبيان بن عمارة التميمي وهو فتى حدث السن وأخذ الاشتر يقول: ويحكم، أروني أبا الأعور .

ثمّ رجع أبو الأعور بمن معه فوقفوا على تل من وراء المكان الذي كان فيه فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي انطلق إلىٰ أبي الأعور فادعه إلىٰ المبارزة، فقال: إلىٰ مبارزتي أو مبارزتك؟ قال: إلىٰ مبارزتي، فقال الأشتر: لو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم والله الذي لا إله إلّا هو لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي فعلت فقال: يا ابن أخي أطال الله بقاءك، قد والله ازددت فيك رغبة، لا، ما أمرتك بمبارزته إنّما أمرتك أن تدعوه إلىٰ مبارزتي لأنّه لا يبارز إلّا ذوي الكفاءة والأسنان والشرف وأنت بحمد الله من أهل الكفاءة والشرف لكنك حديث السن وليس يبارز الأحداث، فاذهب إليه فادعه لمبارزتي.

فأتاه فقال: آمنوني فإنّي رسول فآمنوه.

قال: فأتيت أبا الأعور فقلت: إنّ الأشتر يدعوك إلىٰ مبارزته فسكت طويلا ثمّ قال: إنّ خفّة الأشتر وسوء رأيه هو الذي دعاه إلىٰ إجلاء عمّال عثمان من العراق وافترائه عليه وإلىٰ أن سار إليه في داره فقتله فيمن قتل. لا حاجة لي في جوابك ولا الاستماع منك إذهب عنّي فصاح بي أصحابه فانصرفت ولو سمع منّي لأخبرته بعذر صاحبي وحجتّه فرجعت إلىٰ الأشتر فأخبرته أنّه قد أبى المبارزة فقال: لنفسه نظر. فتواقفنا حتى حجز بيننا وبينهم الليل وبتنا متحارسين فلمّا أصبحنا نظرنا فإذا هم قد انصرفوا وصبحنا على غدوة، فسار نحو معاوية فتوافوا بقناصرين إلىٰ جنب صفّين.

وكان مع عليّ مائة وخمسون ألفاً وقيل: مائة ألف أو يزيدون ومع معاوية نحو ذلك[١] وقيل: كان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضعف[٢].

ويدلّ شعر بعض شعراء الشام أنّ أهل الشام كانوا سبعين ألفاً وهو قوله:

لله درّ كتائب جاءتكم   تبكي فوارسها على عثمان
سبعون ألفا ليس فيهم قاسط   يتلون كلّ مفصل ومثاني[٣]

وإن صحّ أنّ أصحاب عليّ عليه السلام كانوا مائة وخمسين ألفا أو يزيدون فيكون الصواب أنّ أهل العراق يزيدون أهل الشام بالضعف والله أعلم.

وعلى مقدمة معاوية أبو الأعور السلمي سفيان بن عمرو، وعلى ساقته بسر بن أرطأة العامري.

وطلب عليّ موضعاً لمعسكره وأمر الناس أن يضعوا أثقالهم فلّما نزلوا تسرّع فوارس من فوارس عليّ عليه السلام على خيلهم إلىٰ معاوية وكانوا مائة وثلاثين ولم ينزل بعد معاوية فناوشوهم القتال واقتتلوا هويّا[٤].

فكتب معاوية إلىٰ عليّ: عافانا الله وإيّاك:

ما أحسن العدل والإنصافَ من عملٍ   وأقبحَ الطيشَ ثم النّفْشَ[٥] في الرجلِ
اربط حمارك لا تنزع[٦] سويتّهُ[٧]   إذاً يردُّ وقيدُ العَير[٨] مكروبُ[٩]

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٥٢ - ١٥٧. بتلخيص واختلاف يسير باللفظ وتقديم وتأخير بالجمل.
(٢) المصدر السابق: ٢٢٦ .
(٣) المصدر السابق: ٢٢٩ .
(٤) هوي كغني أي وقتاً طويلاً.
(٥) النفش كثرة الكلام.
(٦) في المصدر (لا ينزع).
(٧) السوية كغنية كساء محشو بعشب كالبرذعة.
(٨) العير الحمار.
(٩) أي مشدود مضيق.

ليست ترى السيد[١] زيداً[٢] في نفوسهم كما تراه بنو كور[٣] ومرهوبُ[٤]
إن تسألوا الحقَّ يعط الحقَّ سائلُه والدرع محقبةٌ والسَّيفُ مقروبُ
أو تأنفون[٥] فإنّا معشر أنفُ لا نَطعَمُ الضَّيمَ إنّ السمَّ مشروبُ[٦]

فأمر عليّ عليه السلام الناس فوزعوا عن القتال حتّى يأخذ أهل المصاف مصافّهم ثم قال «أيّها الناس هذا مقام من نصف فيه نصف[٧] يوم القيامة ومن فلج فيه فلج يوم القيامة، فتراجع الناس إلىٰ معسكرهم»)[٨].

القتال على الماء

فإذا أبو الأعور السلمي صاحب مقدمة معاوية قد سبق إلىٰ سهول الأرض وسعة المنزل وشريعة الماء مكان أفيح فأتاه الأشتر صاحب مقدمة عليّ عليه السلام في أربعة آلاف من مستبصري أهل العراق فأزالوا أبا الأعور عن معسكره فأقبل معاوية في جميع الفيلق فلمّا رأى ذلك الأشتر إنحاز إلىٰ عليّ عليه السلام وغلب معاوية على الماء وحال بين أهل العراق وبينه[٩]، وذهب شباب من الناس

---

(١) السيد قبيلة من ضبة.
(٢) هو زيد الخيل الفارس المشهور وبنو السيد هم بنو عم زيد الخيل وكانت بينهم عداوة.
(٣) بنو كور قبيلة من بني ذهل بن مالك.
(٤) بنو مرهوب أيضاً قبيلة من بني ذهل بن مالك يقول: إن بني السيد لا يرون زيداً في نفوسهم كما يراه أهله الأدنون وهم بنو كور وبنو مرهوب وهذا مثل لضربه لعليّ عليه السلام يقول له: أردع جيشك عن التسرع والعجلة فإن أهل الشام لا يرون لك ما يراه أهل العراق من التعظيم والتبجيل.
(٥) كان القياس أو تأنفوا لأنه معطوف على المجزوم فأثبتت النون إما للضرورة أو من باب الاستئناف.
(٦) أي لا نقبل الذل ولو أدى ذلك الى أشق الأحوال التي هي كشرب السم فإن منصوب بنزع الخافض أي لان.
(٧) في المصدر (نَطُفِ فيه نَطُفِ) (والنطفة بالبناء: أي اتهم بالريبة). نطف كعلم أي تدنس وتلطخ.
(٨) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٥٧ - ١٥٩.
(٩) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٥٦ - ١٥٧.

وغلمانهم يستقون فمنعهم أهل الشام.

فقال عبد بن عوف بن الأحمر: لمّا قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً وأخذوا الشريعة فهي في أيديهم وقد صفّ أبو الأعور عليها الخيل والرّجالة وقدّم الرامية ومنهم أصحاب الرماح والدرق وعلى رؤوسهم البيض وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء ففزعنا إلىٰ أمير المؤمنين فأخبرناه، فدعا صعصعة بن صوحان فقال: «إئت معاوية فقل: «إنّا سرنا مسيرنا هذا وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قد قدمت بخيلك تقاتلنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالقتال ونحن من رأينا الكفّ حتى ندعوك ونحتّج عليك وهذه أُخرى قد فعلتموها، حلتم بين الناس وبين الماء فخلّ بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم وإن كان أحبّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا»».

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ قال الوليد بن عقبة: إمنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام اقتلهم عطشاً قتلهم الله. قال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم وبين الماء فإنّهم لن يعطشوا وأنت رّيان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم، فأعاد الوليد مقالته وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخو عثمان من الرضاعة: إمنعهم الماء إلىٰ الليل فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا. وكان رجوعهم هزيمتهم إمنعهم الماء منعهم الله إيّاه يوم القيامة فقال صعصعة: إنّما يمنعه الله يوم القيام الكفرة الفجرة شربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعنى الوليد بن عقبة فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كفّوا عن الرجل فإنّه رسول فقال صعصعة لمعاوية: ما تّرد عليَّ، قال: سيأتيكم رأيي، فوالله ما راعانا إلّا تسوية الرجال والخيل والصفوف فارسل إلىٰ أبي الأعور

إمنعهم الماء[١].

وقال السليل بن عمرو السكوني يخاطب معاوية:

امنع الماء من صحاب عليّ أنّ يذوقوه والذليل ذليلُ
واقتل القوم مثلما قُتل الشيخ ظمأ والقصاصُ أمر جميلُ
فامنع القوم ماءكم ليس للقوم بقاء وإن يكن فقليلُ

فقال معاوية: الرأي ما تقول ولكنّ عمراً لا يدعني، فقال عمرو: خلّ بينهم وبين الماء فإنّ علياً لم يكن ليظمأ وأنت رّيان وفي يده أعنّة الخيل وهو ينظر إلىٰ الفرات حتى يشرب أو يموت وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرق ومعه أهل العراق وأهل الحجاز وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلا فذكر أمراً يعني لو أنّ معي أربعين رجلا يوم فتش البيت (يعنى بيت فاطمة) ذكر ذلك نصر في كتاب صفّين[٢].

وفرح أهل الشام بالغلبة على الماء، فقال معاوية: يا أهل الشام هذا والله الظفر لا سقاني الله ولا سقى أبا سفيان إن شربوا منه أبداً حتى يُقتلوا بأجمعهم عليه.

وتباشر أهل الشام فقام إلىٰ معاوية رجل من أهل الشام يقال له: المعرّي بن الأقبل الهمداني وكان ناسكا وكان له لسان وكان صديقاً ومؤاخياً لعمرو بن العاص، فقال: يا معاوية سبحان الله إن سبقتم القوم إلىٰ الفرات فغلبتموهم عليه تمنعونهم عنه أما والله لو سبقوكم إليه لسقوكم منه أما تعلمون أنّ فيهم العبد والأُمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له هذا والله أوّل الجور لقد

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٦٠ - ١٦٢.

(٢) المصدر السابق: ١٦٢ - ١٦٣.

شجعت الجبان وبصّرت المرتاب وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك. فاغلظ له معاوية وقال لعمروا: اكفني صديقك فأتاه عمرو فاغلظ له فقال الهمداني في ذلك لعمرو:

أبى معاوية بن حربٍ وعمروٍ ما لدائهما دواءُ
سوى طعن يحار العقل فيه وضربٍ حين تختلط الدماءُ
فلستُ بتابعٍ دينَ ابنِ هندٍ طَوالَ الدَّهْرِ ما أرسى حِراءُ
لقد ذهبَ العتابُ فلا عتابٌ وقد ذهبَ الوَلاءُ فلا ولاءُ
وقولي في حوادث كلِّ أمري على عَمْرو وصاحِبه العفاءُ
ألا لله درُّك يا ابنَ هندٍ لقد ذهب الحياء فلا حياء[1]
أتحمون الفرات على رجالٍ وفي أيديهم الأسلُ الظِّماءُ
وفي الأعناق أسيافٌ حدادٌ كأن القوم عندكم[2] نساء
فترجوا أن يجاوَركم عليّ بلا ماء وللأحزاب ماءُ

ثم سار الهمداني في سواد الليل فلحق بعليّ[3].

وبقي أصحاب عليّ عليه السلام يوماً وليلة بغير ماء واغتمّ عليّ عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش فخرج نحو رايات مذجح وإذا رجل ينادي:

أيمنعنا القومُ ماء الفراتِ وفينا السيوف[4] وفينا الحجفْ[5]

(١) في المصدر (لقد برح الخفاء فلا خفاءُ).
(٢) في المصدر (عندهم).
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٦٣ - ١٦٤.
(٤) في المصدر (الرماح).
(٥) الحجَفُ: وهي الترس يُطارق بين جلدين وتجعل منها حَجَفة. والجمع حَجَف، معجم مقاييس اللغة ٢: ١٤٠ (مادة حجفة).

وفـــــينا عـــليٌ له صـــولة[١] إذا خـــــوّفوه الرّدى لم يـــخف
فـنحن الذيـن غـداة الزبـير وطـلحة خـــضنا غـــمار التـــلف
فـــما بـــالنا أمسِ أسـدَ العـرين ومـــا بـــالنا اليـوم شـاءَ النَّـجفْ
فـــإمّا تـــحلّوا بشـــط الفـــرات ومـــنّا ومـــنهم عـــليه الجـيف
وإمّـــا تـــموتوا عـــلى طـــاعةٍ تُـــحِلُ الجِـــنَانَ وتَـحبُو الشَّـرفْ

ومضى إلىٰ رواية كندة فإذا مناد ينادي إلىٰ جنب منزل الأشعث ويقول :

لئـــن لم يـجلِّ الأشـعثُ اليـوم كـربةً من المـوت فـيها للـنفوس تـفَتّتُ[٢]
فَـنشربَ مـــن مـاءِ الفـراتِ بسيفهِ فـــهِبْنَا أُنـــاساً قـبل كـــانوا فـموّتوا
فـإن أنتَ لم تـجمع لنـا اليـومَ أمـرنا وتـــلقى التـــي فـيها عـليك التشتتُ
فمن ذا الذي تُـثني الخناصرُ باسمه ســـواك ومـــن هـــذا إليـــه التـــلفّتُ
وهـــل مـــن بـــقاء بـــعدَ يـــوم وليـلةٍ نـــظل عـــطاشاً والعـــدو يـــصوِّتُ
وأنت امـــرؤ مـــن عـــصبةٍ يـــمنيةٍ وكلّ امرىءٍ من غـصنه حين يـنبتُ

فلمّا سمع الأشعث قول الرجل أتى علياً من ليلته فقال : يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا ومعنا السيوف خَل عنّا وعن القوم فوالله لا نرجع حتى نرده أو نموت، ومُر الأشتر فليعلُ بخيله حتى آمره ، فقال ذاك: إليك. فرجع الأشتر[٣] فنادى في الناس من كان يريد الموت أو الماء فميعاده الصبح فإنّي ناهض إلىٰ الماء فأتاه من ليلته اثنا عشر ألف رجل وشـد عـليه سلاحه وهو يقول:

مـــيعادنا اليـــوم بـــياض الصـــبحِ هـــل يَـــصلُحُ الزَّادُ بـــغير مـــلحِ

(١) في المصدر (سَوْرَةٌ).
(٢) في المصدر (تعنَّتُ).
(٣) في المصدر (الاشعث).

لا لا ولا أمــــر، بــغير نــصحِ   دبُّــوا إلىٰ القــوم بـطعن سـمحِ
لا صـــلح للــقوم وايــن صــلحي   حســبي مــن الإقــحام قــاب رمحِ

فلمّا أصبح الأشعث دبّ في الناس وسيوفهم على عواتقهم وجعل يلقي رمحه ويقول:

بأبي أنتم وأُمّي تقدّموا قاب رمحي، فلم يزل ذلك دأبه حتّى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى: أنا الأشعث بن قيس خلوّا عن الماء. فنادى أبو الأعور السلّمي: أما والله لا حتى تأخذنا وإيّاكم السيوف فقال الأشعث: قد والله أظنها دنت منّا[1].

وحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر وكان من فرسان عليّ عليه السلام فجعل يضربهم بالسيف وهو يقول:

خــلّوا لنــا عــن الفــرات الجــاري   أو اثــــبتوا للـــجحفل الجــرّار
لكـــل قــرم مســتميت شــاري[2]   مـــطاعن بــــرمحه كــرّار
ضرّاب هامات العدى مغوار

ودعا الأشتر الحارث بن همّام النخعي ثم الصهباني فأعطاه لواءه ثم قال: يا حارث لو لا أني أعلم أنّك تصبر عند الموت لأخذت لوائي منك ولم أُحبك بكرامتي قال: والله يا مالك لأسرّنك اليوم أولأموتّن فأتبعتني فتقدّم وهو يقول:

يــا أشــتر الخــير ويــا خيرُ النَّخعْ   وصــاحب النَّــصر إذا عــمَّ الفَــزَعْ
وكـــاشفَ الأمــرِ إذا الأمــرُ وقَــعْ   مـا أنت فـي الحـرب العَوانِ بـالجَذعْ

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٦٤ - ١٦٧.
(٢) يشري نفسه الله.

قـد جَـزع القـومَ وعُـمُّوا بـالجَزعْ   وجـرّعوا الغـيظ وغَـصُّوا بـالجرح[١]
إن تَسـقِنا المـاء فـما هـي بـالبِدَعْ   أو نـعْطَشِ اليـومَ فـجدّ يـقتطع[٢]
ما شئت خُذْ منّا[٣] وما شئت فدع

فقال الأشتر: أُدن منّي يا حارث فدنا منه فقبّل رأسه وقال: لا تـتبع هـذا اليوم إلّا خيراً .

ثم قام الأشتر يحرّض أصحابه ويقول: فدتكم نفسي شدّوا شدّة المحرج الراجي الفرج فإذا نالتكم الرماح فالتووا فيها وإذا عضّتكم السيوف فـليعض الرجل على نواجذه فإنّه أشدّ لشؤون الرأس، ثـم استقبِلوا القـوم بـهاماتكم، وكان الأشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم كأنه حلك الغراب[٤].

وقتل الأشتر في تلك المعركة سبعة وقـتل الأشعث فـيها خـمسة، فأوّل قتيل قتله الأشتر ذلك اليوم بيده من أهل الشام رجل يقال له صالح بن فيروز وكان مشهوراً بشدّة البأس فارتجز على الأشتر فقال:

يا صاحب الطِّـرْفِ الحصانِ الأدهَـمِ   أقـدم إذا شـئت عـلينا أقـدِمِ
أنـا ابـن ذي العـز وذي التكـرُّمِ   سـيّد عك كـلّ عك فـاعلَم

فبرز إليه الأشتر وهو يقول:

آليت لا أرجـع حـتى أضـربا   بسـيفي المـصقول ضـربا مـعجبا
أنـا ابـن خـير مـذحج مـركبا   مـن خـيرها نـفساً وأُمّـا وأبـا

ثمّ شدّ عليه بالرمح فقتله فخرج إليه فارس آخر يقال له مالك بن أدهـم

(١) في المصدر (بالجرعْ).
(٢) في المصدر (فجنُدٌ مقتطعْ).
(٣) في المصدر (منها).
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٧٢ - ١٧٤ .

السلماني وكان من فرسان أهل الشام وشدّ على الأشتر فلمّا رهقه التوى الأشتر على الفرس ومار السنان فأخطأه ثم استوى على فرسه وشدّ عليه بالرمح وهو يقول:

خانك رمحٌ لم يكن خوّانا وكان قِدْماً يَقتُل الفرسانا
لفارسٍ يخترمُ الأقرانا أشهل لا وغلا ولا جبانا

فقتله ثم فارس آخر يقال له رياح بن عُتيك الغسّاني وهو يقول:

إني زعيمُ مالكٍ بضربِ تُذي غرارَين جَميعُ القَلْبِ
عبلُ الذّراعَين شديد الصُّلب وفي رواية[1]: شديد العَصب

فخرج الأشتر وهو يقول:

رُوَيدَ لا تَجْزَعَ من جلادي جِلادَ شخصٍ جامع الفؤادِ
يُجيبُ في الرُّوعِ دُعَا المنادي يشدُّ بالسَّيف على الأعادي

فشدّ عليه فقتله ثم خرج إليه فارس آخر يقال له إبراهيم بن الوضّاح الجمحي وهو يقول:

هل لك يا أشترُ في برازي براز ذي غَشْمٍ وذي اعتزازِ
مقاوم لِقِرنه لِزازِ

فخرج إليه الأشتر وهو يقول:

نَعَمْ نَعَمْ أطلبُه شهيداً معي حسامٌ يَقْصمُ الحديدا
يتركُ هاماتِ العِدَى حَصِيدا

فقتله ثمّ خرج إليه فارس آخر يقال له زامل بن عبيد الخزامي وكان من أصحاب الألوية فشدّ عليه وهو يقول:

(١) في المصدر (وقال بعضهم).

يا صاحب السيف الخضيبِ المذرب[١] وصاحبَ الجوشَنِ ذاكَ المُذْهَبِ
هل لك في طعن غلام مِحْرَبِ يحمل رُمحاً مستقيمَ الثَّعلَبِ
ليس بحّيادٍ ولا مغلَّبِ

فطعن الأشتر في موضع الجوشن فصرعه عن فرسه ولم يصب مقتلا وشدّ عليه الأشتر فكسف قوائم الفرس بالسيف وهو يقول:

لا بدّ من قتلي أو من قتلكا قتلت منكم خمسة من قبلكا
وكلهّم كانوا حماة مثلكا

ثمّ ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله ثم خرج إليه فارس يقال له: الأجلح بن منصور الكندي وكان من أعلام العرب وفرسانها وكان على فرس يقال له لاحق، فلمّا استقبله الأشتر كره لقاء الأشتر واستحيا أن يرجع فشدّ عليه الأشتر وهو يقول:

بُليتَ بالأشتر ذاك المَذْحجي بفارس في حَلَقٍ مُدَجَّجِ
كالليثِ ليثِ الغابةِ المهيَّجِ إذا دعاه القِرنُ لم يُعَرِّجِ

فضربه الأشتر فقتله وقالت حبلة بنت منصور أُخت الأجلح حين أتاها مصابه ترثيه:

ألا فابكي أخا ثقةٍ فقد والله ابلينا[٢]
فقتل الماجد القمقامِ لا مِثلَ له فينا
أتانا اليوم مقتُله فقد جُزَّت نواصينا
كريم ماجد الجدَّين يشفي من أعادِينا

(١) في المصدر (اليرسبْ).
(٢) في المصدر (ابكينا).

ومــــن قـــاد جــيشهم عـــــــليّ والمُـــضِلُّونا
شفانا الله من أهـل العـراق فـــــقد أبـــــادونا
أمـــا يـــخشون ربّــهمُ ولم يَـــــرعَوا له دِيـــنا

وماتت حزنا على أخيها.

وقال أمير المؤمنين لمّا بلغه مرثيتها أخاها: «أما إنّهنّ ليس يملكن ما رأيتم من الجزع أما إنّهم قد أضرّوا بنسائهم فتركوهنّ خزايا من قبل ابن آكلة الأكباد اللهم حمّله آثامهم وأوزارهم وأثقالا مع أثقالهم»[١] .

ثمّ خرج إليه محمّد بن روضة الجمحي وهـو يـضرب فـي أهـل العـراق ضرباً منكرا ويقول:

يا ساكـني الكـوفة يـا أهـل الفِتَن يـا قـاتِلِي عـثمانَ ذاك المـؤتَمنْ
ورث صـدري قـتلُه طـول الحَـزن أضــــرُبكم ولا أرى أبَـا حَسَـنْ

فشدّ عليه الأشتر وهو يقول:

(يـا طـالباً بـالثار فـي عـثماناً)[٢] أنـــزل ربّــي[٣] بكـم الهـوانـا
ولا يســـلّي عــــنكم الأحــزانـا مـــخالفٌ قـد خـالفُ الرحـمانا
نصر تموه عابداً شيطانا

ثمّ ضربه فقتله[٤].

ثمّ أقبل الأشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتّى كشف أهل الشام عن الماء وهو يقول:

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٧٤ - ١٧٩ .
(٢) في المصدر (لا يبعد الله سوى عثمانا).
(٣) في المصدر (الله).
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٧٨.

لا تـذكروا مـا قـد مَـضَىٰ وفـاتا   والله ربّـي بـاعث أمـواتـا
مـن بـعد مـا صـاروا كـذا[١] رفـاتا   لأُوردنّ خـيلي الفُـراتـا
شُعْثُ النواصي أو يقالَ ماتا

وكان لواء الأشعث مع معاوية بن الحارث فقال له الأشعث: لله أنت، ليست النَّخَعُ بخيرٍ من كندة قدّم لواءك فتقدّم صاحب اللواء وهو يقول:

أنـعطشُ اليـوم وفـينا الأشـعث[٢]   فأبشـروا فـانكم لن تـلبثوا
ان تشربوا الماء (فلا تريثوا)[٣]،[٤]

وكان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره عليّ عليه السلام فبعث إليه الأشعث أن أقحم الخيل فأقحمها حتّى وضعت سنابكها في الفرات وأخذت القوم السيوف فولّوا مدبرين فقال عليّ عليه السلام: هذا **«يومٌ نَصرنا فيه الأشعث بالحميّة»**[٥][٦].

وقال الأشعث: يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء[٧].

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما ظنّك بالقوم إن منعوك الماء اليوم كما منعتهم أمس أتراك ضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ وما أغنى عنك أن تكشف لهم السوأة قال دع عنك ما مضى، ما ظنّك بعلّي؟ قال: ظنّي أنه لا يستحل منك ما استحللت منه وأنّ الذى جاء له غير الماء[٨] فلما غلب عليّ

(١) في المصدر (صدى).
(٢) وزيادة العجز في المصدر (والأشعثُ الخَبُ يعبث).
(٣) في المصدر (فُتَبواُ وارفتوُا).
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٧٩ - ١٨٠ .
(٥) في المصدر (نصرتم فيه).
(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٦٧ .
(٧) المصدر السابق: ١٩٣ .
(٨) المصدر السابق: ١٨٥ - ١٨٦ .

على الماء فطرد عنه أهل الشام بعث إلىٰ معاوية «إنّا لا نكافيك بصنعك هلمّ إلىٰ الماء فنحن وأنتم فيه سواء» فأخذ كلّ منهما بالشريعة ممّا يليه.

وقال عليّ لأصحابه: إنّ الخطب أعظم من منع الماء.

وقال معاوية: لله درّ عمرو ما عصيته في أمر إلّا أخطأت الرأي فيه[١].

المراسلة بين عليّ ومعاوية بصفّين

ومكث علي يومين لا يراسل معاوية ولا يأتيه من قبل معاوية أحد. ثمّ إنّ علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي فقال: «ائتوا هذا الرجل فادعوه إلىٰ الله عزّ وجلّ وإلىٰ الطاعة والجماعة وإلىٰ اتّباع أمر الله تعالى» فقال له شبث: ألا نطمعه في سلطان تولّيه إيّاه ومنزلة تكون له بها إثرة عندك إن هو بايعك؟ قال عليّ: «ائتوه الآن فالقوه واحتجّوا عليه وانظروا ما رأيه» وهذا في ربيع الآخر.

فأتوه فحمد الله أبو عمرة بن محصن وأثنى عليه وقال: يا معاوية إنّ الدنيا عنك زائلة وإنّ الله مجازيك بعملك وإنّي انشدك بالله أن تفرّق جماعة هذه الاُمّة وتسفك دماءها بينها.

فقطع معاوية عليه الكلام فقال: هلاّ أوصيت صاحبك؟ فقال: سبحان الله إنّ صاحبي ليس مثلك إنّ صاحبي أحقّ البرية بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من رسول الله ﷺ.

قال معاوية: فتقول ماذا؟.

قال: أدعوك إلىٰ تقوى ربّك وإجابة ابن عمّك إلىٰ ما يدعوك إليه من الحقّ

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٩٣.

فإنّه أسلمُ لك في دينك وخير في عاقبة أمرك.

قال: ويُطَلُّ دم عثمان لا والرحمٰن لا أفعل ذلك أبداً.

فذهب سعيد يتكلّم فبدره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معاوية إنّه لا يخفى علينا ما تقرب وما تطلب إنّك لا تجد شيئاً تستهوي به الناس إلّا أن قلت لهم قُتل إمامكم مظلوماً فهلّموا نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام رذّال وقد علمنا أنّك أبطأت عليه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي تطلب، وربّ مبتغٍ أمراً يحول الله دونه، وربّما أُوتي المتمني أُمنيته وربّما لم يؤتها والله ما لك في واحدة منهما خير، والله إن أخطأك ما ترجو إنّك لشرّ العرب حالاً، ولئن أصبت ما تتمنّاه لا تصيبه حتّى تستحق صلا النار، فاتّق الله يا معاوية ولا تنازع الأمر أهله.

فقال معاوية: إنّي أوّل ما عرفت به سفهك وخفّة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيّد قومه منطقه، ثمّ عتبت بعد فيما لا علم لك به ولقد كذبت ولؤمت أيّها الأعرابي الجلف الجافي في كلّ ما وصفت وذكرت، انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلّا السيف.

فخرجوا وشبث يقول: أفعلينا تهوّل بالسيف؟! إنّا والله لنعجلنّه إليك.

فأتوا عليّاً فأخبروه بما كان. وخرج قرّاء أهل العراق وقرّاء أهل الشام فعسكروا ناحية صفيّن في ثلاثين ألفاً، وعسكر عليّ على الماء وعسكر معاوية فوق ذلك، ومشت القرّاء فيما بين معاوية وعليّ فيهم عبيدة السلماني، وعلقمة بن قيس النخعي، وعبد الله بن عتبة، وعامر بن عبد القيس، وقد كان في بعض تلك السواحل فانصرف إلىٰ عسكر عليّ فدخلوا على معاوية، فقالوا: ما الذي تطلب؟ قال: أطلب بدم عثمان، قالوا: ممن؟، قال: من عليّ قالوا: وعليّ قتله؟، قال: نعم هو قتله وآوى قاتله فدخلوا على عليّ فقالوا: إنّ معاوية

يزعم أنّك قتلت عثمان قال: اللّهم لكـذب فـيما قـال لم أقـتله. فـرجـعوا إلىٰ معاوية فأخبروه فقال: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالأ فرجـعوا إلىٰ عـليّ فقالوا: إنّ معاوية يزعم أنّك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت ومالأت: فقال: اللهم كذب فيما قال.

فرجعوا إلىٰ معاوية فقالوا: إنّ عليّا يزعم أنّه لم يفعل فقال: إن كان صادقا فليمكنّا من قتلة عثمان فإنّهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده فرجـعوا إلىٰ عليّ فأخبروه فقال لهم عليّ: تأوّل القـوم عـليه القـرآن ووقـعت الفـرقة وقتلوه في سلطانه وليس على ضربهم قود، فخصم عليّ معاوية[١]. ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفّين.

قال معاوية: إن كان الأمر كما يزعم فما له ابـتزّ الأمـر دونـنا عـلى غـير مشورة منّا ولا ممّن هاهنا مـعنا؟ فـقال عـلّي: إنّـما النـاس تـبع المـهاجرين والأنصار وهم شهود المسلمين في البلاد على ولايتهم وأمر دينهم فرضوا بي وبايعوني.

فرجعوا إلىٰ معاوية فأخبروه بذلك فقال: ليس كما يقول، فما بال من هنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر.

فانصرفوا إلىٰ عـليّ فـقالوا له ذلك فـقال: ويـحكم! هـذا للـبدريين دون الصحابة ليس في الأرض بدرّي إلّا قد بايعني وهو معي أوقد أقام ورضي فَلا يغرنّكم معاوية من أنفسكم ودينكم.

فتراسلوا ثلاثة أشهر ربيع الآخر وجمادين[٢] فيزحف بعضهم إلىٰ بعض ويحجز القرّاء بينهم فتزاحفوا خمساً وثمانين مرّة في ثـلاثة أشـهر وتـحجّز

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٨٦ - ١٨٩.

(٢) هكذا ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفّين وذكرنا ما فيه في أوّل الكلام فراجع.

القرّاء بينهم ولا يكون بينهم قتال.

وخرج أبو أُمامة الباهلي وأبو الدرداء فدخلا على معاوية وكانا معه فقالا: علامَ تقاتل هذا الرجل؟! فوالله لهو أقدم منك سلما وأحقّ بهذا الأمر منك وأقرب من النبيّ ﷺ فعلامَ تقاتله؟ فقال: أُقاتله على دم عثمان وإنّه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته وأنّا أوّل من بايعه.

فانطلقوا إلىٰ عليّ فاخبروه فقال: هم الذين ترون فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق فقالوا: كلّنا قتلته، فإن شاؤوا فليروموا ذلك منّا فرجع أبو أمامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال حتّى إذا كان رجب وخاف معاوية أن يبايع القرّاء عليّاً على القتال أخذ في المكر وأخذ يحتال للقرّاء لكيما يحجموا عنه ويكفّوا حتى ينظروا(١).

حيلة لمعاوية

وكتب معاوية في سهم: من عبد الله الناصح فإنّي أخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجّر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم ورمى بالسهم في عسكر عليّ فوقع في يَدِ رجُلٍ من أهل الكوفة وتداولته الأيدى حتى وصل إلىٰ أمير المؤمنين فقالوا: هذا رجل ناصح كتب يخبركم بما أراد معاوية.

وبعث معاوية مائتي رجل من الفعلة إلىٰ عاقول من النهر بأيديهم المرور والزبيل يحفرون فيها بحيال عسكر عليّ، فقال عليّ: «**ويحكم إنّ الذي يحاول معاوية لا يستقيم له وإنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فقالوا له: هم والله يحفرون الساعة فقال: يا أهل العراق لا تكونوا ضَعْفَى ويحكم لا تغلبوني على رأيي**» فقالوا: والله لنرتحلنّ فإن شئت فارتحل وإن شئت فأقم فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٨٩ - ١٩٠.

وارتحل عليّ آخر الناس وهو يقول:

«ولو أنـي أطـعتُ عَـصَبْتُ قـومي إلىٰ ركـن اليـمامة أم[1] شـآم
ولكـني إذا أبـرمت أمـراً مُـنيت بـخُلفِ آراءِ الطَّـغامِ»

وارتحل معاوية فنزل[2] بمعسكر عليّ الذي كان فيه فدعا علـيّ الأشتر فقال: «ألم تغلبني على رأيي أنت والأشعث فدونكما» فقال الأشعث أنا أكفيك يـا أمير المؤمنين سأُداوي مـا أفسـدت اليـوم مـن ذلك، فـجمع كـندة فـقال: لا تفضحوني اليوم إنّما أُقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجـلا يـمشون وبـيد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض ويقول: امشوا قيسَ رمحي فـيمشون فـلم يزل يقيسُ لهم على الأرض برمحه ويمشون معه رَجَّالةً قـد كسـروا جـفون سيوفهم حتى لقوا معاوية وسط بني سُليم واقفاً على الماء وقـد جـاءه أدانـي عسكره فاقتتلوا قتالاً شديداً على الماء ساعة وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا وأقبل الأشتر في خيل فحمل على مـعاوية ، والأشـعث يـحارب فـي نـاحية فانحاز معاوية في بني سليم فردّوا وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ ثمّ نزل ووضع أهل الشام أثقالهم والأشعث يهدر ويقول: أرضيت[3] يا أمير المؤمنين[4].

ثم غاداهم على القتال وعلى رايته يومئذ هاشم بن عتبة المـرقال، وبـرز يومئذ عوف من أصحاب معاوية فبرز إليه علقمة بن عمرومن أصحاب عليّ فطعنه علقمة فقتله فمكثوا على ذلك حتّى كان ذوالحجة فجعل عليّ يأمر هذا الرجل الشريف فيخرج معه جماعة فيقاتل ويخرج إليه من أصحاب معاوية

(١) في المصدر (او).
(٢) في المصدر (حتى نزل).
(٣) في المصدر (أرضيتك).
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٩٠ - ١٩٢.

رجل معه جمع آخر فيقتتلان في خيلهما ورجلهما ثمّ ينصرفان وأخذوا يكرهون أن يتزاحفوا بجميع الفيلق من أهل العراق وأهل الشام مخافة الاستئصال والهلاك، وكان عليّ يخرج الأشتر مرّة في خيله ومرّة حجر بن عدي، أو شبث بن ربعي التميمي، أو خالد بن المعمر السدوسي، أو زياد بن النضر الحارثي، أو زياد بن جعفر الكندي، أو سعيد بن قيس الهمداني، أو معقل بن قيس الرياحي أو قيس بن سعد بن عبادة، وأكثرهم خروجاً الأشتر .

وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي أو أبا الأعور السلمي أو حبيب بن مسلمة الفهري أو ابن ذي الكلاع أو عبيد الله بن عمر بن الخطاب أو شرحبيل بن السمط أو حمزة بن مالك الهمداني فاقتتلوا ذا الحجة وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرّتين أوّله وآخره.

وخرج الأشتر يوماً فقاتل بصفّين في رجال من القرّاء ورجال من فرسان العرب فاشتد قتالهم قال الراوي: فخرج علينا رجل لقلّما رأيت رجلاً قط هو أطول ولا أعظم منه، فدعا إلى المبارزة فلم يبرز إليه أحد وبرز إليه الأشتر فاختلفا ضربتين وضربه الأشتر فقتله وأيم الله لقد كنّا أشفقنا عليه وسألناه أن لا يخرج إليه وهو سهم بن أبي العيزار.

وجاء رجل من الأزد فقال: أُقسم بالله لأقتلنّ قاتلك فحمل على الأشتر فضربه الأشتر فإذا هو بين يدي فرسه وحمل أصحابه فاستنقذوه جريحاً فقال أبو رقيقة السهمي: كان هذا نارا فصادفت أعصارا[١].

فلمّا مضى ذوالحجة تداعى الناس أن يكفّ بعضهم عن بعض إلى أن ينقضي المحرّم لعلّ الله أن يجري صلحاً واجتماعاً، فكفّ الناس بعضهم عن بعض[٢].

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٩٣ - ١٩٦.

(٢) المصدر السابق: ١٩٦ .

استئناف المراسلة

ولمّا توادع عليّ ومعاوية بصفّين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل عليّ إلى معاوية عديّ بن حاتم وشبث بن ربعي ويزيد بن قيس الأرحبي وزياد بن خصفة التميمي فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي ابن حاتم وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد فإنّا أتيناك لندعوك إلى أمرٍ يجمع الله به كلمتنا وأُمّتنا ويحقن الله به دماء المسلمين وندعوك إلى أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس فلم يبقَ أحدٌ غيرك وغير من معك، فانتهِ يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال معاوية: كأنّك إنّما جئت متهدّداً ولم تأت مصلحا، هيهات يا عديُّ كلّا والله إني لابن حرب ما يقعقع لي بالشِّنَآن[1] أما والله إنك لمن المُجْلبين على ابن عفّان، وإنّك لمن قتلته.

وقال له شبث وزياد بن خَصفة: أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك فأقبلت تضرب الأمثال لنا، دع ما لا ينفع من القول والفعل وأجبنا فيما يعمّنا وإيّاك نفعه.

وقال يزيد بن قيس: إنّ صاحبنا لَمن عَرَفت وعَرف المسلمون فضله ولا أظنّه يخفى عليك.

إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوك بعليّ فاتّقِ الله يا معاوية ولا تخالف عليّاً فإنّا والله ما رأينا رجلاً قطّ أعمل بالتقوى ولا أزهد في الدنيا ولا أجمع

(١) الشنآن: جمع شن، الأسقية أي القربة الخلقة، وهي أشدُّ تبريداً للماء من الجُدُد. النهاية لابن الأثير: ٢/٥٠٦ (مادة شنن).

لخصال الخير كلّها منه .

فقال معاوية : إنّكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة فأمّا الجماعة التي دعوتم إليها فنعمّا هي وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنّا لا نراها ، إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وفرّق جماعتنا وآوى ثأرنا وصاحبكم يزعم أنّه لم يقتله فنحن لا نردّ ذلك عليه .

فليدفع إلينا قتلته لنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال شبث بن ربعي: أيسرّك أنّك أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته؟!

قال: وما يمنعني من ذلك والله لو أمكنني[1] من ابن سمية ما قتلته بعثمان ولكن بنائل مولى عثمان .

فقال له شبث : وإله السماء ما عدلت مَعْدَلاً، لا والله لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتّى تندر الهام عن كواهل الرّجال وتضيق الأرض الفضاءُ عليك برحبها .

فقال له معاوية: لو كان ذلك كانت عليك أضيق .

ورجعوا فبعث معاوية إلى زياد بن خصفة فقال له : يا أخا ربيعة إنّ علياً قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قَتلة صاحبنا وإنّي أسألك النصرة عليه بأسرتك وعشيرتك ولك عليّ عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أُولّيك أيّ المصرين أحببت .

فقال له زياد : إنّي لعلىٰ بيّنة من ربّي وبما أنعم عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ثمّ قام فقال معاوية لعمروبن العاص وكان إلى جانبه : ليس يتكلّم

---

(١) في المصدر: أمكنني صاحبكم.

رجل منهم بكلمة تخالف صاحبه، ما لهم قصمهم[١] الله، ما قلوبهم إلّا قلب رجل واحد[٢] .

وبعث معاوية إلى حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمي فدخلوا على عليّ، فقال حبيب بن مسلمة: إنّ عثمان كان خليفة مهدياً فاستثقلتم حياته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلة عثمان نقتلهم به، فإن قلت: إنّك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم .

فقال له عليّ: **«وما أنت ـ لا أمّ لك ـ والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر أُسكت فإنّك لست هناك ولا بأهل لذاك»** .

فقال حبيب بن مسلمة : أما والله لترينّي حيث تكره فقال له عليّ: **«وما أنت ولو أجلبتَ بخيلك ورَجْلك اذهب فصوِّب وصعِّد ما بدا لك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت»** .

فقال شرحبيل: إن كلّمتك فلعمري ما كلامي إياك إلّا كنحو من كلام صاحبي فهل لي عندك جواب غير الذي أجبته به فقال عليّ عليه السلام : **«عندي جواب غير الذي أجبته به لك ولصاحبك**، ثمّ ذكر كلاماً قال في آخره : **ثمّ وليّ أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس فقتلوه ثمّ أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم فأبيت عليهم فقالوا لي إنّ الأمّة لا ترضى إلّا بك وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس ، فبايعتهم فلم يرعني إلّا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية إيّاي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتّى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين فعجبنا لكم**

(١) في المصدر [عضَبهم والعضب: القطع] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٩٧ ـ ٢٠٠ .

ولاجلابكم معه وانقيادكم له وتَدّعون أهل بيت نبيّكم صلى الله عليه وآله الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم أحداً من الناس إنّي أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيكم وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين» .

فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد : أتشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ فقال : «إنّي لا أقول ذلك» قالا : فمن لم يشهد أنّه قُتل مظلوماً فنحن براء منه ثمّ انصرفا فقال عليّ عليه السلام : ﴿إنّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَىٰ ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولَّوْا مُدبِرِين* وما أنتَ بهادي العُمي عن ضَلالتِهِمْ... الآية﴾[1] .

ثمّ أقبل على أصحابه فقال : «لا يكن هؤلاء بأولىٰ بالجد في ضلالتهم منكم في حقّكم»[2].

ثمّ مكث الناس حتّى دنا انسلاخ المحرّم .

فقال حابس بن سعيد الطائي ـ وكان صاحب لواء طيء مع معاوية وقتل معه ـ :

أمـا بـين المـنايا غـير سـبعٍ بـقينَ مـن المـحرّمِ أو ثـماني
أيـنهانا كـتابُ الله عـنهم ولا يـنهاهم السـبع المَـثَاني

فلمّا انسلخ المحرّم واستقبل صفر سنة (٣٧ هـ) بعث عليّ نفراً من أصحابه فيهم مرثد بن الحارث الجشمي حتّى إذا كانوا من عسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت نادى مرثد عند غروب الشمس : يا أهل الشام إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون لكم إنّا والله ما كففنا عنكم شكّاً في أمركم ولا بقيا عليكم وإنّما كففنا عنكم لخروج المحرم ثمّ انسلخ وإنّا قد نبذنا إليكم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين .

---

(١) النمل: ٨٠ ـ ٨١

(٢) وقعة صفّين: ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

وفي رواية: أمره فنادى : يا أهل الشام ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكـم : «إنّي قد [استنبذتكم واستانيتكم][(١)] لتراجعُوا الحقّ وتنيبوا إليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودَعوتُكم إليه فلم تتناهوا عن طُغيان ولم تجيبوا إلى حقٍّ وإنّي قد نبذت إليكم على سواء إنّ الله لا يحب الخائنين» .

فثار الناس إلى أُمرائهم ورؤسائهم وخرج معاوية وعمروبن العاص يُكـتِّبان الكـتائب ويـعبِّيان العسـاكـر وأوقـدوا النـيران وجـاءوا بـالشُّموع وبات عليٌّ ليـلته كـلّها يـعبئ النـاس ويكـتِّب الكـتائب ويـدور فـي النـاس ويحرّضهم[(٢)].

وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لعسكره

كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمر عساكره في كلّ موطن لقوا معه عدوه فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتّى يبدؤوكم فإنّكم بحمد الله على حجّة وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجة أُخرى لكم عليهم فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيلٍ فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تتهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلّا باذني ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيّجوا أمراة إلّا باذني[(٣)] وإن شتمن أعراضكم وتناولن أُمراءكم وصلحاءكم فإنهنّ ضعاف القوىٰ والأنفس ولقد كنّا وإنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنهنّ لمشركات وإن كـان الرّجـل ليتناول المـرأة فـي الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيعيّر بها عِقبُه من بعده»[(٤)].

---

(١) في المصدر [استدعكم واستأنت بكم].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٣) في المصدر [بأذىً] .

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

وسمع منه عليه السلام أيّام الجمل وصفّين والنهروان أنّه كان يقول للناس: «عباد الله اتقوا الله عزّ وجلّ وغضّوا الأبصار واخفضوا الأصوات وأقلّوا الكلام ووطّنوا أنفسكم على المنازلةِ والمجاوَلةِ والمبارزةِ والمعانقةِ والمكادمة واثبتوا ﴿واذكُرُوا اللهَ كَثِيراً لعلّكُم تُفلِحُون﴾ ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهبَ رِيحُكُمْ واصبِرُوا إنّ اللهَ مَعَ الصَّابِرينَ﴾[1] اللهمّ ألهمهم الصّبر وأنزل عليهم النصر وأعظِم لهم الأجر»[2].

ابتداء الوقعة العظمى يوم صفّين

قال نصر: (عقد أمير المؤمنين ومعاوية الألوية وأمرا الأُمراء وكتّبا الكتائب فاستعمل عليّ عليه السلام على الخيل عمّار بن ياسر) ـ وفي رواية أنّه استعمله على رجّالة أهل الكوفة وعلى خيل أهل الكوفة الأشتر وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف، وعلى الرجّالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعلى رجّالة أهل البصرة قيس بن سعد وكان قد أقبل من مصر إلى صفّين[3] ـ فإنّه كان والياً بمصر كما مرّ ـ .

ودفع اللواء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص الزهري وجعل الميمنة اليمن وعليها الأشعث بن قيس وعلى رجّالتها سليمان بن صُرد الخزاعي، وجعل الميسرة ربيعة وعليها عبد الله بن عبّاس وعلى رجالتها الحارث بن مرّة العبدي، وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة، وعقد ألوية القبائل فأعطاها قوماً بأعيانهم جعلهم رؤساءهم وأُمراءهم فعلى قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عبّاس، وعلى كندة حجر بن عدي، وعلى بكر البصرة حضين بن

(١) الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٠٤.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٨.

المنذر ، وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس ، وعلى خزاعة عمرو بن الحمق، وعلى سعد ورباب البصرة جارية بن قدامة السعدي، وعلى بجيلة رفاعة بن شدّاد ، وعلى قضاعة وطيء عديّ بن حاتم ، وعلى همدان سعيد بن قيس ، وعلى مذحج الأشتر بن الحارث النخعي، وعلى عبد القيس الكوفة صعصعة بن صوحان ، وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل الكناني، وعلى ذهل الكوفة يزيد بن رويم الشيباني ـ إلى غير ذلك ـ.

واستعمل معاوية على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطّاب وعلى الرجّالة مسلم بن عقبة المرّي صاحب وقعة الحرة، وعلى الميمنة وهم أهل حمص وقنّسرين عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى الميسرة وهم أهل الأردن وفلسطين حبيب بن مسلمة الفهري، وأعطى اللواء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى أهل دمشق وهم القلب الضحّاك بن قيس الفهري، وعلى أهل حمص ذوالكلاع الحميري، وعلى أهل قنّسرين زفر بن الحارث ، وعلى أهل الأردن أبا الأعور السلمي سفيان بن عمرو، وعلى رجّالة دمشق بسر بن أبيأرطاة العامري، وعلى رجّالة حمص حوشباً ذا ظليم ، وعلى الخيل عمرو ابن العاص[1]، واستعمل على باقي القبائل وأهل البلاد أشخاصاً آخرين لا نطيل بذكرهم.

وبايع رجال من أهل الشام على الموت فعقّلوا أنفسهم بالعمائم فكانوا خمسة صفوف معقّلين وكانوا يخرجون فيصطفّون أحد عشر صفّاً ويخرج أهل العراق فيصطفون أحد عشر صفّاً[2].

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٠٥ ـ ٢٠٧ بتلخيص وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) المصدر السابق: ٢١٤.

علامة أهل الشام وأهل العراق وشعارهم وألوان راياتهم

قال نصر : كانت علامة أهل العراق بصفّين الصوف الأبيض قد جعلوه في رؤوسهم وعلى أكتافهم ، وشعارهم : يا الله يا أحد يـا صـمد يـا ربّ مـحمّد يا رحمن يا رحيم .

وكانت علامة أهل الشام خرقاً بيضاً[١] قد جعلوها على رؤوسهم وأكتافهم وكان شعارهم : نحن عباد الله حقّاً حقّاً يا لثارات عثمان .

وكانت رايات أهل العراق سوداً وحمراً ودكناً وبيضاً ومعصفرةً وصفراً وموردة والألوية مضروبة دكن وسود[٢]، ولم يذكر ألوان رايات أهل الشام.

ابتداء القتال بعد الهدنة

فخرجوا يوم الأربعاء أوّل يوم من صفر سنة (٣٧هـ) وعلى من خرج من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتتلوا قتالاً شديداً جلّ النهار ثمّ تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثمّ خرج هاشم بن عتبة في خيل ورجّالة حسنٍ عددها وعدّتها ، وخرج إليه من أهل الشام أبو الأعور السلمي فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثمّ انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض .

وخرج في اليوم الثالث عمّار بن ياسر وخرج عمروبن العاص فاقتتل الناس كأشدّ القتال وجعل عمّار يقول : يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلمّا

(١) في المصدر [في المصدر صفراء] .
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٣٢ .

أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى النبيّ ﷺ فأسلم وهو والله فيما يرى راهب غير راغب وقبض الله رسوله ﷺ وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودّة المجرم ألا وإنّه معاوية .

وكان مع عمّار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل في الخيل فحمل وصبروا له ، وشدّ عمّار في الرجّالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه .

وبارز زياد بن النضر أخاً له من أُمّه من بني عامر اسمه معاوية بن عمرو العقيلي أُمّها هند من بني زبيد فلمّا التقيا تسايلاً وتوافقاً، ثمّ انصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه ورجع الناس يومهم ذاك .

ورفع عمرو بن العاص شقّة خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله ﷺ فبلغ ذلك عليّاً فقال : «**هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إن خرج له رسول الله ﷺ هذه الشقّة فقال من يأخذها بما فيها فقال : وما فيها؟ قال: أن لا تقاتل به مسلما ولا تفرّ به من كافر فأخذها فقد والله فرّ به من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم إلّا أنّهم لم يدعوا الصلاة**»[١].

فلمّا كان من الغد خرج محمّد بن عليّ بن أبي طالب ، خرج إليه عبيد الله بن عمر بن الخطّاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا كأشدّ القتال . ثمّ إنّ عبيد الله ابن عمر أرسل إلى محمّد بن الحنفية أن اخرج إليّ لُبارزك. قال له : نعم، ثمّ خرج إليه يمشى فبصر به عليّ، فقال : «**من هذان المتبارزان؟**» فقيل له: ابن الحنفية وابن عمر. فحرّك عليّ دابته ثمّ دعا محمّداً فوقف له، وقال : «**امسك دابّتي**» فأمسكها ثمّ مشى إليه عليّ، فقال: «**أنا أُبارزك**» قال : ليس لي في

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢١٤ ـ ٢١٥ .

مبارزتك حاجة . وأخذ ابن‌الحنفيّة يقول لأبيه : منعتني من مبارزته لو تركتني لرجوت أن أقتله قال : «يا بُنيّ لو بارزته أنا لقتلته ولو بارزته أنت لرجوت أن تقتله وما كنت آمن أن يقتلك».

فلمّا كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن العبّاس والوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالاً شديداً ودنا ابن عبّاس من الوليد فأخذ الوليد يسبّ بني عبد المطّلب فأرسل إليه ابن عبّاس أن أبرز إليّ فأبىٰ وقاتل ابن عبّاس يومئذٍ قتالاً شديداً ثمّ انصرفوا عند الظهر وكلّ غير غالب وذلك يوم الأحد[1].

وخرج شمر بن أبرهة بن الصبّاح الحميري في ذلك اليوم فلحق بعليّ في ناس من قرّاء أهل الشام فلمّا رأىٰ ذلك معاوية وعمروبن العاص وما خرج إلى عليّ من قبائل أهل الشام فت ذلك في عضد معاوية وعمرو، وقال عمرو: يا معاوية إنّك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاً له من محمّد صلى الله عليه وآله قرابة قريبة ورحم ماسّة وقدم في الإسلام لا يعتدّ أحد بمثله ونجدة في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وإنّه قد سار إليك بأصحاب محمّد المعدودين وفرسانهم وقرّائهم وأشرافهم وقدمائهم في الإسلام ولهم في النفوس مهابة، ومهما نسيت فلا تنسَ إنّك على باطل .

فلمّا قال عمرو لمعاوية ذلك زوّق معاوية خطبة وأمر بالمنبر فاخرج ثمّ أمر أجناد أهل الشام فحضروا فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس أعيرونا أنفسكم وجماجمكم ولا تفشلوا ولا تخاذلوا فإنّ اليوم يوم خطّار ويوم حقيقة وحفاظ فإنّكم على حقّ ولكم[2] حجة وإنّما تقاتلون من نكث

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) في المصدر [بأيدكم].

البيعة وسفك الدم الحرام فليس له في السماء عاذر .

ثمّ صعد عمروبن العاص مرقاتين من المنبر فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس قدّموا المستلئمة وأخّروا الحاسر وأعيروا جماجمكم ساعة فقد بلغ الحقُّ مقطعه فإنّما هو ظالم أو(١) مظلوم .

فلمّا أخبر عليّ بخطبة معاوية وعمرو وتحريضهما الناس عليه أمر بالناس فجمعوا وهو متوكّىء على قوسه وقد جمع أصحاب رسول الله عنده فهم يلونه وأحبّ أن يعلم الناس أنّ أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون عليه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : «أيّها الناس اسمعوا مقالتي وُعوا كلامي فإنّ الخيلاء من التجبّر وأنّ النخوة من التكبر وأنّ الشيطان عدوّ حاضر، يعدكم الباطل إلّا أنّ المسلم أخو المسلم لا تنابذوا ولا تخاذلوا فإنّ شرائع الدين واحدة وسبُله قاصدة من أخذ بها لحق ومن تركها مرق ومن فارقها محق ليس المسلم بالخائن إذا أُؤتمن ولا بالمخِلف إذا وعد ولا بالكذّاب إذا نطق ، نحن أهلُ بيت الرحمة وقولنا الصدق ومن فعالنا القصد ومنّا خاتم النبيّين ، وفينا قادة الإسلام، ومنّا قرّاء الكتاب ، ندعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى جهاد عدوّه، والشدّة في أمره ، وابتغاء رضوانه ، واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان ، وتوفير الفيء لأهله ، ألا وإنّ من أعجب العجب(٢) أنّ معاوية بن أبي سفيان الأُموي وعمرو بن العاص السهمي أصبحا يحرّضان الناس على طلب الدين بزعمهما ، وقد علمتم أنّي لم أُخالف رسول الله ﷺ قطّ ، ولم أعصه في أمر قطّ أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال، وترعد فيها الفرائص نجدة ، أكرمني الله بها ، فله الحمد . ولقد قضى رسول الله ﷺ وإنّ رأسه لفي حجري ، ولقد ولّيت غُسله بيدي وحدي

---

(١) في المصدر [و] .

(٢) في المصدر [العجائب] .

تقلّبه الملائكة المقرّبون معي. وأيم الله ما اختلفت أُمّة قطّ بعد نبيّها إلّا ظهر أهلُ باطلها على أهل حقّها إلّا ما شاء الله».

فقال عمّار بن ياسر : أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أنّ الأمّة لن تستقيم عليه ، ثمّ تفرّق الناس وقد نفذت بصائرهم في قتال عدوّهم[١].

وقال عليّ عليه السلام في هذه الليلة : **«حتّى متى لا نناهض القوم بأجمعنا»** فقام في الناس عشيّة الثلاثاء ليلة الأربعاء بعد العصر فخطبهم وقال في آخر خطبته : **«ألا إنّكم لاقوا العدوّ غداً إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن وأسألوا الصبر والنصر والقوهم بالجدّ والحزم وكونوا صادقين»** .

ثمّ انصرف ووثب الناس إلى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها[٢] .

فلمّا كان الليل خرج عليّ فعبأ الناس ليلته كلّها حتّى أصبح وعقد الألوية وأمرّ الأُمراء وكتب الكتائب وبعث عليّ منادياً فنادى : يا أهل العراق اغدوا على مصافكم . نصبح[٣] أهل الشام في عسكرهم . واجتمعوا إلى معاوية فعبأ خيله وعقد الألوية وكتّب الكتائب ثمّ نادى معاوية : أين الجند المقدّم فخرج أهل حمص في راياتهم عليهم أبو الأعور السلمي[٤] ثمّ نودي أين أهل الأردن؟ فخرجوا في راياتهم عليهم سفيان بن عمرو السلمي ثمّ نودي أين أهل قنّسرين ؟ فجاءوا في راياتهم عليهم زفر بن الحارث ، ثمّ نودي أين جند الأمير؟ فجاء أهل دمشق على راياتهم وهم القلب وعليهم الضحّاك بن قيس الفهري فأطافوا بمعاوية وسار أبو الأعور وسار عمرو بن العاص حتّى وقفوا

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٢٢ ـ ٢٢٥ .

(٢) المصدر السابق: ٢٢٥ .

(٣) في المصدر [فضجّ] .

(٤) في المصدر [ذو الكلام الحميري] .

قريباً من أهل العراق[١] .

وصفّ القلب خمسة صفوف وفعل أهل العراق كذلك[٢] وبات عليّ ليلته كلّها يعبّئ الناس حتّى إذا أصبح الصباح زحف بالناس وخرج إليه معاوية وأهل الشام فأخذ عليّ يقول : «من هذه القبيلة؟ ومن هذه القبيلة؟» يعني قبائل أهل الشام فأمر كلّ قبيلة أهل العراق أن تكفيه أُختها من أهل الشام إلّا بجيلة لم يكن بالشام منهم الا عدد يسير ففرقهم إلى لخم .

ثمّ تناهض القوم يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كلّه وانصرفوا عند المساء وكلٌّ غير غالب. وكان عليّ يركب بغلاً له يستلذه فلمّا حضرت الحرب قال : «ائتوني بفرس» فأُتي بفرس له ذنوب أدهم يقاد بشطنين[٣] يبحث بيديه الأرض جميعاً، له حمحمة وصهيل فركبه وقال : «﴿**سبحان الذي سخّر لنا هذا وماكنّا له مُقرنين**﴾[٤] **ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم**»[٥].

فلمّا كان غداة الخميس غلس عليّ عليه السلام بالغداة فما رُئي أنّه غلس أشدّ من تغليسه يومئذٍ ثمّ خرج بالناس إلى أهل الشام فزحف إليهم وكان هو يبدأهم فيسير إليهم فإذا رأوه وقد زحف استقبلوه بزحوفهم ـ فدعا بدعاء قال في آخره ـ : «**إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصم بقيّة أصحابي من الفتنة**».

وكان على ميمنته يومئذ عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخزاعي وعلى

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٢٦ .

(٢) المصدر السابق: ٢٢٨ .

(٣) الشطن: الجمل. النهاية لابن الأثير: ٤٧٥/٢ مادة (شطن).

(٤) الزخرف: ١٣.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

ميسرته عبد الله بن العبّاس وقرّاء العراق مع ثلاثة نفر مع عمّار بن ياسر وقيس بن سعد وعبد الله بن بديل والناس على راياتهم ومراكزهم وعليّ في القلب في أهل المدينة والكوفة والبصرة ، وعظم من معه من المدينة، الأنصار ومعه من خزاعة عدد حسن ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة ، ثمّ زحف عليّ بالنّاس إليهم ورفع معاوية قبّة له عظيمة قد ألقى عليها الكرابيس وجلس تحتها وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب بن مسلمة فلم يزل يحوزه ويكشف خيله من الميسرة حتّى اضطرهم إلى قبّة معاوية عند الظهر[١].

تحريض عليّ عليه السلام ووصاياه لعسكره

وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يحرّض أصحابه ويوصيهم وصايا مهمّة في الحرب فقال : **«إنّ الله قد دلّكم على تجارة تنجيكم من العذاب، إيمان بالله ورسوله وجهادٌ في سبيلهِ، وجعل ثوابُه مغفرةَ الذنب ومساكنُ طيّبة في جنّاتِ عدنٍ ورضوان من الله أكبر وأخبركم بالذي يحبّ فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٢]. فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع، وأخّروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس ، فإنّه أنبىٰ للسيوف عن الهام . وأميتوا الأصوات ، فإنه أطرد للفشل ، وأولى بالوقار والتووا في أطراف الرّماح فإنّه أُمور للأسنّة ، وراياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلّا في أيدي شجعانكم المانعي الذمار».**

ثمّ ذكر كلاماً معناه النهي عن أن يكل الرجل قرنه إلى أخيه بل يواسيه

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٣٢ ـ ٢٣٤ .

(٢) الصف: ٤.

بنفسه.

وقال : «وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة واستعينوا بالصدق والصبر فإنّه بعد الصبر ينزل النصر»(١).

وطلب معاوية إلى عمروبن العاص أن يسوّي صفوف أهل الشام فقال له عمرو : على أنّ لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب واستوسقت لك البلاد فقال : أليس حكمك في مصر؟ قال : وهل مصر تكون عوضاً عن الجنّة؟ وقَتْلُ ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار ، فقال معاوية : إنّ لك حكمك أبا عبدالله إنْ قُتِلَ ابن أبي طالب رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك فقال لهم عمرو: يا معشر أهل الشام سوّوا صفوفكم وأعيروا ربّكم جماجمكم وجاهدوا عدوّ الله وعدوّكم واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم ﴿وَٱصْبِروا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢)(٣).

وطلب معاوية إلى ذي الكلاع أن يخطب الناس ويحرّضهم على قتال عليّ وأهل العراق ، وكان من أعظم أصحاب معاوية خطراً. فقعد على(٤) فرسه وخطب خطبة طويلة، ـ قال في آخرها ـ :كان ممّا قضى الله أنّ ضمّ بيننا وبين أهل ديننا بصفّين وإنا لنعلم أنّ فيهم قوماً كانت لهم مع رسول الله ﷺ سابقة ذات شأن وخطر عظيم ولكنّني ضربت الأمر ظهراً وبطناً فلم أرَ يسعُني أن يُهدر دم عثمان ـ وعدّد فضائله ثمّ قال ـ : فإن كان أذنب فقد أذنب من هو

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٢) الأعراف: ١٢٨.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٣٧ .

(٤) في المصدر [فعقد].

خير منه قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ : ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١) وقتل موسى نفساً ثمّ استغفر الله فغفر له ، [وأذنب نوح فاستغفر الله فغفر له وأذنب أبوكم آدم ثمّ استغفر فغفر له](٢) وإنّا لنعلم أنّها كانت لابن أبي طالب سابقة حسنة مع رسول الله ﷺ فإن لم يكن مالأ على قتل عثمان فقد خذله ثمّ قد أقبلوا من عراقهم حتّى نزلوا في شامكم وبلادكم وإنما عامّتهم بين قاتل وخاذل ولقد رأيت في منامي لكأنّا وأهل العراق اعتورنا مصحفا نضربه بسيوفنا ونحن في ذلك جميعاً ننادي ويحكم الله(٣).

حُجْر الخير وحُجْر الشرّ

روى نصر بسنده عن الشعبي أنّ أوّل فارسين التقيا في اليوم السابع من صفر وكان من الأيام العظيمة في صفّين ذا أهوال شديدة حجر الخير وحجر الشرّ أما حُجْر الخير فهو حُجْر بن عديّ صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحُجْر الشرّ ابن عمّه حُجْر بن يزيد وذلك أنّ حُجْر الشرّ دعا حُجْر بن عديّ إلى المبارزة وكلاهما من كندة فأجابه فأطّعنا برمحيهما ثمّ حجز بينهما [خزيمة بن ثابت الأسدي](٤) وكان مع معاوية فضرب حجراً ضربة كسر رمحه(٥) وحمل أصحاب عليّ فقتلوا الأسدي وأفلتهم حُجْر الشرّ وحمل حُجْر الشرّ على الحكم بن أزهر وهو يرتجز ويقول :

---

(١) الفتح: ٢ .

(٢) ما بين المعقوفتين لم ترد في المصدر. حكاه عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩٢/٥.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٤) في المصدر [امرؤ بن بني أسد] .

(٥) في المصدر [برمحه] .

أنـــا الغـــلام اليـــمنيُّ الكـندي قـــد لبس الديـــباج والأفـــرندي
أنـا الشـريف الأريـحيّ المـهدي[١] يـا حكـم بـن أزهـر بـن فـهدِ
لقـــد أصـــبت غـارتي وحـدِّي وكـــرّتي وشـدّتي وجـدّي
أثبت أُقاتلك الغداة وحدي

فقتل الحكم فحمل رفاعة بن ظالم الحميري ابن عمّ الحكم على حجر الشر فقتله فقال عليّ : «الحمد الله الذي قتل حُجْر الشرّ بالحكم بن أزهر».

وروى نصر عن عمرو بن شمر عن جابر عن تميم أنّ عليّاً قال : «من يذهب بهذا المصحف إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى ما فيه؟» فأقبل فتى اسمه سعيد ابن قيس فقال : أنا صاحبه ثمّ أعادها فسكت الناس وقال الفتى : أنا صاحبه فقال : «دونك» وأتى معاوية فقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه[٢] .

وقال معاوية لعمروبن العاص : إئت ببني أبيك فقاتل بهم فإنّه إن يكن عندَ أحدٍ خير فعندهم فأتى جماعة أهل اليمن فقال : أنتم اليوم النـاسُ وغـداً لكم الشأن، هذا يومٌ له ما بعده من الأمرِ احملوا معي على هذا الجمع قالوا : نعم فحملوا وحمل عمرو وهو يقول :

أكـــرم بـــجمع طـيّبٍ يـماني جـــدُّوا تكـونوا أوليـاء عـثمانْ
خليفة الله على تبيان

فحمل عليه عمروبن الحمق وهو يقول :

بـــؤساً لجـــند ضـائع يـماني مســتوسقين كـاتّساق الضّـأنِ
تـــهوىٰ إلى راع لهـــا وسَـــنانِ أقـحمُها عـــمرو إلى الهـــوان

(١) مرت هذه السطور الثلاثة الأُولى في رجز لعدي بن حاتم.
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

يـــا ليت كـــفّي عُـدِمت بـناني وأنكـم بـالشحر[١] مـن عـمان[٢]

مقتل حوشب ذي ظليم

وخرج حوشب ذوظليم وهو يومئذ سيّد أهل اليمن في جمعه وصاحب لوائه يقول:

نـحن اليـمانيون[٣] مـنّا حـوشب وذو ظـليم أيـنَ مـنّا المـهربُ
فـينا الصّـفيحُ والقَـنا المـغلَّبُ والخـيل أمـثال الوَشِـيج شُـزَّبُ
إنّ العـراق حـبلها مـذبْذَبُ إنّ عـليّاً فـيكمُ مـحبّبُ
في قتل عثمان وكلّ مذنبٌ

فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول:

يـا لك يـوماً كـاسفاً عـصبصباً يـا لك يـوماً لا يـواري كـوكباً
يـا أيّـها الحـي الذي تـذبذبا[٤] لست[٥] أخـاف ذا ظُـليم حـوشَبا
لأنّ فـينا بـطلاً مـجرّباً ابـن بُـديلٍ كـالهزبر مُـغضبا
أمسـى عـليٌّ عـندنا مـحبباً نـفديه بـالأُمّ ولا نـبقي أبـا

فطعن حوشباً فقتله[٦].

---

(١) الشحر: صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. وقال الأصمعي: هو بين عدن وعمان، معجم البلدان: ٣: ٣٢٧.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٣) في المصدر زيادة [و].

(٤) في المصدر [نخاف]

(٥) في المصدر [لسنا].

(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٠ ـ ٤٠١.

مقتل عبد الله بن بديل الخزاعي

قال الشعبي: كان عبد الله بن بديل الخزاعي مع عليّ عليه السلام يومئذٍ وعليه سيفان ودرعان فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول:

لم يبقَ غير الصّبر والتوكّل ... وأخذك الترسَ وسيفاً مصقلِ
ثمّ التّمشي في الرعيل الأوّل ... مشي الجمالِ في حياض المنهلِ
والله يقضي ما يَشا ويفعل

فلم يزل يضرب بسيفه حتّى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه[1].

قال نصر: (قاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة حتّى انتهى إلى معاوية مع الذين بايعوه على الموت فأقبلوا إلى معاوية فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل في الميمنة. وبعث معاوية إلى حبيب بن مسلمة في الميسرة فحمل عليهم بمن كان معه على ميمنة عليّ فهزمهم وكشف أهل العراق ميلاً من قبل الميمنة حتّى لم يبقَ مع ابن بديل إلّا نحو من مائة مع القرّاء واستند بعضهم إلى بعض وانجفل الناس عليهم فأمر عليّ سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان مع عليّ من أهل المدينة فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة فحملوا عليهم وألحقوهم بالميمنة وكانت الميمنة متصلة إلى موقف عليّ في القلب في أهل اليمن فلمّا انكشفوا انتهت الهزيمة إلى عليّ فاقبل يمشى نحو الميسرة فانكشفت عنه مضر من الميسرة وثبتت ربيعة[2].

وجعل عبدالله بن بديل ينادي: يا لثارات عثمان، يعني أخا له قد قتل وظنّ معاوية وأصحابه أنّه يعني عثمان بن عفّان ومع معاوية عبد الله بن عامر واقفاً، فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بديل يرضخونه بالصخر حتّى

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥.
(٢) المصدر السابق: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

أثخنوه وقتل الرجل، وأقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر ، فأمّا عبدالله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحّم عليه وكان له أخاً وصديقاً فقال معاوية : اكشف عن وجهه فقال عبد الله : والله لا يمثّل به وفيّ الروح فقال له معاوية : اكشف عن وجهه فقد وهبته لك فكشف عن وجهه فقال معاوية : هذا كبش القوم وربّ الكعبة اللهم أظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي والله ما مثل هذا إلّا كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها ... وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا
ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه ... لدى الشرّ يحمي الأنف أن يتأخّرا
كليثٍ هزبرٍ كان يحمي ذِماره ... رَمَته المنايا قصدها فتفطّرا

مع أنّ نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها فعلت[1].

قتل أحمر مولى بني أُمية

وروى نصر بسنده عن زيد بن وهب قال : مرّ عليّ يومئذٍ ومعه بنوه نحو الميسرة وإنّي لأرى النبل يمرّ بين عاتقيه ومنكبيه وما من بنيه أحد إلّا يقيه بنفسه فيكره عليّ ذلك. فبصر به أحمر مولى بني أُمية فقال عليّ: «وربّ الكعبة قتلني الله إن لم اقتلك أو تقتلني» فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى عليّ فاختلفا ضربتين فقتله أحمر وخالط عليّاً ليضربه بالسيف فانتهره عليّ ووضع يده في جيب درعه فجذبه ثمّ حمله على عاتقه .

قال الراوي: فكأنّي أنظر إلى رجليه يختلفان على عنق عليّ ثمّ ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده وشدّ ابنا عليّ ـ الحسين ومحمّد ـ فضرباه

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

بأسيافهما فكأنّي أنظر إلى عليّ قائماً وشبلاه يضربان الرجل حتّى إذا قتلاه أقبلا إلى أبيهما والحسن معه قائم قال : «يا بني ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟» قال «كفياني يا أمير المؤمنين» .

ثمّ إنّ أهل الشام دنوا منه ـ والله ما يزيده قربهم منه سرعة في مشيه ـ فقال له الحسن : «ما ضرّك لو سعيت حتّى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوّك من أصحابك» قال: «يا بني إنّ لأبيك يوماً لن يعدوه لا يبطىء به عنه السعي ولا يعجّل به إليه المشي إنّ أباك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه».

وخرج عليّ عليه السلام يوم صفّين وفي يده عنزة[١] (عصا)[٢] فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحد وأنت قرب عدوّك فقال له عليّ: «إنّه ليس من أحد إلّا عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردّى في قَليبٍ أو يخرّ عليه حائط أو تصيبه آفة فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه»[٣] .

ردّ الأشتر المنهزمين

ولمّا انهزمت ميمنة أهل العراق أقبل عليّ يركض نحو الميسرة يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع حتّى مرّ بالأشتر فقال له : «يا مالك!» قال : لبيك يا أمير المؤمنين، قال : «إئت القوم فقل لهم : أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم» .

---

(١) العَنَزة: مثل نصف الرُمح أو أكبر شيئاً، وفيها سِنانٌ مِثل سِنان الرُمح، والعكّازة: قريب منها. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠٨/٣ مادة «عنز») .

(٢) ليست في المصدر.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم الكلمات التي أمره عليّ بهنّ وقال : أيها الناس أنا مالك بن الحارث ثمّ ظن أنه بالأشتر اعرف في الناس فقال : أيّها الناس أنا الأشتر إليّ أيها الناس فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال : عضضتم بهن أبيكم ما أقبح ما قاتلتم اليوم؟ يا أيّها الناس غضّوا الأبصار وعضّوا على النواجذ واستقبلوا القوم بهامكم ثمّ شدّوا شدّة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم حنقاً على عدوّهم قد وطّنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بثأر. إنّ هؤلاء القوم والله لن يقارعوكم إلّا عن دينكم، ليطفئوا السنّة ويحيوا البدعة ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة، فطيبا عباد الله أنفساً بدمائكم دون دينكم، فإنّ الفرار فيه سلب العِزّ والغلبة على الفيء وذلّ المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه .

ثمّ قال : أيّها الناس اخلصوا إليّ مذحجاً فاجتمعت إليه مذحج فقال لهم : عضضتم بصم الجندل والله ما أرضيتم اليوم ربّكم ولا نصحتم له في عدوّه، فكيف بذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان. يحرّضهم بنحو هذا إلى أن قال : والّذي نفس مالك بيده ما من هؤلاء ـ وأشار بيده إلى أهل الشام ـ رجل على مثل جناح بعوضة من دين الله، والله ما أحسنتم القراع اِجلُوا سواد وجهي يرجع في وجهي دمي، عليكم بهذا السواد الأعظم فإنّ الله لو قد فضّه تبعه من بجانبه كما يتبع السيل مقدّمه. قالوا: خُذ بنا حيث أحببت. فصمد بهم نحو عظمهم ممّا نحو الميمنة وأخذ يزحف إليهم الأشتر ويردّهم واستقبله سنام

من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل وقد انهزموا آخر الناس وكانوا قد صبروا في ميمنة عليّ عليه السلام حتّى أُصيب منهم مائة وثمانون رجلاً وقتل منهم أحد عشر رئيساً كلّما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر[١] .

قتل أخوة بصفين

فكان أوّلهم كريب بن شريح وشرحبيل بن شريح ومرثد بن شريح وهبيرة بن شريح، ثمّ بريم[٢] هريم بن شريح ، وشمر بن شريح قتل هؤلاء الأُخوة الستّة جميعاً، ثمّ أخذ الراية سفيان بن زيد ثمّ حبة[٣] بن زيد ثمّ كرب بن زيد فقتل هؤلاء الأُخوة الثلاثة جميعاً. ثمّ أخذ الراية عميرة[٤] بن بشر والحارث بن بشر فقتلا. ثمّ أخذ الراية وهيب[٥] بن كريب أبو القلوص فأراد أن يستقتل[٦] فقال له رجل من قومه : انصرف بهذه الراية ترحها الله من راية فقد قتل أشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك ولا من بقي ممّن معك فانصرفوا وهم يقولون : ليت لنا عديداً من العرب يحالفوننا ثمّ نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتّى نقتل أو نظهر . فمرّوا بالأشتر وهم يقولون هذا القول فقال لهم الأشتر: إليّ أنا أُحالفكم وأُعاقدكم على أن لا نرجع أبداً حتّى نظهر أو

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .
(٢) في المصدر [برم] .
(٣) في المصدر [عبد] .
(٤) في المصدر [في عمير] .
(٥) في المصدر [وهب] .
(٦) في المصدر [يستقبل] .

نهلك فتوافقوا[١] معه في هذا القول .

وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه أُناس تراجعوا من أهل البصيرة والحياء والوفاء فأخذ لا يصمد لكتيبة إلّا كشفها ولا لجمع إلّا حازه وردّه فإنّه لكذلك إذ مرّوا بيزيد بن قيس محمولاً إلى العسكر فقال الأشتر: من هذا؟ قالوا: يزيد بن قيس، لمّا صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتّى صرع، فقال الأشتر: هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم، ألا يستحيي الرجل أن ينصرف لم يَقتل ولم يُقتل ولم يشف به على القتل؟!

وكان الأشتر يومئذ يقاتل على فرس له في يده صفيحة يمانيّة إذا طأطأها خِلْتَ فيها ماء منصباً فإذا رفعها كاد يغشي البصر شعاعها ويضرب بسيفه قدما وهو يقول : (غمرات ثمّ ينجلين)[٢] .

ولمّا اجتمع إلى الأشتر عُظْمُ من كان انهزم من الميمنة حرّضهم ثمّ حمل على أصحاب معاوية حتّى كشفهم فألحقهم صفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب.[٣] .

فلمّا رأى عليّ عليه السلام أنّ ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافّها وكشفت[٤] من بازائها حتّى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم أقبل حتّى انتهى إليهم فقال : «**إنّي قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم[٥] وتحرّزكم الجفاةُ الطغاة[٦] وأعراب**

---

(١) في المصدر [فوقفوا] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٥٢ ـ ٢٥٤ .

(٣) المصدر السابق: ٢٥٥ .

(٤) في المصدر [وكُشِفَ] .

(٥) في المصدر [يحوزكم] .

(٦) في المصدر [الطّغام] .

أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسّنام الأعظم وعمّار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحقّ إذ ضلّ الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزَّحف دُبُرُهُ والّذي[١] هوّن عليَّ بعض وجدي أن رأيتكم بآخرة حزتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم كالإبل المطرودة الهيم. فالآن فاصبروا أُنزِلَت عليكم السكينة وثبّتكم الله باليقين وليعلم المنهزم أنّه مسخط لربّه وفي الفرار الذلّ الدائم وإنّ الفارّ لا يزيد الفرار في عمره[٢].

قتال خثعم وخثعم بصفّين

وأرسل عبد الله بن حنش الخثعمي رأس خثعم الشام إلى أبي كعب رأس خثعم العراق: إن شئت تواقفنا فلم نقتتل فإن ظهر صاحبك كنّا معكم وإن ظهر صاحبنا كنتم معنا فأبىٰ أبو كعب ذلك فلمّا التقوا قال رأس خثعم الشام لقومه: قد عرضت على قومنا العراقيين الموادعة صلة لأرحامهم فأبوا فكفّوا عنهم ما كفّوا عنكم، فخرج رجل من أصحابه فقال: قد ردّوا عليك رأيك وطلب المبارزة، فغضب رأس خثعم الشام فقال: اللهم قيّض له وهب بن مسعود ـ رجلاً من خثعم الكوفة كان معروفاً في الجاهلية لم يبارزه رجل إلّا قتله ـ فَحمل على الشامي فقتله ثمّ اقتتلوا أشدّ القتال، وجعل أبو كعب يقول لأصحابه: خدّموا أي اضربوا موضع الخدمة وهو الخلخال، وأخذ صاحب الشام يقول: يا أباكعب! قومك فانصف. فحمل شمر بن عبد الله الخثعمي

---

(١) في المصدر [ولقد].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٥٦.

خثعم الشام على أبي كعب فطعنه فقتله وانصرف يبكي ويقول: رحمك الله يا أباكعب أنّني قتلتك في طاعة قوم أنت أمسّ بي رحماً منهم وأحب إليّ ولا أرى الشيطان إلّا قد فتننا ولا أرى قريشاً إلّا قد لعبت بنا. فأخذ الراية كعب ابن أبي كعب ففُقئت عينه وصُرع فأخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتّى صَرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلاً وأُصيب من خثعم الشام نحو منهم ثمّ ردّها شريح إلى كعب بن أبي كعب[1].

قتال بجيلة العراق بصفّين

وكانت راية بجيلة في صفّين في أحمس مع أبي شدّاد قيس بن المكشوح قالت له بجيلة: خذ رايتنا قال: غيري خير لكم منّي قالوا: ما نريد غيرك، قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بها دون صاحب الترس المذهّب وعلى رأس معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قائم معه ترس مذهّب يستره من الشمس قالوا: اصنع ما شئت فأخذها ثمّ زحف وهو يقول:

إن علياً ذو أناةٍ صارم جلد إذا ما حضر العزائم
لمّا رأى ما تفعل الأشائم قام له الذروة والأكارم
الأشيبان مالك وهاشم

ثمّ زحف بالراية حتّى انتهى إلى صاحب الترس المذهّب وكان في خيل عظيمة من أصحاب معاوية فاقتتل الناس هنالك قتالاً شديداً وشدّ أبو شدّاد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرّض له من دونه غلام رومي لمعاوية فضرب

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ وفيه اختلاف يسير.

قدم أبي شدّاد فقطعها وضربه أبو شدّاد فقتله وأُشرعت إليه الأسنّة فقتل وأخذ الراية عبدالله بن قلع الأحمسي وهو يقول:

لا يــبعد الله أبــا شــدّاد حــيث أجــاب دعــوة المــنادي
وشــدّ بــالسيف عــلى الأعــادي نــعم الفــتى كــان لدى الطــراد
وفي طعانِ الخيل والجلادِ

وقاتل حتّى قُتل فأخذ الراية أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل فقُتل، ثمّ أخذها عفيف بن أياس فلم تزل بيده حتّى تحاجز الناس.

وقُتل حازم بن أبي‌حازم أخو قيس بن أبي حازم يومئذٍ وقُتل نعيم بن سهيل بن الثعلبة(١) فأتى ابنُ عمّه وسمّيه نُعيم بن الحارث بن الثعلبة(٢) معاويةَ وكان معه فقال: إنّ هذا القتيل ابن عمّي فهبه لي أدفنه فقال: لا ندفنهم فليسوا أهلاً لذلك فوالله ما قدرنا على دفن عثمان معهم إلّا سرّاً قال: والله لتأذننّ لي في دفنه أو لألحقنّ بهم ولأدعنّك، فقال له معاوية: ترى أشياخ العرب لا نواريهم وأنت تسألني دفن ابن عمّك؟ ثمّ قال له: ادفنه إن شئت أودعه فدفنه(٣).

قتال غطفان العراق بصفّين

كانت راية غطفان العراق مع أبي سليم عياش بن شريك فخرج رجل من

(١) في المصدر [نعيم بن صهيب بن العلية البجلي].
(٢) في المصدر [العلية].
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

آل ذي الكلاع يطلب المبارزة فبرز إليه قايد بن بكير العبسي[١] فشدّ عليه الكلاعي فأوهطه[٢] فخرج إليه عيّاش بن شريك فلحقه هرم بن شبير فقال: لا تبرز لهذا الطُوّال قال: هبلتك الهبول وهل هو إلّا الموت؟ قال: وهل يُفرّ إلّا منه؟ قال: وهل منه بُدّ؟ والله ليقتلني أو ليلحقنّ بقايد بن بكير.

ونظر عياش فإذا الحديد عليه مفرغ لا يرى منه إلّا مثل شراك النعل من عنقه بين بيضته ودرعه فضربه الكلاعي فقطع حجفته[٣] وكانت من جلود الإبل وضربه عياش على ذلك المكان فقطع نخاعه وخرج ابن الكلاعي ثائراً بأبيه فقتله بكير بن وائل[٤] وقيل: زياد بن خصفة[٥].

وخرج رجل من أزد شنوءة يسأل المبارزة فخرج إليه رجل: من أهل العراق فقتله فخرج إليه الأشتر فما لبثه أن قتله فقال رجل: كان هذا ناراً فصادفت إعصاراً فاقتتل الناس قتالاً شديداً يوم الأربعاء فقال رجل من أصحاب عليّ: والله لأحملنّ على معاوية حتّى أقتله فأخذ فرساً فركبه ثمّ ضربه حتّى إذا قام على سنابكه دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية ودخل معاوية الخباء فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من الخباء وطلع الرجل في أثره فخرج معاوية وهو يقول:

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحكِ[٦] لا تراعي
فإنّك لو سألت خلاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي

(١) في المصدر [تثير].
(٢) أوهطه:
(٣) الجحفة: ضرب من الترس، وقيل: هي من الجلود الخاصة، وقيل: هي من جلود الإبل مقورة. لسان العرب ٣: ٣٩، (مادة جحف).
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٦٠ .
(٥) المصدر السابق: ٢٦١ .
(٦) في المصدر [إنك لن].

فأحاط به الناس فقال معاوية : ويحكم إنّ السيوف لم يؤذن لها في هـذا ولو لا ذلك لم يصل إليكم، عليكم بالحجارة فرضخوه بـالحجارة حتّى هـمد الرجل ثمّ عاد معاوية إلى مجلسه وهو يقول :

هذا كما قال الأوّل :

أخو الحرب إن عضّت به الحربُ عضّها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

وحمل رجل من أهل العراق يُدعى أبا أيّوب على صفّ أهـل الشـام ثـمّ رجع فوافق رجلاً صادراً كان قد حمل على صفّ أهل العراق ثمّ رجع فاختلفا ضربتين فنفحه أبو أيّوب فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو حتّى إذا دخل في صفّ أهل الشام وقع ميّتاً وندر رأسه فقال عليّ عليه السلام : «والله لأنا من ثبات رأس الرجل أشدّ تعجباً منّي لضربته وإن كان إليها ينتهي وصف الواصف[1]» .

وغدا أبو أيّوب إلى القتال فقال له عليّ عليه السلام : «أنت والله كما قال القائل :

وعلّمنا الضربَ آباؤنا فسوف نُعلّم أيضاً بنينا»

تبارز الأخوين

وخرج رجل من أهل الشام يطلب المبارزة فخرج إليـه رجـل مـن أهـل العراق فاقتتلا بين الصفين قتالاً شديداً. ثمّ إن العراقي اعتنقه فوقعا جميعاً بين قوائم فرسيهما فجلس على صدره وكشف المغفر عنه يـريد ذبـحه فـإذا هـو أخوه لأبيه فصاح به أصحاب عليّ أجهِز عليه قال : إنّه أخي قالوا: فاتركه قال : لا حتّى يأذن لي أميرالمؤمنين فارسل إليه دعه فتركه[2].

---

(١) في المصدر [الضارب] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧٠ ـ ٢٧٢ .

مقتل حريث مولى معاوية

وكان فارس معاوية الذي يعدّه لكل مبارز ولكلّ عظيم حريث مولاه وكان يلبس سلاح معاوية متشبّهاً به فإذا قاتل قال الناس: ذاك معاوية وإنّ معاوية دعاه فقال: يا حريث اتّق عليّاً وضع رمحك حيث شئت فقال له عمرو بن العاص: إنّك لو كنت قرشيّاً لأحبّ معاوية أن تقتل عليّاً، ولكن كره أن يكون لك حظّها فإن رأيت فرصة فاقحم.

وخرج عليّ أمام الخيل وحمل عليه حريث وكان شديداً ذا بأس فنادىٰ: يا عليّ هل لك في المبارزة؟ فاقدم أبا حسن إذا شئت. فأقبل علي وهو يقول:

«أنا عليّ وابن عبدالمطّلب — نحن لعمر الله أولى بالكُتُب
منّا النبيّ المصطفى غير كذب — أهل اللواء والمقام والحُجُب
نحن نصرناه على جُلِّ العرب — يا أيّها العبد الغرير المنتدب
إثبت لنا يا أيّها الكلب الكلب»

ثمّ ضربه عليّ فقتله فجزع عليه معاوية جزعاً شديداً وعاتب عمراً وقال معاوية:

حريث ألم تعلم وجهلك ضائر — بأنّ عليّاً للفوارس قاهر
وإنّ عليّاً لم يبارزه فارسٌ — من الناس لا اقصدتُه الأظافر
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني — فجدّك إذ لم تقبل النصح عاثرُ
ودلّاك عمروٌ والحوادث جمّةٌ — غروراً وما جرت عليك المقادرُ
وظنّ حريث أن عمراً نصيحه — وقد يُهلك الإنسان مَن لا يحاذر

فلمّا قتل عليّ حريثاً برز عمرو بن حصين السكسكي فنادى : يا أبا حسن هلمّ إلى المبارزة وحمل على عليّ عليه السلام فبادره إليه سعيد بن قيس الهمداني ففلق صلبه فقال عليّ عليه السلام في ذلك اليوم:

دعوت فلبّاني من القوم عصبةٌ ... فوارس من همدان غيرَ لئامِ
فوارس من همدان ليسوا بِعُزّلٍ ... غداة الوغى من شاكر وشبامِ
وكلٍّ رديني وعَضْب تخالُه ... إذا اختلف الأقوام شعل ضرامِ
لهمدان أخلاق ودين يَزينُهم ... وبأس إذا لاقوا وَجِدّ[1] خصامِ
وجدٌّ وصدقٌ في الحروبِ ونجدة ... وقول إذا قالوا بغير أثامِ
متى تأتهم في دارهم تستضيفهم ... تَبِتْ ناعماً في خدمة وطعامِ
جزى الله همدان الجنان فإنّها ... سمامُ العِدى في كلّ يومِ سمامِ[2]
فلو كنتُ بوّاباً على بابِ جنّةٍ ... لقلتُ لِهمدان (ادخلوا)[3] بسلامِ[4]

وخرج رجل من عكّ يسأل المبارزة فخرج إليه قيس بن فهدان الكندي فطعن العكّي فقتله فقال قيس :

لقد علمت عكٌّ بصفّين أنّنا ... إذا ما نُلاقي الخَيْلَ نطعنها شَزْرا
ونحملُ راياتِ القتال بحقّها ... ونوردها[5] بِيضاً ونصدرُها حمرا

وحمل عبد الله بن الطفيل البكائي على صفوف أهل الشام فلمّا انصرف

(١) في المصدر [وحَدُّ].
(٢) في المصدر [زِحامِ].
(٣) في المصدر [ادخلي].
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧٢ ـ ٢٧٤.
(٥) في المصدر [فنوردُها].

حمل عليه رجل من بني تميم يقال له: قيس بن فهد الحنظلي اليربوعي وهو ممّن لحق بمعاوية من أهل العراق فوضع الرمح بين كتفي عبد الله فاعترضه يزيد بن معاوية البكائي ابن عمّ عبدالله بن الطفيل فوضع الرمح بين كتفي التميمي وقال: والله لئن طعنته لأطعنّنك قال: عليك عهد الله لئن رفعت السّنان عن ظهر صاحبك لترفعنه عنّي قال: نعم لك العهد والميثاق بذلك فرفع السّنان عن عبد الله بن الطفيل ورفع يزيد الرمح عن التميمي فوقف التميمي فقال: من أنت؟ قال: أحد بني عامر قال: جعلني الله فداكم أينما لقيناكم وجدناكم كراماً والله إنّي لآخر أحد عشر رجلاً من بني تميم قتلتموهم اليوم.

فلمّا تراجع الناس عن صفّين عتب يزيد على عبدالله بن الطفيل في بعض ما يعتب الرجل على ابن عمّه فقال يزيد:

ألم ترني حاميت عنك مناصحاً ... بصفّين إذ خلّاك كلّ حميم
ونهنهت عنك الحنظليّ وقد أتى ... على سابح ذي مَيْعةٍ وهزيمِ[1]

واقتتل الناس قتالاً شديداً فعبئت لطيء جموع أهل الشام فجاءهم حمزة ابن مالك فقال: مَن أنتم؟ لله أبوكم! فقال عبد الله بن خليفة الطائي: نحن طيء السهل وطيء الجبل الممنوع بالنحل ونحن حماة الجبلين ما بين العذيب إلى العين نحن طيء الرماح وطيء البطاح وفرسان الصباح فقال له: بخ بخ ما أحسن ثناءك على قومك[2]. ثمّ إنّ النخع قاتلوا قتالاً شديداً فأُصيب منهم جماعة.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٧٩.

تهمة خالد بن المعمّر

وقال ناس لعليّ عليه السلام: إنّا لا نرى خالد بن المعمّر السدوسي إلّا كاتَبَ معاوية فبعث إليه وإلى رجال من أشرافهم فقال عليه السلام: «يا معشر ربيعة أنتم أنصاري ومجيبو دعوتي ومِن أوثق حيّ في العرب في نفسي وقد بلغني أنّ معاوية كاتب صاحبكم خالد بن المعمّر» ثمّ قال له: «يا خالد إن كان ما بلغني عنك حقّاً فإنّي أُشهد الله ومن حضرني من المسلمين أنّك آمن حتّى تلحق بالعراق أو بالحجاز أو أرض لا سلطان لمعاوية فيها وإن كنت مكذوباً عليك فابرّ صدورنا بأيمان نطمئن إليها».

فحلف له بالله ما فعل، وقال رجال من ربيعة كثير: لو نعلم أنّه فعل لقتلناه وقال شقيق بن ثور: ما وفّق الله خالد بن المعمّر حين نصر معاوية وأهل الشام على عليّ وربيعة. فقال له زياد بن خصفة: يا أمير المؤمنين استوثق من ابن المعمّر بالأيمان لا يغدر فاستوثق منه[1].

الحضين بن المنذر ورايته

قال الحضين بن المنذر الرقاشي: لمّا كان يوم الخميس من أيام صفّين انهزم الناس من الميمنة فجاءنا عليّ عليه السلام حتّى انتهى إلينا ومعه بنوه فنادى بصوت عال جهير كغير المكترث لما فيه الناس وقال: لمن هذه الرايات؟ قلنا: رايات ربيعة قال: بل هي رايات الله عصم الله أهلها وصبّرهم وثبّت أقدامهم ثمّ قال لي: يا فتى ألا تُدني رايتك هذه ذراعاً؟ فقلت له: نعم والله وعشرة أذرع فأدنيتها

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٨٧ ـ ٢٨٨ وبتلخيص.

فقال لي : حسبك مكانك .

وقال أبو الأشعث يحيى بن مطرف العجلي ـ شهد مع عليّ صفّين ـ : لمّا نُصبت الرايات اعترض على الرايات ثمّ انتهى إلى رايات ربيعة فقال : لمن هذه الرايات؟ فقلت : رايات ربيعة فقال : بل هي رايات الله.

وأقبل الحضين بن المنذر وهو يومئذٍ غلام يزحف برايته وكانت حمراء فاعجب عليّاً زحفه وثباته فقال :

«لمن راية حمراء يخفق ظلُّها إذا قيل قدّمها حضين تقدّما
ويدنُو بها في الصفّ حتّى يزيرها(١) حِمامُ المنايا تقطر الموت والدما
تراه إذا ما كان يومٌ عظيمة أبى فيه إلّا عزةً وتكرّما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم لدى البأس خيراً ما أعف وأكرما
واحزم صبراً حين تُدعى إلى الوغى إذا كان أصوات الكماة تَغمْغُما
ربيعة أعني أنهم أهل نجدةٍ وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما

وكانت راية ربيعة كلّها كوفيّتها وبصريّتها مع خالد بن المعمّر السّدوسي من ربيعة البصرة أعطاه إياها عليّ عليه السلام فتنافس في الراية خالد بن المعمّر وشقيق بن ثور السّدوسي ثمّ اصطلحا على أن يولّيا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحضين بن المنذر وقالا : هذا فتى له حسب ونجعلها له حتّى نرى رأينا(٢).

قال الجاحظ في البيان والتبيين : لمّا خرج أهل البصرة إلى صفّين تنازع

---

(١) في المصدر [يديرها].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٨٨ ـ ٢٩٠ بتفاوت يسير .

شقيق وخالد الرياسة فصيّرها عند ذلك عليّ إلى حضين بن المنذر فرَضِيَ كلّ واحد منهما وكان يخاف أن يصيّرها إلى خصمه فسكتت بكر وعرف الناس صحّة تدبير عليّ في ذلك(١)... الخ.

وضرب معاوية(٢) لحمير على ثلاث قبائل لم يكن لأهل العراق قبائل أكثر منها عدداً يومئذٍ على ربيعة وهمدان وكندة(٣)، فوقع سهم حمير على ربيعة. وكان بصفّين من عنزة وهي من قبائل ربيعة أربعة آلاف محجف فقال ذوالكلاع : قبّحك الله من سهم كرهت الضراب . وأقبل ذوالكلاع في حمير ومن لفّ لفّها ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطّاب في أربعة آلاف من قرّاء أهل الشام قد بايعوا على الموت وهي ميمنة أهل الشام وعليها ذوالكلاع فحملوا على ربيعة وهي ميسرة أهل العراق وعليها عبد الله بن العبّاس حملة شديدة فتضعضعت رايات ربيعة وانصرف أهل الشام فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى كرّوا وعبيد الله بن عمر يقول : يا أهل الشام هذا الحي من أهل العراق قتلة ابن عفّان وأنصار عليّ وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم في عثمان وهلك عليّ وأهل العراق فشدّوا على الناس شدّة شديدة فثبتت لهم ربيعة وصبروا صبراً حسناً إلّا قليلاً من الضعفاء وثبت أهل الرايات وأهل البصائر منهم والحفاظ وقاتلوا قتالاً شديداً .

(١) البيان والتبيين: ٧٤/٣ .
(٢) زيادة في المصدر [بسهم].
(٣) في المصدر [مذحج] .

ما فعله خالد بن المعمّر

فلمّا رأى خالد بن المعمّر أُناساً قد انهزموا من قومه انصرف؛ فلمّا رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم وأمرهم بالرجوع فقال: من أراد أن يتّهمه: أراد الانصراف فلمّا رآنا قد ثبتنا رجع إلينا، وقال لهم : لمّا رأيت رجالاً منّا قد انهزموا رأيت أن أستقبلهم وأردّهم إليكم فأقبلت إليكم بمن أطاعني منهم فجاء بأمر مشتبه[1].

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : لا ريب عند علماء السير أنّ خالد بن المعمّر كان له باطن سوء مع معاوية وأنّه انهزم هذا اليوم ليكسر الميسرة على عليّ عليه السلام؛ ذكر ذلك الكلبي والواقدي وغيرهما. ويدلّ على باطنه هذا أنّه لما استظهرت ربيعة على صفوف أهل الشام اليوم الثاني من هذا اليوم أرسل إليه معاوية أن كفّ عني ولك إمارة خراسان ما بقيت فكفّ عنه ورجع بربيعة وقد شارفوا أخذه من مضربه[2]... الخ.

واشتدّ قتال ربيعة وحمير ونادى منادي أهل الشام ألا إنّ معنا الطيّب بن الطيّب عبد الله بن عمر فقال عمّار بن ياسر : بل هو الخبيث. ونادى منادي أهل العراق ألا إنّ معنا الطيّب ابن الطيّب محمّد بن أبي بكر، فنادى منادي أهل الشام: بل هو الخبيث بن الطيّب .

وخرج نحو من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب عليّ على رؤوسهم

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٠ ـ ٢٩١ وفيه تقديم وتأخير.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٨/٥ ـ ٢٢٩.

البيض وهم غائصون في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم في العدد فاقتتلوا بين الصفين والناس تحت راياتهم فلم يرجع من هؤلاء ولا من هؤلاء مخبر لا عراقي ولا شامي قتلوا جميعاً بين الصفّين[١].

وقدكان معاوية نذر سبي نساء ربيعة وقتل المقاتلة فقال في ذلك خالدبن المعمّر:

تمنّى ابن حرب نذرةً في نِسائنا ... ودون الذي ينوي قراع القواضب[٢]

وتمنح ملكاً أنت حاولت خَلْعَه ... بني هاشم قول أمريءٍ غير كاذب[٣]

فلمّاكان يوم الخميس التاسع من صفر سنة (٣٧هـ) خطب الناس معاوية وحرّضهم، ثمّ خطبهم مرة أُخرى قبل الوقعة العظمى فقال في آخر كلامه: انظروا يا أهل الشام فإنّما تلقون غداً أهل العراق فكونوا على إحدى ثلاث أحوال: إمّا أن تكونوا قوماً طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم فأقبلوا من بلادهم حتّى نزلوا في بيضتكم، وإما أن تكونوا قوماً تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكمﷺ وإمّا أن تكونوا قوماً تذبّون عن نسائكم وأبنائكم[٤].

مقتل ذي الكلاع الحميري

وأتى زياد بن خصفة عبد القيس يوم صفّين وقد عُبّيت قبائل حمير مع

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٣ وفيه تقديم وتأخير في الجمل.

(٢) في المصدر [سيوفٌ قواضبِ].

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٤.

(٤) المصدر السابق: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

ذي الكلاع ـ وفيهم عبيد الله بن عمر ـ لبكر بن وائل فقاتلوا قتالاً شديداً حتّى خافوا الهلاك، فقال زياد لعبد القيس : لا بكر بعد اليوم إن ذا الكلاع وعبيدالله أبادا ربيعة فانهضوا لهم وإلّا هلكوا فركبت عبد القيس وجاءت كأنّها غمامة سوداء فشدّت إزاء الميسرة فعظم القتال[1]، وشدّت عك ولخم وجذام والأشعرون من أهل الشام على مذحج وبكر بن وائل فقال العكّي في ذلك:

ويل لأُمّ مذحج من عَكِّ لنتركنّ أُمّهم تبكي
نقتلهم بالطعن ثمّ الصكِّ فلا رجال كرجال عكِّ

فحميت مذحج من قول العكّي ونادى مناديهم : يا آل مذحج خدّموا فاعترضت مذحج لسوق القوم ، فكان بوار عامّة القوم وخاضت الخيل والرجال في الدماء ، ونادى أبو شجاع الحميري وكان من ذوي البصائر مع عليّ فقال : يا معشر حمير أترون معاوية خيراً من عليّ؟! أضلّ الله سعيكم . ثمّ أنت ياذا الكلاع فوالله إن كنّا نرى أن لك نية في الدين ، فقال ذوالكلاع : إيهاً أبا شجاع فوالله لأعلمنّ ما معاوية بأفضل من عليّ ولكن إنّما أُقاتل على دم عثمان[2].

بحث ذي الكلاع عن حديث «عمّار تقتله الفئة الباغية»

قال أبو نوح الكلاعي الحميري: كنت في خيل عليّ عليه السلام يوم صفّين إذا أنا برجل من أهل الشام يقول: مَنْ دلّ على الحميري أبي نوح ؟ فقلنا : هذا

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٠١.

الحميري فأيّهم تريد ؟ قال : أُريد الكِلاعي أبانوح، قلت : قد وجدته فمن أنت؟ قال : أنا ذوالكلاع سر إليّ، قلت: معاذ الله أن أسير إليك إلّا في كتيبة قال : لك ذمّة الله ورسوله وذمة ذي الكلاع حتّى نرجع إلى خيلك فإنّما أُريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه، فسار إليه .

فقال ذوالكلاع : إنّما دعوتك أُحدّثك حديثاً حدّثناه عمروبن العاص في إمارة عمر بن الخطّاب: ان رسول الله ﷺ قال :... إلى قوله : وفي إحدى الكتيبتين الحقّ ومعه عمّار بن ياسر. قال أبو نوح : لَعَمر الله إنّه لفينا قال : أجاد هو في قتالنا؟ قال : نعم وربّ الكعبة هو أشدّ على قتالكم منّي ولوددت أنّكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم وأنت ابن عمّي. قال ذوالكلاع : علامَ تتمنى ذلك منّا؟ والله ما قطعتك وإنّ رحمك لقريبة وما يسرّني أني أقتلك .

قال أبو نوح : إنّ الله قطع بالإسلام أرحاماً قريبة ووصل به أرحاماً متباعدة، فقال له ذوالكلاع : هل تستطيع أن تأتي معي صفّ أهل الشام فأنا جار لك منهم حتّى تأتي عمروبن العاص فيعرف منك حال عمّار وجدّه في قتالنا لعلّه أن يكون صلحاً بين هذين الجندين فقال له أبو نوح : إنّك رجل غادر وأنت في قوم غُدّر، إن لم ترد الغدر أغدَروك فقال ذوالكلاع : أنا جار لك أن لا تقتل وتسلب ولا تكره على بيعة ولا تحبس عن جندك وإنّما هي كلمة تبلّغها عمرو وهو عند معاوية .

فقال ذوالكلاع لعمرو : وهل لك في رجل ناصح يخبرك عن عمّار بن ياسر، لا يُكذبك ؟ قال : من هو؟ قال ابن عمّي هذا وهو من أهل الكوفة فقال

له : إنّي لأرى عليك سيماء أبي تراب فقال أبو نوح: عليّ سيماء محمّد صلى الله عليه وآله وأصحابه وعليك سيماء أبي جهل وفرعون ، فسلّ أبو الأعور سيفه وقال : لا أرى هذا الكذّاب اللئيم يشاتمنا بين أظهرنا فقال ذوالكلاع : أُقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأُحطمنّ أنفك بالسيف، ابن عمّي وجاري جئت به إليكما ليخبركما عمّا تماريتم فيه فقال عمروبن العاص : أفيكم عمّار بن ياسر؟ قال أبو نوح : ما أنابمخبرك عنه حتّى تخبرني لم تسألني عنه؟ فإنّ معنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عدّة غيره وكلّهم جادّ على قتالكم قال عمرو : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «**إنّ عمّاراً تقتله الفئة الباغية وإنّه ليس لعمّار أن يفارق الحقّ ولن تأكلّ النار منه شيئاً**» .

قال أبو نوح: لا إله إلّا الله والله اكبر والله انّه لفينا جادّ على قتالكم فقال عمرو : والله إنّه لجاد على قتالنا ؟ قال : نعم. والله الذي لا إله إلّا هو لقد حدّثني يوم الجمل أنّا سنظهر عليهم وحدّثني أمس أن لو ضربتمونا حتّى تبلغوا بنا سعفات هَجَر لعلمنا أنّه على حقّ وأنتم على باطل ، وكانت قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار .

فقال له عمرو: هل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال : نعم[1] فجمع بينهما .

فقال عمروبن العاص : إنّي رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم اذكّرك الله إلّا حقنت دماءهم فعلا مَ تقاتلنا؟ قال عمّار : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أُقاتل الناكثين وقد فعلت، وأمرني أن أُقاتل القاسطين فأنتم هم، وأما المارقين فما

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٣٣ ـ ٣٣٥ .

أدري أدركهم أم لا؟ أيّها الأبتر! ألست تعلم أنّ رسول اللهﷺ قال لعليّ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأنا مولى الله ورسوله وعليّ بعده فقال له عمرو: لِمَ تشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك قال عمّار : وَبِمَ تشتمني أتستطيع أن تقول: إنّي عصيت الله ورسوله يوماً قط؟ قال : إنّ فيك المسبّات سوى ذلك قال عمّار : إنّ الكريم من أكرمه الله؛كنتُ وضيعاً فرفعني الله ومملوكاً فأعتقني الله وضعيفاً فقوّاني الله وفقيراً فأغناني الله، قال: قال عمرو : فما ترى في قتل عثمان؟ قال : فتح لكم باب كلّ سوء . وجرى بينهما حوار في ذلك فقام أهل الشام وركبوا خيولهم ورجعوا .

فبلغ معاوية ماكان بينهم فقال : هلكت العرب إذا أخذتهم خفّة العبد الأسود ـ يعني عمّار بن ياسر ـ [١].

ومشى عبد الله بن سويد سيّد جرش إلى ذي الكلاع فقال له : لِم جمعت بين الرجلين؟ قال : الحديث سمعته من عمرو، ذكر أنّه سمعه من رسول اللهﷺوهو يقول لعمّار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية»، فخرج عبدالله بن عمر العنسي وكان من عبّاد أهل زمانه ليلاً فأصبح في عسكر عليّ فحدّث الناس بقول عمروٍ في عمّار .

وقال الجرشي:

ما زلت يا عمروقبل اليوم مبتدئاً تبغي الخصوم جهاراً غير إسرار
حتّى لقيت أباليقظان منتصباً لله درُّ أبي اليقظان عمّار

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

مـا زال يـقرع مـنك العظم منتقياً مـخُّ العـظام بـنزر[1] غـير مكـثار
حتّى رمـىٰ بك فـي بـحر له حـدب تهوى بك الموج ها فاذهب إلى النار

وقال العنسي لذي الكلاع :

والراقـصات بـركب عـامدين له إن الذي جـاء مـن عـمرو لمـأثور
قـد كـنت أسـمع والأنـباء شائعة هذا الحديث فقلت الكـذب والزور
حـتّى تـلقّيته عـن أهـل عـيبته فـاليوم أرجـع والمـغرور مـغرور
واليـوم ابـرأ مـن عـمرٍو وشـيعته ومـن مـعاوية المـحدوُّ بـه العـير
لا لا أُقـاتل عـمّاراً عـلى طـمع بـعد الروايـة حـتّى يُـنفَخ الصـور
تـركت عـمراً وأشـياعاً له نكـداً إنّـي بـتركهم يـا صـاح مـعذور
يا ذا الكلاع فـدع لي مـعشراً كـفروا أوْلا فـديـنك عـين فـيه تـعزير
مـا فـي مـقال رسـول الله فـي رجُـل شكّ ولا في مقال الرسـل تـخيير[2]

فلمّا سمع معاوية ذلك بعث إلى عمرو فقال : أفسدت عـليَّ أهـل الشـام، أفكلّما سمعت من رسول الله ﷺ تقوله ؟ فقال عمرو : قلتها ولست والله أعلم الغيب ولا أدري أن صفّين تكون، قُلتها وعمّار يـومئذٍ لك وليّ وقـد رويتَ أنت فيه مثلَ الذي رويت فيه فاسأل أهل الشام . فغضب معاوية وتنمّر لعمرو ومنعه خيره فقال عمرو : لا خير لي في جوار معاوية إن تجلّت هذه الحرب عنّا وكان عمرو حميّ الأنف فقال في ذلك:

تـعاتبني أن قـلتُ شـيئاً سـمعته وقـد قـلت لو انـصفتني مـثله قـبلي

---

(١) في المصدر [بنزعٍ].

(٢) في المصدر [تحبيرُ].

أفعلك فيما قلت فعل[١] ثبيتة وتزلق بي في مثل ما قلته نعلي
وما كان لي علم بصفين أنها تكون وعمار يحث على قتلي
فلو كان لي بالغيب علم كتمتها وكايدتُ أقواماً مراجلهم تغلي
أبى الله إلّا أن صدرك واغرٌ عليّ بلا ذنب جنيت ولا ذحل
سوى أنني والراقصات عشيّةً بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عندي حصانٌ قِناعها ولا حملت وجناء ذعلبة رَحْلي
ولا زلت أدّعي في لؤي بن غالب قليلاً غنائي لا أُمِرُّ ولا أحلي
إن الله أرخى من خناقك مرّةً ونلت الذي رجّيت ان لم ازُر أهلي
واترك لك الشام التي ضاق رحبها عليك ولم يَهْنِكْ بهاالعيش من أجلي

فأجابه معاوية يقول:

أالآن لمّا ألقت الحرب بَرْكَها وقام بنا الأمرالجليل على رجلِ
غمزت قناتي بعد سبعين[٢] حجةً تِباعاً كأنّي لا أمرّ ولا أُحلي
أتيت بأمر فيه للشام فتنةٌ وبي دون ما أظهرته زلّة النعل
فقلت: لك القول الذي ليس ضائراً ولو ضرّ لم يضرْرك حملك لي ثقلي
فعاتبتني في كلّ يوم وليلةٍ كأنّ الذي أُبليك ليس كما أبلي
فيا قبّح الله العتاب وأهله ألم تر ما اصبحتُ فيه من الشُّغل
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلةٌ ترد بها قوماً مراجلهم تغلي
دعاهم عليّ فاستجابوا لدعوة أحبّ إليهم من ثرى المال والأهل

---

(١) في المصدر [أنفلُكَ فيما قلتَ نعلٌ].
(٢) في المصدر [ستين].

إذا قلت: هَابوا حومة الموت أرقلوا إلى الموت إرقال الهلوك إلى الفحلِ

فلمّا أتى عمراً شعر معاوية أتاه فاعتبه وصار أمرهما واحداً[١] وعظم القتل فقُتل ذوالكلاع الحميري، قتله خندف البكري من بكر بن وائل[٢].

فقال معاوية: لأنا أشدّ فرحاً بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحتها.

قال نصر: لأن ذا الكلاع كان يحجر على معاوية في أشياء كان يأمر بها[٣] .

أقول: بل لأن ذا الكلاع وقع في ريب وشكّ من أمره لمّا روى له عمرو حديث «عمّار تقتله الفئة الباغية» وسمع من عمّار ما سمع فخاف أن يلحق بعليّ فيكون عليه فتق يتعذر رتقه ، فلمّا قتل أمن من ذلك .

وقال نصر في موضع آخر :كان ذوالكلاع يسمع عمروبن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّار بن سميّة : «تقتلك الفئة الباغية»، و«آخر شربة تشربها ضياح من لبن»، فقال ذوالكلاع لعمرو : ويحك ما هذا؟ قال عمرو : إنّه سيرجع إلينا وذلك قبل أن يقتل عمّار فقُتل عمّار مع عليّ وقُتل ذوالكلاع مع معاوية فقال عمرو : والله يا معاوية ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً والله لو بقي ذوالكلاع حتّى يُقتل عمّار لمال بعامة قومه إلى عليّ ولأفسد علينا جندنا[٤]... الخ . وهذا يدل على ما قلناه .

وأرسل ابن ذي الكلاع إلى الأشعث بن قيس أن ذا الكلاع أُصيب في

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤٣ ـ ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٢ .

(٣) المصدر السابق: ٣٠٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٤١ .

الميسرة فتأذن لنا فيه ـ وذوالكلاع والأشعث يمانيان ـ فقال: أخاف ان يتّهمني عليّ (كاد المريب) فاطلبه إلى سعيد فإنّه في الميمنة. فأتى ابن ذي الكلاع سعيد ابن قيس فاستأذنه في ذلك فاذن له فطاف في الميمنة فلم يجده ثمّ طاف في الميسرة فوجده قد ربط رجله بطنب من أطناب بعض فساطيط العسكر فوقف على باب الفسطاط فقال: السلام عليكم يا أهل البيت فقالوا له: وعليك السلام ومعه عبد له أسود ليس معه غيره فقال: أتاذنون لنا في طنب من أطناب فسطاطكم قالوا: قد أذنّا لكم ثمّ قالوا: معذرة إلى ربّنا عزّ وجلّ وإليكم أما إنّه لو لا بغيه علينا ما صنعنا به ما ترون فنزل ابنه إليه وكان من أعظم الناس خلقاً وقد انتفخ شيئاً فلم يستطيعا احتماله فقال ابنه: هل من فتى معوان فخرج إليه خندف البكري فقال: تنحّوا فقال له ابن ذي الكلاع: ومن يحمله إذا تنحّينا؟ قال: يحمله الذي قتله فاحتمله خندف ثمّ رمى به على ظهر البغل ثمّ شدّه بالحبال فانطلق به[١].

تقسيم معاوية الحرب بين أصحابه

قال نصر: لمّا تعاظمت الأُمور على معاوية دعا عمروبن العاص وبسر بن أرطاة وعبيد الله بن عمر بن الخطّاب وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقال لهم: إنّه قد غمّني رجال من أصحاب عليّ منهم سعيد بن قيس في همدان والأشتر في قومه والمرقال وعديّ بن حاتم وقيس بن سعد في الأنصار وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها حتّى لقد استحييت لكم وأنتم عدّتهم

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٢ـ٣٠٣.

من قريش وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غَنَاء وقد عبّأت لكلّ رجلٍ منهم رجلاً منكم فاجعلوا ذلك إلي. قالوا: ذلك إليك، قال : أنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال ، وأنت يا بسر لقيس بن سعد ، وأنت يا عبيد الله للأشتر ، وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيء يعني عديّ بن حاتم فجعلها نوبا في خمسة أيّام لكلّ رجل منهم يوم . فأصبح معاوية فلم يدع فارساً إلّا حشّده. ثمّ قصد لهمدان وتقدّم الخيل وهو يقول :

لا عيش إلّا فَلْقُ قحف الهام لن تمنع الحرمة بعد العام
سأملك العراق بالشام أنعى ابن عفّان مدى الأيّام[1]

فطعن في أعراض الخيل مليّاً فتنادت همدان بشعارها واشتدّ القتال، ثمّ اقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية فذكرت همدان أنّ معاوية فاتها ركضاً فقال سعيد بن قيس في ذلك :

يا لهف نفسي فاتني معاوية فوق طمر كالعقاب هاويه
والرّاقصات لا يعود ثانية إلّا على ذات خصيل طاويه
إن يعد اليوم فكفّي عالية

فانصرف معاوية ولم يعمل شيئاً [وحجز بينهم الليل][2].

---

(١) في المصدر الأبيات هكذا:

لا عيشَ إلا فَلْقُ قحِف الهامِ من أرحبٍ وشاكرٍ وشبامِ
لن تُمنعِ الحرمةُ بعد العامِ بين قتيلٍ وجريحٍ دامِ
سأملك العراق بالشامِ أنعى ابن عفّان مَدى الأيّام

(٢) ليست في المصدر.

وغدا عمرو بن العاص في اليوم الثاني في حماة الخيل فقصد المرقال ومع المرقال لواء عليّ الأعظم في حماة الناس فتقدّم عمرو وهو يقول:

لا عيش إن لم ألقَ يوماً هاشماً ذاك الذي ان ينج مني سالماً
يكن شجى[1] حتّى الممات لازما

فطعن في أعراض الخيل مزبداً فحمل هاشم وهو يقول:

لا عيش إن لم ألقَ يومي عَمْرا ذاك الذي أحدث فينا الغدرا
أو يحدث الله لأمر أمرا لا تجزعي يا نفس صبراً صبراً
ضرباً مداريك[2] وطعناً شزرا يا ليت ما تحتي يكون قبراً

فطعن عمراً حتّى رجع واشتد القتال وانصرف الفريقان ولم يسرّ معاوية ذلك.

وغدا في اليوم الثالث بُسر بن أرطاة في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الأنصار فاشتدّت الحرب بينهما وبرز قيس كأنّه فنيق مقرم وهو يقول:

أنا ابن سعد زانه عُبادَه والخزرجيُّون رجالٌ ساده
ليس فراري في الوغى بعادَه إنّ الفرار للفتى قلاده
يا ربّ أنت لقّني الشّهادة والقتل خيرٌ من عناقِ غاده
حتّى متى تُثنى لي الوسِادة

فطعن خيل بُسر، وبرز له بسر بعد ملي وهو يقول:

(١) في المصدر [شجاً].
(٢) في المصدر [هذا آذيك].

أنا ابن أرطاة عظيم القدر مراود(١) في غالب بن فهر
ليس الفرارُ من طباع بُسر إن يرجع اليوم بغير وتر
وقد قضيتُ في عدوّي نذري ياليت شعري مابقي من عمري

وطعن بُسر قيساً فضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل .

وتقدّم عبيد الله بن عمر في اليوم الرابع ولم يترك فارساً مذكوراً وجمع من استطاع فقال له معاوية : إنّك(٢) أفاعي أهل العراق فارفق واتّئد ، فلقيه الأشتر أمام الخيل مزبداً وكان الأشتر إذا أراد القتال أزبد وهو يقول :

في كلّ يوم هامتي مقترة(٣) بالضرب أبغي منةً مؤخره
والدّرع خير من برود حبره يا ربّ جنبني سبيل الكَفَره
واجعل وفاتي بأكفّ الفجرة لا تعدل الدنيا جميعاً وَبَره
ولا بعوضاً في ثواب البرره

فردّ الخيل فاستحيا عبيد الله فبرز أمام الخيل وكان فارساً فحمل عليه الأشتر فطعنه واشتدّ الأمر وانصرف القوم وللأشتر الفضل فغمّ ذلك معاوية .

وغدا عبد الرحمن بن خالد في اليوم الخامس،كان أرجاهم عند معاوية أن ينال حاجته فقوّاه بالخيل والسلاح، وكان معاوية يعده ولداً فلقيه عديّ بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة، فبرز عبد الرحمن أمام الخيل وهو يقول:

قل لعدي ذهب الوعيدُ أنا ابن سيف الله لا مزيد

(١) في المصدر [مرِدّد] .
(٢) زيادة في المصدر [تلقى] .
(٣) في المصدر [مقيّره] .

وخـــالد يـــزينه الوليـدُ فـما لنـا ولا لكـم مـحيد
عن يومنا ويومكم فعودوا

ثمّ حمل فطعن الناس وقصده عديّ بن حاتم وهو يقول:

أرجـو الهـي وأخـاف ذنـبي وليس شـيء مـثل عـفو ربّـي
يـا ابـن الوليـد بـغضكم فـي قـلبي كالهضب بـل فـوق قـنان الهـضب

فلمّا كاد أن يخالطه بالرمح توارى عبد الرحمن في العجاج واستتر بأسنّة أصحابه واختلط القوم ورجع عبد الرحمن إلى معاوية مقهوراً وانكسر معاوية. وشمت بذلك أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي وكان أنسك رجل من أهل الشام وأشعره وكان في ناحية معتزلاً وقال في ذلك أبياتاً[1] ذكرناها في ترجمته.

وأظهر معاوية لعمرو شماتة وقال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس في همدان وفررتم وإنّك يا عمرو لجبان، فغضب عمرو ثمّ قال: والله لو كان عليّاً ما قحمت عليه يا معاوية فهلّا برزت إلى عليّ إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم؟! وقال هذه الأبيات:

تسـير إلى ابـن ذي يـزن سـعيد وتـترك فـي العجاجة مـن دعـاكـا
فـهل لك فـي أبـي حسـن عـليّ لعـلّ الله يـمكن مـن قَـفاكـا
دعـاك إلى النـزال فـلم تـجبه ولو نـازلته تـربت يـداكـا
وكـنت أصـمّ إذ نـاداك عـنها وكـان سكـوته عـنها مـناكـا
فـآب الكـبش قـد طـحنت رحـاه بـنجدته ولم تـطحن رحـاكـا

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٢٦ ـ ٤٣١ بتفاوت يسير في اللفظ.

فما أنصفت صحبك يا ابن هند — أتفرقه وتغضب من كفاكا
فلا والله ما أضمرت خيراً — ولا أظهرت لي إلاّ هواكا

واستحيا القرشيون(١) مما صنعوا وشمت(٢) بهم اليمانية فقال معاوية : يا معشر قريش ـ والله ـ لقد قرّبكم لقاء القوم من الفتح ولكن الأمر(٣) لأمر الله إنّما لقيتم كباش أهل العراق وقتلتم وقُتل منكم وما لكم عليَّ من حجة لقد عبأت تعبيتي لسيّدهم سعيد بن قيس .

فانقطعوا عن معاوية أيّاماً فقال معاوية في ذلك :

لعمري لقد أنصفت والنّصف عادة — وعاين طعناً في العجاج المعاين
أتدرون من لاقيتم فُلّ جيشكم — لقيتم ليوثاً(٤) أصْحرتها العرائن
لقيتم صناديد العراق ومن بهم — إذا جاشَتْ الهيجاء تحمى الظّعائن
وما كان منكم فارسٌ دون فارس — ولكنه ما قدّر الله كائن

فأتوه فاعتذروا إليه .

مقتل عبيد الله بن عمر

وتضعضعت أركان حمير بعد مقتل ذي الكلاع وثبتت مع عبيد الله بن عمر.

وبعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن بن عليّ فقال : إن لي إليك حاجة

(١) في المصدر [وإنّ القرشين استحيوا]
(٢) في المصدر [وشيِتَتْ].
(٣) في المصدر [لا مرد].
(٤) في المصدر [جيوشاً].

فألقِني فلقيه فقال : إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً وقد شنئوه فهل لك أن تخلعه ونولّيك هذا الأمر ؟

قال : كلّا والله لا يكون ذلك ثمّ قال له الحسن: لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أوغدك أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك حتّى أخرجك مُخلّقاً بالخلوق ترى نساء أهل الشام موقفك وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً[١] .

قال نصر: وبلغنا أنّ عبيدالله بن عمر بعثه معاوية في أربعة آلاف وهي كتيبته الرقطاء ـ ويقال لهم الخضرية لأنّ ثيابهم خضر أو لأنّهم أعلموا بالخضرة ـ بعثهم ليأتوا عليّاً من ورائه فبلغ عليّاً ذلك فبعث إليهم أعدادهم ليس منهم إلّا تميمي . واقتتل الناس من لدن اعتدال النهار إلى صلاة المغرب ماكان صلاة القوم إلّا التكبير عند مواقيت الصلاة .

ثمّ إنّ ميسرة أهل العراق كشفت ميمنة أهل الشام فطاروا في سواد الليل، والتقى عبيد الله هو وكرب ـ رجل من عكل ـ فقتل كرباً وقتل الذين معه جميعاً ، وإنّما انكشف الناس لذلك فكشف أهل الشام أهل العراق فاختلطوا في سواد الليل وتبدّلت الرايات بعضها ببعض فلمّا أصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم ليس حوله إلّا ألف رجل فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الأوّل وأحاطوا به . ووجد أهل العراق لواءهم مركوزاً وليس حوله إلّا ربيعة وعليّ بينهم وهم محيطون به وهو لا يعلم من هم ويظنّهم غيرهم، فلمّا أذّن مؤذّن عليّ حين طلع الفجر قال :

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٣٢ ـ ٤٣٣ .

يــا مــرحــباً بــالقائلين عــدلاً   وبــالصلاة مــرحــباً وأهــلاً

فلمّا صلّى عليّ الفجر أبصر وجوهاً ليست بوجوه أصحابه بالأمس وإذا مكانه الذي هو به ما بين الميسرة والقلب بالأمس، فقال : «من القوم»؟ قالوا : ربيعة وقد بُتّ فيهم البارحة ، فقال : «فخر طويل لك يا ربيعة»، ثمّ قال لهاشم : «خذ اللواء فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة» ثمّ خرج نحو القلب حتّى ركّز اللواء به .

وإذا سعيد بن قيس على مركزه فلحقه رجل من ربيعة يقال له نغير[1] فقال له : ألست الزّاعم إنْ لم تنتهِ ربيعة لتكوننّ ربيعة ربيعة [ومضر مضر][2] فما اغنت عنك مضر[3] البارحة فنظر إليه عليٌ نظر منكرٍ فلمّا أصبحوا نهدوا للقتال غير ربيعة لم تتحرّك ، فبعث إليهم عليّ «أن انهدوا إلى عدوّكم» فأبوا، فبعث إليهم ثانياً قالوا :كيف ننهد وهذه الخيل من وراء ظهرنا ؟ قل لأميرالمؤمنين فليأمر همدان أو غيرها بمناجزتهم لننهد. فبعث إليهم الأشتر وكان جهير الصوت فقال : يا معشر ربيعة! ما منعكم أن تنهدوا وأنتم أصحاب كذا وأصحاب كذا وجعل يعدّد أيّامهم قالوا : ما نفعل حتّى ننظر هذه الخيل التي خلف ظهورنا وهي أربعة آلاف، قل لأميرالمؤمنين فليبعث إليهم من يكفيه أمرهم، فقال لهم الأشتر : فإنّ أمير المؤمنين يقول لكم : اكفونيها أنتم لو بعثتم إليها طائفة منكم لتركوكم وفرّوا كالعصافير[4] . فوجّهت ربيعة إليهم تيم اللّات والنمر بن قاسط وعنزة قالوا : فمشينا إليهم مستلئمين مقنعين في

---

(١) في المصدر [نَفْر] .

(٢) في المصدر [وهمدان همدان] .

(٣) في المصدر [همدان] .

(٤) في المصدر [كاليعافير] واليعافير: الضباء واحدها يعفور.

الحديد وكان عامّة قتال صفّين مشياً، فلمّا أتيناهم هربوا وانتشروا انتشار الجراد. قال الراوي: فذكرت قول الأشتر كأنّهم اليعافير فرجعنا إلى أصحابنا وقد نشب القتال بينهم وبين أهل الشام، وقد اقتطع أهل الشام طائفةً من أهل العراق بعضها من ربيعة، فأحاطوا بها فلم نصل إليها حتّى حملنا على أهل الشام فَعَلوْناهم بالأسياف حتّى انفرجوا لنا وأفضينا إلى أصحابنا ، قال : فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد فما تحاجزنا حتّى حجز بيننا سواد الليل ، وما نرى رجلاً منا ولا منهم مولّيا[١] وحمل عبيد الله بن عمر وهو يقول :

أنا عبيد الله ينميني عمر ... خير قريش من مضى ومن غبر
إلّا نبي الله والشيخ الأغر ... قد أبطأت عن نصر عثمان مضر
والرّبعيُّون فلا اسقوا المطر ... وسارع الحيّ اليمانون الغُرر
والخير في الناس قديماً يبتدر

فحمل عليه حريث بن جابر الحنفي وهو يقول :

قد صابرت[٢] في نصرها ربيعه ... في الحقّ والحقّ لهم شريعه
فاكُففْ فلست تارك الوقيعه ... في العصبة السامعة المطيعه
حتّى تذوق كأسها الفظيعه

فطعنه فصرعه، وكان حريث هذا نازلاً بين العسكرين في قبة له حمراء، وكان إذا التقى الناس للقتال أمدّهم بالشراب من اللبن والسويق والماء[٣].

ومرّ الحسن فإذا هو برجل متوسّد رجل قتيل قد ركز رمحه في عينه

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٣٠ ـ ٣٣٢.
(٢) في المصدر [قد سارَعَتْ].
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٩ ـ ٣٠١.

وربط فرسه برجله، فقال الحسن لمن معه : انظروا، من هذا؟ فاذا هو برجل من همدان، فإذا القتيل عبيدالله بن عمر قد قتله وبات عليه حتّى أصبح ثمّ سلبه وأخذ سيفه ذا الوشاح ، فلمّا ملك معاوية بعث إلى قاتله فأخذ السيف منه[١] .

وفي قتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جعيل التغلبي شاعر أهل الشام بصفّين :

معاوي لا تنهض بغير وثيقة — فإنّك بعد اليوم بالذلّ عارف
تركتم عبيد الله بالقاع مسنداً — يمجُّ نجيعاً والعروق نوازف
ألا إنّما تبكي العيونُ لفارس — بصفّين أجلتْ خيلُه وهو واقف
بنوء وتعلوه شآبيب من دمٍ — كما لاح في جيب القميص الكفائف[٢]
تبدّل من أسماء أسياف وائلٍ — وأي فتى[٣] لو اخطأته المتالف
ألا إن شرّ الناس في الناس كلّهم — بنو أسد إنّي لما قلت عارف

فقال أبو جهمة الأسدي يردّ عليه من أبيات :

[وقد صبرت حول][٤] ابن عمّ محمّد — لدى الموت شَهْباء المناكب شارفُ
فما برحوا حتّى رأى الله صبرهم — وحتّى أُتيحت بالأكف المصاحف
بمرج ترى الرايات فيه كأنّها إذا — جنحت للطعن طير عواكف[٥][٦]

وقال الصلتان العبدي:

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ .
(٢) في المصدر [اللّفائفُ] .
(٣) في المصدر [وكان] .
(٤) في المصدر [يجالد مِن دون] .
(٥) لم يرد هذا البيت في المصدر. وأورده، سابقيه في شعر كعب بن جعيل. وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٩.
(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

ألا يــا عــبيد الله مــا زلت مــولعاً ... ببكر لهــا تـهدي اللقا[1] والتـهدّدا
وكــنت سـفيهاً قـد تـعودت عـادة ... وكـلّ أمـرىءٍ جـار عـلى مـا تـعوّدا
فــأصبحت مســلوباً عــلى شرّ آلة ... صريع قناً وسط العـجاجة مـفردا[2]

ثمّ تـمادى النـاس فـي القـتال فـاضطربوا بـالسيوف حتّى تـقطعت[3] وصارت كالمناجل وتطاعنوا بالرماح حتّى تكسّرت ثمّ جثوا عـلى الركب فتحاثّوا بـالتراب ثـمّ تـعانقوا وتكـادموا وتـراموا بـالصخر والحـجارة . ثـمّ تحاجزوا فجعل الرجل من أهل العراق يمرّ على أهل الشام فيقول : أين آخذ إلى رايات بني فلان؟ فيقولون هاهنا، لاهداك الله. ويمرّ الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول :كيف آخذ إلى رايات بني فلان؟ فيقولون : هاهنا، لا حفظك الله ولاعافاك [4].

قتال ربيعة بصفّين

وقال أبو عرفاء جبلة بن عـطية الذهـلي الرقّـاشي للحضين بـن المـنذر الرقاشي يوم صفّين ـ وكانت راية عليّ عليه السلام مع الحضين ـ : هل لك أن تعطيني رايتك أحملها فيكون لك ذكرها ولي أجرها قال : وما غناي عن أجرها مـع ذكرها؟! قال له : أعرنيها ساعة فما أسرع ما ترجـع إليك فـعلم أنّـه يـريد أن يستقتل فأعطاه إيّاها فأخذها وقال : يا أهل هذه الراية إنّ عمل الجنة كره كلّه

(١) في المصدر [اللغا].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٠ .
(٣) في المصدر [تعطفت] . وتعطفت تشنت وتلوت.
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٤ .

وإنّ عمل النار خفّ كلّه وإنّ الجنّة لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبّروا أنفسهم على فرائض الله وأمره وليس شيء ممّا افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد، هو أفضل الأعمال ثواباً فإذا رأيتموني قد شددت فشدّوا. ويحكم! أما تشتاقون إلى الجنة؟! أما تحبّون أن يغفر الله لكم؟! فشدّ وشدّوا معه فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأخذ الحضين يقول :

شدّوا إذا ما شُدّ باللواء ذاك الرّقاشي أبو عُرفاء

فقاتل أبو عرفاء حتّى قتل. وفي ذلك اليوم يقول أبو مَجزأة بن ثور :

أضربهم ولا أرى معاوية الأبرجَ العين العظيمَ الحاوية
هوت به في النار أُمّ هاوية جاوَرَه فيها كلابُ عاويه
أغوى طغاماً لا هداه[1] هاديه

وقال معاوية لعمرو بن العاص : أما ترى يا أباعبد الله إلى ما قد وقعنا فيه؟ كيف ترى أهل العراق غداً صانعين إنّا لفي خطر عظيم. فقال عمرو: إن أصبحت ربيعة منعطفين حول عليّ تعطّف الإبل حول فحلها لقيت منهم جلاداً صادقاً وبأساً شديداً قال : أبخؤولتك تخوّفني يا أباعبد الله؟

قال : إنك سألتني فأجبتك .

فلمّا أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وربيعة محدقة بعليّ عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها . قال عتّاب بن لقيط البكري: حيث انتهى عليّ إلى رايات ربيعة إذا أُصيب عليّ فيكم افتضحتم وقد لجأ إلى راياتكم. وقال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ليس لكم عذر في العرب إن أُصيب عليّ فيكم

(١) في المصدر [هَدته] .

ومنكم رجل حيّ، إن منعتموه فحمد الحياة لبستموه، فقاتَلوا قـتالاً شـديداً لم يكن قبله مثله حين جاءهم عليّ.

وقام خالد بن المعمّر فنادى : من يبايع على الموت ويشري نفسه لله؟ فبايعه سبعة آلاف عـلى أن لا يـنظر رجـل مـنهم خـلفه حتّى يـردّ سـرادق معاوية .

فاقتتلوا قتالاً شديداً وقد كسروا جفون سيوفهم فلمّا نظر إليهم معاوية قد أقبلوا قال :

إذا قـلتُ: قـد ولّت ربـيعة أقـبلت　　　كـتائب مـنهم كـالجبالِ تـجالدُ

ثمّ قال معاوية لعمرو : ماترى؟ قال : أرى أن لا تـحنث أخـوالي اليـوم فخلّى معاوية عنهم وعن سرادقه وخرج فارّاً عنه لائـذاً إلى بـعض مـضارب العسكر فدخل فيه .

وبعث معاوية إلى خالد بن المعمّر: إنّك قد ظفرت ولك إمرة خراسان إن لم تتم . فطمع خالد في ذلك ولم يتمّ فأمّره معاوية حـين بـايعه النـاس عـلى خراسان فمات قبل ان يصل إليها[1] .

فإذا صحّ ذلك فقد خسر الدنيا والآخرة .

وفي فرار معاوية بصفّين يقول النجاشي من أبيات :

ونـجى ابـنَ حـرب سـابحٌ ذوعُـلالةٍ　　　أجشُّ هـزيمٌ والرمـاحُ دَوانـي
إذا قـلت أطـراف الرمـاح[2] يـنلنه　　　مـرته بـه السّـاقان والقـدمان

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٤ـ٣٠٦ .
(٢) في المصدر [العوالي] .

حسبت[١] طعان الأشعرين ومذحجٍ وهمدان أكلَ الزُّبد بالصرفان
فما قُتِلت عكٌ ولخمٌ وحمير وعيلان إلّا يوم حرب عوان
وما دفنت قتلى قريش وعامر بصفّين حتّى حكّم الحكمان
غشيناهم يوم الهرير بعصبة يمانية كالسيل سيل عران
فأصبح أهل الشّام قد رفعوا القنا عليها كتاب الله خير قران
ونادوا عليّاً يا ابن عمّ محمّد أما تتقى أن يهلك الثّقلان
فمن ير خَيْلَيْنا غداة تَلاقيا يرى[٢] جَبَلَيْ جيلان ينتطحان[٣]

ثمّ ان عليّاً عليه السلام صلّى الغداة ثمّ زحف إليهم فلمّا بصروه استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالاً شديداً.

ثمّ إنّ خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب عليّ ألف رجل أو أكثر فأحاطوا بهم وحالوا بينهم وبين أصحابهم فنادى عليّ: «ألا رجل يشري نفسه لله؟» فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث على فرسٍ أدهم كأنّه غراب مقنّعاً بالحديد لا يرى منه إلّا عيناه، فقال ياأميرالمؤمنين: مرني بأمرك فوالله ما تأمرني بشيء إلّا صنعته، فقال عليّ عليه السلام:

«سمحتَ بأمر لا يطاق حفيظةً وصدقاً وإخوان الحِفاظ قليل
جزاك إله النّاس خيراً فقد وفت يداك بفضل ما هناك جزيل

أبا الحارث شدّ الله ركنك احمل على أهل الشام حتّى تأتي أصحابك

---

(١) في المصدر [حسبتم].
(٢) في المصدر [يقُلْ].
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

فتقول لهم: أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم: هلّلوا وكبّروا من ناحيتكم ونهلّل نحن ونكبّر من هاهنا، احملوا من جانبكم ونحمل نحن من جانبنا على أهل الشام».

فضرب الجعفي فرسه حتّى إذا قام على السّنابك حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب عليّ فطاعنهم ساعة وقاتلهم فانفرجوا له حتّى أتى أصحابه فلمّا رأوه استبشروا به وفرحوا وقالوا: ما فعل أمير المؤمنين قال: صالحٌ، يُقرئكم السلام ويقول لكم: هلّلوا وكبّروا واحملوا حملة رجل واحد من ذلك الجانب ونهلّل نحن من جانبنا ونكبّر ونحمل من خلفكم، فهلّلوا وكبّروا وهلّل عليّ وأصحابه من ذلك الجانب وحملوا على أهل الشام من هناك وحمل عليّ من هاهنا في أصحابه فانفرج أهل الشام عنهم فخرجوا وما أُصيب منهم رجل واحد. ولقد قتل من فرسان أهل الشام يومئذ زهاء سبعمائة رجل. وقال عليّ عليه السلام: «من أعظم الناس غناء؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين قال: كلا ولكنه الجعفي»[1].

قتال مضر بصفّين

وذكروا أن عليّاً عليه السلام كان لا يعدل بربيعة أحداً من الناس فشقّ ذلك على مضر وأظهروا لهم القبيح وأبدوا ذات أنفسهم فقال حضين بن المنذر شعراً أغضب مضراً فيه:

رأت مضرُ صارت ربيعة دونهم ... شعار أمير المؤمنين وذا الفضل
فأبدوا إلينا ما تجنُّ صدورهم ... علينا من البغضا وذاك لها أصل

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

وإنّا(١) أُناس خصّنا الله بالتي رآنا لها أهلاً وأنتم لها أهل
فأبلوا بلانا أو أقرّوا بفضلنا ولن تلحقونا الدّهر ما حنت الإبل

فغضبوا من شعره فقام أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وعمير بن عطارد ابن حاجب بن زرارة التميمي ووجوه بني تميم وقبيصة بن جابر الأسدي في وجوه بني أسد وعبيد الله بن عامر العامري في وجوه هوازن، فأتوا علياً عليه السلام: فتكلم أبو الطفيل فقال: يا أمير المؤمنين إنّا والله ما نحسد قوماً خصّهم الله منك بخير أن حمدوه وشكروه، وإنّ هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنّهم أولى بك منا وأنّك لهم دوننا فاعفهم عن القتال أيّاماً واجعل لكلّ أمرىء منّا يوماً يقاتل فيه فإنّا إن اجتمعنا اشتدّ عليك بلاؤنا فقال عليّ: «أُعطيتم ما طلبتم وذلك يوم الأربعاء» وأمر ربيعة أن تكف عن القتال وكانت بإزاء اليمن من صفوف أهل الشام، فغدا عامر بن واثلة في قومه من كنانة وهم جماعة عظيمة فتقدّم أمام الخيل وهو يقول:

طاعنوا وضاربوا ثمّ حمل وهو يقول:

قد صبرت(٢) في حربها كنانه والله يجزيها بها جنانه
مَن أفرغ الصّبر عليه زانه أو غَلَب الجبن عليه شانه
أو كفر الله فقد أهانه غداً يعضّ من عصى بنانه

فاقتتلوا قتالاً شديداً ثمّ انصرف أبو الطفيل إلى عليّ عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين: إنّك نبأتنا إنّ أشرف القتل الشهادة وأحظى الأمر الصبر وقد

---

(١) في المصدر [ونحن].
(٢) في المصدر [صابرتْ].

والله صبرنا حتّى أُصبنا فقتيلنا شهيد وحيّنا ثائر فاطلب بمَن بقي ثأر من مضى، فإنّا وإن كان قد ذهب صفونا وبقي كدرنا فإن لنا ديناً لا يميل به الهوى ويقيناً لا تزحمه الشبهة، فأثنى عليّ عليه خيراً .

ثمّ غدا يوم الجمعة عمير بن عطارد بجماعة من بني تميم وهو يومئذٍ سيّد مضر من أهل الكوفة فقال : يا قوم إنّي اتّبع آثار أبي الطفيل وتتّبعون آثار كنانة وتقدّم برايته وهو يقول :

قد ضاربت في حربها تميم ... إن تميماً حظّها[1] عظيم
لها حديثٌ ولها قديم ... إنّ الكريم نسله كريم
إن لم تردهم[2] رايتي فلوموا ... دين قويم وهدى[3] سليم

فطعن برايته حتّى خضبها دما وقاتل أصحابه قتالاً شديداً حتّى أمسوا وانصرف عمير إلى عليّ عليه السلام وعليه سلاحه فقال : يا أمير المؤمنين قد كان ظنّي بالناس حسناً وقد رأيت منهم فوق ظنّي بهم قاتلوا من كلّ جهة وبلغوا جهدهم من عدوّهم .

ثمّ غدا يوم السبت قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد وهم حيّ الكوفة بعد همدان فقال: يا معشر بني أسد أمّا أنا فلا أُقصّر دون صاحبي وأمّا أنتم فذلك إليكم ثمّ تقدّم برايته وهو يقول :

قد حافظت في حربها بنو أسد ... ما مثلها تحت العجاج من أحد

(١) في المصدر [خَطبُها] .
(٢) في المصدر [تزرُهم] .
(٣) في المصدر [وهوى].

أقـرب مـن يـمن وأنـأى مـن نكـد كـأنّنا ركـن[1] ثـبير أو أُحـد
لسـنا بـأوباش ولا بـيض البـلد لكـننا المُـحّة مـن ولد سـعد
كـنت تـرانـا فـي العـجاج كـالأسدْ يا ليت روحي قد نـأى عـن الجسـد

فقاتل القوم ولم يكونوا على ما يريد في الجهد فعدلهم[2] على ما يحبّ فظفر ثمّ أتى عليّاًعليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين : إنّ استهانة النفوس في الحرب أبقى لها والقتل خير لها في الآخرة .

ثمّ غدا يوم الأحد عبدالله بن الطفيل العامري وكان سيّد بني عـامر فـغدا بجماعة هوازن وهو يقول :

قـد ضـاربت فـي حـربها هـوازنُ أُولاك قـوم لهـم مـحاسن
حـتّي لهـم حـزم وجـأش سـاكـنُ طـعن مـداريك وضـرب واهـنُ
هـذا وهـذا كـلّ يـوم كـائنُ لم يـخبروا عـنا ولكـن عـاينوا

واشتدّ القتال بينهم حتّى الليل . ثمّ انصرف عبد الله بن الطفيل فقال :

يا أمير المؤمنين! لقيت والله بقومي أعدادهم من عدوّهم فما ثنوا أعنّتهم حتّى طعنوا فـي عـدوّهم ثـمّ رجـعوا إليّ فـاستكرهوني عـلى الرجـوع إليـهم واستكرهتهم على الانصراف إليك فأبوا ثمّ عادوا فاقتتلوا . فأثنى عليهم عليّ خيراً وفخرت المضريّة بماكان منهم على الربعية وانتصفوا من ربيعة .

وقال عامر بن واثلة في ذلك :

حـامت كـنانة فـي حـربها وحـامت تـميم وحـامت أسـد

---

(١) في المصدر [رُكْنًا] .

(٢) في المصدر [فعذلهم] .

وحـامت هـوازن يـوم اللِّـقاء فـما خـام مـنا ومـنهم أحـد
لقـينا الفـوارس يـوم الخـميـ ـس والعـيد فـالسبت[1] ثـمّ الأحـد
وأمـدادُهـم خـلف أذنـابهم[2] وليس لنـا مـن سـوانـا مـددُ
فـلمّا تـنادوا بـآبائهم دعـونا مـعداً ونـعم المـعد
فـظلنا نـفلّق هـاماتهم ولم نك فـيها بـبيض البـلد
ونـعم الفـوارس يـوم اللّـقاء فـقل فـي عـديد وقـل فـي عـدَدْ
وقـل فـي طـعان كـفرغ الدِّلاء وضـرب عـظيم كـنار الوَقـد
ولكـن عـصفنا بـهم عـصفةً وفـي الحـرب يـمن وفـيها نَكـد
طـحنّا الفـوارس وسـط العـجاج وسُـقنا الزَّعـانف سـوْقَ النـقد
وقـلنا عـليٌّ لنـا والدٌ ونـحن له طـاعة كـالولد

وخطب عليّ عليه السلام الناس يومئذٍ بصفّين فقال في آخر خطبته : «...وابن عمّ نبيّكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى طاعة ربّكم ويعمل بسنّة نبيّكم صلى الله عليه وآله فلا سواء من صلى قبل كلّ ذكَر ولم يسبقني بصلاتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد وأنا من أهل بدر ومعاوية طليق ابن طليق والله إنّكم لعلى حقّ وإنهم لعلى باطل فلا يكوننّ القوم على باطلهم اجتمعوا عليه وتفرّقون عن حقّكم حتّى يغلب باطلهم ﴿قاتِلُوهم يُعذبّهم الله بأيديكم﴾[3] فإن لم تفعلوا يعذّبهم بأيدي غيركم».

فأجابه أصحابه فقالوا : يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدوّنا وعدوّك إذا شئت فوالله ما نريد بك بدلاً، نموت معك ونحيا معك فقال لهم : «والذي نفسي

(١) في المصدر [والسَّبتِ].
(٢) في المصدر [آذانهم].
(٣) التوبة: ١٤.

يده لنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أضرب قدّامه بسيفي فقال: لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ وقال: يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي وموتك وحياتك يا عليّ معي والله ماكذبت ولاكُذِّبتُ ولا ضَلِلت ولا ضُلّ بي وما نَسيتُ ما عهد إليّ وإنّي لعلى بيّنة من ربّي وإنّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً» ثمّ نهض إلى القوم فاقتتلوا من حيث طلعت الشمس حتّى غاب الشفق وما كانت صلاة القوم إلّا تكبيراً[1] .

فعل كريب بن الصبّاح وقتله

وبرز رجل من حمير من آل ذي يزن اسمه كريب بن الصّباح ليس في أهل الشام يومئذٍ رجل أشهر شدّة بالبأس منه ثمّ نادى : من يبارز؟ فبرز إليه المرتفع بن الوضّاح الزبيدي فقتل المرتفع ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الجُلاح فقتله ، ثمّ نادى : من يبارز ؟ فبرز إليه عايذ بن مسروق الهمداني فقتل عايذاً ثمّ رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ثمّ قام عليها بغياً واعتداءً ثمّ نادى : هل بقي من مبارز؟ فبدر إليه عليّ عليه السلام ثمّ ناداه : «ويحك يا كريب إنّي أحذرك وأدعوك إلى سنّة الله وسنة رسوله، ويحك! لا يُدخلنّك ابن آكلة الأكباد النار» فكان جوابه أن قال : ما أكثر ما قد سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجة لنا فيها، أقدم إذا شئت: من يشتري سيفي وهذا أثره؟

فقال عليّ عليه السلام : «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» ثمّ مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خرّ منها قتيلاً يتشحّط في دمه ، ثمّ نادى: من يبارز؟ فبرز إليه

---

(۱) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ۳۰۸ ـ ۳۱٥ بتلخيص.

الحارث بن وداعة الحميري فقتل الحارث ، ثمّ نادى : من يبارز؟ فبرز إليه المطاع بن المطلب العبسي فقتل مطاعاً ثمّ نادى : من يبارز ؟ فلم يبرز إليه أحد .

ثمّ إن علياًعليه السلام نادى : «يا معشر المسلمين ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١) . ويحك يا معاوية هلم فبارزني ولا يُقتلَنّ الناس فيما بيننا» فقال عمرو: اغتنمه منتهزاً فقد قتل ثلاثة من أبطال العرب وإنّي أطمع أن يظفرك الله به فقال معاوية : ويحك يا عمرو والله إن تريد إلّا أن أُقتل فتصيب الخلافة بعدي اذهب إليك فليس مثلي يُخدع .

وقام عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى منحنياً على قوس يحرّض أصحابه وقال في آخر خطبته : إنّا نحتسب عند الله ما أصبح في أُمّة محمّدصلى الله عليه وآله من اشتعال نيرانها واضطراب حبلها ووقوع بأسها بينها فإنا لله وإنا إليه راجعون أوَلا تعلمون أنّ صلاتنا وصلاتهم وصيامنا وصيامهم وحجّنا وحجّهم وقبلتنا وقبلتهم وديننا ودينهم واحد؟! ولكنّ الأهواء متشتتة اللهمّ أصلح هذه الأُمّة بما أصلحت به أوّلها واحفظ فيها نبيّها مع أنّ القوم قد وطئوا بلادكم وبغوا عليكم فجدّوا في قتال عدوّكم ثمّ جلس.

وقام عبد الله بن العبّاس خطيبا فقال في آخر خطبته : حتّى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأُمّة وانتشر من أمرها أنّ ابن آكلة الأكباد وقد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وصهره وأوّل من ذكر وصلّى معه بدري قد شهد مع رسول اللهصلى الله عليه وآله كلّ مشاهده التي

---

(١) البقرة: ١٩٤.

فيها الفضل، ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام. لقد قاتل عليّ مع رسول الله وعليّ يقول : صدق الله ورسوله، ومعاوية وأبو سفيان يقولان كذب الله ورسوله، فما معاوية في هذه بأبرّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في تلكم والله إنّكم لعلى الحقّ وإنّ القوم لعلى الباطل فلا يكونُنّ أولى بالجد في باطلهم منكم في حقّكم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

وقام عمّار بن ياسر فقال في جملة كلامه : امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم عثمان والله ما أظنّهم يطلبون دمه ولكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤوها وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرغبون فيه منها ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولو لا هي ما بايعهم من الناس رجلان(١).

قتال عمّار بصفين

ثمّ مضى عمّار ومضى معه أصحابه فلمّا دنا من عمرو بن العاص قال: يا عمرو بعتَ دينك بمصر تباً لك وطالما بَغَيتَ الإسلام عوجاً ثمّ حمل عمّار وهو يقول :

صدق الله وهو للصدق أهلُ | وتعالى ربّي وكان جليلا
ربّ عجّل شهادة لي بقتل | في الذي قد أحبّ قتلاً جميلا
مقبلاً غير مدبر إنّ للقتل | على كلّ ميتة تفضيلا

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣١٥ ـ ٣١٩ بتلخيص وفيه تفاوت يسير باللفظ.

إنــــهم عـــند ربّــهم فــي جــنان يشـــربون الرحـــيق والســلسبيلا
مـن شـراب الأبـرار خـالطه المسك وكـــأساً مـــزاجـــها زنـــجبيلا

ثمّ قال: اللهمّ إنّك لتعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أقذف بـنفسي فـي هـذا البحر لفعلت اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظبّة سيفي في بطني ثمّ أُنحى عليها حتّى يخرج من ظهري لفعلت ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين لفعلته[1].

ونادى عمّار بن ياسر يومئذٍ: أين من يبغي رضوان بـه ولا يـؤوب إلى مال ولا ولد؟ فأتته عصابة من الناس فقال: يا أيّها النـاس اقـصدوا بـنا نـحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان[2].

مقتل هاشم المرقال

ودفع عليّ عليه السلام الراية إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص وكان عليه درعان فقال له عليّ كهيئة المازح: «**يا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكـون أعـور جـباناً**» قال: ستعلم يا أمير المؤمنين والله لألفنّ بين جماجم القوم لفّ رجـل يـنوي الآخرة. وفي رواية إنّه قال له: «**يا هاشم حتّى متى تأكل الخبز وتشرب الماء؟**»[3] فأخذ رمحاً فهزّه فانكسر ثمّ أخذ آخر فوجده جاسياً فألقاه ثمّ دعا برمح ليّـن فشدّ به لواءه ولما دفع عليّ الراية إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم يكررها ثمّ قال: ما لك يا هاشم قد انتفخ سَحْرُك أعوراً وجبناً؟! قال: من هذا؟ قالوا: فلان قال: أهلها وخير منها إذا رأيتني قد

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٢٠.
(٢) المصدر السابق: ٣٢٦.
(٣) المصدر السابق: ٣٤٦.

صرعت فخذها ثمّ قال لأصحابه : شدّوا شُسوع نعالكم وشدّوا أزركم فإذا رأيتموني قد هززت الراية ثلاثاً فاعلموا أنّ أحداً منكم لا يسبقني إليها .

ثمّ نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعاً عظيماً فقال : مَن أُولئك ؟ قالوا : جند أهل المدينة وقريش قال : قومي لا حاجة لي في قتالهم قال : من عند هذه القبة البيضاء؟ قيل: معاوية وجنده قال : فإني أرى دونهم أسودة[1] قالوا : ذاك عمرو بن العاص وابناه . وأخذ الراية فهزّها فقال له رجل من أصحابه : امكث قليلاً ولا تعجل فقال هاشم :

قد أكثرا لومي وما أقلا ... إني شريت النفس لن اعتلّا
أعور يبغي أهله محلّا ... لا بدّ أن يَغُلّ أو يُغَلّا[2]
قد عالج الحياة حتّى ملّا ... أشلّهم بذي الكعوب شلّا

وفي رواية إنه قال :

أشلّهم بذي الكعوب شلّا ... مع ابن عمّ أحمد المعلّى
فيه الرّسول بالهدى استهلّا ... أوّل من صدّقه وصلّى
فجاهد الكفّار حتّى أبلى

وجعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرمح ويقول : أقدم يا أعور لا خير في أعور لا يأتي الفزع .

وكان هاشم عالماً بالحرب فيتقدّم فيركّز الراية فجعل عمروبن العاص يقول : إني لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً لئن دام على هذا ليفنينّ العرب اليوم، فاقتتلوا قتالاً شديداً وجعل عمّار يقول : صبراً عباد الله ، الجنة

(١) جمع سواد وهو الشخص.
(٢) في المصدر [يغل أو يغلا].

تحت ظِلال البيض .

وكان لواء أهل الشّام مع أبي الأعور السلمي ولم يزل عمّار ينخسه حتّى شبّ[1] القتال وزحف هاشم بالراية يرقل بها إرقالاً وكان يسمّىٰ المرقال .

وزحف الناس بعضهم إلى بعض والتقى الزحفان فاقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع الناس بمثله وكثرت القتلىٰ في الفريقين كليهما .

قال بعض الرواة : لما التقينا بأهل الشام في ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف قد قيدوا أنفسهم بالعمائم فقتلنا صفّاً صفّاً حتّى قتلنا ثلاثة صفوف وخلصنا إلى الصفّ الرابع ما على الأرض شامي ولا عراقي يولّي دبره .

ثمّ إن الأزد وبجيلة كشفوا همدان غلوة حتّى الجأوهم إلى التلّ فصعدوا عليه فشدّت عليهم الأزد وبجيلة حتّى أجدروهم منه ثمّ عطفت عليهم همدان حتّى الجأوهم إلى أن تركوا مصافهم وقتل من الأزد وبجيلة يومئذٍ ثلاثة آلاف[2].

واقتتل الناس قتالاً شديداً لم يسمع بمثله وكثرت القتلى حتّى إنْ كان الرجل لينشد طنب فسطاطه بيد الرجل أو برجله قال الأشعث : لقد رأيت أخبية أهل صفّين وأروقتهم وما منها خباء ولا رواق ولا فسطاط إلّا مربوطاً بيد رجل أو رجله[3].

قال الأحنف بن قيس: اني لواقف إلى جانب[4] عمّار بن ياسر فتقدّمنا حتّى إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمّار : احمل فداك أبي وأُمي . ونظر

---

(١) في المصدر [اشتد] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٢٦ ـ ٣٢٩ بتلخيص .

(٣) المصدر السابق: ٣٣٩ ـ ٣٢٩ .

(٤) في المصدر [اني لإلىٰ جانب] .

عمّار إلى رقّة في الميمنة فقال له هاشم : رحمك الله يا عمّار إنّك رجل تأخذك خفّة في الحرب وإنّي إنّما أزحف باللواء زحفاً وأرجو أن أنال بذلك حاجتي وإنّي إن خففت لم آمن الهلكة . وقال معاوية لعمروبن العاص : ويحك إنّ اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة وكان من قبل يرقل به إرقالاً وإن زحف به اليوم إنّه لليوم الأطول لأهل الشام وان زحف في عنق من أصحابه إنّي لأطمع أن يقتطع فلم يزل به عمّار حتّى حمل فبصر به معاوية فوجّه إليه حماة أصحابه وكان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ومعه سيفان قد تقلد واحداً وهو يضرب بالآخر وأطافت به خيل عليّ فقال عمرو: يا الله يا رحمن ابني ابني قال معاوية : اصبر اصبر فإنه لا بأس عليه فقال عمرو: ولو كان يزيد إذاً لصبرت؟! ولم يزل حماة أهل الشام يذبّون عنه حتّى نجا هارباً على فرسه ومن معه[1].

ودعا هاشم بن عتبة في الناس عند المساء: ألا من كان يريد الله والدار الآخرة فليقبل . فشدّ في عصابة من أصحابه على أهل الشام مراراً فليس من وجه يحمل عليهم إلّا صبروا له فقال لأصحابه : لا يهولنّكم ما ترون من صبرهم فما ترون منهم إلّا حمية العرب وإنّهم لعلى الضلال وإنكم لعلى الحقّ . يا قوم اصبروا وصابروا ، ثمّ امشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدة رويداً واذكروا الله ولا يسلم رجل أخاه ولا تكثروا الإلتفات وجالدوهم محتسبين ، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

فمضى في عصابة من القرّاء فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه حتّى رأوا بعض ما يسرّون به إذ خرج عليهم شاب وهو يقول :

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤٠، وفيه تفاويت يسير باللفظ.

أنــا ابــن أربــاب المـلوك غسّــان والدائــن اليـوم بـدين عـثمان[1]
أنـــبأنا أقـــوامـــنا بِـــما كـــان إنّ عـــليّاً قـــتل ابـــن عـــفّان

ثمّ شدّ فلا ينثني بضرب سيفه ثمّ يلعن ويشتم ويكثر الكلام .

فقال له هاشم : إنّ هذا الكلام بعده الخصام وإنّ هذا القتال بعده الحساب فاتّق الله فإنّك راجع إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف .

قال : فإني أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكروا وإنّكم لا تـصلّون وأُقاتلكم إنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله .

فقال له هاشم : ما أنت وذاك[2] إنّما قتله أصحاب محمّد وهـم أصـحاب الدّين وأولى بالنظر في أُمور المسلمين وما أظنّ أنّ أمر هذه الأُمّة وأمـر هـذا الدين عَنَاك طرفة عين قط .

قال الفتى : أجل والله لا أكـذب فـإنّ الكـذب يـضرّ ولا يـنفع ويشـين ولا يزين .

فقال له هاشم : إنّ هذا الأمر لا علم لك به فخلّه وأهل العلم به .

قال : أظنّك والله نصحتني .

وقال له هاشم : وأما قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي فهو أوّل من صلّىٰ لله مع رسول الله ﷺ وأفقهه في دين الله وأولاه برسول الله، وأما من ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب لا ينامون الليل تهجدّاً فلا يغررك عن دينك الأشقياء .

قال الفتى : يا عبدالله إني لأظنّك أمرءاً صالحاً فهل تجد لي من توبة؟

قال : نعم تب إلى الله يتب عليك فإنّه يقبل التوبة من عباده ويـعفو عـن

---

(١) في المصدر [غسّان] .

(٢) في المصدر [وابن عفان] .

السيّئات .

فذهب الفتى بين الناس راجعاً فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي قال : لا ولكن نصحني .

وقاتل هاشم قتالاً شديداً حتّى أتت كتيبة لتنوخ فشدّوا على الناس فقاتلهم حتّى قتل تسعة نفر أو عشرة وحمل عليه الحارث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط وبعث إليه عليّ عليه السلام: «أن قِدّم لواءك» فقال للرسول : انظر إلى بطني فإذا هو قد انشق(١) .

فمرّ به رجل وهو صريع بين القتلى فقال له: اقرأ أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته وقل له : أُنشدك بالله إلّا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى فإن الدبرة تصبح غداً لمن غلب على القتلى .

فأخبر الرجل عليّاً بذلك فسار في بعض الليل حتّى جعل القتلى خلف ظهره وكانت الدّبرة له عليهم(٢) .

فأخذ الراية رجل من بكر بن وائل ورفع هاشم رأسه فإذا عبيد الله بن عمر قتيلاً إلى جانبه فحبا حتّى دنا منه فعض على ثديه حتّى تبيّنت فيه أنيابه ثمّ مات هاشم وهو على صدر عبيد الله بن عمر .

وضرب البكري الذي معه الراية فسقط فرفع رأسه فأبصر عبيد الله بن عمر قريباً منه فحبا إليه حتّى عضّ على ثديه الآخر فتبينت أنيابه فيه ومات أيضاً ، فوجدا جميعاً على صدر عبيد الله بن عمر هاشم والبكري(٣) .

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

(٢) المصدر السابق: ٣٥٣ .

(٣) المصدر السابق: ٣٥٥ ـ ٣٥٦ .

وفرح أهل الشام بمقتل هاشم(١) .

فأخذ الراية عبد الله بن هاشم وخطب فقال : يا أيّها الناس إنّ هاشماً كان عبداً من عباد الله الذين قدّر أرزاقهم وكتب آثارهم وأحصى أعمالهم وقضى آجالهم فدعاه الله ربّه الذي لا يعصى فأجابه وسلّم لأمر الله وجاهد في طاعة ابن عمّ رسول الله وأوّل من آمن به وافقههم في دين الله المخالف لأعداء الله المستحلّين ما حرّم الله الذين عملوا في البلاد بالجور والفساد واستحوذ عليهم الشيطان فزيّن لهم الإثم والعدوان فحقّ عليكم جهاد من خالف سُنّة رسول الله ﷺ وعطّل حدود الله وخالف أولياء الله فجودوا بمهج أنفسكم في طاعة الله في هذه الدنيا تصيبوا الآخرة والمنزل الأعلى والملك الذي لا يبلى ، فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لكان القتال مع عليّ أفضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الأكباد ، فكيف وأنتم ترجون ما ترجون .

ولما قُتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً وأُصيب معه عصابة من أسلم من القرّاء فمرّ عليهم عليه السلام وهم قتلى حوله فقال :

جزى الله خيراً عصبةً أسلمية ... صباح الوجوه صُرِّعوا حول هاشم
يزيد وعبد الله بشر ومعبدٌ ... وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم
وعروة لا يبعد ثناه وذكره ... إذا اخترطت يوماً خفاف الصّوارم(٢)

وقال عبد الله يرثي أباه هاشماً بهذا الرجز :

يا هاشم(٣) بن عتبة بن مالك ... أعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخَيْلاتُ بالسّنابك ... في أسودٍ من نقعهن حالك

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠١ .
(٢) المصدر السابق: ٣٥٦ ـ ٣٥٧ بتقديم وتأخير .
(٣) في المصدر [أهاشم] .

أبشـر بـحُور العـين فـي الأرائك والرّوح والريـحان عـند ذلك(١)

وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة يرثي هاشماً:

يـا هـاشم الخـير جُـزيت الجنّه قـاتلت فـي الله عـدو السنّه
والتـاركي الحـقّ وأهـل الظـنّه أعـظم بـما فـزت بـه مـن مـنّه
صـيّرني الدهـر كـأنّي شـنّه يـا ليت أهـلي قـد عـلوني رنّـه
من حوبة وعمّة وكنّه

قال نصر: والحوبة القرابة، يقال لي: في بني فلان حوبة أي قُربى(٢).

مقتل عمّار بن ياسر

كان على عمّار يوم صفّين درع وهـو يـقول: أيّـها النـاس الرواح إلى الجنة(٣).

وقال حين نظر إلى راية عمرو بن العاص: والله إنّ هذه الراية قد قـاتلتُها ثلاث عركات وما هذه بأرشدهنّ، ثمّ قال:

نحن ضربناكم عـلى تـنزيله فاليوم نضربكم عـلى تـأويله
ضرباً يزيل الهام عـن مـقيله ويـذهل الخـليل عـن خـليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

ثمّ استسقى وقد اشتدّ ظمأه ، فأتته امرأة طويلة اليدين، قال الراوي: والله ما أدري أعسٌّ معها أو أداوة فيها ضياح من لبن ، فقال حين شرب :

الجنّة تحت الأسنّة اليوم ألقى الأحبّة محمّـداً وحـزبه

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤٨ .
(٢) المصدر السابق: ٣٥٩ .
(٣) المصدر السابق: ٣٣٩ .

والله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق وهم على باطل.

وفي رواية : إنّ الذي جاءه باللبن غلام له اسمه راشد[١]. ثمّ حمل وحمل عليه ابن جون السكسكي[٢] وأبو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فطعنه وأمّا ابن جون فإنّه احتزّ رأسه[٣].

فكان لا يزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت عمّاراً فقال له عمرو : فما كان آخر منطقه قال سمعته يقول :

اليوم ألقى الأحبّة محمّداً وحزبه

فقال له عمرو: صدقت أنت صاحبه وأما والله ما ظفرت يداك ولكن أسخطت ربّك .

واحتجّ رجلان بصفين في سلب عمّار بن ياسر وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمروبن العاص فقال لهما : ويحكما أخرجا عنّي فإنّ رسول الله ﷺ قال : «أُولعت قريش بعمّار ، ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار» .

قال السدي: فبلغني أنّ معاوية قال : إنّما قتله من أخرجه . يخدع بذلك طغام أهل الشام[٤].

وقال مالك الأشتر ـ ذكره نصر ـ:

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤٢ .

(٢) في المصدر [التكوني] .

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٤) المصدر السابق: ٣٤١ ـ ٣٤٣ .

نحن قتلنا حوشباً لما غدا قد أعلما
وذا الكلاع قبله ومعبداً إذ أقدما
إن تقتلوا منّا أبا اليقظان شيخاً مسلماً
فقد قتلنا منكم سبعين رأساً مجرماً
أضحوا بصفّين وقد لاقوا نكالاً مُوتِماً[١]

وقال عمرو بن العاص :

ونحن قتلنا هاشماً وابن ياسر ونحن قتلنا ابني بديل تعسّفا[٢]

وبعث عليّ خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادّة، فبعث معاوية الضحّاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها ، وجاءت عيونُ عليٍّ فأخبرته بما قد كان فقال لأصحابه : ما ترون فاختلفوا فلمّا رأى اختلافهم أمرهم بالغدوّ إلى القوم فغاداهم القتال فانهزم أهل الشام وغلب أهل العراق على قتلي أهل حمص، وغلب أهل الشام على قتلى أهل العالية ، وانهزم عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخاً عن موضع المعركة حتّى أتى الشام ، فقال النجاشي من قصيدة أوّلها:

لقد أمعنت يا عتب الفرارا وأورثك الوغى خزياً وعارا
فلا يحمد خصاك سوى طمر إذا أجريته انهمر انهمارا[٣]

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام أمر مناديه فنادى في الناس: أن اخرجوا إلى مصافّكم فخرج الناس إلى مصافّهم واقتتلوا وأقبل أبو الأعور السلمي يقول :

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٦٤ .
(٢) المصدر السابق: ٣٨٤ .
(٣) المصدر السابق: ٣٦٠ .

أضـــــــــربهم ولا أرى عـــــليّاً وكـــفى بـــهذا حـــزناً عـــلينا[١]

وقعة الخميس

قال نصر : ثمّ كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخميس .

قال القعقاع بن الأبرد الطَّهويّ: والله إنّي لواقف قريباً من عليّ يوم وقعة الخميس وقد التـفّت مـذحج وكـانوا فـي مـيمنة عـليّ، وعكّ وجـذام ولخـم والأشعرون كانوا مستبصرين في قتال عليّ . ولقد والله رأيت ذلك اليوم مـن قتالهم وسمعت من وقع السيوف على الرؤوس وخبط الخيول بحوافرها في الأرض وفي القتلى ما الجبال تـهدّ ولا الصـواعـق تـصعق بـأعظم هـولاً فـي الصدور من ذلك الصوت . نظرت إلى عليّ وهو قـائم فـدنوت مـنه فسـمعته يقول : «لا حول ولا قوة إلّا بالله والمستعان الله» ثمّ نهض حين قام قـائم الظـهيرة وهو يقول : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ﴾[٢] .

وحمل على الناس بنفسه وسيفه مجرّد بيده، فلا والله ما حجز بيننا وبينهم إلّا ربّ العالمين في قريب من ثلث الليل ، وقُتلت يومئذٍ أعلام العرب وكان في رأس عليّ ثلاث ضربات وفي وجهه ضربتان .

قال نصر : وقد قيل إنّ عليّاً لم يجرح قط وقُتل في هذا اليوم خزيمة بـن ثابت ذو الشهادتين[٣] . فقالت ابنته ضبيعة ترثيه :

عين جودي على خُزيمة بـالدمع قـتيل الأحـزاب يـوم الفـرات
قـــتلوا ذا الشـــهادتين عـتوّاً أدرك الله مـــــنهم بـــالتّرات

(١) المصدر السابق: ٣٦٢ .
(٢) الأعراف: ٨٩.
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

قتلوه في فتية غير عُزّلٍ يُسرعون الرّكوب للدّعوات
نصروا أحمد(١) الموفق للعدل(٢) ودانُوا بذاك حتّى الممات
لعن الله معشراً قتلوه ورماهم بالخزي والآفات(٣)

وروى نصر: عن أبي سليمان الحضرمي وكان حضر صفّين مع عليّ عليه السلام : إنّ الفيلقين التقيا بصفّين واضطربوا بالسيوف ليس معهم غيرها إلى نصف الليل .

وعن زياد بن النضر ـ وكان على مقدّمة عليّ عليه السلام ـ قال : شهدت مع عليّ بصفّين فاقتتلنا ثلاثة أيّام وثلاث ليال حتّى تكسّرت الرماح ونفدت السهام ثمّ صارت إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتّى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً ، وقد قاتلت يومئذٍ(٤) بجميع السلاح فلم يبق شيء من السلاح إلّا قاتلت به حتّى تحاثينا بالتراب وتكادمنا حتّى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين أن ينهض إلى صاحبه ولا يقاتل . فلمّا كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصفو وغلب عليّ عليه السلام على القتلى وأقبل على أصحاب محمّد وأصحابه فدفنهم وقد قُتل كثير منهم ، وقُتل من أصحاب معاوية أكثر .

وقال عمرو بن العاص :

إذا تخازرت وما بي من خزر ثمّ خبأت العين من غير عَوَر
ألفيتني الوي بعيد المستمر ذا صولة في المصمئلّاتِ الكُبر

(١) في المصدر [السّيد] .
(٢) في المصدر [ذا العدل] .
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .
(٤) في المصدر [ليلتئذ] .

أحمل ما حمّلت من خير وشر كالحية الصماء في أصل الصّخر

وقال محمّد بن عمروبن العاص:

لو شهدت جمل مقامي وموقفي بصفّين يوماً شاب منها الذوائبُ
غداة غدا أهل العراق كأنّهم من البحر موج لجّهُ متراكبُ
وجئناهم نمشي صفوفاً كأنّنا سحاب خريف صفّقته الجنائبُ
فطار إلينا بالرماح كماتهم وطرنا إليهم والسيوف قواضبُ
فدارت رحانا واستدارت رحاهم سراة النّهار ما تولّى المناكبُ
إذا أنا قلت: استهزموا برزت[1] لنا كتائب حمر وارجحنَت كتائبُ
فقالوا: نرى من رأينا ان تُبايعوا علياً فقلنا: بل نرى أن تضاربوا
فأبنا وقد نالوا سراة رجالنا وليس لما لاَقوا سوى الله حاسبُ
كأنّ تَلألي البِيض فينا وفيهمُ تلألو برق في تهامة ثاقبُ

فردّ عليه محمّد ابن الحنفية:

لو شهدت جمل مقامك أبصرت مقام لئيم وسّطته[2] الكتائبُ
أتذكر يوماً لم يكن لك فخره وقد ظهرت فيها عليك الجلائبُ
وأعطيتمونا ما نقمتم أذلّة على غير تقوى الله والدين واصبُ

وجاء علقمة بن تميم[3] الأنصاري إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّ عمروبن العاص ينادي:

أنا الغلام القرشيّ المؤتمن الماجدُ الأبلج ليث كالشطن
يرضى بي[4] الشام إلى أرض عدن يا قادة الكوفة من أهل الفتن

(١) في المصدر [إذا قلتُ يوماً قد دَنَوا بُرِزْت].

(٢) في المصدر [وسط تلك].

(٣) [ابن زهير].

(٤) في المصدر [به].

يـا أيّـها الأشـراف مـن أهـل اليـمن أضـــربكم ولا أرى أبــا حســن
أعـني عـليّاً وابــن عـمّ المـؤتمن كـفى بـهذا حـزناً مـن الحـزن

فضحك عليّ ثمّ قال : «أما والله لقد حادَ عديّ الله عنّي، وأنّه لبمكاني عالم كما قال العربي : (غيرُ لوَهىً ترقَعين وأنت مُبصرة)[١] ويحكم أروني مكانه، لله أبوكم وخلاكم ذم»[٢].

وحمل غلامان من الأنصار جميعاً أخوان حتّى انتهيا إلى سرادق معاوية فقُتلا عنده ، وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتتلت قياماً في الركب ، لا يسمع السامع إلّا وقع السيوف على البيض والدرق .

وقال عمرو بن العاص :

أجـــئتم إليـــنا تســفكون دمــاءنا ومـا رمـتم وعـرٌ مـن الأمـر أعسـر
تـــعاورتم ضـــرباً بكـــل مـــهنّد إذا شـــدّ وردانٌ تـــقدّم قـــنبر[٣]

وردان عبده وقنبر غلام أمير المؤمنين عليه السلام .

وجاء عديّ بن حاتم يلتمس عليّاً ما يطأ إلّا على إنسان ميّت أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال : يا أمير المؤمنين ألا نقوم حتّى نموت؟ فقال عليّ عليه السلام : «ادنُ» فدنا حتّى وضع اُذنه عند أنفه فقال : «ويحك إنّ عامّة من معي يعصيني وإنّ معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه»[٤] .

وقال عديّ بن حاتم يوم صفّين:

---

(١) الوُهي: بضم الواو والقصر جمع وُهَيٍ، وهو الفتق مثل يضرب لمن يعرف أمراً فيتجاهله ويتظاهر بخلافه ـ المؤلّف ـ.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٦٩ ـ ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق: ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

(٤) المصدر السابق: ٣٧٩ .

أقــول لمّــا أن رأيت المــعمعة واجــتمع الجــندان وســط البـلقعة
هــذا عــليّ والهــدى حــقاً مــعه يـــا ربّ فـــاحفظه ولا تــضيّعه
فـــإنّه يـــخشاك ربّ فـــارفعه ومـــن أراد غــيّه[1] فـضعضعه[2]

قال عليّ: «وا نفساه أيطاع معاوية وأُعصى؟ ما قاتلت أُمّة قطّ أهل بيت نبيّها وهي مقرّة بنبيّها إلّا هذه الأُمّة».

ثمّ إنّ عليّاًعليه السلام أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام فحملت خيل عليّ على صفوف أهل الشام فقوّضت صفوفهم فقال عمرو يومئذٍ : على مَن هذا الرهج الساطع؟ قيل : على ابنيك عبدالله ومحمّد قال : يا وردان قدّم لواءك فتقدّم فأرسل إليه معاوية أنْ ليس على ابنيك بأس فلا تنقض الصف والزم موقفك، فقال عمرو : هيهات هيهات :

اللـــيث يـحمي شـبليه مـــا خـيره بـعد ابـنيه

فتقدّم فلقى الناس وهو يحمل فأدركه رسول معاوية فقال : إنّه ليس على ابنيك بأس فلا تحملنّ فقال له عمرو : قل له إنّك لم تلدهما، أنا ولدتهما وبلغ مقدّم الصفوف فقال له الناس : مكانك إنّه ليس على ابنيك بأس إنّهما في مكان حريز فقال : أسمعوني أصواتهما حتّى أعلم أحيّان هما أم قتيلان ؟ ونادى : يا وردان قدم لواءك قدر قيس قوسي ولك فلانة (جارية له)، فتقدّم بلوائه .

فأرسل عليّ إلى أهل الكوفة أن احملوا ، وإلى أهل البصرة أن احملوا، فحمل الناس من كلّ جانب فاقتتلوا قتالاً شديداً، فخرج رجل من أهل الشام

(١) في المصدر [غَيبَه] .
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٨٠ .

فقال : من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب عليّ فاقتتلا ساعة . ثمّ إنّ العراقي ضرب رِجل الشامي فقطعها فقاتل ولم يسقط إلى الأرض ، ثمّ ضرب يده فقطعها فرمى الشامي بسيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام وقال : دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على عدوّكم فاخذوه فاشتراه معاوية من أولياء المقتول بعشرة آلاف[١] واقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً فما صلّى كثير من الناس إلّا إيماء[٢].

وكان رجل من أصحاب عليّ عليه السلام يُدعى هاني بن نمر الحضرمي، فخرج رجل من أهل الشام يطلب المبارزة فلم يخرج إليه أحد فقال : سبحان الله ما يمنعكم أن يخرج رجل منكم إلى هذا فلو لا أني موعوك وأنّي أجد لذلك ضعفاً لخرجت إليه فما ردّ عليه أحد فوثب فقال أصحابه : سبحان الله تخرج وأنت موعوك؟ قال : والله لأخرجنّ إليه ولو قتلني، فخرج وإذا هو رجل من قومه حضرموت وبينهما قرابة من قبل النساء فقال له: يا هاني ارجع فإنه إن يخرج إليّ غيرك أحبّ إليّ إنّي لست أُريد قتلك قال له هاني: ما خرجت إلّا وأنا موطّن نفسي على القتل ما أُبالي أنت قتلتني أو غيرك ، ثمّ مشى نحوه فقال : اللهم في سبيلك وسبيل رسولك ونصرة لابن عمّ نبيّك ، ثمّ اختلفا ضربتين فقتله هاني وشدّ أصحابه نحوه وشدّ أصحاب هاني نحوه ثمّ اقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلاً. ثمّ إنّ عليّاً أرسل إلى الناس أن احملوا فحمل الناس على راياتهم كلّ قوم بحيالهم فتجالدوا بالسيوف وعُمَد الحديد لا يسمع إلّا صوت الحديد ومرّت الصلوات كلّها ولم يصلّوا إلّا تكبيراً عند

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق: ٣٩٢ .

مواقيت الصلاة حتّى تفانوا ورقّ الناس .

قال عبد الرحمن بن حاطب : خرجتُ التمس أخي سويداً في القتلى بصفّين فإذا برجل قد أخذ بثوبي صريع في القتلى فالتفت فإذا بعبد الرحمن بن كلدة فقلت: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون هل لك في الماء ؟ قال : لا حاجة لي في الماء قد أنفذني السلاح وخرقني ولست أقدر على الشرب، هل أنت مبلّغ عنّي أمير المؤمنين رسالة؟ قلت : نعم قال : اقرأ عليه منّي السلام وقل : يا أميرالمؤمنين احمل جرحاك إلى عسكرك حتّى تجعلهم من وراء القتلى فإنّ الغلبة لمن فعل ذلك ثمّ لم أبرح حتّى مات ، وأتيت علياً فأخبرته فاسترجع وأبلغته الرسالة قال : «صدق والذي نفسي بيده» فنادى منادي العسكر: أن احملوا جرحاكم إلى عسكركم ففعلوا فلمّا أصبح نظر إلى أهل الشام وقد ملّوا الحرب[1].

وكان عليّ إذا أراد القتال هلّل وكبّر ثمّ قال :

من أيّ يومي مِنَ الموت أفرّ أيوم ما قدر أم يوم قُدر

وأقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية الأعظم وهو يقول:

أنا ابن سيف الله ذاكم خالد أضرب كلّ قدم وساعد
بصارمٍ مثل الشهاب الواقد انصر عمّي ان عمي والدي
بالجهد لا بل فوق جهد الجاهد ما أنا فيما نابني براقد

فاستقبله جارية بن قدامة السعدي وهو يقول :

أثبت لصدر الرمح يا ابن خالدِ أثبت لليث ذي فلول حاردِ

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

مـن أسـد خـفان شـديد السّاعد   يـنصر خـير راكـع وسـاجد
مـن حـقّه عـندي كـحق الوالدِ   ذاكـم عـليّ كـاشف الأوابـد

وأطّعنا مليّاً ومضى عبد الرحمن وانصرف جارية وعبد الرحمن لا يأتي على شيء إلّا أهمده وهو يقول:

إني إذا ما الحرب قرّت[1] عـن كبر   تـخالني أخـزر مـن غـير خَـزر
أقـحم والخـطى فـي النـقع كشـر   كـالحية الصمّاء في رأس الحجر
أحمل ما حملت من خير وشرّ

فغمّ ذلك عليّاً وأقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده فقال: أقـحم يـا ابن سيف الله فإنّه الظفر.

وأقبل الناس على الأشتر فـقالوا: يـوم مـن أيّـامك الأُول وقـد بـلغ لواء معاوية حيث ترى، فأخذ الأشتر لواءً فحمل وهو يقول:

إنـي أنـا الأشـتر مـعروف الشَّتر   إنـي أنـا الأفـعى العـراقيُّ الذكـر
لا مـن ربـيعة ولا حـي مـضر[2]   لكـنني مـن مـذحج الغـرّ الغُـرر

فضارب القوم حتّى ردّهم عـلى أعـقابهم فـرجعت خـيل عـمرو وقـال النجاشي في ذلك:

رأيـنا[3] اللـواء لواء العـقاب   يـقحمه الشـانيءُ الأخـزر
كـليث العـرين خـلال العـجاج   وأقـبل فـي خـيله الأبـتر
دعـونا لهـا الكـبش كـبش العراق   وقـد خـالط العسكـر العسكـر
فـردّ اللِّـواء عـلى عـقبه   وفـاز بـحظوتها الأشـتر

---

(١) في المصدر [قُرت].
(٢) في المصدر [لستُ في الحيّ رَبيع أو مُضَرْ].
(٣) في المصدر [رأيتُ].

كما كان يفعل في مثلها[١] إذا الناب معصوصب منكر
فإن يدفع الله عن نفسه فحظّ العراق بها الأوفر
إذا الأشتر الخير خلى العراق فقد ذهب العرف والمنكر
وتلك العراق ومن عرقت كفقع تبينه[٢] القرقر

ولمّا ردّ لواء معاوية ورجعت خيل عمرو انتدب همّام بن قبيصة وكان من أشتم الناس لأمير المؤمنين عليه السلام ومعه لواء هوازن فقصد لمذحج وهو يقول:

إني إذا ما دُعيت نزال أقدم إقدام الهزبرِ الغالي
أهل العراق إنكم من بالي كلّ تلادي وطريف مالي
حتّى أنال فيكم المعالي أو أطعم الموت وتلكم حالي
في نصر عثمان ولا أُبالي

فقال عديّ بن حاتم لصاحب لوائه: ادن مني فأخذه وحمل وهو يقول:

يا صاحب الصّوت الرفيع العالي إن كنت تبغي في الوغى نزالي
فادن فإنّي كاشفٌ عن حَالي تفدي علياً مهجتي ومالي
وأُسرتي يتبعها عيالي

فضربه وسلب لواءه.

ثمّ حمل خزيمة بن ثابت وهو يقول:

قد مرّ يومان وهذا الثّالث هذا الذي يلهث فيه اللّاهث
هذا الذي يبحث فيه الباحث كم ذا يرجى أن يعيش الماكثُ

(١) في المصدر [ناب].
(٢) في المصدر [تُنَبّهُ].

الناس موروث ومنهم وارث هذا عليّ من عصاه ناكث

فقاتل حتّى قُتل .

ثمّ خرج خالد بن خالد الأنصاري وهو يقول :

هذا عليّ والهدى أمامه هذا لوا نبيّنا قدّامه

يقحمه في بقعةٍ إقحامه[١] لا جُبنه نخشى ولا أثامه

فطعن ساعة ثمّ رجع .

ثمّ حمل جندب بن زهير وهو يقول :

هذا عليّ والهدى حقّاً معه يا ربّ فاحفظه ولا تضيعه

فإنّه يخشاك ربّ فارفعه نحن نصرناه على من نازعه

صهر النبيّ المصطفى قد طاوعه أوّل من بايعه وتابعه

وأقبل الأشتر يضرب بسيفه وهو يقول :

أضربهم ولا أرى معاوية الأخزر العين العظيم الحاوية

هوت به في النار أُمّ هاوية جاوره فيها كلاب عاويه

أغوى طعاماً لا هداه هاديه[٢]

هكذا ذكر نصر ، ولكنّه في موضع آخر نسب هذا الرجز إلى أبي مجزاة ابن ثور الربعي[٣] وسيأتي نسبة الشطور الثلاثة الأُول إلى عليّ عليه السلام .

واختلط [أمر الناس][٤] حتّى ترك أهل الرايات مراكزهم وتفرّق الناس

(١) في المصدر [أقدامه] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٩٥ ـ ٣٩٩ .

(٣) المصدر السابق: ٣٠٥ .

(٤) في المصدر [أمرهم] .

عن عليّ فأتى ربيعة ليلاً فكان فيهم وتعاظم الأمر وأقبل عديّ بن حاتم يطلب علياً في موضعه الذي تركه فيه فلم يجده فطاف يطلبه فأصابه في مصافّ ربيعة فقال : يا أمير المؤمنين أمّا إذا كنت حياً فالأمر أمَم ، ما مشيتُ إليك إلّا على قتيل وما أبقت هذه الوقعة لنا ولهم عميداً فقاتل حتّى يفتح الله عليك فإنّ في الناس بقيةً بعد .

وأقبل الأشعث يلهث جزعاً فلمّا رأى علياً هلّل وكبّر وقال : يا أميرالمؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل إلى ساعتنا هذه فعد إلى مقامك الذي كنت فيه فإن الناس إنّما يظنّونك حيث تركوك وأرسل سعيد بن قيس إنّا مشتغلون بأمرنا مع القوم وفينا فضل فإن أردت أن نمدّ أحداً أمددناه، فاقبل عليّ على ربيعة فقال : «أنتم درعي ورمحي» ـ قال نصر ـ : فربيعة تفتخر بهذا الكلام إلى اليوم فقال عديّ بن حاتم : يا أمير المؤمنين إنّ قوماً أنست بهم وكنت فيهم في هذه الجولة لعظيم حقّهم علينا والله إنّهم لصبّرٌ عند الموت أشدّاء عند القتال .

وركب عليّ عليه السلام فرسه الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان يقال له «المرتجز» فتقدّم أمام الصفوف ثمّ قال : «بل البغلة» فقُدّمت له بغلة رسول الله فركبها ثمّ تعصّب بعمامة رسول الله السوداء ثمّ نادىٰ: «أيّها النّاس من يشري نفسه لله يربح، هذا يوم له ما بعده إنّ عدوّكم قد قرح كما قرحتم» فانتدب له من بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً وضعوا سيوفهم على عواتقهم وتقدّمهم عليّ على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول :

دبّــوا دبــيب النّــمل لا تــفوتوا[١] واصـــبحوا بـــحربكم وبـــيّتوا
حـــتّى تـــنالوا للـــثأر[٢] أو تـــموتُوا أولاً فـــإنّي طـــالما عـــصيت
قـــد قُـــلتم لو جـــئتنا فـــجيتُ ليس لكـــم مـــا شـــئتم وشـــيت
بل ما يريد المحيي المميت

وتبعه عديّ بن حاتم بلوائه وهو يقول :

أبـــعد عـــمّارٍ وبـــعد هـــاشم وابـــن بـــديل فـــارس المـــلاحم
نـــرجـــو البـــقاء مـــثل حلم الحالم وقـــد عـــضضنا أمس بـــالأباهم
فـــاليوم لا نـــقرع ســـنّ نـــادم ليس أمـــرؤ مـــن يـــومه بســـالم

وتقدم الأشتر وهو يقول :

حـــرب بـــأسباب الرّدى تـــأجّج يـــهلك فـــيها البـــطل المـــدجّج
يكـــفيكها هـــمدانـــها ومـــذحج رُوحـــوا إلى الله ولا تُـــعرّجوا
دين قويم وسبيل منهج

وحمل الناس حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صفّ إلّا انتقض وأهمدوا ما أتوا عليه حتّى افضى الأمر إلى مضرب معاوية وعليّ يضربهم بسيفه وهو يقول :

أضـــربهم ولا أرى مـــعاوية الأخـــزر العـــين العـــظيم الحـــاوية
هوت به في النار أُمُّ هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه ، فلمّا وضع رجله في الركاب تمثّل بقول

(١) في المصدر [تفوتوا] .
(٢) في المصدر [الثأر] .

عمرو بن الأطنابة :

أبت لي عــفّتي وأبــىٰ بــلائي وأخــذِي الحـمد بـالثّمن الرّبـيح
وإقدامي[(١)] عـلى المكـروه نـفسي وضــربي هـامة البـطل المشـيح
وقــولي كــلّما جشـأت وجـاشت مكــانك تـحمدي أو تسـتريحي
لأدفـــع عـــن مــآثر صـالحاتٍ وأحـمي بـعد عـن عـرض صحيح
بـذي شـطب كـلون المـلح صـافٍ ونـــفس مـا تـقرّ عـلى القـبيح

وقال : يا ابن العاص اليوم صبر وغداً فخر، فقال عمرو: صـدقت وثـنى رجله من الركاب فنزل فاستصرخ بعكّ والأشعرين فوقفوا دونه وجالدوا عنه حتّى كره كلّ من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس[(٢)] .

ثمّ إنّ معاوية لمّا أسرع أهل العراق في أهل الشام قال : هذا يوم تمحيص إنّ القوم قد أسرع فيهم كما أسرع فيكم إصبروا يومكم هذا وخلاكم ذم .

وحضّض عليّ أصحابه فقام إليه الأصبغ بـن نـباتة التـميمي فـقال : يـا أميرالمؤمنين إنّك جعلتني على شَرطةِ الخميس وقدّمتني في الثّقة دون الناس وإنّك اليوم لا تفقد لي صبراً ولا نصراً . أما أهل الشام فقد هدّهم ما أصبنا منهم ونحن ففينا بعض البقيّة فاطلب بنا أمرك وائذن لي في التقدّم فقال : «تقدّم بسم الله» .

وأقبل الأحنف بن قيس السعدي فقال : يا أهل العـراق والله لا تـصيبون هذا الأمر أذلّ عُنقاً منه اليوم، قد كشف القوم عنكم قِناع الحياء، وما يقاتلون

(١) في المصدر [وإجشامي] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٢ ـ ٤٠٥ .

على دين ، وما يصبرون إلّا حياءاً فتقدّموا . فقالوا : إن تقدّمنا اليوم فقد تقدّمنا أمس فما تقول يا أمير المؤمنين؟ قال : «تقدّموا في موضع التقدّم وتأخّروا في موضع التأخّر تقدّموا من قبل أن يتقدّموا إليكم» وحمل أهل العراق وتلقّاهم أهل الشام فاجتلدوا[1].

نكول معاوية عن مبارزة عليّ يوم صفّين

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفّين : أنه أرسل عليّ إلى معاوية أن أبرز إليّ واعف الفريقين من القتال فأيّنا قتل صاحبه كان الأمر له ، قال عمرو : لقد أنصفك الرجل فقال معاوية : إنّي لأكره أن أبارز الأهوج الشجاع لعلّك طمعت فيها يا عمرو؟[2] .

وروى في موضع آخر: أنّ عليّاً عليه السلام قام بين الصفّين ثمّ نادى : يا معاوية! يكرّرها ، فقال معاوية : اسألوه ما شأنه ؟ قال : أُحبّ أن يظهر لي فأكلّمه كلمة واحدة» فبرز معاوية ومعه عمروبن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية : «ويحك! علامَ يقتتل الناس بيني وبينك أبرز إليّ فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له»، فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أباعبدالله أُبارزه؟ فقال عمرو : لقد أنصفك الرجل واعلم أنّك إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيّ، فقال معاوية : يا عمرو ليس مثلي يُخدع عن نفسه . والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قط إلّا سَقى الأرض من دمه .

ثمّ انصرف معاوية راجعاً إلى آخر الصفوف وعمرو معه، وقال معاوية :

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٦ .

(٢) المصدر السابق: ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

ويحك يا عمرو! ما أحمقك ! أتراني أبرزُ إليه ودوني علٌّ والأشعرون وجُذام ؟! وحقدها معاوية على عمرو وقال : ما أظنُّك يا عمرُو إلّا مازحاً .

فلمّا جلس معاوية مجلسه أقبل عمرو حتّى جلس فقال معاوية :

يا عمرو إنّك قد قشرت لي العَصا ... برضاك في وسط العجاج برازي
ولقد اعدتَ فقلت: مزحة مازح ... والمزح يحمله مقال الهازي
فإذا الذي منّتك نفسك خالياً ... قتلي جزاك بما نويت الجازي

فقال له عمرو : أيّها الرجل أتجبّن عن خصمك وتتهم نصيحك؟! وقال مجيباً له :

معاوي إن نكلت عن البراز ... لك الويلات فانظر في المخازي
وما ذنبي بأن نادى عليّ ... وكبش القوم يدعى للبراز
فلو بارزته بارزت ليثاً ... حديد الناب ينفذ[1] كلّ بازي
وتزعم أنّني أضمرتُ غشّاً ... جزاني بالّذي أضمرت جازي
أضبع في العجاجة يا ابن هند ... وعند الباه كالتَّيس الحجازي

تعرض عمرو بن العاص لعليّ وكشفه سوأته

قيل :كان السبب في ذلك أن الحارث بن نصر الجشمي كان عدوّاً لعمرو بن العاص . وكان عمرو قلّما يجلسُ مجلساً إلّا ذكر فيه الحارث[2] .

فقال الحارث في ذلك:

ليس عمرو تبارك ذِكره الحرب ... مدى الدّهر أو يلاقي عليّا
واضع السيف فوق منكبه الأيمن ... لا يحسب الفوارس شيّا

---

(١) في المصدر [يخطفُ].

(٢) في المصدر [الحرب].

ليس[١] عمراً يلقاه في حمس النّقع   وقــد صــارت السُّـيوف عـصيّا
فوق شهب مثل السّحوق من النخل   يـــنادي المـــبارزين إليّـــا
ثـمّ يـا عـمرو تستريح مـن الفـخر   وتـــلقى بـــه فـــتى هـــاشميّا
فـــالقه إن أردت مكــرمة الدّهــر   أو المــــوت كـــلّ ذاك عـــليّا

فلمّا سمع عمرو شعره قال: والله لو علمت أنّي أموت ألف موتة لبارزت عليّاً في أوّل ما ألقاه[٢]. وقيل: إن عمراً حمل معلماً وهو يقول:

شـدّوا عـليّ شكّـتي لا تـنكشف   يـوم لهـمدان ويـوم للـصّدفِ[٣]
وفـــي تـميم نـخوةٌ لا تـنحرف   أضـربها بـالسّيف حتّى تـنصرف
ومـــثلها لحـــمير، أو تـــرف[٤]   والرّبـــعيون لهـم يـوم عَـصِف

فاعترضه عليّ عليه السلام وهو يقول:

«قــد عــلمت ذات القــرون الميلِ   والخـــصر والأنـــامل الطـفول
أحـــمي وأرمـــي أوّل الرعـــيلِ   بـــصارم ليس بـــذي فـــلول»[٥]

وقيل: إنّ عمراً تعرض لعليّ في يوم من أيام صفّين، وظنّ أنه يطمع منه في غرّةٍ فيصيبه، فحمل عليه عليه السلام فلمّا كاد أنْ يُخالطه رمى[٦] نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته فصرف عليّ وجهه عنه وقام مُعفّراً بالتراب هارباً على رجليه معتصِماً بصفوفه.

---

(١) في المصدر [ليتَ].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٢٣ ـ ٤٢٤.
(٣) الصدف اسم قبيلة.
(٤) في المصدر [تنحرف].
(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٦ ـ ٤٠٧.
(٦) في المصدر [اذرئ].

فقال القوم[١] : أفلت الرجل! يا أمير المؤمنين. قال : «**وهل تدرون من هو؟**» قالوا : لا، قال : «**فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته[٢] فصرفت وجهي عنه**»، ورجع عمرو إلى معاوية فقال له : ما صنعت يا عمرو؟ قال : لقيني عليّ فصرعني، قال : فاحمد الله وعورتك، أما والله أن لو عرفته ما أقحمت عليه وقال معاوية في ذلك شعراً:

ألا للـــهِ مـــن هـــفوات عـــمرو   يـــعاتبني عـــلى تـــركي بـــرازي
فـــقد لاقـــى أبـــاحسن عـــليّاً   فـــآب الوائـــلي مـــآب خـــازي
فـــلو لم يـــبد عـــورته للاقـــى[٣]   [بـــه ليـــثا يـــذلل كـــلّ نـــازي][٤]
له كـــفّ كـــأن بـــراحـــتيها   منايا القوم يخطف خطف بـازي[٥]
فـــإن تكـــن المـــنيّة أخـــطأته   فـــقد غـــنّى بـــها أهـــل الحـــجاز

فغضب عمرو وقال : ما أشدّ تعظيمك عليّاً في أمري هذا! هل هـو[٦] إلّا رجل لقيه ابن عمّه فصرعه؟ أفترى السماء قاطرة لذلك دماً؟ قـال : ولكـنها تعقبك جنبا[٧].

قال نصر: ولما شمت معاوية بعمرو قال عمرو في ذلك :

مـــعاوي لا تشـــمت بـــفارس بـــهمّة   لقـــى فـــارساً لا تـــعتريه الفـــوارس

---

(١) في المصدر [أهل العراق].

(٢) في المصدر [بسوءته].

(٣) في المصدر [لطارت].

(٤) في المصدر [بمهجته قوادم أي بازي]

(٥) هذا البيت في وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٧ . ولم يذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة. وابن مزاحم لم يذكر مقدمة الرواية كما ذكر ابن أبي الحديد والظاهر أن المصنف نقل الروايتين بتصرف.

(٦) في المصدر [أنا].

(٧) في المصدر [خزيا]. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٦٠ ـ ٦١ عن وقعة صفّين لنصر بن مزاحم.

معاوي إنْ أبصرت في الخيل مقبلاً أبا حسن يهوى دهتك الوساوس
وأيقنت أنّ الموت حقّ وأنه لنفسك إنْ لم تمض في الركض خالس[١]
فإنّك لو لاقيته كنت بُومةً أُتيح لها صقرٌ من الجو آنس
وماذا بقاء القوم بعد إختباطه وإنّ امرىءً يلقى عليّاً لآيس
دعاك فصمّت دونه الأُذن هارباً بنفسك قد ضاقت عليها[٢] الآمالس
وتشمت بي أنْ نالني حد رمحه وعضّعضني[٣] ناب من الحرب ناهس
أبى الله إلاّ أنه ليث غابةٍ أبو الشبل[٤] تهدى إليه الفرائس
وأنّي أمرؤ باقٍ فلم يلف شُلوه بمعترك تسفي عليه الروامس
فإن كنت في فانهج[٥] عجاجه وإلاّ فتلك الترّهات البسابس

ثمّ إنّ عليّاً غلس بالناس بصلاة الفجر، ثمّ زحف بهم فخرج الناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام[٦] .

فقال أبرهة بن الصباح بن أبرهة الحميري : ويلكم يا معشر أهل اليمن! والله إني لأظنّ قد أُذن بفنائكم، ويحكم خلُّوا بين هذين الرجلين فليقتتلا ، فأيّهما قتل صاحبه مِلنا معه جميعاً . وكان من رؤساء أصحاب معاوية . فبلغ ذلك عليّاً فقال : «صدق أبرهة»، وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخّر آخر الصّفوف وقال لمن حوله : إنّي لأُظنّ أبرهة مصاباً في عقله . فقال أهل الشام : والله إنّ

(١) في المصدر [جاس] .
(٢) في المصدر [عليك] .
(٣) في المصدر [عضَضَني] .
(٤) في المصدر [أشبُل] .
(٥) في المصدر [في شكٌ فأرهج] .
(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٣ .

أبرهة لأفضلنا ديناً ورأياً وبأساً، ولكن معاوية كره مبارزة عليّ .

فقال أبرهة في ذلك :

لقـــد قـــال ابـــن أبـــرهة مـقالاً وخـــالفه مـــعاوية بـــن حـــرب
وكـــم بـين المُـنادي مـن بـعيدٍ ومَن يـغشىٰ الحـروب بكـلّ عـضب
أيـــهجُرني مـــعاوية بـــن حـــرب ومـــا هـــجرانـه سـخطاً لربّـي
وعـــمرو إن يـــفارقني بـــقولٍ فـــإنّ ذراعـــه بـــالغدر رَحْب
وإنـــي إنْ اُفـــارقهم بـــديني لفـــي ســـعة إلى شـرق وغـربِ

وبرز يومئذٍ عروة بن داود الدمشقي فقال : إن كان معاوية كَرِه مبارزتك يا أباالحسن فهلم إليّ .

فتقدم إليه عليّ فقال له أصحابه : ذر هـذا الكـلب فـإنه ليس لك بـخطر . فقال : «والله ما معاوية اليوم بأغيظ لي منه» ثمّ حمل عليه فضربه قطعتين، سقطت إحداهما يمنة والأُخرى يسرة ، وارتجّ العسكران لهول الضربة .

ثمّ قال: يا عروة اذهب فاخبر قومك. أما والذي بعث محمّداً بالحقّ لقـد عانيتَ النار وأصبحتَ من النادمين .

وقال ابن عم لعروة: وا سوء صباحاه! قبّح الله البقاء بعد أبي داود[١] .

وحمل على عليّ فطعنه فضرب عليّ الرمح فبراه، ثمّ قنّعه ضربةً فـألحقه بأبي داود، ومعاوية واقف على التلّ يبصر ويشاهد فقال : تـبا لهـذه الرجـال وقُبحاً ، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أوغِيلة ، أوفي اختلاط الفَـيلق وثـوران النقع؟

فقال الوليد بن عقبة : أُبرز إليه أنت فإنّك أولى النّاس بمبارزته ، فـقال :

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

والله لقد دعاني إلى البرازِ حتّى استحييت من قريش ، وانّي والله لا أبرز إليه، ما جُعل العَسَكر بين يدي الرئيس إلّا وقايةً له .

فقال الوليد : الّهوْا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداؤه فقد علمتم إنّه قتل حريثاً وفضح عمراً، ولا أرى أحداً يتحكّك به إلّا قتله .

فعل بسر كفعل عمرو

فقال معاوية لبسر بن أرطاة : أتقوم لمبارزته؟ فقال : ما أحد أحقّ بها منك، وإذا أبيتموه فأنا له .

فقال له معاوية : أما إنّك ستلقاه في العجاجة غداً في أوّل الخيل .

وكان عند بسر ابن عمّ له قد قَدِم من الحجاز يخطب ابنته فأتى بُسراً فقال له : إني سمعت أنّك وعدت من نفسك أن تُبارز عليّاً. أما تعلم أنّ الوالي بعد معاوية أخوه عتبة ، ثمّ أخوه محمّد، فما يدعوك إلى ذلك؟ قال : الحياء ، خرج مني كلام فأنا أستحي أن أرجع عنه . فضحك الغلام وقال :

تنازله يا بسر إنْ كنت مثله ... وإلّا فإن الليث للضبع آكل
كأنّك يا بسر بن أرطاة جاهلُ ... بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاوية الوالي وصنواه بعده ... وليس سواء مستعار وثاكلُ
أُولئك هم أولى به منك إنه ... عليّ فلا تقرّبه أُمّك هابل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

فقال بسر: هل هو إلّا الموت؟ لابدّ والله من لقاء الله تعالى .

فغدا عليٌ منقطعاً من خيله ومعه الأشتر ، وهو يريد التلّ وهو يقول:

أنـــا[١] عــــليّ فســـلوا لتـخبرُوا ثـمّ ابــرزُوا إلى الوغــى أو أدبــروا
ســـيفي حســـام وســناني أزهــر مـــنّا النــبيّ الطــيّب المــطهّرُ
وحـــمزة الخـــير ومـــنّا جــعفر له جــــناحٌ فـــي الجـنان أخـضرُ
و[٢]أســـــد الله وفـــيه مـــفخر هــذا[٣] بـهذا وابــن هــند مـحجرُ
مذبذب مُطَرَّد مؤخر

فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنّع في الحديد لا يعرف ، فناداه : أبرُز إليّ أباحسن ، فانحدر إليه عليّ على تؤدةٍ غير مكترث به حتّى إذا قاربه طعنه وهو دارع، فالقاه على الأرض . ومنع الدّرع السّنان أن يصل إليه ، فاتّقاه بسر وقصد أن يكشف سوأته ليستدفع بأسه فانصرف عنه عليّ عليه السلام مستدبراً له ، فعرفه الأشتر حين سقط فقال : يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطاة عدوّ الله وعدوّك فقال : «دعه عليه لعنة الله، أَبَعدَ أنْ فَعَلها؟!»

فحمل ابن عمّ لبسر شاب على عليّ عليه السلام وهو يقول :

أرديت بســـــراً والغـــلامُ ثـــائره أرديت شـيخاً غـاب عــنه نـاصره

فحمل عليه الأشتر وهو يقول :

أكـلّ يـوم رجـل شـيخ شـاغره وعـــورة وسـط العـجاج ظـاهره
تـــبرزها طـــعنة كـــفٍّ واتـــره عـــمرو وبســـر رمـــياً بـالفاقره

وطعنه الأشتر فكسر صُلبه، وقام بسر من طعنة عليّ وولّت خيله ونـاداه عليّ: «يا بسر! معاوية كان أحقّ بهذا منك» .

ورجع إلى معاوية فقال له معاوية : ارفع طرفك قد أدال الله عـمراً مـنك .

---

(١) في المصدر [إني].
(٢) في المصدر [ذا].
(٣) في المصدر [وهذا].

وقال في ذلك النضر بن الحارث ـ وفي شرح النهج الحارث بن نضر الجشمي أو الخثعمي ـ[1]:

أفي كلّ يوم فارس تندبونه له عورة وسط العجاجة باديه
يكفّ بها عنه عليٌّ سنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولاً لعمرو وابن أرطاة أبصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولاهما لم تَنْجُوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحه وفيها عليّ فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا نحوركما[2] إنّ التجارب كافيه
وإن كان منه بعد في النفس حاجة فعودا إلى ما شئتما هي ماهيه

وفي ذلك يقول المؤلّف أيضاً من قصيدة:

لاقاه عمرو والأسنّة شُرّع لقيا الحمامة للعقاب الكاسر
وتلاه بسر ثمّ ما نجّاهما منه سوى فعل الخسيس الغادر
فثنى حياء عنهما وعفا ولم يرهقهما فعل الكريم القادر

فكان بسر بعد ذلك إذا لقى الخيل التي فيها عليّ تنحّى ناحيةً. وتحامى فرسان أهل الشام عليّاً[3].

واجتمع ليلة عند معاوية بصفّين عتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٣/٦ ولم يذكر القصيدة وذكر القصيدة في المجلد ٨ ص٩٦ وقال: قال الشاعر: من دون ذكر اسمه.

(٢) في المصدر [وخَمْي الوغىٰ].

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٥٩ ـ ٤٦٢.

ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وابن طلحة الطّلحات.

فقال عتبة : إنّ أمرنا وأمر عليّ لعجيب ليس منّا إلّا موتور له، أما أنا فقتل جدّي، واشترك في دم عُمومتي يوم بدر ، وأما أنت يا وليد فقتل أباك يوم بدر[١]. وأما أنت يا عبد الله فقتل أباك يوم الجمل وأيتم إخوتك . وأما أنت يا مروان فكما قال الأوّل :

وافلتهنّ علباء جَريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب

قال معاوية : هذا الإقرار فأين الْغُيُر؟ قال مروان : أي غُيُر تريد؟ قال: أُريد أن يُشْجَر بالرّماح . قال : والله إنك لهازلٌ أوقد ثقّلنا عليك؟! فقال الوليد بن عقبة:

يقول لنا معاوية بن حرب: أما فيكم لواتركم طَلوب
يشدّ على أبي حسن عليّ بأسمر لا تهجنه الكعوب
فيهتك مجمع اللُّبّات منه ونقع الحرب[٢] مطرد يثوب
فقلت له: أتلعب يا ابن هندٍ كأنّك وسطنا[٣] رجل غريب
أتغرينا[٤] بحيّةِ بطن واد إذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضبع يدبُّ ببطن وادٍ أُتيح له به أسد مهيب
بأضعف حيلةً منا إذا ما لقيناه وذا مِنّا[٥] عجيب
دعا للقاه في الهيجاء لاق فأخطأ نفسه الأجل القريب[٦]

(١) في المصدر [يوم الجمل] وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [صبراً] .
(٢) في المصدر [القوم] وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد هكذا كما في المتن.
(٣) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [بيننا] .
(٤) هكذا في شرح نهج البلاغة لابن أبي وفي المصدر [أتأمرنا] .
(٥) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [ولقياه].
(٦) هذا البيت لم يرد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

سوى عمرو وقته خصيتاه / نجا ولقلبه منه وجيب
كأنّ القوم لما عاينوه / خلال النّقع ليس لهم قلوب
لَعمر أبي معاوية بن حرب / وما ظنّي ستلحقه[١] العيوب
لقد ناداه في الهيجا عليّ / فاسمعه ولكن لا يجيب

فغضب عمرو وقال: إنْ كان الوليد صادقاً فليلق عليّاً، أو ليقف حيث يسمع صوته.

وقال عمرو:

يُذكّرني الوليد دُعَا عليّ / ونطق[٢] المرء يملوه الوعيد
متى تذكر مشاهده قريش / يطر من خوفه القلب الشديد
فأمّا في اللقاء فأين منه / معاوية بن حرب والوليد
وعيّرني الوليد لقاء ليثٍ / إذا ما شدّ[٣] هابته الأُسود
لقيت ولست أجهله عليّاً / وقد بلت من العلق اللُّبود[٤]
فأطعنه ويطعنني خلاساً / وما ذا بعد طعنته أُريد
فرمها منه يا ابن أبي معيط / وأنت الفارس البطل النجيد
فأقسم لو سمعت ندا عليّ / لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لاقيته شُقّت جيوب / عليك ولُطِّمت فيك الخدود[٥]

وروى الواقدي: إنّ معاوية قال يوماً بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن

---

(١) في المصدر [بملحقة].
(٢) في المصدر [وبطن].
(٣) في المصدر [زأر].
(٤) في المصدر [الكبودُ].
(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤١٧ ـ ٤١٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/٣١٤ ـ ٣١٦ وفيهما اختلاف يسير.

العاص : يا أباعبد الله لا أراك إلّا ويغلبني الضّحك؛ قال : بماذا؟ قال : أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفّين فأذريت[١] نفسك فرقاً من شبا سنانه، وكشفت سوأتك له .

فقال عمرو: أنا منك أشدّ ضحكاً إنّي لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سَحْرك، ورَبا لسانك في فمك، وغصصت بريقك، وارتعدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك.

فقال معاوية : لم يكن هذاكلّه وكيف يكون ودوني عك والأشعرون؟

قال : إنك لتعلم أنّ الذي وصفت دون الذي أصابك، وقد نزل ذلك بك ، ودونك عك والأشعرون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب؟

قال : يا أباعبد الله خض بنا الهزل إلى الجدّ إنّ الجبن والفرار من عليّ لا عار على أحدٍ فيهما[٢].

مخادعة معاوية للأشعث

ودعا معاوية أخاه عتبة بن أبي سفيان. وكان لا يطاق لسانه فقال : إلق الأشعث بن قيس فإنّه إن رضي رَضيَتْ العامّة .

فلقيه فقال : إنّ معاوية لوكان لاقياً رجلاً غير عليّ للقيك، إنّك رأس أهل العراق، وسيّد أهل اليمن. وقد سلف من عثمان إليك ما سلف من الصّهر والعمل ، ولست كأصحابك. أما الأشتر فقتل عثمان، وأما عديّ فحرّض عليه، وأما سعيد فقلّد عليّاً دينه[٣]، وأما شُريح وزحر بن قيس فلا يعرفان غير

---

(١) في المصدر [ما ذريت] .

(٢) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٧/٦ .

(٣) في المصدر [ديته] .

الهوى ، وإنّك حاميت عن أهل العراق تكرّماً، وحاربت أهل الشام حميّة، وقد بلغنا والله منك وبلغت منّا ما أردت . وإنا لا ندعوك إلى ترك عليّ ونصر معاوية، ولكنا ندعوك إلى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا .

فقال الأشعث : أما قولك : إنّ معاوية لا يلقى إلّا علياً فإن لقيني لما عظم عنّي ولا صغرت عنه؛ فإن أحبّ أن أجمع بينه وبين عليّ فعلت . وأما قولك: إني رأس أهل العراق، وسيّد أهل اليمن فإنّ الرأس المتّبع والسيّد المُطاع هو عليّ بن أبي طالب. وأما ما سلف من عثمان إليّ فوالله ما زادني صهره شرفاً، ولا عمله عزاً، وأما عيبك أصحابي فإن هذا لا يُقرّبك منّي ولا يبعّدني عنهم . وأما محاماتي عن أهل العراق فمن نزل بيتاً حماه، وأما البقيّة فلستم بأحوج إليها منّا وسنرى رأينا فيها .

فلمّا بلغ معاوية كلام الأشعث قال : يا عتبة، لا تلقه بعدها ؛ فإنّ الرجل عظيم عند نفسه ، وإن كان قد جنح للسّلم .

وشاع في أهل العراق ما دار بين عتبة والأشعث فقال النجاشي يمدح الأشعث:

يا ابن قيس وحارث ويزيد ... أنت والله رأس أهل العراق
أنت والله حيّة تنفث السمّ ... قليلٌ منها[1] غناء الرّاقي
أنت كالشمس والرجال نجوم ... لا يُرى ضوؤها مع الإشراق
قد حميت العراق بالأسل السُّمر ... وبالبيض كالبروق الرقاقِ
وأجبناك إذ دعوت إلى الشام ... على القب كالسحوق العتاق
وسعرنا[2] القتال في الشّام ... بالبيض المواضي وبالرّماح الدقاق

(١) في المصدر [فيها].
(٢) في المصدر [وسعرت].

وأدرنـــا كـــأس المـــنية فـــي الفتنة بـالضرب والطعان الدّفـاق[١]
كـلّما قـلت قـد تـصرّمت الهـيجاء ســـقيتها[٢] بكـــأسٍ دهـــاق
أنت حـــلو لمـــن تـقرّب بـالودّ وللشـــامتين[٣] مُـــرّ المَـــذاق
بـئس مـا ظـنّه ابـن هـند ومـن مـثلك للنّاس عـند ضـيق الخـناق[٤]

مخادعة معاوية لابن عبّاس

فلمّا أيس معاوية من جهة الأشعث قال لعمروبن العاص: إن رأس النّاس بعد عليّ هو عبد الله بن عبّاس، فلو ألقيت إليه كتاباً لعلّك ترقّقه[٥] به؛ فإنه إن قال شيئاً لم يخرج عليّ منه، وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل العراق إلّا بهلاك أهل الشام. فقال له عمرو : إنّ ابن عبّاس لا يُخدع، ولو طمعت فيه طمعت في عليّ .

فقال معاوية: عليّ ذلك فاكتب إليه. فكتب إليه عمرو: «أما بعد فإنّ الذي نحن وانتم فيه ليس بأوّل أمر قاده البلاء، وأنت رأس هـذا الجـمع بـعد عـليّ فانظر فيما بقي وَدَعْ ما مضى ، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياءً ولا صبراً . واعلموا أنّ الشام لا تملك إلّا بـهلاك العـراق وأن العـراق لا تـملك إلّا بهلاك الشام . وما خيرنا بعد هلاك اعدادنـا مـنكم ، ومـا خـيركم بـعد هـلاك أعدادكم منّا .

---

(١) في المصدر:
[لا نَـــرىٰ غـــير أذرُعٍ وأكـــف ورؤوس بـــــهامِها، فـــلاقِ]
(٢) في المصدر [سُقّيتهم].
(٣) في المصدر [للشانئين] .
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٨ ـ ٤١٠ .
(٥) في المصدر [ترقّقه].

ولسنا نقول ليت الحرب عادت[١] ولكنا نقول ليتها لم تكن ، وإنّ فينا من يكره القتال كما أنّ فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع أو مأمور مطيع أو مؤتمن مشاور ، وهو أنت» .

وكتب في أسفل الكتاب :

«طال البلاء وما يرجى له آسٍ بعد الإله سوى رفق ابن عبّاس
يا ابن الذي زمزمٌ سقياً الحجيج له أعظم بذلك من فخر على النّاس
انظر فدى لك نفسي قبل قاصمة للظّهر ليس لها راق ولا آسي
إني أرى الخير في سلم الشام لكم والله يعلم، ما بالسّلم من باس
فيها التّقى وأُمور ليس يجهلها إلّا الجهول وما النّوكي كأكياس»

فأتى ابن عبّاس بالكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فضحك وقال : «**قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بك يا ابن عبّاس، أجبه وليردّ عليه شعره الفضل بن العبّاس فإنّه شاعر**».

فكتب ابن عبّاس إلى عمرو: «أما بعد فإنّي لا أعلم رجلاً من العرب أقلّ حياء منك، إنه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بالثّمن اليسير، ثمّ خبطت بالنّاس في عشوة طمعاً في الملك، فلمّا لم ترَ شيئاً أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع، فإن كنت ترضي الله بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك .

وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعليّ، ابتدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السّرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام بايع أهل العراق عليّاً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه، وليس أنا وأنت فيها بسواء أردت الله وأردت أنت مصر. فإن ترد

(١) في المصدر [غارت].

شرّاً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه».

ثمّ قال لأخيه الفضل : يا ابن أُمّ أجب عمراً.فقال الفضل :

«يا عمرو حسبك من خدع ووسواس فاذهب فليس لداء الجهل من آسي
إلا تواتر طعن في نحوركم يشجي النُّفوس ويشفي نخوة الراس
هذا الدواء الذي يشفي جماعتكم حتّى تطيعوا عليّاً وابن عبّاس
أمّا عليّ فإنّ الله فضّله بفضل ذي شرف عالٍ على النّاس
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيّسةً او تبعثوها فإنّا غير أنكاس
قد كان منّا ومنكم في عجاجتها ما لا يردّ وكلّ عرضة الباس
قتلى العِراقِ بقتلىٰ الشّام ذاهبةٌ هذا بهذا وما بالحقّ من باسِ
لا بارَكَ اللهُ في مصرٍ [فقد]* جلَبَتْ شَرّاً وحظُّك منها حُسْوَةُ الكَأسِ»

ثمّ عرضَ الشِّعر والكتاب على عليٍّ عليه السلام فقال: «**لا أراه يُجيبُك بشيءٍ بعدَها أبداً إن كانَ يعقل، ولعلّه يعودُ فتعودَ عليه**».

فلمّا انتهى الكتاب إلى عمرو أتى به معاوية فقال: أنت دعوتني إلى هذا، ماكان أغناني وإياك عن بني عبد المطلب!

فقال: إنَّ قلب ابن عبّاس وقلب عليٍّ قلبٌ واحد، وكلاهما ولدا عبدالمطلب، وان كان قد خشُن فقد لان، وإن كان قد تَعَظَّمَ وعظّم صاحبه فلقد قاربَ وجنح إلى السّلم.

وكان معاويّة يكاتب ابن عبّاس فيُجيبُه بقولٍ لينٍ، وذلك قبل أنْ تعظم الحرب، فلمّا قُتل أهل الشّام قال معاوية: إنّ ابن عبّاس رجلُ قريش، وأنا كاتبٌ له في عداوةِ بني هاشم لنا وأخوّفهُ عواقبَ هذه الحرب لعلّه يكفُّ عنّا.

(*) في المصدر [لقد].

فَكَتَبَ إليه: «أما بعد فإنّكم يا معشر بني هاشم لستمْ إلىٰ أحدٍ أسرع بالمساءة منكم إلى أنصار عثمان حتّى إنّكم قَتَلْتُم طلحةَ والزبير لطلبهما دمه، فإن يَكُن ذلك كراهة لسُلطانِ بني أُميّة فقد وَلِيها عديّ وتيم، وأظهرتهم لهمُ الطاعة، وقد أكلت هذه الحروب بعضها من بعضٍ حتّى استوينا فيها، فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم، وما آيسكم مِنا آيسنا مِنكم.

ولستم بملاقينا اليوم بأحدَّ من حدِّ أمس، ولا غداً بأحَدَّ من حَدِّ اليومَ، وقد قَنعنا بما كان في أيدينا من مُلك الشام فاقنعوا بما في أيديكم من مُلكِ العراق، وأبقُوا على قريشٍ؛ فإنما بَقي من رجالها ستة: رجلان بالشّام، أنا وعمرو، ورجلان بالعراق أنتَ وعليّ، ورجلان بالحجاز، سعد وابن عُمر، واثنان من الستة ناصبان لك، واثنان واقفان وأنت على رأس هذا الجمع اليوم ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع».

فلمّا انتهى الكتاب إلى ابن عبّاس أسخطه ثمّ قال: حتّى متى يخطب إليّ عقلي، وحتّى متى أجمجم على ما في نفسي؟! فكتب إليه:

«أما ما ذكرت من سرعتنا بالمَساءة في أنصار ابن عفّان، وكراهتنا لسلطان بني أُميّة، فلعمري لقد أدركتَ في عثمان حاجَتك حين استنصرك فلم تَنصره، حتّى صرت إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمِّك وأخو عثمان الوليد بن عُقبة.

وأما طلحة والزبير فنقضا البيعة وطلبا الملك، فقاتلناهما على النَّكث وقاتلناك على البغي.

وأما قولك إنّه لم يبقَ من قريشٍ غير ستة، فما أكثر رجالها وأحسن بقِيّتها، قد قاتلك من خيارها من قاتَلك ولم يخذلنا إلا من خذلك.

وقد بقي لكَ منّا يومٌ يُنسيكَ ما قبلَه ويُخافُ ما بَعده.

وأما قولك إنه لو بايَع النّاسُ لي لاستَقامتْ لي فقد بايَع النّاس عليّاً وهو خيرٌ مني فلم يَستَقيموا له.

وما أنت يا معاوية والخلافة، وأنت طليق وابن طليق؟!».

فلمّا انتهى الكتاب إلى معاوية قال: هذا عَملي بنفسي. واللهِ لا أكتُب إليه كتاباً سنة. وقال معاوية في ذلك:

دعوتُ ابنَ عبّاسٍ إلى [جل][1] خُطّةٍ وكان امرأً أُهدي إليه رسائلي
فأخلَفَ ظنّي والحوادثُ جَمّة وما زاد أنْ أغلى عليه مراجلي
فأبرِقْ وأرعِدْ ما استطعتَ فإنّني إليك بما يُشجيكَ سَبطُ الأناملِ

فقال الفضل بن عبّاس يجيبه على ذلك:

ألا يا ابن هندٍ انني غيرُ غافِلِ وإنّك ما تسعى له غيرُ نائلِ
وأيقنتَ أنّا أهلُ حقٍّ وإنّما دعوتَ لأمرٍ كانَ أبطلَ باطلِ
دعوتَ ابنَ عبّاسٍ إلى السّلمِ خُدعةً وليس لها حتّى تدينَ [بسائل][2]
فلا سِلمَ حتّى تُشجَرَ الخَيلُ بالقنا وتُضرَبَ هاماتُ الرّجالِ الأماثل
وآليتَ: لا [تُهدى][3] إليه رسالةً إلى أن يَحول الحولُ من رأسِ قابلِ
أردتَ به قَطعَ الجوابِ وإنّما رَماك فلم يُخطئ بنات المقاتلِ
وقلتَ له لو بايعوكَ تبِعتَهم فهذا عليٌّ خيرُ حافٍ وناعلِ
وصيُّ رسولِ اللهِ من دون أهلِهِ وفارسُه إن قيل: هَل من مُنازلِ

فعرض شعره على عليّ فقال:

«أنت أشعرُ قريش». فضربَ بها النّاس إلى معاوية[4].

---

(١) في المصدر [حَذ].

(٢) في المصدر [بقابلِ].

(٣) في المصدر [أهدي].

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤١٠ ـ ٤١٧.

مقاتلة عك وهمدان

ولما اشتدَّ القتال أرسل معاوية إلى عمرو أنْ قدِّم عكّاً والأشعرين إلى من بإزائهم.

فبعث عمرو إلى معاوية إنّي أُقدِّم عكّاً إلى همدان.

فأتاهم عمرو فقال: يا معشر عكّ، إن عليّاً قد عَرف أنكم حَي أهل الشام فَعبَّأ لكم، حيَّ أهل العراق همدان، فاصبروا وهِبوا لنا جَماجمكم ساعةً من النهار، فقد بلغ الحقُّ مقطعه.

فقال ابن مسروق العكّي: أمهلوني حتّى آتي معاوية. فأتاه فقال: اجعل لنا فريضة ألفي رجلٍ في ألفين ألفين ومن هلك فابنُ عمّه مكانه؛ لِنقَر اليوم عينك. قال: ذلك لك.

فَرجع ابنُ مسروق إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالت عك: نحن لهمدان. فتقدمت عك إلى همدان[1].

وفي ذلك يقول القائل:

همدانُ همدانٌ وعَكٌّ عَكُّ ستعلمُ اليومَ من الأرَكُّ

وكانت على عكٍّ الدُّروع وليست عليهم رانات[2] [3] فنادى سعيد بن قيس: «يا لهمدان خدِّموا القومَ. أي اضربوا سوقهم ـ والتخديم: ضرب مكان الخدمة، وهي الحجل ـ. فنادى أبو مسروق العكي»: يا لعك بركاُكبر كِ الكمل ثمّ رموا بحجر بين أيديهم وقالوا: «لا نَفرُ حتّى يفرّ هذا الحَكر» ـ وهم

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٣٣ ـ ٤٣٤.

(٢) جمع ران وهو كالخف إلّا أنه لا قدم له وهو أطول من الخف يُحفظ به الساق ـ المؤلف ـ.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٢٩.

يقلبونَ الجيم كافاً ـ.

وفي رواية: أنّ عكّا قيدت أرجلها بالعمائم يوم صفّين حتّى لا تفر[١] فبركوا تحت الحجف وشجروهم بالرماح وتقدّم شيخ من همدان وهو يقول:

يـا لبَكـيل لخْـمُها وحـاشِدُ نفسي فِداكم طاعِنوا وجالدوا
حتّى تـخرَّ مـنكم القـمَاجِدُ وأرجـلٌ تـتبعها سـواعِـدُ
بذاك أوصى جَدُّكـم والوالدُ

وتقدّم رجل من عكّ وهو يقول:

يدعون همدانَ وندعو عَكّـا إنْ خـدَّمَ القـومُ فَـبركاً بـركا
لا تدخلُوا نفسي عليكم شكّا

فألقى القوم الرِّماح وساروا إلى السيوفِ، وتجالدوا حتّى ادركهم الليل، فقالت همدان: يا معشر عكّ، إنا واللهِ لا ننصرف حتّى تنصرفوا.

وقالت عكّ مثل ذلك، فأرسل معاوية إلى عكٍّ: أبرّوا قسمَ القوم.

فانصرفت عكّ، ثمّ انصرفت همدان.

وقال عمرو في ذلك:

إن عكّــا وحــاشدا وبكــيلا كأُســودِ الضِّــرابِ لاقت أُســودا
[وحـبا][٢] القـومُ بـالقنا وتساقَوا بـظُباتِ السـيوفِ مـوتاً عـتيدا
يـعلم اللهُ مـا رأيتُ مـن القـومِ ازورارا ولا رأيتُ صـدودا

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٨.

(٢) في المصدر [وجثا].

غيرَ ضربٍ فوق الطلى وعلى الهامِ   وقَــرْعِ الحـديدِ يـعلو الحـديدا
ولقـد قـال قـائل: خـدِّموا السّوقَ   فـخرَّت هُـناك عكٌ قُـعودا
[كـبراكِ](١) الجِمال أثـقَلها الحِملُ   فـما تَسـتقلّ إلّا وئـيدا

ولما اشترطت عكّ والأشعرون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم، لم يبقَ من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلّا طَمع في معاوية وشخَص بصره إليه، حتّى فشا ذلك في الناسِ، وبلغ عليّاً فساءه.

وجاء المنذر بن أبي حَميضة [الأوزاعي](٢)، وكان فارسَ همدانَ وشاعرهم.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ عكًّا والأشعرين طلبوا إلى معاوية الفرائضَ [والعقار](٣) فأعطاهم، فباعوا الدّين بالدّنيا، وإنا رضينا بالآخرة من الدنيا، وبالعراق من الشامِ، وبكَ من معاوية.

والله لآخرتنا خير من دنياهم، ولعراقنا خيرٌ من شامهم، ولإمامنا أهدى من إمامهم، [فامتحنا بالصبر](٤) واحمِلنا على الموت. وقال:

إن عكًّا سألوا الفَرائِض والأشعَرَ   سألوا جـوائـزا بَـثَنّيه
تـركوا الديـن للعطاء وللفرض   فكـانوا بـذاك شـرَّ البـريَّه
وسألْـنا حُسـنَ الثّواب من اللهِ   وصـبراً عـلى الجـهادِ ونـيّه
فـلكلٍّ مـا سَأله ونـواهُ   كـلنا يـحسب الخِلافَ خـطِّيه
ولأهلُ العراقِ أحسنُ في الحرب   إذا مـا تـدانَت السَّـمهريّه

(١) في المصدر [كُبرك].
(٢) في المصدر [الوادعي].
(٣) في المصدر [والعطاء].
(٤) في المصدر [فاستفتِحنا بالحرب].

ولأهـلُ العـراقِ أحـملُ للثّقل إذا عـــمَّتِ [البـــلاد][1] بـليّه
ليس مـنَّا مَـن لم يكـن فـي الله وليـــاً يـــا ذا الوَلا والوَصـــيه

فقال عليّ عليه السلام: «حسبُك رحمك الله» واثنى عليه خيراً وعلى قـومه وانـتهى شعره إلى معاوية، فقال: والله لأستميلنَّ بالأموال ثقات عليّ، ولأقسمنَّ فـيهم المال حتّى تغلب دُنياي آخرته[2].

حسن بلاء همدان بصفين

ولما أصبحَ الناس غدَوا على مصافهم، ونادى معاوية فـي أحـياء اليـمن فقال: عبُّوا كلّ فارسٍ مذكور فيكم، اتقوا به لهذا الحيّ من همدان.

فخَرجَت خيلٌ عظيمةٌ، فلمّا رآها عليُّ عرف أنَّها عيونُ الرجال فنادى:

يا لهمدان. فأجابه سعيد بن قيس، فقال عليٌ: احمِل. فـحَمل حـتّى خـالطَ الخيلَ بالخيلِ واشتدّ القتال، وحطَّمتهم همدانَ حتّى ألحقوهم بمعاوية.

فقال: ما لقيت من همدان! وجَزع جزعاً شديداً، وأسرع في فُرسان أهل الشام القتلُ، وجمع عليٌّ همدان فقال: «يا معشر هـمدان أنـتم درعـي ورمـحي، يـا همدانَ ما نصرتم إلا الله ولا أجبتم غيره».

فقال سعيد بن قيس: أجبنا الله وأنت، ونصرنا نبي الله صلى الله عليه وآله في قبره، وقاتلنا معك من ليس مثلك، فارمِ بنا حيث أحببت وفي ذلك اليوم، قال عليّ عليه السلام:

«ولو كنتُ بوّاباً على باب جنّةٍ لقـلتُ لهـمدانَ أدخُـلي بسـلامِ

فقال عليّ لصاحب لواء همدان: أكفني أهلَ حِمْص فإني لم ألقَ من أحدٍ ما لقيت منهم».

(١) في المصدر [العباد].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٣٤ ـ ٤٣٦.

فتقدَّم وتقدمت همدان، وشَدّوا شدَّة واحدةً على أهلِ حِمص فَضربوهم ضرباً شديداً متداركاً بالسيوفِ وعمد الحديد، حتّى ألجأوهم إلى قبّة معاوية وارتجز رجل من همدان في أرحب، فقال:

قد قتلَ اللهُ رجالَ حِمْصِ   حرصاً على المالِ وأيَّ حُرصِ
غرّوا بقول كذبٍ وخَرصِ   قد نكصَ القومَ وأيّ نكصِ
عن طاعة الله وفحوى النَّصِ

وحمل أهل حمص ورجلٌ من كندة يَقدمُهم وهو يقول:

قد قتل الله رجال العاليه   حتّى يكونوا [كرجالٍ][1] باليه
من عهدِ عادٍ وثمودَ الثاويه   بالحِجرِ أو يملكهم معاويه

ولما عبَّأ معاوية حُماة الخيل لهمدان فرُدَّت خيلُه أسفَ، فَخرج بسيفه، فَحملت عليه فوارس همدان، ففارقها ركضاً، وانكسر حماةُ أهل الشام ورَجعت همدان إلى مكانها[2].

دعا معاوية مروان وعمراً لقتال الأشتر

ودعا معاوية مروان بن الحكم فقال: إن الأشتر قد غمّني، فاخرج بهذه الخيل في كلاعٍ ويَحْصُب فالقَهُ فقاتل بها. فقال مروان: ادعُ لها عمراً فإنّه شِعارك دون دثارِك. قال: وأنت نفسي دون وريدي.

قال: لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء، أو ألحقتهُ بي في الحرمان،

(١) في المصدر [كرجامٍ].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٣٦ ـ ٤٣٨.

ولكنك أعطيته ما في يديك ومنّيته ما في يَدي غيرك، فإن غَلبت طاب له المقام، وإن غُلبتَ خَف عليه الهرب.

فقال معاوية: يغني الله عنك. قال: أما اليوم فلا. ودعا معاوية عمراً وأمره بالخروج إلى الأشتر فقال: والله إني لا أقول لك كما قال مروان. قال: ولِمَ تقوله وقد قدّمتك وأخّرته، وأدخلتُك وأخرجته.

قال عمرو: أما والله لئن كنت فعلتَ لقد قدّمتني كافياً وأدخلتني ناصحاً. وقد أكثر القومُ عليك في أمر مصر، وإن كان لا يرضيهم إلا أخذُها فَخُذها.

فخرج عمرو في تلك الخيل فلقيه الأشتر أمام الخيل وهو يقول:

يا ليتَ شعري كيف لي بعمرو ذاك الذي أوجبتُ فيه نَذري
ذاك الذي أطلُبه بوتري ذاك الذي فيه شفاءُ صدري
ذاك الذي إن ألقه بعُمري تغلِ به عند اللِّقاءِ قدري
أولا فربِّي عاذري بعُذري

فعرف عمرو أنه الأشتر، فجبن وفشل، واستحيا أن يرجع فأقبل نحو الصوت وهو يقول:

يا ليت شعري كيف لي بمالكِ كم فارس قتلته وفاتكِ
هذا وهذا عُرضةُ المهالكِ(١)

---

(١) في المصدر الأبيات هكذا:

يا ليت شعري كيف لي بمالكِ كم كاهلٍ جَببْته وحاركِ
وفارسٍ قتلتهُ وفاتكِ ونابلٍ فتكته وباتكِ
وفقْد آب بوجهٍ مالكِ هذا وهذا عُرضةُ المَهالكِ

فلمّا غشيه الأشتر بالرمح زاغ عنه عمرو، فطعنه الأشتر في وجهه فلم يصنع شيئاً، وثقل عمرو فأمسك على وجهه، وثنى عنان فرسه ورجع راكضاً إلى المعسكر.

ونادى غلام: من يَحصُب يا عمرو، عليك العَفا، ما هَبّت الصَّبا، يا لحمير، [هاتوا][(١)] اللواء.

فأخذه، وكان غلاماً شاباً وهو يقول:

إن يكُ عمرو قد علاه الأشترُ بأسمرٍ فيه سنانٌ أزهرُ

فذاكَ واللهِ لعَمري مفخَرُ يا عمرو يكفيك الطعان حميرُ

واليحصبيُّ بالطِّعانِ أمهرُ دون اللواءِ اليومَ موتٌ أحمرُ

فنادى الأشتر ابنه إبراهيم خذ اللواء، فغلامٌ لغلامٍ. فأخذه إبراهيم وتقدّم وهو يقول:

يا أيّها السائل عني لا تُرعْ أقدِم فإني من عَرانينِ النَّخعْ

كيف ترى طعنَ العراقيِّ الجَذَعْ أطيرُ في يومِ الوغى ولا أقعْ

ما ساءكم سَرَّ وما ضَرَّ نفعْ أعددتُ ذا اليومَ لهول المطّلَعْ

وحمل على الحميري فالتقاه الحميري بلوائه ورمحه، ولم يبرحا يَطعنُ كلّ واحد منهما صاحبه حتّى سقط الحميري قتيلاً، وشمِتَ مروان بعمرو، وغضِب القحطانيون على معاوية.

وقالوا: تولي علينا من لا يقاتل معنا؟! [ولا][(٢)] رجلاً منا وإلا فلا حاجة لنا فيك. فقال لهم معاوية: لا أُولّي عليكم بعد موقفي هذا إلا رجلاً منكم[(٣)].

---

(١) في المصدر [أبلغوني].

(٢) في المصدر [أولِّ].

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٣٩ ـ ٤٤٢.

ولما أسرع أهل العراق في أهل الشام قال معاوية: هذا يوم تمحيصٍ إنَّ القوم قد أسرع فيهم كما أسرعَ فيكم، فاصبروا وكونوا كراماً.

وحرّض عليّ أصحابه فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين إنك جعلتني على شرطة الخميس وقدّمتني في الثقة دون الناس، أو [فقدّمني في البقية من الناس](١) فإنّك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً.

أما أهل الشام فقد [هدّهم ما](٢) أصبنا منهم وأما نحن ففينا بعض البقيَّة، إئذن لي فأتقدّم قال: «تقدّم باسم الله والبركة» فتقدّمَ وأخذ الراية ومضى بها، ورجع وقد خضبَ سيفه ورمحه، [دماء](٣) وكان شيخاً ناسكاً عابداً، وكان من ذخائرِ عليّ وممن بايعه على الموتِ، وكان من فرسان أهل العراق، وكان عليّ عليه السلام يضنُّ به على الحرب والقتال.

وكانوا قد ثقلوا عن البراز حين عضتهم الحرب فقال الأشتر: يا أهل العراق أما من رجل يشرى نفسه لله؟(٤).

تبارز الأب وابنه

فخرج أُثال بن حَجْل فنادى بين العسكرين: هل من مبارز؟

فدعا معاوية حَجْلاً فقال: دونكَ الرجل. وكانا مستبصرَين في رأيهما فبرز كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه فبدره الشيخ بطعنةٍ فَطعنه الغلامُ، وانتمى فإذا

---

(١) في المصدر [يا أمير المؤمنين، قدّمني في البقيّة من الناس].

(٢) ليست في المصدر.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

هو إبنه، فنزلا فاعتنق كلّ واحدٍ منهما صاحبه وبكيا، فقال له الأب: [اني][(١)] أُثال هلّم إلى الدنيا. فقال له الغلام يا أبة هلّم إلى الآخرة، والله يا أبة لو كان من رأيي الإنصراف إلى أهل الشام لوجب عليك أن يكون من رأيك لي أن تنهاني. واسوأتاه ماذا أقول لعليّ وللمؤمنين الصالحين؟!كن على ما أنت عليه وأنا أكون على ما أنا عليه. وانصرف حَجْل إلى أهل الشام، وانصرف أُثال إلى أهل العراق فخبَّر كلُّ واحدٍ منهما أصحابه.

وقال في ذلك حَجْل:

إنّ حَجْل بنَ عامرٍ وأُثالاً أصبحا يُضرَبانِ في الأمثالِ
أقبل الفارسُ المدجَّج في النَّقْعِ أُثالُ يدعو يُريد نِزالي
دونَ أهل العراق يخطِرُ كالفَحْلِ على ظهرِ هَيكلٍ ذَيّالِ
فدعاني له ابنُ هندٍ وما زالَ قليلاً في صحبِهِ أمثالي
فتناولتُه ببادرة الرُّمحِ وأهوي بأسمرٍ عسّالِ
فأطّعنّا وذاك مِنْ حَدَثِ الدَّهرِ عَظِيمٌ فَتىً لشَيخ بجالِ
شاجِراً بالقناةِ صدرَ أبيه وعَظيمٌ عَلَيَّ طَعنُ أُثالِ
لا أبالي حين اعترضتُ أثالاً وأثالُ كذاكَ لَيسَ يُبالي
فافترقْنَا عَلى السَّلامة والنَّفسُ يَقيها مُؤخِّرُ الآجالِ
لا يراني علىٰ الهُدىٰ وأراه من [هدانا][(٢)] على سَبيلِ ضَلالِ

فلمّا انتهىٰ شعره إلى أهلِ العراقِ قال ابنه أُثال مجيباً له وكان مجتهداً مستبصراً:

(١) في المصدر [أي].
(٢) في المصدر [هُدىً].

إنّ طـعني وسْطَ العـجاجة حَـجْلاً لم يكـنُ فـي الذي نَـويتُ عُـقُوقا
كُـنتُ أرجـو بِـهِ الثّـوابَ مِـنَ الله وكَــوْني مَــعَ النَّــبيِّ رَفــيقا
لَمْ أزَلْ أنصُرُ العِراقَ [منَ][1] الشّـامِ أُرانــــي بِـــفِعلٍ ذاكَ حَـــقيقا
قالَ أهـلُ العِـراقْ إذْ عـظُم الخَـطب وَنَـــــقَّ المُـــبارِزونَ نَـــقيقا
مَــنْ فَــتَىً يــأخُذُ الطَّـريق إلى اللهِ فكُــــنتُ الذي أخـذْتُ الطَّـريقا
حاسرَ الرَّأسِ لا أُريد سِوىٰ الموتِ أرى [الاعـظم الجـليل][2] دَقـيقا
فـإذا فـارس تـقحّم فـي النَّـقْعِ خِـدَباً مـثل السّـحُوق [فنيقا][3]
فـبدَانـي حَـجْلٌ بِـبادِرَةِ الطَّعنِ ومــا كُـــنتُ قَـــبلها مَسْـبُوقا
[فَــتلقيته][4] بــعاليةِ الرُّمْــحِ كِــــلانا يُــطاوِلُ العَــيُوقا
أحــمَدُ اللهَ ذا الجَـلالَةِ والقُـدرَةِ حـــمداً يــزيدُني تَــوفيقا
لَــمْ أَنَـلْ قَـتلهُ بـبادرة الطّـعنةِ مِـنّي وَلَـمْ [اكـن مـفروقا][5]
قُـلتُ للشَّـيخ لستُ أكـفُرُكَ الدَّهْـرَ لطــــيفَ الغِـــذَاءِ والتَّــفْنِيقا
غـير أنّـي أخـافُ أنْ تـدخُل النّـارَ فـلا تَـعصْني وكُــنْ لِـيَ رَفـيقا
وكــذا قــالَ لي، فَـغرَّبَ تَـغْرِيباً وَشَــرَّقْتْ راجِـعاً تَشْـرِيقا)[6]

ذَمّ معاوية للأنصار

ودعا معاوية النعمان بن بشير بن سعد الأنـصاري، ومَسلمة بـن مُخلد

---

(١) في المصدر [عَلىٰ].

(٢) في المصدر: [كلَّ ما يرونَ].

(٣) في المصدر [عتيقا].

(٤) في المصدر [فتلافيته].

(٥) في المصدر: [أنل ثُفروقا].

(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٤٣ ـ ٤٤٥.

الأنصاري، ولم يكن معه من الأنصار غَيرُهما.

فقال: يا هذان، لقد غمَّني ما لقيتُ من الأوس والخزرج، صاروا واضِعي سيوفِهم على عواتقهم يدعُون إلى النِّزالِ، حتّىٰ واللهِ جبَّنوا أصحابي، الشُّجاعَ والجبان، وحتّى واللهِ ما أسال عن فارسٍ من أهلِ الشّام إلّا قالوا: قتله الأنصار.

أمّا واللهِ لألقينَّهم بِحدِّي وحديدي، ولأعيّن لكلِّ فارسٍ منهم فارساً ينشَبُ في حلْقهِ، ثمّ لأرمينَّهُم بأعدادهم من قريشٍ، رجالٌ لم يغْذُهُم التّمر والطَّفَيْشَل(١)، يقولونَ: نحنُ الأنصار، قد والله آوَوا ونَصَروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم.

فغضب النُعمان فقال: يا معاوية لا تلومَنَّ الأنصار بسرعتِهم في الحربِ فإنَّهُم كَذلِكَ كانوا في الجاهلية.

وأمّا دعاؤهم [إلى النزال](٢) فلقد رأيتُهم مع رسول الله ﷺ وأمّا لِقاؤك إيّاهُم في أعدادهم من قريشٍ فقد علمتَ ما لَقيتْ قُريشٌ منهم فإنْ أحببتَ أن تَرىٰ فيهم مِثلَ ذلك آنفاً فافعل.

وأمّا التّمرُ والطَّفَيْشَل فإنَّ التّمر كان لنا، فلمّا أن ذُقتموه شاركتمونا فيه.

وأمّا الطَّفَيْشَل فكان لليهود، فلمَّا أكلناه غَلبناهم عليه، كما غلبتْ قريشٌ علىٰ السَّخينة(٣).

ثمّ تكلّم مسلمة بن مخلّد فقال: يا معاوية! إنّ الأنصار لا تُعابُ أحسابُها

---

(١) الطَّفَيْشَل: كسبيذَع نوع من أنواع المرق. معرب من الفارسية.

(٢) في المصدر [الله].

(٣) السَّخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن وقليل من دقيق وتمر. وكانت قريش تكثر من أكله فعُيرت به وصار لقباً لها قال الشاعر:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها ... وليغلبنّ مغالب الغلّاب

فكما عيّر معاوية الأنصار بالطّفيشل عيّره النعمان بالسخينة.

ولا نَجداتها.

وأمّا غمُّهم إيّاكَ فقد والله غمُّونا، ولو رضينا ما فارقونا وما فارَقْنا جماعتهم، وإنَّ في ذلك لما فيه من مباينة العشيرة، ولكن حملنا ذلك ورجونا منك عِوضَه وأمّا التَّمر والطَّفَيْشَل فإنَّهما يَجرّانِ عليكَ نسبَ السَّخينة والخرنوب[١].

وانتهى الكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصارَ، ثمّ قام خَطيباً فيهم.

فقال: إنّ معاويةَ قد قال ما بَلَغَكُم وأجاب عنكم [صاحبكم][٢]، فَلَعمري لئن غِظتم معاويةَ اليومَ لقد غظتموه بالأمسِ وإن وَترتُمُوه في الإسلام لقد وَترتُمُوه في الشِّركِ، وما لكم إليه مِنْ ذَنبٍ أعظم مِنْ نَصرِ هذا الدِّين الذي أنتم عليهِ، فجِدُّوا اليومَ جدّاً تُنْسُونَه ماكان أمس، وجدُّوا غداً جدّاً تُنْسُونَه ماكان اليوم، فأنتم معَ هذا اللواءِ الذي كان يقاتل عن يمينه جِبرائيل وعن يساره ميكائيلِ، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب.

وأمّا التَّمر فإنّا لَمْ نغرِسْه، ولكن غلبنا عليه مَنْ غرسه، وأمّا الطَّفَيْشَل فلو كان طعامَنا لَسُمِّينا به كما سُمِّيت قريش السَّخينة.

ثمّ قال قيس بن سعد في ذلك شعراً:

يا ابنَ هندٍ دَع التوثّب في الحرب إذا نحن [بالجياد سرينا][٣]

---

(١) الخرنوب: ثمر الشوك الذي يوقد بالعراق شبيه بالكلى لا بالتفاح كما في بعض كُتب اللغة أما الثمر الحلو الذي يتخذ منه الدبس ببلاد الشام فهو الخروب لا الخرنوب وبعض أهل اللغة خلط بينهما وليس بصحيح، والخرنوب يُؤكل في المجاعة وكأن قريشاً كانت تأكله فتُعيّر به.

(٢) في المصدر [صاحباكم].

(٣) في المصدر: [في البلاد نأينا].

نحن من قد [علمت] (١) فاذْن إذا شِئتَ — بِمن شئتَ في العَجاج إلينا
إنْ تشأ فارسٌ له فارس منّا — وإنْ شئتَ باللّفيفِ التقينا(٢)
أيَّ هذين ما أردتَ فَخُذْهُ — لَيس مِنّا وليس مِنكَ الهَوَينا
ثمَّ لا تَنْزَع العُجاجةُ حَتّى — تَنْجَلي حربُنا لنا أو عَلَينا
لَيتَ ما تَطلُبُ الغداةَ أتانا — أنعَمَ اللهُ بالشَّهادَةِ عَيْنا
إنّنا إنّنا الذين [لَدى](٣) الفَتْحَ — شَهِدْنا وخَيبَرَاً وحُنَينا
بعدَ بدر وتلك قاصِمةُ الظَّهرِ — وأحْدٍ وبالنَّضيرِ ثَنَيْنا
يوم الأحزاب [فيه](٤) قد علم النَّاسُ — شَفَينا [من نحوكم](٥) واشتفينا

فلمّا بلغَ شعرُهُ مُعاويةَ دعا عمرو بن العاص فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟ قال: أرى أن تُوعِدَ ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردتَ ذمَّهم ذُمَّ أبدانهم ولا تذمَّ أحسابهم.

قال معاوية: إنَّ خطيبَ الأنصار قيسَ بن سعدٍ يقومُ كلَّ يوم خَطيباً، وهو والله يريد أن يُفنينا غداً إن لَم يحبِسه عنا حابس الفيل فما الرأي ؟

قال : الرأي التوكُّل والصَّبر.

فأرسل مُعاوية إلى رجالٍ مِنَ الأنصار فعاتبهم.

فَمشوا إلى قيس، فقالوا: إنّ معاوية لا يُريدُ شتمنا فكفَّ عن شتيمه.

فقال: إنَّ مِثلي لا يَشتُم، و[لكن](٦) لا أكفُّ عن حربه حتّى ألقى الله.

(١) في المصدر [رأيت].
(٢) هذا البيت لم يرد في المصدر فهو من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٨٦.
(٣) في المصدر [إذا].
(٤) ليست في المصدر.
(٥) في المصدر [من قبلكم].
(٦) في المصدر [لكنّي].

وتحرّكت الخيل غُدوةً فَظنَّ قيسُ بن سعدٍ أنّ فيها معاوية، فحمل على رجُلٍ يشبهه فَقنَّعَه بالسَّيفِ فإذا هُوَ غيرُ معاوية ، وحمل على آخر يشبهه ايضاً فضربه ثمّ انصرَفَ(١).

فلمّا تَحاجَز الفريقانِ شتمه معاوية شتماً قبيحاً، وشتم الأنصار(٢). فغضب النعمان ومسلمة فأرضاهما بعد ما همّا أن ينصرفا إلى قومهما.

ثمّ إنَّ معاوية سأل النُّعمانَ أنْ يخرجَ إلى قيس فيعاتبه ويسأله السَّلم.

فخرج فقال له : يا قيس، ألستمُ معشر الأنصار، تعلمون أنّكم أخطأتم في خَذْل عثمانَ وقَتلتمْ أنصاره يومَ الجمل، وأقحمتم خيولكم على أهل الشّام بصفِّين؟ فلو كنتم إذ خذلتُم عثمانَ خَذَلْتم عليّاً لكانت واحدةٌ بواحدة، ولكنَّكُم خذلتُم حقّاً ونصرتم باطلاً، ثمّ لم ترضوا أنْ تكونوا كالنَّاس حتَّى [أعملتم](٣) في الحربِ ودعوتم إلى البراز، ثمّ لم ينزل بعليّ أمرٌ قطُّ إلاّ هَوَّنتم عليه المُصيبة ووعدتموه الظّفر. وقد أخذتْ الحرب مِنّا ومِنكُم ما قدْ رأيتم. فاتّقوا الله في البقيّة.

فضحك قيس ثمّ قال : ماكنتُ أراك يا نُعمان تجترئ على هذهِ المقالة، إنّه لا يَنصح أخاهُ مَن غشَّ نفسَه ، وأنتَ والله الغاشُّ الضالُّ المُضلُّ ، أمّا ذِكرُكَ عُثمانَ فإن كانت الأخبارُ تَكفيكَ فَخُذْ عَنّي واحدة قتَلَ عثمانَ مَنْ لَستَ خَيراً مِنهُ، وخَذله مَنْ هُوَ خَيرٌ مِنْكَ ، وأمّا أصحابُ الجَمَل فَقاتلناهُم على النَكث. وأمّا مُعاوية فَواللهِ أن لو اجتمعتْ عليه العرب لَقاتلته الأنصار. وأمّا قولك إنّا لسنا كالناس، فَنحنُ في هذهِ الحرب كما كنّا مع رسول الله ﷺ نتّقي السيوف

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٤٥ ـ ٤٤٨ .

(٢) هذه العبارة لم ترد في المصدر. فهي مأخوذة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٨٧.

(٣) في المصدر [أعلمتم] .

بوجوهنا والرّماحِ بنحورنا، حتّى جاءَ الحقُّ وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نُعمان هل ترىٰ مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور.

أين المهاجرون والأنصار والتّابعون بإحسان، الذين رضي الله عنهم، ثمّ هل تَرى مع معاوية غيركَ وصُويحبك ولستما والله بِبدريّين ولا أُحديّين، ولا لكما سابقةٌ في الإسلام ولا آيةٌ في القرآن ، ولَعمري لئن شَغَبتَ علينا لقد شغب علينا أبوك. ـ يشير إلى ما فعله أبوه يوم السقيفة ـ . وقال قيس في ذلك :

والراقصاتِ بكلِّ أشعثَ أغبرٍ ... خُوصِ العيونِ تحثّها الرُّكبانُ
ما ابن المخلَّدِ ناسياً أسيافنا ... [عمّن](١) نحاربهُ ولا النُعمانُ
تركا [العيان](٢) وفي العيان كفايةٌ ... لَو كانَ ينفعُ صاحبيه عيانٌ(٣)

قالَ نصر : كان فارسُ أهل الكوفة الذي لا ينازع العكبر بن جُدير الأسدي وفارسُ أهل الشّام الذي لا ينازع عوف بن مَجْزأة المُرادي المُكنّىٰ أبا أحمر ، وهو أبو الذي استنقذ الحَجّاج بن يوسف يومَ صُرِعَ في المسجد بمكّة.

وكان العكبر له عبادة ولسانٌ لا يُطاق ، فقامَ إلى عليّ عليه السلام وقال: يا أميرالمؤمنين إن في أيدينا عهداً مِنَ الله لا نحتاج فيه إلى النّاس، وقد ظننّا بأهل الشّام الصبر وظنّوا بنا فصبرنا وصبروا، وقد عَجِبْتُ مِنْ صبرِ أهل الدنيا لأهل الآخرة.

---

(١) في المصدر [في مَنْ].
(٢) في المصدر [البيان].
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٤٨ ـ ٤٥٠ .

ثمّ قرأت آية من كتاب الله فعلمت أنّهم مفتونون[١]: ﴿آلم* أحسب النّاسُ أنْ يُترَكُوا أنْ يقولوا آمنّا وَهُم لا يُفتَنونَ﴾[٢] الآية، فأثنى عليهِ عليّ خيراً، وقال له خيراً.

وخرجَ النّاس إلى مصافّهم وخَرَجَ المُراديّ نادراً من النّاس، وكذلكَ كان يصنع.

وقدكان قَتلَ قبلَ ذلك نفراً مُبارزة، فنادى: يا أهل العراق هل من رجلٍ عصاهُ سيفُهُ يُبارزُني؛ ولا أغرّكم من نفسي، فأنا فارسٌ [رؤوف][٣].

فصاحَ النّاس بالعكبر فخرج إليه منقطعاً من أصحابه والنّاس وُقوف والمرادي يقول:

بالشّام أمنٌ ليس فيهِ خوف — بالشّام عدلٌ ليس فيهِ حيف
أنا المرادي ورَهطي [روف][٤] — أنا ابن مَجزأةٍ وإسمي عوف
هل من عراقي عَصاهُ سَيف يبرزُ — لي وكيف لي وكيف

فبرز إليه العكبر وهو يقول:

الشّام مَحلٌ والعراقُ تُمطَرُ — بِها الإمامُ والإمامُ مُعذِرُ
أنا العراقيُّ وإسمي العكبرُ — ابن جَدير وأبوه المنذرُ
أدن فإنّي للكمي مُصحِرُ

فأطّعنا فصرعَهُ العَكبرُ فقتله، ومعاويةُ علىٰ التّلِ في [جماعة][٥]، فوجّهَ

(١) هذه العبارة من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٨٩ والذي في المصدر هكذا [ثمّ نظرت فإذا أعجب ما يعجبني جهلي بآيةٍ من كتاب الله].
(٢) العنكبوت: ١ ـ ٢.
(٣) في المصدر [زَوْف].
(٤) في المصدر [زَوْف].
(٥) في المصدر [أناس من قريش ونفر من الناس قليل].

العَكبرُ فَرسهُ فَملأ فروجَهُ رَكضاً يضربُهُ بالسَّوطِ، مُسرعاً نحوَ التَّلِ فَنَظرَ إليهِ معاوية فقال: إنّ هذا الرجلَ مغلوبٌ على عقله أو مُستإمن إسألُوه.

فأتاه رجلٌ وهو في [حمو][١] فرسِه فناداه فلم يجبه، فمضىٰ حتّى انتهى إلى معاوية وجعل يطعن في أعراض الخيل، ورجا العكبر أن يفردوا له معاوية، فَقتل رجالاً وقام القومُ دون معاوية بالسّيوف والرّماح، فلمّا لم يصل إليه، نادىٰ: أولىٰ لك يا ابن هند وأنا الغلامُ الأسدي. ورجعَ إلى عليّ فقال له: «ما دعاك إلى ما صنعت يا عكبر؟» قال: أردت غرّة ابن هندٍ، وكان شاعراً فقال:

قتلتُ المرادي الّذي جاءَ باغياً ينادي وقد ثارَ العَجاجُ
نزالِ يقولُ أنا عوف بن مَجزةَوالمنىٰ لِقاءُ ابنِ مجزةٍ بيوم قتالِ
فقلتُ لَهُ لمّا علا القومَ صوتهُ [بليت][٢] بِمشبوحِ[اليدينِ][٣]طِوالِ
فأوجرتُهُ في مُعظم النقعِ صَعدةً ملأتُ بِها رُعباً قُلوبَ رجالِ
وقدَّمتُ مُهري راكضاً نحو صفّهم أعرقهُ في جريهِ بشمالي[٤]
أُريدُ به التلَّ الذي فوق رأسه معاويةُ الجاني لكلِّ خبالِ
فلمّا رأوني أصدقُ الطّعنَ فيهمُ جلا عنهمُ رجمَ الغيوبِ فِعالي
فقامَ رجالٌ دونهُ بِسيوفهم وقامَ رِجالٌ دونهُ بِعوالي
فلو نلتُهُ نلتُ التي ليس بعدَها من الأمر شيءٌ غيرُ قيلَ وقالِ

(١) في المصدر [حَمْيِ].
(٢) في المصدر [مُنِتَ].
(٣) في المصدر [الذّراع].
(٤) البيت في المصدر هكذا:
[فقدّمتُ مُهري آخِذاً حدَّ جَريهِ فاضربهُ في حومَةٍ بشمالي].

ولَو متُّ في نيلِ المُنىٰ ألفَ ميتةٍ   لقلتُ إذا ما متُّ لستُ أُبالي

وانكسرَ أهل الشّام لقتل المرادي وهَدَرَ معاوية دمَ العكبر، فقال العكبر: يدُ الله فوق يد معاوية فأين دفاعُ الله عنِ المؤمنين؟!(١).

قال نصر: وكانت طلائعُ أهل الشّام وأهل العراق يلتقون فيما بينَ ذلك ويتناشدونَ الأشعار، ويفخر بعضهم علىٰ بعضٍ ويُحدِّث بعضهم بعضاً على أمان، فالتقوا يوماً وفيهم النجاشي، فتذاكروا رَجراجةَ عليّ وخُضريّة معاوية، فالأُولىٰ أربعة آلاف مجفّف من هَمدان مَعَ سعيد بن قيس الهَمداني عليهم البيض والسّلاح والدّروع ـ والرَجراجةَ الكتيبة التي تموج من كثرتها أو تمخض في سيرها ـ ولا تكاد تسير لكثرتها والثانية أربعة آلاف مع عُبيدالله ابن عمر عليهم ثياب خُضر أو معلّمون بالخُضْرة وتُسمّىٰ الرّقطاء أيضاً كما مرَّ، فافتخر كلّ قوم بكتيبتهم وقالوا في ذلك الأشعار(٢).

قال نصر: وجزع أهل الشّام على قتلاهم جزعاً شديداً فقال معاوية بن خديج: يا أهل الشام، قبّح الله مُلْكاً يملكهُ المرءُ بعد حوشب وذي الكِلاع، فقال معاوية: يا أهل الشّام ما جعلكُم الله أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم، فوالله ما ذوالكلاع فيكم بأعظم من عمّار بن ياسر فيهم، ولا حوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم، وما عُبيدالله بن عمر فيكم بأعظم من ابن بُديل فيهم، وما الرجال إلّا أشباه، فأبشروا فإنّ الله قد قتلَ من القوم عمّار بن ياسر وهو فتاهُم، وهاشماً وكان جمرتهم، وابن بُديل وهو فاعلِ الأفاعيل وبقي الأشعث والأشتر وعَدِيّ بن حاتم، فأمّا الأشعث فإنّما حمى

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٥٠ ـ ٤٥٢.

(٢) المصدر السابق: ٤٥٣ بتلخيص واختصار نقلها المصنّف.

عنه مصره وأمّا الأشتر وعَدِيّ فغضبا للفتنة والله قاتلهما غداً.

فقال ابن خُديج : إن يكن الرجال عندكَ أشباهاً فليست عندنا كذلك، وغضب[١] ابن خديج[٢].

وروىٰ نصر (عن عمر بن سعد عن عبد الرحمن بن عبدالله أنّ عبد الله بن كعب قتل يوم صفّين، فمرَّ به الأسود بن قيس بآخر رمقٍ فقال: عزَّ عليَّ واللهِ مصرعُك. أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولو [أعرف][٣] الذي أشعر ك[٤] لأحببتُ أن لا يزايلني حتّى أقتله أو يُلحقني بك.

ثمّ نزل إليه فقال: والله إن كانَ جارُكَ ليأمن بوائقك وإن كنت لَمِنَ الذّاكرين الله كثيراً. أوصني رحمك الله. قال: أُوصيك بتقوىٰ الله، وأن تُناصح أمير المؤمنين، وأن تقاتل معهُ المُحلّين حتّى يظهر الحقُّ أو تلحق بالله. وأبلغه عنّي السَّلام وقل له: قاتل على المعركة حتّى تجعلها خلف ظهرك؛ فإنّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب.

ثمّ لم يلبث أن مات فأقبل الأسود إلى عليّ فأخبره فقال: «رحمه الله جاهد معنا عدوّنا في الحياة ونصح لنا في الوفاة»[٥].

وروىٰ نصر أن معاوية جمع كلّ قرشي بالشّام فقال : العَجَبُ يا معشر قريش أنّه ليس لأحدٍ مِنكم في هذه الحرب فعال يطول به لسانه ما عدا عمراً فما بالكُم أين حميّة قريش؟!

---

(١) في المصدر زيادة [معاوية من].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٥٥ بتصريف بالألفاظ.

(٣) في المصدر [رأيت].

(٤) كأنه من أشعر البدنة إذا جرحها في سنامها.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

فغضبَ الوليد بن عقبة وقال : وأيَّ فِعالٍ تُريد؟ واللهِ ما نعرفُ في أكفائنا من قريش العراق مَن [يُغني][(١)] عنّا باللّسان ولا باليد.

فقال معاوية : بل إنّ أولئك وَقوا عليّاً بأنفسِهم. قال الوليد :كلاّ بَل وقاهم عليّ بنفسه ، قال ويحكُم! أما منكم مَن يقومُ لِقرنه منهم مبارزةً أو مُفاخرة؟

فقال مروان: أمّا البراز فإنَّ عليّاً لا يأذن لحسن ولا لحُسين ولا لمحمّد بَنيه فيه، ولا لابن عبّاس وإخوته ويُصلّي بالحرب دُونهم، فلأيّهم نبارز؟!

وأمّا المفاخرة فبماذا نفاخرهم أبالإسلام أم بالجاهلية؟ فإن كان بالإسلام فالفخر لهم بالنبوّة ، وإن كان بالجاهليّة فالملك فيه لليَمَن. فإن قلنا قريش قالت العرب: فأقَروا لبني عبد المطلب[(٢)].

ما جرى بين عُتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة

فقال عُتبة بن أبي سفيان: ألهوا عن هذا فإنّي لاقٍ بالغداة جعدةَ بن هبيرة.

فقال معاوية: بَخٍ بَخٍ، قومه بنو مَخزوم وأُمّه أُمّ هاني بنت أبي طالب، وأبوه هبيرة بن أبي وهب، كُفُؤ كريم. ونابذ معاوية الوليد بن عُقبة، فأغلظ له الوليد وظهر العتاب بين عُتبة والقوم حتّى أغلظ لهم وأغلظوا له.

ثمّ ما أمسَوا حتّى اصطلحوا وأرضاهم معاوية مِن نفسه، وَوصلهم بأموالٍ جليلة. وبعث إلى أخيه عتبة: ما أنت صانعٌ في جعدة ؟

قال: ألقاهُ اليومَ وأُقاتلهُ غداً. وكان لجعدةَ في قريشٍ شَرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحبِّ النّاس إلى عليّ.

---

(١) في المصدر [غَناءنا].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

فغدا عليه عُتبة فنادىٰ: يا جعدة يا جعدة! فاستأذن علياً في الخروج إليه فأذن له، فاجتمع النّاس لِكلامهما.

فقال عُتبة: يا جعدة إنّه والله ما أخرجك علينا إلّا حُبُّ خالِك وعمّك ابن أبي سَلمة عامل البحرين، وإنّا والله ما نزعم أنّ معاوية أحقّ بالخلافة من عليّ لولا أمره في عثمان.

ولكن معاوية أحقُّ بالشّام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشّام رجل به [طرف][(١)] إلّا وهو أجدُّ من معاويةَ في القِتال، وما بالعراق من له مثل جِدّ عليّ في [القِتال][(٢)].

ونحن أطوعُ لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما أقبحَ بعليّ أن يكون في قلوب المسلمين أولىٰ النّاس بالنّاسِ، حتّى إذا أصاب سلطاناً أفنىٰ العرب.

فقالَ جعدة : أمّا حُبّي لخالي فوالله لو كان لك خالٌ مثلهُ لَنسيتَ أباك. وأمّا ابن أبي سلمة فلم يُصَب أعظم مِن قدره، والجهاد أحبُّ إليّ من العمل.

وأمّا فضل عليّ على معاوية فهذا ما لا يُختلف فيه. وأمّا رضاك اليوم بالشّام فقد رضيتُم بها أمس.

وأمّا قولك إنّه ليس بالشّام من رجل إلّا وهو أجدُّ من معاوية، وليس بالعراق لرجل مثل جِدِّ عليّ، فهكذا ينبغي أن يكون؛ مضىٰ بعليّ يَقينهُ، وقصَّر بمعاوية شكُّه، وقصد أهل الحقّ خيرٌ من جهد أهل الباطل.

وأمّا قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعليّ فَوالله لا نسأله إنْ سكت ولا نرد عليه إنْ قال.

---

(١) في المصدر [طِرْقُ]، [والطرق بالكسر: القوة].

(٢) في المصدر [الحرب].

وأمّا قتل العرب فإنَّ الله كتبَ القتال فمَن قتله الحقّ فإلىٰ الله .

فغضب عُتبة، وفحش على جعدة فلم يُجبه، وأعرضَ عنه وانصرفا جميعاً مُغضبين.

وجمع عتبة خيله فلم يَستبق منها، وجلَّ أصحابه السّكون والأزد والصَّدِف، وتهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا، وصبر القومُ جميعاً، وباشرَ جعدة القتال بنفسهِ وجَزع عتبة فأسلَمَ خيلَه، وأسرعَ هارباً إلى معاوية فقال له: فَضَحَك جعدة وهَزْمَكَ لا تغسل رأسك منها أبداً. قال عتبة: لا والله لا أعود إلى مثلها أبداً، وقد اعذرتُ، وماكان على أصحابي من عَتَب، ولكنّ الله أبى أن يُديلنَا منهم فما أصنع .

فحظيَ بها جعدة عند عليّ . وقال النجاشي أبياتاً يذكر فيها ذلك[١].

وقال الشني مثلها وذكرناهما في ترجمة جعدة .

قال نصر: وأظهر عليّ عليه السلام أنّه مُصبح غداً معاوية ومناجزه، فبلغ ذلك معاوية.

وفزع أهل الشّام لذلك وانكسروا لقوله. وكان معاوية بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية، وكان مُبغضاً لمعاوية وكان يكتبُ بالأخبار إلى عبد الله بن الطفيل العامري، ويبعث بها إلى عليّ.

فبعث إلى عبد الله بن الطفيل: أنّي قائلٌ شعراً أذعرُ به أهل الشّام و[أذعرُ][٢] به معاوية.

وكان معاوية لا يتّهمه وكان له فضلٌ ونجدةٌ ولسانٌ فقال ليلاً ليسمع

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٦٣ ـ ٤٦٥ وفيه تقديم وتأخير.

(٢) في المصدر [أرغم].

أصحابه من أبيات:

ألا ليتَ هذا اللّيلَ [أصبح][(١)] سَرْمَداً   عــلينا وإنّــا لا نَــرىٰ بــعدهُ غَــدا
حــذار عــليّ إنّــهُ غــيرُ مُــخْلِفٍ   مَدىٰ الدّهرِ، ما لَبّىٰ المُـلبّونَ مَـوعِدا
كـأنّي بـه فـي النّـاسِ كـاشِفَ رأسِـهِ   عـلىٰ ظـهرِ خَـوّار الرِّحـالةِ أجـرَدا
يخُوضُ غمار الموت في مَـرجَـحِنَّةٍ   يُـنادونَ فـي نَـقْع العَـجاجِ مُـحمدا
فَـوارِسُ بـدرٍ والنَّـضيرِ وخـيبرٍ   وأُحْـدٍ يُـرَوُّون الصَّـفيح المـهنَّدا
ويوم حُنين [جاهدوا][(٢)] عن نـبيّهم   فـريقاً مِـنَ الأحـزابِ حتّىٰ تـبدَّدا
هـنالكَ لا تـلوى عـجوزٌ عـلى ابـنها   وإن أكثرت في القول نفسي لك الفِدا
فَقُل لابنِ حربٍ: ما الذي أنتَ صانعٌ   أتثبتُ أم ندعوك في الحرب قُعددا
فـلا رأي إلّا تـركُنا الشّـام جـهرةً   وإن أبـرقَ الفَـجْفاجُ فـيها وأرعـدا

فلمّا سَمَع أهل الشّام شعره أتوا به معاوية فهمَّ بقتله، ثمّ راقب فيه قومه وطرده عن الشام فلحق بمصر.

وقال معاوية: والله لَقول السُّلميّ أشدّ على أهل الشّام من لقاء عليّ.

وقال الأشتر حين قال عليّ «إنني مناجز القوم إذا أصبحت».

قد دنـا الفـصْل فـي الصّباحِ وللسّلم   رجـــالٌ وللـــحروبِ رجـــالُ
فَــرجــالُ الحُـروب كـلُّ خـدَبٍ   مُـــقحمٍ لا تـــهدُّه الأهـــوالُ
يـضرب الفـارس المـدجَّج بـالسيف   إذا فُـلَّ فـي الوغـى الأكـفالُ
يـا ابـن هـندٍ شـدَّ الحيازيم للموتِ   ولا تـــذهبن بكَ الآمـــالُ
إنّ فـي الصـبح إن بـقيت لأمـراً   [تـتنادى][(٣)] مـن هـولِهِ الأبـطالُ

(١) في المصدر [أطبَقَ].
(٢) في المصدر [جالدوا].
(٣) في المصدر [تَتَفادىٰ].

فـيه عـزُّ العِـراق أو ظـفرُ الشّـام ... بـــأهل العــراق والزلزال
[فاصبرن][1] للطّعان بـالأسل السُّمرِ ... وضــربٍ تـجري بـه الأمـثالُ
إن تكـونوا قـتلتم النَّـفر البـيضَ ... وغـــالت أولئك الآجـــال
فـلنا مـثلهم وإن عَـظم الخَـطبُ ... قـليلٌ أمـثالهم أبـدال
يـخضبون الوشـيجَ طَـعناً إذا ... [جـرر][2] للـموتِ بـينهم أذيـال
[طلبوا][3] الفوز فـي المـعاد وفـي ذا ... تُسـتهان النـفوس والأمـوال

فلمّا انتهى إلى معاوية شِعر الأشتر قال: شعرٌ منكر من شاعر منكر، رأس أهل العراق وعظيمهم ومِسعر حربهم، وأوّل الفتنة وآخرها[4].

كتاب معاوية إلى عليّ يسأله الشام وجواب عليّ له

وقال معاوية: رأيت أن أكتب إلى عليّ كتاباً أسأله الشام وأُلقي في نفسه الشكَّ و[الرِّقة][5].

فضحك عمروبن العاص، وقال: أين أنت يا معاوية من خدعة عليّ؟! فقال: ألسنا بني عبد مناف؟ قال: بلى، ولكن لهم النبوّة دونك وإن شئت أن تكتب فاكتب. فكتب إليه : أمّا بعد فإنّي أظنّك أن لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا وبكَ ما بلغت وعلمنا، لم يُجنها بعضنا على بعض، وإن كنّا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى، ونُصلح به ما بقي.

---

(١) في المصدر [واصبروا].
(٢) في المصدر [جُرّتْ من الموتِ].
(٣) في المصدر [طَلَبَ].
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٦٨ ـ ٤٧٠.
(٥) في المصدر [الرَّيبَة].

وقد كنت سألتكَ الشّام على أن لا يلزمني لك طاعةٌ ولا بيعة، فأبيت ذلك عليَّ فأعطاني الله ما مَنعتَ، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنّي لا أرجو من البقاء إلّا ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلّا ما تخاف.

وقد والله رَقّتِ الأجناد، وذهبت الرّجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل لا يُستذلُّ به عزيز، ولا يُسترقُّ به حُر والسلام.

فلمّا انتهى كتاب معاوية إلى عليّ قرأه ثمّ قال: «العَجب لمعاوية وكتابه».

ثمّ دعا عُبيدالله بن أبي رافع كاتبه فقال اكتُب: «**أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنّك لو علمت وعلمنا أنّ الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يُجنها بعضنا على بعضٍ. فإنّا وإيّاك منها في غايةٍ لم تبلغها.**

وإني لو قُتلت في ذاتِ اللهِ وحَييتُ، ثمّ قُتلت ثمّ حَييتُ سبعينَ مرة لم أُرجع عن الشدّة في ذاتِ الله والجهادِ لأعداء الله.

وأمّا قولك إنّه قد بقي من عقولنا ما نندمُ به على ما مضى، فإنّي ما نقصت عقلي، ولا ندمت على فعلي.

فأمّا طلبك الشّامَ، فإنّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس.

وأمّا إستواؤنا في الخوف والرجاء، فإنّك لست بأمضى على الشكّ منّي على اليقين، وليس أهل الشّام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة.

وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعضٍ فضل، فلَعمري إنّا بنو أبٍ واحد، ولكن ليس أُميّة كهاشم ولا حربٌ كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطّليق، ولا المحقُّ كالمبطلِ. وفي أيدينا فضلُ النبوّة التي أذللنا بها العزيز، وأعززنا بها الذّليل والسلام».

فلمّا أتى معاوية كتاب عليٍّ كتمهُ عن عمروبن العاص أيّاماً ثمّ دعاه فأقرأه

الكتاب فشمت به عمرو، ولم يكن أحدٌ من قريش أشدَّ تعظيماً لعليٍّ من عمرو منذُ يوم لقيَه وصفحَ عنه.

فقال عمرو فيما كان أشار به على معاوية:

ألا للّهِ درُّكَ يا ابن هندٍ ودَرُّ الآمرين لك الشهودً
أتطمع لا أباً لك في عليٍّ وقد قَرعَ الحديدَ على الحديدِ
وترجو أن تخبّرهُ بشكٍّ وترجو أن يَهابَكَ بالوعيدِ
وقد كشف القناعَ وجرَّ حرباً يَشيبُ لهولِها رأسُ الوليدِ
لهُ جاءوا مظلمةٌ طَحونٌ فوارسها تَلهّب كالأُسودِ
يقولُ لها: إذا دَلَفتْ إليهِ وقد ملّت طِعان القومِ عودي
فإن وردَت فأوّلها وُروداً وإن [صدرت][1] فَلَيسَ بِذي صدْودِ
وما هي من أبي حسنٍ بِنُكرٍ وما هي من مسائِكَ بالبعيدِ
وقلت له مقالة مُستكينٍ ضعيف الرُكن منقطعِ الوريدِ
دعنَّ الشّام حسبك يا ابن هندٍ من السوءاتِ والرأي الزهيدِ
ولو أعطاكها ما ازددت عزّاً ولا لك لو أجابك من مزيدِ
ولم تَكسر بذاك الرأي عُوداً لركّته ولا ما دونَ عودِ

فلمّا بلغ معاوية قول عمرو دعاه، فقال: إنّي أعلم ما أردت بهذا. قال: ما أردت. قال: أردت تفييل رأيي وإعظامَ عليٍّ، وقد فضحك.

فقال: أمّا تفييلي رأيك فقد كان. وأمّا إعظامي عليّاً فإنّك بإعظامه أشدَّ معرفةً منّي، ولكنّك تطويه وأنا أنشره. وأمّا فضيحتي فلم يُفتضح إمرؤ لقي أباحسن[2].

---

(١) في المصدر [صَدَتْ].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٠ ـ ٤٧٣.

ليلة الهَرير

روىٰ نصر بن مزاحم: إنّ علياً عليه السلام غلّس بالناس في صلاة الغداةِ يومَ الثلاثاء عاشر ربيع الأولىٰ سنة (٣٧ هـ)، وقيل عاشر صفر، ثمّ زحف إلى أهل الشّام بعسكر العراق والناس على راياتهم، وزحف إليهم أهل الشّام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين ولكنّها في أهل الشّام أشدُّ نكاية وأعظم وقعاً، فقد ملّوا الحرب وكرهوا القتال، وتَضعضعت أركانهم. فخرج رجلٌ من أهل العراق على فرس كُميت ذَنوبٍ عليهِ السّلاح لا يُرى منه إلّا عيناه، وبيده الرُّمح، فجعل يضربُ رُؤوسَ أصحاب عليّ بالقناة.

وهو يقول: سوّوا صفوفكم. حتّى إذا عدّل الصفوف والرّايات استقبلهم بوجهه وولّى أهل الشّام ظهره، ثمّ حمد الله وأثنى عليه.

ثمّ قال: الحمد للّه الذي جعل فيكم[1] ابن عمِّ [نبيّكم][2] أقدمهم هجرة، وأوّلهم إسلاماً سيف من سيوف الله صبّه على أعدائه. فانظروا [إليَّ][3] إذا حَميَ الوطيسُ وثار القتام و[تكسّرت][4] المُران، وجالت الخيل بالأبطال، فلا أسمع إلّا غمغمةً أو همهمةً.

ثمّ حمل على أهل الشّام وكَسَر فيهم رُمحه ثمّ رجع، فإذا هو الأشتر.

وخرج رجلٌ من أهل الشّام يُنادي بين الصّفين : يا أباحسن، يا عليّ، أبرز إليّ. فخرج إليه عليٌّ حتّى اختُلِفت أعناق دابّتيهما.

(١) في المصدر [قينا].

(٢) في المصدر [نبيّه].

(٣) ليست في المصدر.

(٤) في المصدر [تكسّر].

فقال: يا عليّ، إنَّ لك قدماً في الإسلام وهجرة، فهل لك في أمرٍ أعرضهُ عليكَ يكون فيهِ حَقنُ هذه الدّماء، وتأخيرُ هذه الحروب حتّى تَرى من رأيك؟

فقال له عليّ: وما ذاكَ. قال: ترجع إلى عراقِكَ فنُخلي بينك وبين أهل العراق، ونرجع إلى شامنا فتُخلي بيننا وبين الشّام. فقال له عليّ: **لقد عرفت إنّك إنّما عرضت هذا نصيحةً وشفقةً. ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه، فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما أُنزلَ على محمّد ﷺ.**

إنَّ الله تبارك وتعالى لم يَرضَ من أوليائه أن يُعصى في الأرض وهم سكوتٌ مُذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا يَنهون عن المُنكر، فَوجدت القتالَ أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنّم». فرجع الشاميُّ وهو يسترجع[١] .

ولمّا كان قبل ليلة الهرير بليلة قال أصحاب معاوية: والله ما نبرح العَرَصة حتّى يَفتح الله لنا أو نَموت.

وقال أصحابُ عليّ عليه السلام مثل ذلك فباكروا القتال غداً يوماً من أيّام الشِّعرى طويلاً شديد الحرِّ.

فَتراموا بالنبل حتّى فُنيت نبالهم، ثمّ تطاعنوا بالرّماح حتّى تقصّفتَ واندقّت، ثمّ مَشىٰ بعضهم إلى بعضٍ بالسيوف وقد كَسّروا جُفونَها. وعُمد الحديد، فلم يسمع السامع إلّا تَغمغُم القوم، وتكادُمُ الأفواه وصليلُ السيوف في الهام؛ ووقع الحديد بعضه على بعضٍ لَهو أشدُّ هولاً في صدور الرجال من الصواعق، ومن جِبال تَهامَةَ يدكُّ بعضها بعضا.

وكُسِفت الشمس وثار القتامُ، وضلّت الألوية والرّايات. فاجتلدوا

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٣ ـ ٤٧٥.

بالسّيوف وعُمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف اللّيل، ومرّت مواقيتُ أربع صلوات لم يُسجد للّه فيهنّ سجدة، ولم يصلّوا للّه صلاة إلّا التّكبير.

ثمّ استمرَّ القتالَ من نصف اللّيل إلى ارتفاع الضُحى. وافترقوا على سبعين ألفَ قَتيلٍ في ذلك اليوم وتلك اللّيلة، وهي ليلة الهَرير.

والأشتر في ميمنة الناس، وابن عبّاس في الميسرة، وعليّ في القلب والأشتر في هذا الحال يسير فيما بين المَيمنة والمَيسرة فيأمر كلّ قبيلةٍ أوكتيبةٍ من القُرّاء بالإقدام على التي تليها.

فلم يَزل يفعل ذلك حتّى أصبح والمعركةُ خلف ظهره. ونادت المَشيَخة في تلك الغَمرات: يا معشرَ العرب، الله الله في الحُرُمات، من النّساء والبَنات.

قال جابر: فبكى أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام وهو يحدّثني بهذا الحديث.

وجعل الأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشّام: ازحفوا قَيد رُمحي هذا. فإذا فعلوا قال: ازحفوا قابَ هذا القَوس. فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتّى ملَّ أكثر الناس الإقدام.

ثمّ دعا بفرسهِ وركّز رايته، وكانت مع حيّان بن هُوذة النّخعي.

وأقبل الأشتر على فَرسٍ لهُ كميتٍ مَحذوف، قد وضع مِغفره على قَربُوس السَّرج، وهو يقول: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حَميَ الوَطيسُ.

ورجعت الشَّمسُ من الكسوف واشتدَّ القتال، وخرج يسير في الكتائب، ويقول: ألا مَن يشري نفسه للّه ويُقاتل مع الأشتر حتّى يَظهر أويلحق باللّه. فلا يزال الرّجل من النّاس يخرج إليه ويُقاتل معه.

ويقول واحدٌ في تلك الحال: أيُّ رجلٍ هذا لو كانت له نيّة.

فيقول له صاحبه: وأيُّ نيّة أعظم من هذهِ ثَكلَتكَ أُمُّك وهَبِلَتكَ. إنَّ رجلاً فيما قد تَرى قد سَبح في الدّماء، وما أضجرتهُ الحربُ وقد غَلَت هامُ الكُماةُ

من الحرّ، وبلغت القلوب الحناجر، وهو كما تَرى يقول هذه المقالة: اللّـهم لا تُبقِنا بعد هذا .

ثمّ قام الأشتر في أصحابه فقال: شدُّوا فِداً لكم عمّي وخالي. شَدّةً تُرضون بها الله وتعزّون بها الدّين، فاذا شددتُ فشدّوا.

ثمّ نزل وضرب وجه دابّتهِ ثمّ قال لصاحب رايته، أقدم. فأقدم بها، ثمّ شدَّ على القوم، وشدَّ معه أصحابه يضربُ أهل الشّام حتّى انتهى بهم إلى عَسكرهم.

فقاتَلوا عِند المُعسكر قِتالاً شديداً فَقُتلَ صاحب رايته.

وأخذ عليٌ لمّا رأى الظّفر قد جاءَ من قبلِه يَمدّه بالرِّجال.

وخطب الأشعث بن قيس في كندة، ليلة الهَرير ـ فقال كلاماً ظاهرهُ النُصح لقومِهِ وباطنهُ الغشّ لعليّ عليه السلام فممّا قال ـ قد رأيتم يا معشرَ المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما فَنىٰ فيه من العرب، فَوَالله لقد بلغتُ من السنِّ ما شاء الله أن أبلغ فما رايتُ مثل هذا اليوم قطّ. ألا فَليبلِّغ الشاهد الغائبَ، إنّا إن نحن تواقفنا غداً إنّه لفناء العرب وضيعة الحُرمات.

أما والله ما أقولُ هذه المقالة جَزَعاً من الحتفِ ولكنّي رجلٌ مُسنٌّ أخاف على النساء والذرارى غداً إذا فنينا[١] .

وروىٰ نصر: عن عمرو بن شمر، عن جابر بن عُمير الأنصاري قال: والله لكأنّي أسمعُ عليّاً يوم الهَرير حين سارَ أهل الشّام، وذلك بعدما طَحَنَت رَحى مِذْحَجٍ فيما [بيننا][٢] وبين عَكٍّ ولخم وجُذام والأشعريّين، بأمرٍ عظيم تَشيبُ منه النواصي من حين استقبلت الشَّمسُ حتّى قام قائم الظهيرة.

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٥ ـ ٤٨١. بتصرّف وتقديم وتأخير وتلفيق بين الروايات.

(٢) في المصدر [بينها] .

ثمّ إن علياً قال: «حتّى مَتىٰ نُخلّي بين هذين الحيّين ؟ قد فُنيا وأنتم وُقُوف تنظرون إليهم. أما تخافون مَقت الله ؟!».

ثمّ انفَتلَ إلى القبلة ورفع يديه إلى الله، ثمّ نادىٰ: «يا اللهُ يا رحمن، يا واحد، يا صمد، يا الله، يا إله محمّد. اللّهم إليك نُقِلَتْ الأقدام، وأفضتِ القُلوب، ورُفِعَتِ الأيـدي وامتدّتِ الأعناق، وشَخصت الأبصار، وطُلِبت الحوائج. إنّـا نَشكـو إليك غـيبة نـبيّنا صلى الله عليه وآله، وكثرة عدوّنا وتشتّت أهوائنا.

﴿ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقِّ وأنت خيرُ الفاتحين﴾[١] .سيروا على بركة الله.

ثمّ نادىٰ: لا إله إلّا الله واللهُ أكبر كلمةُ التقوى» .

قال الراوي: لا والله الذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيّاً، مـا سـمعنا بـرئيس قومٍ منذ خلق الله السّماوات والأرضَ أصاب بيده في يوم واحدٍ ما أصابَ.

يخرج بسيفهِ منحنياً فيقول: مَعذرةً إلى الله وإليكـم مـن هـذا، لقـد هـممتُ أن [أفلقهُ][٢] ولكِنْ حَجزني عنهُ أنّي سَمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كثيراً : لا سيف إلّا ذوالفقار ولا فتىً إلّا عليّ. وأنا أُقاتل به دونه.

قال: فكنّا نأخذه فنقوّمه ثمّ يتناولُهُ من أيدينا [فيقتحِم][٣] به في عَـرض الصَّف، فلا والله ما ليث بأشدَّ نِكايةً منه في عدوّه[٤] .

وخطب عليّ عليه السلام النّاس فقال: «أيّها النّاس قد بَلغَ بكُمُ الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبقَ منهم إلّا آخر نفس، وإنَّ الأُمورَ إذا أقبلت اعتُبر آخرها بأوّلها، وقد صبرَ لكُمُ القوم على غير دينٍ حتّىٰ بلغنا منهم، وأنا غادٍ عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله عزّوجل»[٥] .

---

(١) الأعراف: ٨٩

(٢) في المصدر [أصقُلهُ] .

(٣) في المصدر [فيتقحّم] .

(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

(٥) المصدر السابق: ٤٧٦.

رفع المصاحف

فَبلغ ذلك معاوية فدعا عمروبن العاص فقال: يا عـمرو إنّـما هـي اللّـيلة حتّى يغدو عليٌّ علينا بالفَيصل فما ترىٰ ؟

قال :أرى إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولستَ مثلهُ. هو يُقاتلك على أمرٍ وأنت تُقاتله على غيره.

أنت تُريد البقاءَ وهو يُريد الفناء. وأهلُ العراق يَخافون منك إن ظـفرت بهم، وأهل الشّام لا يخافون عليّاً إن ظفرَ بهم.

ولكن القِ إليهم أمـراً إن قَـبلوهُ اخـتلفوا، وإن رَدُّوهُ اخـتلفوا. ادعُـهُم إلى كتابِ الله حَكَما فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغُ به حاجتك في القوم؛ فإنّي لم أزل أوخِّرَ هذا الأمر لحاجتك إليه فقال معاوية: صَدَقتْ[١] .

وأصبحَ أهل الشّام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرِّمـاح وقـلّدوها الخيل ، والنّاس على راياتهم[٢] .

قال تميم بن حُذيم: لمّا أصبحنا من ليلة الهَرير نظرنا فإذا أشباه الرّايـات أمام صفِّ أهل الشّام وسطَ الفَيلق، فلمّا أن أسـفرنا فـإذا هـي المَـصاحِف قـد رُبطت على أطراف الرّماح، وكان جَميعها خمسمائة مصحف.

فاستقبلوا عليّاً بِمائة مصحف ، ووضعوا في كلِّ مُجنَّبةٍ مـائتي مـصحف، وشدُّوا ثلاثة رماحٍ جميعاً وربطوا عليها مـصحف المسـجد الأعـظم يـمسكهُ عشرة رَهطٍ.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

(٢) المصدر السابق: ٤٨١.

ونادوا: يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينَكُم يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتِكم فمَن للروم والأتراك وأهل فارِس غداً إذا فنيتم. الله الله في دينكم.

وأقبلَ أبو الأعور السّلمي على بِرذونٍ أبيض وقد وضع المصحف على رأسهِ يُنادي: يا أهل العراق! كتابُ الله بيننا وبينَكُم.

فقال أمير المؤمنين: «اللّهمّ إنَّكَ تعلم إنهم ما الكتاب يُريدون، فاحكم بيننا وبينهم، إنَّكَ أنت الحَكَم الحقُّ المُبين».

فاختلف أصحاب عليّ عليه السلام في الرأي فطائفة قالت القتال، وطائفة قالت المُحاكمة إلى الكتاب، لا يحلُّ لنا الحرب وقد دُعينا إلى حكم الكتاب(١).

و تمّت الحيلة على أهلِ العراق.

وأقبل عَديّ بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان أهل الباطل لا يُقومون بأهل الحقِّ فإنَّه لم يُصب عُصبة منّا إلّا وقد أُصيب مثلها منهم، وكلّ مَقروح، ولكنّا أمثلُ بقيةً منهم.

وقد جَزع القوم وليسَ بَعدَ الجزع إلّا ما تُحبّ، فناجز القوم.

فقام الأشتر النّخعي فقال: إنَّ معاوية لا خَلف له مِن رجاله ولك بِحمد الله الخلف، ولو كان له مثلُ رجالِك، لم يكن له مثل صبرك ولا بَصرك، فأقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

وقام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا والله ما [اخترناكَ](٢)، ولانصرناكَ عصبيّةً على الباطل ولا أحببنا إلّا الله عزَّ وجل، ولا طلبنا إلّا الحقَّ،

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٨ ـ ٤٧٩ و ٤٨١. بتصرّف وتقديم وتأخير في ترتيب الرواية.

(٢) في المصدر [أجَبْناك].

ولو دعانا غيرك إلى ما دَعوتنا إليه [لَكان فيه][١] اللُّجاج وطالت فيه النَّجوى ؛ وقد بلغَ الحقُّ مقطعه، وليس لنا [معَ رأيك][٢] رأي.

وقام الأشعثُ بن قيس مُغضباً فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا لك اليوم على ما كنّا عليه أمس ـ وقد صدق ـ وليس آخر أمرنا كأوَّله، وما من القوم أحدٌ أحنى على أهل العراق ولا أوتر لإهل الشّام منّي ؛ فأجب القوم إلى كتاب الله فإنَّك أحقُّ به منهم. وقد أحبّ الناس البَقاء وكرهوا القتال[٣].

وماجَ الناس وقالوا: أكلَتنا الحرب وقُتلت الرجال. وقال قوم: نُقاتلَ القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. ولم يَقُل هذا إلّا قليل من النّاس.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **إنّه لم يزل أمرى معكم على ما أحبُّ إلى أن أخذت منكم الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوّكم فلم تترُك، وإنَّها فيهم أنكى وأنهك.**

ألا إنّي كنتُ بالأمس أمير المؤمنين فأصبحت اليومَ مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً.

وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون».

ثمّ قعد وتكلَّم رؤساء القبائل؛ فأمّا من ربيعة وهي الجبهة العظمى فقام كُردوس بن هانيء البكريّ فقال: أيُّها الناس، إنّا والله ما تولّينا معاوية منذ تبرَّأنا منه، ولا تبرَّأنا من عليٍّ مُذ تولّيناه.

وإن قتلانا لَشهداء، وإنَّ أحياءنا لأبرار، وإنّ عليّاً لَعلَى بيّنة من ربّه، وما أحدث إلّا الإنصاف، وكلّ مُحقّ مُنصف، فمَن سلَّم له نجا، ومَن خالفه هلك.

---

(١) في المصدر [لاستشرى].

(٢) في المصدر [مَعَك].

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٨٢.

وقامَ شقيق بن ثور البكري فقال: أيّها الناس، إنّا دعـونا أهـل الشّـام إلى كتاب الله فردّوه علينا فقاتلناهم عليه، وإنَّهم دعونا إلى كتاب الله فإنْ رَدَدْنـاه عليهم حلّ لهم منّا ما حلّ لنا منهم.

ولسنا نخافُ أن يَحيف الله عـلينا ولا رسـولُه. وإنَّ عـليّاً ليس بـالراجـع النا كص، ولاالشا كّ الواقف، وهو اليومَ على ماكان عليه أمس.

وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاءَ إلّا في الموادعة.

وقام حريث بن جابر البكري فقال: أيّها النّاس، إنّ عليّاً لوكان خَلفاً من هذا الأمر لكان المفزع إليه، فكيف وهو قائدُه وسائقه.

إنّه والله ما قَبِل من القوم اليوم إلّا ما دعاهم إليه أمسِ، ولو ردَّه عليهم كنتم له أعنت.

وقام خالد بن المُعمَّر فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا لا نَـرى البَـقاء إلّا فـيما دَعا كَ إليه القوم إن رأيت ذلك، فإن لم تره فرأيك أفضل.

ثمّ قام، [الحضين بن المنذر الرقاشي](١) وهو من أصغر القوم سِنّاً فقال: أيُّها الناس، إنّ لنا داعياً قد حمِدنا ورِدَه وصدرَه، وهو المصدَق على ما قـال، المأمون على ما فعل. فإن قال لا قلنا لا وإن قال نَعم قلنا نَعم.

وقال رفاعة بن شداد البَجَلي: أيُّها الناس إنّه لا يفوتنا شيءٌ من حقنا، وقد دَعَونا في آخر أمرنا إلى ما دعوناهم إليه في أوّله فإن يتمّ الأمر على ما نـريدُ وإلّا أثرناها جَذَعة(٢).

وروى نصر: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا رفع أهل الشّام المصاحف يدعون

(١) في المصدر [الحُضين الرَّبَعي].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٨٤ ـ ٤٨٦ و٤٨٨.

إلى حكم القرآن قال عليه السلام: «عباد الله [إنّا][(١)] أحقّ مَن أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمروبن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دينٍ ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال.

إنّها كلمة حق يُراد بها باطل. إنّهم والله ما رفعوها [حقّاً][(٢)] إنّهم يعرفونها ولا يعملون بها، [وما رفعوها لكم إلّا خديعة ومكيدة][(٣)] أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدةً، فقد بلغ الحقُّ مقطعه، ولم يبق إلّا أن يُقطع دابر الذين ظلموا».

فجاءه زهاء عشرين ألفا مقنَّعين في الحديد وشاكي السّلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جِباههم من السُّجود يتقدّمهم مِسعر بن فدكيّ، وزيد بن حصين، وعصابةٌ من القُرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادَوه باسمه لا بإمرة المومنين: يا عليّ، أجب القوم إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فوالله لنفعلنَّها إن لم تجبهم.

فقال لهم: «ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلُّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعىٰ إلى كتاب الله فلا أقبلهُ، إنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادُوكم، وأنّهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون».

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتيك. وكان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله، فأرسل إليه عليّ يزيد بن هانيء فأتاه فبلّغه. فقال الأشتر: قُل له ليس هذه الساعة ينبغي لك أن تُزيلني فيها عن

---

(١) في المصدر [إنّي].

(٢) ليست في المصدر.

(٣) في المصدر [ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة].

موقفي. إنّي قد رجوت أن يفتحَ الله لي فلا تعْجلني.

فرجع يزيد بن هانيء إلى عليٍّ فأخبره، وارتفع الرَّهَج وعَلَتِ الأصوات من قِبَل الأشتر، وظهرت دلائل الفتح والنَّصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشّام، فقال له القومَ: والله ما نراك إلّا أمرته بقتال القوم.

قال: «رأيتموني ساررت رسولي؟ أليس إنَّما كلّمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟».

قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلّا فَوَالله اعتزلناك. قال: «ويحك يا يزيد قُل له أقبل إليَّ، فإنَّ الفتنة قد وَقعت».

فأتاه فأخبره فقال له الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم. قال: أما والله لقد ظننت أنَّها حين رُفعت ستُوقع اختلافاً وفرقة، إنَّها من مشورة ابن النابغة يعني عمروبن العاص.

وقال ليزيد: [ألا][١] تَرى إلى الفتح؟! ألا تَرى إلى ما يَلقون؟! ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا؟! أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟! فقال له يزيد: أتحبُّ أنّك ظفرت هاهنا وأنَّ أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويُسلَّم إلى عدوّه؟! قال: سبحان الله! والله ما أحبُّ ذلك.

قال: فإنَّهم قالوا: لَترسلنَّ إلى الأشتر فليأتينَّك أولَنقتلك كما قتلنا عثمان، أولنسلمنَّك إلى عدوّك.

فأقبل الأشتر فصاح: يا أهل الذُّل والوهن، أحين علوتم القوم فظنّوا أنَّكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟! وقد والله تركوا ما أمر الله فيها وسُنّة من أُنزلت عليه، فلا تجيبوهم.

---

(١) ليست في المصدر.

أمهلوني فواقا، فإنّي قد أحسست بالفتح. قالوا: لا. قال: فأمهلوني عدو الفَرس، فإنّي قد طمعت في النُّصرة. قالوا: إذاً ندخل معك في خطيئتك.

قال: فحدِّثوني عنكم، وقد قُتل أماثلكم وبقي أراذلكم متى كنتم محقِّين، [حيث][(١)] كنتم تقتُلون أهل الشّام فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون أم الآن محقُّون؟! فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار؟!

قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله. إنّا لسنا نُطيعك فاجتنبنا.

قال: خُدعتم، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم. يا أصحاب الجباه السُّود، كنّا نظنُّ أنَّ صلاتكم زَهادةٌ في الدنيا وشوقٌ إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلّا إلى الدّنيا من الموت.

ألا قُبحاً يا أشباه النِّيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزّا أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

فسبّوه وسبَّهم، وضربوا بسياطهم وجه دابّته، وضرب بسوطه وجوه دوابّهم فصاح بهم عليّ عليه السلام فكفّوا[(٢)].

ومن ذلك يُعلم أنَّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أربعة أصناف.

الأوّل: أهل البصيرة المخلصون له، في الظاهر والباطن، العارفون بحقه العالمون بأنّها خُدعة وهم القليل، أمثال الأشتر، وحجر بن عَديّ، وعمرو بن الحمق، وكُردوس بن هانيء، والحضين بن المنذر.

---

(١) في المصدر [أجينَ].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩ ـ ٤٩٢.

الثاني: المخلصون له بقلوبهم، لكنَّهم خُدعوا أوأحبّوا البقاء، أمثال شقيق بن ثور، وحريث بن جابر، ورفاعة بن شدّاد.

الثالث: الذين ليس لعليّ عليه السلام في قلوبهم مكانته التي يجب أن تكون له، مضافاً إلى أنّهم قد خُدعوا؛ وهم القُرّاء أهل الجباه السُّود، وهؤلاء كانوا، وما زالوا في كلّ عصر أضرّ من الفُسّاق المُتجاهرينَ بالفسق.

الرابع: المنافقون الذين يُظهرون النصيحة ويبطنون الغش، أمثال الأشعث، وخالد بن المُعمَّر، فكيف يتمّ مع هؤلاء أمرٌ؟!

[وكتب][1] معاوية إلى عليّ عليه السلام: إنَّ هذا الأمر قد طال بيننا وبينك، وكلّ واحدٍ منّا يرى أنَّه على الحقّ، وقد قتل فيما بيننا كثير وأنا أتخوّف أن يكون ما بقي أشدّ ممّا مَضى، وإنّا نُسأل عن ذلك الموطن، ولا يحاسب به غيري وغيرك، فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياةٌ، وعُذر، وصلاح للأُمَّة، وحقنٌ للدّماء، وأُلفة للدّين وذهاب للضّغائن والفتن؟

أن يحكم بيننا وبينكم حَكمان رضيان، أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك، فيحكمان بما في كتاب الله بيننا. فاتَّقِ الله فيما دُعيت له، وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله والسلام.

فكتب إليه عليّ عليه السلام كتاباً قال في آخره: «**ثمّ إنّك قد دعوتني إلى حكم القرآن، ولقد علمت أنّك لست من أهل القرآن، ولست حُكمه تريد، والله المستعان.**

وقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا إيّاك أجبنا. ومَن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً»[2].

(١) في المصدر [فأرسل].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

اختيار الحَكَمَيْن

وجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ عليه السلام فقال: ما أرى النّاس إلّا قد رضُوا وسرَّهم أن يُجيبوا [الناس](١) إلى ما دعَوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يُريد.

فقال: «ائته». فأتاه فقال: لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه. فابعثوا منكم رجلاً ترضونه، ونبعث منّا رجلاً، ثمّ نأخذ عليهما أن يعملا بكتاب الله لا يعدوانه، ثمّ نتّبع ما اتّفقا عليه.

فقال الأشعث: هذا هو الحقّ. وانصرف إلى عليّ فأخبره، فقال الناس: قد رضينا وقَبِلنا.

فبعث عليّ قُرّاء من أهل العراق، وبعث معاوية قُرّاء من أهل الشّام، فاجتمعوا بين الصَّفين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسُوه، واجمعوا على أن يُحيوا ما أحيا القرآن، ويُميتوا ما أمات، ثمّ رجع كلّ فريق إلى أصحابه.

أقول: لم يَذكر المؤرّخون ماذا أنتجه اجتماعهم، ومدارستهم القرآن، ولا شكَّ أنَّ ذلك من حواشي الإحتيال الذي أُكره عليّ عليه السلام على قبوله.

فقال أهل الشّام: إنّا قد رضينا واخترنا عمروبن العاص. وقال الأشعث والقُرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: إنّا قد رضينا واخترنا أباموسى الأشعري.

فقال لهم عليّ عليه السلام: «إنّي لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أُولّيه».

فقال الأشعث، ويزيد بن حصين، ومِسعر بن فدكي، في عصابةٍ من القُرّاء:

---

(١) في المصدر [القومَ].

لا نرضى إلّا به فإنَّه قد حذّرنا ما وقعنا فيه.

قال عليّ عليه السلام: «فإنّه ليس لي [برضى][(١)] وقد فارقني وخذّل الناس عنّي، ثمّ هربَ حتّى أمنته بعد أشهر. ولكن هذا ابن عبّاس أُوّليه ذلك».

قالوا: والله ما نبالي أنت كنت أوابن عبّاس، لا نُريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

قال على: «فإنّي أجعل الأشتر». قال الأشعث: وهل سعَّر الأرض علينا غير الأشتر؟ وهل نحن إلّا في حكم الأشتر؟!

قال: «وما حكمه» ؟ قال: «حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسُّيوف حتّى يكون ما أردت وما أراد»[(٢)] .

وروى نصر بسنده: عن جابر عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: لمّا أراد النّاس عليّاً أن يضع حَكَمين قال لهم: إنَّ معاوية لم يكن ليضع أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمروبن العاص، وإنّه لا يصلح للقرشي إلّا مثله، فعليكم بعبد الله بن عبّاس فارمُوه به، فإنَّ عمرو لا يعقد عقدة إلّا حلّها عبد الله، ولا يحلّ عقدة إلّا عقدها، ولا يبرم أمرا إلّا نقضه، ولا ينقض أمراً إلّا أبرمه.

فقال الأشعث: لا والله لا يحكم [فينا][(٣)] مُضريّان حتّى تقوم السَّاعة، ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر.

فقال عليّ عليه السلام: «إنّي أخاف أن يخدع يمنيّكم فإنَّ عمراً ليس من الله في شيء إذاكان

(١) في المصدر [برضاً].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٩٨ ـ ٥٠٠.

(٣) في المصدر [فيها].

له في أمر [هواه]»[١].

فقال الأشعث: والله لإن يحكُما ببعض ما نكره، وأحدهما من أهل اليمن، أحبّ إلينا من أن تكون ما نُحبُّ في حكمهما وهما مضريّان.

وذكر الشعبي مثل ذلك[٢].

أقول : ليس العجبُ من الأشعث إذا ظهرت ذات نفسه لعليّ عليه السلام وجابهه بهذا القول في الأشتر، وتمسّك بهذه الأعذار الواهية في اختيار أبي موسى. لأن الأشعث كان منطوياً على غشّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولمّا رأى اختلاف الكلمة أظهر ذات نفسه وجابه بما جابه به، ولكن العَجَب من القُرّاء أهل الجباه السُّود من طول السّجود، وأهل البلادة والجمود، الّذين لا يزال أمثالهم بلاءً على الأُمة الإسلامية إلى اليوم. كيف يقولون لعليّ عليه السلام:ما نبالي كنت أنت أوابن عبّاس، لا نُريد إلّا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء. ولا يقولون لمعاوية ما نُبالي كنت أنت أوعمرو لا نُريد إلّا رجلاً هو منك ومن عليّ سواء؟! ومن الذين جاءوا بعد ذلك فلم يشاؤوا أن ينظروا إلى الأُمور إلّا من وراء غشاءٍ فقالوا: إنَّ كلّ ما جرى من الفئة الباغية كان عن حُسن نيّة واجتهاد!

قال المؤلف :

داءٌ لعمرك أعيا الطَّبيب والمُتطبّبْ

إن كان هذا اجتهاداً فَلَيسَ في الأرض مذنِبْ

وجاء الأشتر فقال: يا أمير المؤمنين، [أرني][٣] عمروبن العاص، فوالله

---

(١) في المصدر [هوىً].

(٢) نهج البلاغة: ٢٢٩/٢، وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٠.

(٣) في المصدر [الزني].

الذي لا إله [إلّا][(١)] هو لئن ملأتُ عيني منه لأقْتلَنّه.

وجاء الأحنف بن قيس التميمي فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّك قد رَميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله وأنف الإسلام وإنّي قد عجمت هذا الرجل. يعني أباموسى، وحلبت أشطُره، فوجدته كليل الشَّفرة، قريب القعر.

وإنَّه رجل يماني وقومه مع معاوية. وإنَّه لا يصلح لهولاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتّى يكون في أكفّهم، ويتباعد منهم حتّى يكون بمنزلة النَّجم، فإن شئت أن تجعلني حَكَماً فاجعلني وإن قُلت إنّي لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. فابعث رجلاً من أصحابه، غير عبد الله بن قيس، واجعلنى ثانياً أو ثالثاً.

فإنَّه لا يعقد عقدة إلّا حللتُها، ولن يحلّ عقدة إلّا عقدتها، وعقدت لك أُخرى أشدَّ منها.

فعرض ذلك على الناس فأبوه وقالوا: لا يكون إلّا أباموسى . وفي رواية : «إنَّ القوم أتوني بعبد الله بن قيس مُبرنَساً» فقالوا: ابعث هذا، فقد رضينا به، والله بالغ أمره[(٢)] .

قال عليّ عليه السلام: «قد أبيتم إلّا أباموسى. قالوا: نَعم. قال: فاصنعوا ما أردتم. فبعثوا إلى أبي موسى وكان مُعتزلاً بأرض من أرضِ الشّام يُقال لها (عُرْض) فأتاه مولى له فقال: إنّ الناس اصطلحوا. قال: الحمدُ للّه. قال: وقد جعلوك حَكَماً. قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون. فجاء أبو موسى حتّى دخل عسكر عليّ عليه السلام[(٣)] .

---

(١) في المصدر [غيرُه] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٠ ـ ٥٠٢. فيه تقديم وتأخير بين الروايتين.

(٣) المصدر السابق: ٥٠٠.

كتاب الصلح

قال نصر : لمّا رضي أهل الشّام بعمرو بن العاص، وأهل العراق بأبي موسى، أخذوا في كتاب المُوادعة، ورضُوا بالحكم حكم القرآن[1].

فكتبوا : (هذا ما تقاضى عليه عليّ أمير المؤمنين. فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته.

وقال عمرو للكاتب: اكتب اسمه واسم أبيه إنّما هو أميركم؛ وأمّا أميرنا فلا.

فلمّا أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه، فقال له الأحنف: لا تَمحُ اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإنّي أتخوّف إن مَحوتَها ألاّ ترجع إليك، لا تمحُها وإن قَتَل النّاس بعضهم بعضاً.

فأبى مَلِيّاً من النّهار أن يَمحُوها، ثمّ جاءَ الأشعث بن قيسٍ فقال: امحُ هذا الإسم فقال عليّ: **«لا إله إلّا الله والله أكبر، سنّة بسنّة، أمّا والله لَعَلَى يديّ دار هذا الأمر يوم الحديبية، حين كتبتُ الكتاب عن رسول الله ﷺ: هذا ما تصالح عليه محمّدٌ رسول الله ﷺ وسُهيل بن عمرو»**.

فقال سهيل: لو أعلم أنّك رسول الله لم أُقاتلْك إنّي إذاً ظلمتُك إن منعتُك أن تَطوفَ ببيتِ الله وأنت رسول الله، ولكن اُكتُب: محمّد بن عبد الله.

فقال محمّد ﷺ: **«يا عليُّ إنّي لرسول الله وإنّي لمُحمّد بن عبد الله، ولن يمحو عنّي الرسالة كتابي إليهم: من محمّد بن عبد الله»**.

«فراجعني المشركون. فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله ﷺ إلى آبائهم

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٤.

سُنّة ومثلاً».

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله، شبَّهتنا بالكُفّار ونحن مؤمنون؟ فقال له عليّ عليه السلام: «يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدوّاً؟».فقام عمرو فقال: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم. فقال عليّ: «أمَا والله إنّي لأرجُو أن يُظهر الله عليك وعلى أصحابك».

وكان كتاب الصلح في صحيفة صفراء عليها خاتمان من أعلاها وأسفلها خاتم عليّ وخاتم معاوية، وفي كلّ منهما محمّد رسول الله[1].

صورة كتاب الصّلح

ذكرَ له نصر في كتاب صفّين صورتين: إحداهما عن جابر، عن زيد بن حسن. إنَّه أملاه عليه من كتاب عنده، والثانية عن أبي إسحاق الشيباني عن سعيد بن أبي بُردة أنّه قرأكتاب الصّلح عنده.

وبين الصورتين بعض التفاوت ونحن ننقله منتزعا من مجموع الصُّورتين:

«بِسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم: هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله، قضيّة عليٍّ على أهل العراق ومَن كان معه من شيعته من شاهد أوغائب.

وقضيّة معاوية بن أبي سفيانَ على أهلِ الشّامَ ومن كان معه من شيعته: إنّا ننزل عند حكم القرآن فيما حَكَم به، ونَقِف عند أمره فيما أمر ولا يجمع بيننا

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٨ ـ ٥٠٩.

إلّا ذلك.

وإنّا جعلنا كتاب الله حَكَماً فيما بيننا فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى خاتمته، نُحيي ما أحيا ونُميت ما أمات، على ذلك تقاضيا وبه تراضيا.

فما وجد الحَكَمان في كتاب الله بيننا وبينكم فإنَّهما يتّبعانه، وما لم يجداه في كتاب الله أخذاً بالسُّنة العادلة الجامعة غير المفرِّقة.

وإنَّ عليّاً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس[1] ناظراً ومحاكماً، كما رضي مُعاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراً ومحاكماً.

وأخذوا عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله عَلَى أحدٍ من خَلقه، لَيَتَّخذانِّ الكتاب إماماً فيما بعثا له، لا يَعدُوانه إلى غيره في الحُكم بما وجداه فيه مسطوراً.

وما لم يجداه مُسمّىً في الكتاب ردّاهُ إلى سُنّة رسول الله ﷺ الجامعة، لا يتعمّدان لها خلافاً، ولا يتّبعان في ذلك لَهُما هوىً، ولا يدخلان في شُبهة.

وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على عليّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرِّضا بما حَكَما به من كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ، وليس لهما أن يُنقضا ذلك ولا أن يخالفاه إلى غيره، وإنَّهما آمِنان في حُكومَتهما على دمائِهما وأموالِهما وأهلهما ما لم يَعدُوا الحقَّ، رضي بذلك راضٍ أو أنكره منكر، وإنَّ الأُمّة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل.

فإن تُوفّي أحد الحَكَمَين قَبل انقضاء الحكومة فأمير شيعته وأصحابه يختارونَ مكانه رجلاً، لا يألون عن أهل المَعْدَلَة والإقساط، على ما كانَ عليه صاحبُه من العهدِ والميثاق، والحكم بكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ، وله مثل

---

(١) عبدالله بن قيس: هو أبو موسى الأشعري.

شرط صاحبه.

وإن مات أحد الأميرين من قبل القضاء فلِشيعته أن يُولّوا مكانه رجلاً يرضَون عَدْلَه.

وقد وَقَعَتْ القضيّة ومعها الأمن والتّفاوض ووضع السّلاح والسّلام والوداعة.

وعلى الحَكَمَين عهد الله وميثاقه أن لا يألوا جُهداً، ولا يتعمّدا جوراً، ولا يَدخُلا في شُبهةٍ، ولا يَعدوا حُكم الكتاب وسُنّة رسول الله ﷺ. فإن لم يَفعلا برئت الأُمة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذِمّة.

وقد وجبت القضيّة عَلى ما قد سُمّي في هذا الكتاب من مواقع الشروط على الأميرين والحَكَمَين والفريقين والله أقرب شهيداً وأوفى حفيظاً.

والناس آمنونَ على أنفسهم وأهليهم وأموالهم إلى انقضاء مُدّة الأجل، والسّلاح موضوع، والسُّبُل مُخلاّة، والغائب والشاهد من الفريقين سواءٌ في الأمن.

وللحَكَمَين أن يَنزِلا منزلاً عدلاً بين أهل العراق وأهل الشام ولا يحضرهما فيه إلّا مَن أحبّا، عن ملأ منهما وتَرَاضٍ.

وإنَّ المسلمين قد أجّلوا القاضيين إلى انسلاخ رمضان، فإنْ رأى الحَكَمَان تعجيل الحكومة فيما وجّها له عجّلاها، وإن أرادا تأخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم فإنّ ذلك إليهما. فإنْ هما لم يحكما بكتاب الله وسُنّة نبيّه إلى انقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الأوّل في الحرب. ولا شرط بين واحدٍ من الفريقين.

وعلى الأُمّة عهد الله وميثاقه على التمام، والوفاءُ بما في هذا الكتاب. وهم يد عَلَى مَن أراد فيه إلحاداً أوظلماً أوحاول له نقضاً.

وشهد بما في الكتاب من أصحاب عليّ :

عبد الله بن عبّاس ، الأشعث بن قيس، والأشتر مالك بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني ، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن المطّلب ، وأبو أُسَيْد [ربيعة بن مالك][١] الأنصاري ، وعوف بن الحارث بن المطّلب القرشي، وبُريدة [السّلمي][٢] ، وعقبة بن عامر الجُهنيّ ، ورافع بن خَديج الأنصاري ، وعمروبن الحَمِق الخُزاعيُّ ، والحسن والحسين ابنا عليّ عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر الهاشمي ، والنُّعمان بن عَجْلان الأنصاري ، وحُجْر بن عَديّ الكندي ، وورقاء بن مالك بن كعب الهمداني ، وربيعة بن شرحبيل ، أبو صفرة بن يزيد، والحارث بن مالك الهمْداني ، وحُجر بن يزيد ، وعُقبة بن حُجّية .

ومِنْ أصحاب معاوية :

حبيب بن مسلمة الفِهريّ ، وأبو الأعور بن سفيان السُّلَمي ، وبُسر بن أرطاة القُرشي ، ومعاوية بن خَديج الكندي ، والمخارق بن الحارث الحميريّ، و[دعبل][٣] بن عمروالسكسكيّ ، وعبد الرّحمن بن خالد المخزومي ، وحمزة بن مالك الهمدانيّ ، وسبيع بن يزيد الهمْداني ، ويزيد بن الحُرّ الثَّقفي، ومَسروق بن حرملة العكّي ، ونُمير بن يزيد الحميريّ ، وعبد الله بن عمروبن العاص ، وعلقمة بن يزيد الكلبي ، خالد بن المعرِّض السَّكَسكيّ، وعلقمة بن يزيد الجَرْميّ ، وعبد الله بن عامر القرشي ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة القرشي ، وعُتبة بن أبي سفيان ، ومحمّد بن أبي سفيان ، ومحمّد بن عمروبن العاص ، ويزيد بن عمرو الجذامي، و عمّار بن

(١) في المصدر [مالك بن ربيعة] .

(٢) في المصدر [الأسلمي] .

(٣) في المصدر [زَعبَل] .

الأحوص الكلبي، ومَسعدة بن عمر التّجيبي ، والحارث بن زياد القينيّ، وعاصم بن المنتشر الجذاميّ ، وعبد الرّحمن بن ذي الكلاع الحميري ، و[الفتّاح](١) بن جلهمة الحميري، ثمامة بن حوشب ، علقمة بن حكيم، حمزة بن مالك .

وإنّ بيننا على ما في هذه الصحيفة عهد الله وميثاقه. وكتب عميرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة (٣٧ هـ).

واتّعد الحَكَمَان أذرُحَ وإن يجيء عليّ بأربعمائة من أصحابه، ويجيء معاوية بأربعمائة من أصحابه يشهدون الحكومة(٢) .

والأجل إلى شهر رمضان لثمانية أشهر».

ولمّا كتبت الصحيفة دُعي لها الأشتر فقال: لا صحبَتني يَميني ولا نفعتني بعدها الشِّمال إن كُتب لي في هذه الصحيفة اسم عَلى صُلح ولا موادعة. أوَلست على بيّنة من ربي، ويقين من ضلالة عدوّي؟! أولستم قد رأيتم الظّفر إن لم تجمعوا على الخَوَر؟!

فقال له رجل: إنّك والله ما رايت ظفراً ولا خَوراً، هلمّ فاشهد على نفسك، وأقرر بما في هذه الصحيفة، فإنّه لا رغبة بك عن الناس.

قال: بلىٰ، والله إنّ بي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا، وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله بسيفي هذا دِماء رجال ما أنت بخير منهم عندي، ولا أحرَم دما.

قال عمّار بن ربيعة: فنظرت إلى ذلك الرجل وكأنّما قُصع على أنفه الحُمم، وهو الأشعث بن قيس.

---

(١) في المصدر [القباح] .

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٤ ـ ٥٠٨ و ٥١٠ ـ ٥١١. وقد جمع المصنّف بين روايتي نصر على حسب قوله في بداية كلامه. عند نقل الروايتين. مع تفاوت بالألفاظ.

ثمّ قال: لكن قد رضيت بما صنع عليّ أمير المؤمنين، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت ممّا خرج منه، فإنّه لا يدخل إلّا في هدىً وصواب[١].

أوّل من حكم وظهور مقالة الخوارج

وخرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤُه على الناس، ويعرضه عليهم ويمرُّ به على صفوف أهل الشّام وراياتهم فرضُوا بذلك، ثمّ مرَّ به على صفوف أهل العراق وراياتهم حتّى مرَّ برايات عَنَزة.

وكان منهم بصفّين مع عليّ عليه السلام أربعة آلاف مُجفَّف، فقرأه عليهم فقال مَعْدان وجَعْد العنزيّان فتيان أخوان منهم: لا حُكْمَ إلّا للّه.

ثمّ حملا على أهل الشّام بسيوفهما حتّى قُتلا على باب رواق معاوية.

ثمّ مرَّ بها على مُراد فقال صالح بن شقيق من رؤسائهم:

ما لعليّ في الدّماءِ قد حَكَمْ
لَوْ قاتَلَ الأحزاب يَوماً ما ظَلَم

لا حُكم إلّا للّه ولو كره المشركون

ثمّ مرَّ على رايات بني [راسب][٢] فقرأها عليهم. فقال رجل منهم: لا حُكم إلّا للّه يقضي بالحقِّ وهو خير الفاصِلين.

فقال رجل منهم لآخر: أمّا هذا فقد طعن طعنة نافذة. وخرج عروة بن أُديَّة أخو مِرداس بن أُديَّة التميمين فقال: أتحكّمون الرجال في أمر الله لا حُكم إلّا للّه، فأين قَتْلانا يا أشعث.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥١١ ـ ٥١٢.

(٢) في المصدر [بني تميم].

وشدّ بسيفه ليضرب به الأشعث، فأخطأه وضرب به عجز دابته ضربة خفيفة، وصاح به الناس أن امسك يدك. فكفَّ، ورجع الأشعث إلى قومه، فمشىٰ إليه رجال من بني تميم فيهم الأحنف بن قيس، واعتذروا إليه فقبل منهم.

وانطلق إلى عليّ فقال: يا أمير المؤمنين قد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشّام وأهل العراق، فقالوا جميعاً: قد رَضينا، حتّى مررت برايات بني راسب ونبذ من الناس سواهم، فقالوا: لا نرضى، لا حُكم إلّا للّه فلنَحْمِل بأهل العراق وأهل الشّام عليهم فَنقتلهم.

فقال عليّ عليه السلام: هل هي غير راية أو رايتين ونَبْذٍ من النّاس؟ قال: [لا][1]. وظنَّ عليّ عليه السلام أنّهم قليلون لا يُعبأ بهم.

فما راعه إلّا نداء الناس من كلّ جهة: لا حُكم إلّا للّه، الحُكم للّه يا عليّ لا لك، لا نرضىٰ بأن يحكم الرجال في دين الله. إنَّ الله قد أمضى حُكمه في معاوية وأصحابه، أن يُقتَلوا أو يدخلوا في حُكمنا عليهم.

وقد كانت منّا زلّة حين رضينا بالحَكَمَين، فرجعنا وتُبنا، فارجع أنت يا عليّ كما رجعنا، وتُب إلى الله كما تُبنا، وإلّا برئنا منك.

فقال: «ويحكم! أبعد الرضا والعهد نرجع؟ أوليس الله تعالى قال: ﴿أوفوا بالعُقُود﴾[2] وقال: ﴿وأوفوا بِعَهدِ اللهِ إذا عاهَدتُم ولا تَنقُضُوا الأيمانَ بَعْدَ تَوْكيدِها وقد جَعَلتُم الله عليكم كفيلاً﴾[3].

وأبَت الخوارج إلّا تضليل التحكيم والطعن فيه وبرئت من عليّ

(١) في المصدر [بَلَى].

(٢) المائدة : ١.

(٣) النحل : ١٩.

وبريء منهم[١].

وقيل لعليّ عليه السلام لما كتبت الصحيفة: إنّ الأشتر لم يَرضَ بما في الصحيفة، ولا يَرى إلّا قتال القوم. فقال عليّ: «بلى إنّ الأشتر يرضى إذا رضيت. وقد رضيت ورضيتم، ولا يَصلح الرّجوع بعد الرّضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلّا أن يُعصى الله ويُتعدّى ما في كتابه.

وأمّا الذي ذكرتم من تركه أمري فلست أتخوّفه على ذلك، وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّه مثل رأيه إذاً لخفّت عَلَيّ مؤوُنتكم ورَجوت أن يستقيم لي بعض أودكم»[٢].

وكان عمر بن أوس الأودي قاتل مع عليّ عليه السلام وأسره معاوية في أسرى كثيرة، فقال له عمرو بن العاص: اقْتلهم. فقال عمر بن أوس لمعاوية: إنّك خالي فلا تقتُلني.

فقال معاوية: وكيف ذاك وليس بيننا وبين أود مصاهرة ؟ فقال: أليسَت أُختك أُمّ حبيبة أُمّ المؤمنين، وأنا ابنها فأنت خالي.

فقال معاوية: للّه أبوه خلّوا سبيله.

وأسَر عليّ عليه السلام يوم صفّين أسرى فخلّى سبيلهم، وأسَر معاوية أسرى فقال له عمرو بن العاص: اقتلهم، فما شعروا إلّا بأسراهم قد خلّى عليّ سبيلهم.

فقال معاوية: لو أطعناك لَوَقعنا في قبيح. وخلّى سبيلهم، وكان عليّ عليه السلام إذا أخذ أسيراً من أهل الشّام خلّى سبيله إلّا أن يكون قد قَتَل من أصحابه أحداً فيقتله به، فإذا خلّى سبيله وعاد الثانية قَتَله.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥١٢ ـ ٥١٤.

(٢) المصدر السابق: ٥٢١.

وكان لا يجهز على الجَرحى ولا يتبع مدبراً[١]. ثمّ إنّ الناس أقبلوا على دفن قتلاهم[٢].

رجوع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة

روى نصر: عن عبد الرّحمن بن جندب قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من صفّين أقبلنا معه. قال نصر: ورجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة فأخذ طريقاً غير الطريق الذي أقبلنا فيه فقال: «**آئبون عائدون لربّنا حامدون. اللّهمّ إنّي أعوذ بك من وَعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في المال والأهل**».

ثمّ أخذ بنا طريق البرّ على شاطىء الفُرات حتّى انتهينا إلى هِيت وأخذنا على صَنْدُوداء فخرج الإنماريون بنو سعيد بن [خريم][٣]، واستقبلوه فعرضوا عليه النّزول، فلم يَقبَل، فباتَ بها، ثمّ غدا حتّى جزنا النُّخيلة ورأينا بيوت الكوفة، فإذا شيخ في ظلّ بيت عليه أثر المرض، فقال له عليّ عليه السلام: «**ما لي أرى وجهك [منكسفاً][٤]، أمِن مرض ؟** قال: نعم. قال: **لعلّك كرهته؟** قال: ما أحبّ أنّه [يعترى][٥]. قال: «**أليس احتسبت بالخير فيما أصابك منه ؟** قال: بلى. قال: **أبشر برحمة ربك، وغفران ذنبك، مَن أنت؟** قال: أنا صالح بن سليم، من بني سلامان والجوار والدّعوة في بني سليم بن منصور.

قال: **سبحان الله! ما أحسن اسمَك، واسم أبيك، واسم [أعدادك][٦] ومن اعتزيت إليه،**

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥١٨ ـ ٥١٩ وفيه تلخيص.

(٢) المصدر السابق: ٥٢١.

(٣) في المصدر [حزيم].

(٤) في المصدر [منكَفِتاً].

(٥) في المصدر [بغيري].

(٦) في المصدر [أدعيائك].

ما يقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: منهم المسرور وأولئك [أغنياء][١] الناس ؛ ومنهم المكبوت الآسف وأولئك نُصحاء الناس لك.

فقال: صدقت، جعل الله ماكان من شكواك حظّاً لسيّئاتك ؛ فإنّ المرض لا أجر فيه ولكن لا يدعُ للعبد ذنباً إلّا حطّه».

إنّما الأجر في القول باللّسان، والعمل باليد والرّجْل، وأنّ الله عزَّ وجلَّ يُدخل بصدق النّية والسريرة الصالحة من عباده الجنّة.

ثمّ مضى فلقيه عبد الله بن وديعة الأنصاري، فقال: «ما سمعت الناس يقولون في أمرنا هذا؟ قال: منهم المُعجَب به، ومنهم الكاره له. والناس كما قال الله تعالى: (ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفينَ).

قال: ما يقول ذووالرأي؟

قال: يقولون إنّ عليّاً كان له جمع عظيم ففرّقه، وحِصن حَصين فهدمه، فمتى يبنى مثل ما هدم، ومتى يجمع مثلما فرّق. فلو أنّه كان مضى بمَن أطاعه إذ عصاه، من عصاه فقاتل حتّى يظهره الله أويَهلك،كان ذلك هو الحزم.

فقال: «أنا هَدمت أم هُم هَدموا ، وأنا فرّقت أم هم [تفرّقوا][٢] ؟ وأما قولهم لو أنّه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فوالله إن [كنت سخيّ النفس بالدُّنيا][٣]، طيب النفس بالموت. ولقد هممت بالإقدام، فنظرت إلى هذين قد استقدماني يعني الحسن والحسين فعلمت أنّهما إن هلكا انقطع نسل محمّدﷺ من هذه الأُمّة».

ثمّ مضى حتّى جزنا دور بني عوف، فإذا نحن بقبور سبعة أوثمانية عن أيماننا، فسأل عنها فقيل له: إنّ خبّاب بن الأرت تُوفّي بعد مخرجك، فأوصى

(١) في المصدر [أغِثاء].

(٢) في المصدر [فرّقوا].

(٣) في المصدر [تسخّناً بنفسي عن الدنيا].

أن يُدفن في الظهر، فدفن الناس حوله. فترحّم عليه وأثنى عليه.

ثمّ أقبَل حتّى دخل سكّة الثوريّين ثور همدان، فسمع البكاء ، فقال: «ما هذه الأصوات» ؟ قيل: هذا البُكاء على من قُتل بصفّين ، قال: «أما إنّي [شهيد][١] لمن قُتل منهم صابراً محتسباً بالشّهادة».

ثمّ مرّ بالشباميّين، فسمع رنّة شديدة، فخرج إليه [حارب][٢] بن شُرَحْبيل الشبّامي ، فقال عليّ : «أيغلبكم نساؤكم ألا تنهونهنّ عن هذا الصّياح والرّنين»؟ فقال يا أمير المؤمنين: لو كانت دار أو دارين أو ثلاثاً قدرنا على ذلك، ولكن من هذا الحيّ ثمانون ومائة قتيل، فليس من دار إلّا وفيها بكاء ، أمّا نحن [معاشر][٣] الرجال، فإنّا لا نبكى، ولكن نفرح لهم بالشّهادة.

فقال عليّ : «رحم الله قتلاكم وموتاكم». وأقبَل يمشي معه وعليّ راكب ، فقال له: ارجع ووقف ، ثمّ قال: ارجع فإنّ مشي مثلك فتنة للوالي ومذلّة للمؤمنين.

ثمّ مضى حتّى مرّ بالنّاعطيّين[٤] فسمع رجلاً منهم يُقال له: عبدالرحمن بن مرثد، فقال: ما صنع عليّ والله شيئاً ، ذهب ثمّ انصرف في غير شيء . فلمّا نظر أمير المؤمنين عليه السلام إليه أُبلس.

فقال عليّ عليه السلام : وجوه قوم ما رأوا الشّام العام. ثمّ قال لأصحابه: «قوم فارقتهم آنفا خير من هؤلاء».

ثمّ قال :

---

(١) في المصدر [أشهَدُ] .

(٢) في المصدر [حربُ].

(٣) في المصدر [مَعشر] .

(٤) نسبة الى ناعط لقب ربيعة بن مرثد أبو بطن من همدان وأصله اسم جبل بصنعاء ـ المؤلف ـ.

أخــــوك الذي إن [أجــرضتك][١] مُــلِمَّةٌ
مِـــنَ الدَّهــــر لم يــبرح لبــثّك واجــما
وليس أخـــــوك بـــــالذي إن تــــمنّعتْ
عـــليك أُمـــور ظـــلَّ يـــلحاك لائــما

ثمّ مضى فلم يزل يذكر الله حتّى دخل الكوفة[٢].

اجتماع الحَكَمَين بدومة الجندل

حكى الطبري عن الواقدي أنّه كان ذلك في شعبان سنة (٣٨ هـ)[٣] وللصواب أنّه كان سنة (٣٧ هـ)[٤]. روى نصر: إنّ علياًعليه السلام بعث أربعمائة رجل وبعث عليهم شريح بن هانيء الحارثي، وبعث عبد الله بن عبّاس يُصلّي بهم ويلي أُمورهم، وأبو موسى الأشعري معهم.

وبعث معاوية [شرحبيل بن السّمط مع][٥] عمروبن العاص في أربعمائة رجل. فكان إذا كتب عليّ بشيء أتاه أهل الكوفة فقالوا: ما الذي كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ فيكتمهم فيقولون: كتب إليك في كذا وكذا.

ويجيء رسول معاوية إلى عمروبن العاص فلا يُدرى في أيّ شيء جاء ولا في أيّ شيء ذهب، فأنّب ابن عبّاس أهل الكوفة بذلك[٦].

ثمّ ودّع شرحبيل عمروبن العاص وقال له: إنّك رجل قريش وإنّ معاوية

---

(١) في المصدر [أحرضَتْكَ].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٢٨ ـ ٥٣٢ .
(٣) تاريخ الطّبري ٤ : ٥٢ .
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤ : ٤٩ .
(٥) هذه الجملة لم ترد في المصدر.
(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم : ٥٣٣ ـ ٥٣٤، بتصرّف.

لم يبعثك إلّا ثقة بك، وإنّك لن تؤتى مَن عجز ولا مكيدة، فكن عند ظنّنا بك. وانصرف[١]. وودّع شريح أباموسى وقال: إنّك قد نُصبت لأمر عظيم لا يجبر صدْعه، ولا يُستقال فتقه، وإنّه لا بقاء لأهل العراق إن مَلكها معاوية، ولا بأس لأهل الشّام إن مَلكَها عليّ.

وقدكانت منك تثبيطة بالكوفة فإن تشفَعْها بمثلها يكن الظّن فيك يقيناً، والرّجاء يأساً[٢].

وكان آخر من ودّع أباموسى الأحنف بن قيس، فقال له: يا أباموسى، اعرف خطب هذا الأمر، واعلم أنّ له ما بعده، وأنّك إنْ أضَعت العراق فلا عراق، فاتّقِ الله، فإنّها تجمع لك دنياك وآخرتك، وإذا لقيت عمراً غداً فلا تبدأه بالسّلام، فإنّها وإن كانت سُنّة إلّا أنّه ليس من أهلها، وإيّاك أن يُقعدك على صدر الفراش فإنّها خُدعة. ولا تَلقه [إلّا][٣] وحده واحذره أن يُكلّمُك في بيت فيه مخدع تُخبأ فيه الرجال والشهود.

ثمّ أراد أن [يختبر][٤] ما في نفسه، فقال له: فإن لم يَستقمْ لك عمرو، على الرضا بعليٍّ فخيّره بين أن يختار أهل العراق من قريش الشّام من شاؤا؛ أو يختار أهل الشّام من قريش العراق من شاؤا.

قال أبو موسى: قد سمعت ما قلت ولا يستنكر ذلك فأتى الأحنف عليّاً، فقال يا أمير المؤمنين، أخرج والله أباموسى زبدة سقائه في أوّل مخضة، لا أرانا إلّا بعثنا رجلاً لا يُنكر خلعك.

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٣٦، بتصرّف.

(٢) المصدر السابق: ٥٣٤، بتصرّف.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) في المصدر [يبور].

فقال عليّ: «يا أحنف إنّ الله غالب على أمره». قال: فمن ذلك تجزع. وفشا أمر الأحنف وأبي موسى في الناس، فجهّز الشّني راكبا فتبع به أباموسى بهذه الأبيات:

أبـــاموسى جـــزاك الله خــيراً
عــراقَك إنَّ حــظّك فــي العــراق
وإنّ الشّـــام قـــد نـــصبوا إمـــاماً
مـــن الأحـــزاب مـــعروف النـــفاق
وإنّــــا لا نــــزال لهـــم عـــدوّاً
أبـــاموسى إلى يـــوم التَّــلاقي
فــلا تــجعل مــعاوية بــن حــرب إماماً
مـــا مَشتْ قَـــدمٌ بِســـاقٍ
ولا يـــخدعك عـــمرو إنَّ عـــمراً
أبـــاموسى تـــحاماهُ الرَّواقـــي
فكـــن مـــنه عـــلى حـــذر وأنـــهج
طـــريقك لا [تـــزال][1] بك المَــرَاقــي[2]

وقال شُريح [مع][3] ذلك:

أبـــاموسى رُمـــيتَ بِشـــرٍّ خـــصمٍ
فـــلا تـــضع العـــراق فـدتْك نـفسي

---

(١) في المصدر [تزلَّ].

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٣٦ ـ ٥٣٧.

(٣) في المصدر [في].

وأعـــط الحـــقّ شـــامهم وخـــذه
فـــإنّ اليـــوم فـــي مَـــهلٍ كـــأمسٍ
وإنّ غـــــداً يـــجيء بـــما عـــليه
يـــدورُ الأمـــر مـــن سـعدٍ ونـحسٍ
ولا يــــخدعك عـــمرو إن عـــمراً
عـــدوّ الله، مـــطلَعَ كـــلّ شـــمسٍ
له خُـــدَع يُـــحار العـــقلُ فـــيها
مُـــمَوَّهة مـــزخـــرفة بِـــلَبْسٍ
فـــلا تـــجعل مـــعاوية بـــن حـــربٍ
كشـــيخٍ فـــي الحـوادث غـير نِكْسٍ
هـــداه الله للإســـلام فـــرْدا
سِـوى [عـرس][١] النّـبيّ وأيُّ عـرس

فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتَّهموني أن يُرسلوني لأدفع عنهم باطلاً أو أجرّ إليهم حقاً. ثمّ إنَّهم خلّوا بين الحَكَمَين فكان رأي أبي موسى في عبدالله بن عمر وكان يقول: والله إن استطعت لأحيينّ سُنّة عمر[٢].

وأبطأت الأخبار على معاوية، فبعث إلى رجال من قريش من الذين كرهوا أن يُعينوه في حربه. فأتوه منهم: عبد الله بن الزبير، وأتاه المُغيرة بن شعبة وكان مُقيما بالطّائف لم يشهد صفّين.

فقال: يا مغيرة ماترى ؟ قال: لو وسعني أن أنصرك لنصرتك، ولكن عليّ

(١) في المصدر [بنت].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

أن آتيك بأمر الرَّجُلين.

فركب حتّى أتى دومة الجَنْدل فدخل على أبي موسى كأنه زائر، فقال: يا أبا موسى ما تقول فيمَن اعتزل هذه الحرب ؟

قال: أُولئك خيار الناس، ثمّ أتى عمراً، فقال: ما تقول فيمَن اعتزل هذه الحرب ؟

قال عمرو: أُولئك شرار الناس، ولم يعرفوا حقّاً، ولم يُنكروا باطلاً، فرجع إلى معاوية فقال له: قد ذُقْتُ الرَّجُلين. أمّا عبد الله بن قيس فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر وهواه في عبد الله بن عمر وأمّا عمرو فهو صاحبك الذي تعرف.

وأقبل أبو موسى إلى عمرو فقال: هل لك في أمر هو للأُمّة صلاح ولصلحاء النّاس رضاً ؟ نولّي هذا الأمر إلى عبد الله بن عمر بن الخطّاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة. وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير قريبان يسمعان هذا الكلام فقال عمرو: فأين أنت من معاوية ؟ فأبى عليه أبو موسى، وشهدهم عبد الله بن هشام، وعبد الرحمن بن عبد يغوث، وأبو الجُهَم بن حذيفة العدوي، والمُغيرة بن شُعبة، فقال عمرو: ألست تعلم أنّ عثمان قُتِلَ مظلوماً؟ قال: بلى. قال : اشهدوا فما يمنعك يا أباموسى من معاوية وَلِّي عثمان، وبيته في قريش ما قد علمت ؟ فإن خشيت أن يقول الناس وَلِيَ معاوية وليست له سابقة فإنّ لك بذلك حجّة، تقول إنّي وجدته وَليَ عُثمان الخليفة المظلوم الطالب بدمه الحَسَن السياسة الحَسَن التدبير، وهو أخو أُمّ حبيبة أُمّ المؤمنين، وأحد الصحابة. ثمّ عرض له بالسّلطان. فقال: إن هو وَلِيَ هذا الأمر أكرمك كرامة لم يُكرمْك أحد قطّ مثلها.

فقال أبو موسى: اتّقِ الله يا عمرو، أمّا ذكرك شرف معاوية فإنّ هذا الأمر

ليس على الشرف يُوَلاّه أهله، ولو كان على الشّرف لكان أحق الناس به أبرهة بن الصَّباح. إنّما هو لأهل الدّين والفضل، مع إنّي لو كنت أعطيه أفضل قريش شرفاً أُعطيته عليّ بن أبي طالب.

وأمّا قولك: إنّ معاوية وَليّ عثمان، فإنّي لم أكن أُولّيه معاوية، وأدْعُ المهاجرين الأوّلين.

وأمّا تعريضك بالسّلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما وليته، ولا كنت لأرتَشي في الله ولكنّك إن شئت أحيينا سُنّة عمر بن الخطّاب أو إسم عمر بن الخطّاب.

قال: إن كُنت تُريد أن تُبايع ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه ؟ قال: إنّ ابنك رجل صدق لكنّك قد غمسته في هذه الفتنة.

فإن شئت ولينا هذا الأمر الطيب عبد الله بن عمر بن الخطّاب. قال عمرو: إنّ هذا الأمر لا يصلح له إلّا رجل ضِرس يأكل ويُطعم، وإنّ عبد الله ليس هناك.

وكان في أبي موسى غفلة. فقال عبد الله بن الزبير لابن عمر: إذهب إلى عمرو بن العاص فارْشه، فقال ابن عمر: لا والله ما أرشو عليها أبداً ما عشت.

ولكنّه قال: ويلك يا ابن العاص، إنّ العرب قد أسندت إليك أمرها بعدما تقارعت بالسّيوف وتشاجرت بالرِّماح، فلا تردهم في فتنةٍ واتّقِ الله[1].

وكان عمرو وأبو موسى حيث التقيا بدومة الجَنْدل أخذ عمرو يقدِّم أباموسى في الكلام، ويقول: إنّك قد صَحِبت رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي وأنت أكبر منّي فتكلَّم ثمّ أتكلَّم. وجعل يُقدِّمه في كلّ شيء، يغتره بذلك، ليقدّمه فيبدأ

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٣٩ ـ ٥٤٢، بتصرّف.

بخلع عليّ. فلمّا أراده عمرو على معاوية فأبىٰ، وأراده على ابنه فأبىٰ وأراده أبو موسى على عبد الله بن عمر فأبى، قال عمرو: أخبرني يا أباموسى ما رأيك ؟ قال: رأيي أن أخلع هذين الرَّجُلين عليّاً ومعاوية، ثمّ نجعل هذا الأمر شُورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم مَن شاؤا.

فقال له عمرو: الرأي ما رأيت .فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون فتكلَّم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه فقال: إنّ رأيي ورأي عمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأُمة.

قال عمرو: صدق ثمّ قال: يا أباموسى تقدَّم فتكلَّم. فتقدّم أبو موسى ليتكلَّم فدعاه ابن عبّاس فقال: ويحك والله إنّي لأظنّه قد خدعك إن كُنتما قد اتّفقتما على أمر، فقدّمه قبلك فيتكلَّم بذلك الأمر قبلك، ثمّ تكلَّم أنت بعده؛ فإنّ عمراً رجُلٌ غدّار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرّضا فيما بينك وبينه، فإذا قُمت به في الناس خالفك.

وكان أبو موسى رجلاً مُغفَّلاً. فقال: إنّا قد اتّفقنا.

فتقدّم أبو موسى ثمّ قال: يا أيّها الناس، إنّا قد نظرنا في أمرِ هذه الأُمة وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع عليّ ومعاوية، ونستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين، فيولّون أُمورهم مَن أحبّوا. وإنّي قد خلعت عليّاً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولّوا مَن رأيتُم لها أهلاً. ثمّ تنحّىٰ فقعد.

وقام عمرو بن العاص مَقامه فقال: إنّ هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأُثبت صاحبي معاوية فإنّه وليّ عُثمان والطالب بدمه، وأحقّ الناس بمقامه. فقال له أبو موسى: ما لك لا وفّقك الله قد غدرت

وفَجرت. وإنّما مَثَلُك مَثلُ الكلبِ ﴿إنْ تَحمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أوْتَتركهُ يَلْهَثْ﴾[١].

فقال عمرو: إنّما مَثَلُك مَثلُ ﴿الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفاراً﴾[٢].

ولنعم ما قال الأُستاذ عبّاس محمود العقاد في كتابه عبقرية الإمام: كَلب وحمار فيما حَكما به على نفسيهما غاضبين، وهما يقضيان على العالم بأسره ليرضى بما قضياه. وانتهت المأساة بهذه المهزلة، أو انتهت المهزلة بهذه المأساة[٣].

حمل شُريح بن هانيء على عمرو فقنّعه بالسَّوط وحمل على شُريح ابنٌ لعمرو فضربه بالسَّوط، وقام النّاس فحَجزوا بينهم، فكان شُريح يقول: ما ندمت على شيء ندامتي على أن لا أكون ضربته بالسَّيف بدل السَّوط.

أتى الدَّهر بما أتى. والتمس أصحاب عليّ أباموسى فركب ناقته فلحق بمكّة، فكان ابن عبّاس يقول: قبّح الله أباموسى، حذّرته وأمرته بالرأي فما عقل.

وكان أبو موسى يقول: قد حذّرني ابن عبّاس غَدرة الفاسق ولكن اطمأننت إليه، وظننت أنّه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأُمة.

وقام سعيد بن قيس فقال: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدنا على ما نحن الآن عليه، وما ضلالكما بلازمنا، وإنّا اليوم لَعَلَى ماكنّا عليه أمس.

وتكلَّم الناس غير الأشعث بن قيس، ولمّا فعل عمرو ما فعل، واختلط النّاس رجع إلى منزله وجهّز راكباً إلى معاوية يخبره بالأمر من أوَّله إلى آخره. ثمّ انصرف عمرو وأهل الشّام إلى معاوية فسلَّموا عليه بالخلافة،

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) عبقرية الإمام عليّ عليه السلام للعقاد: ٨٢.

ورجع ابن عبّاس وشُريح ومن معهما إلى عليّ.

وقال ابن عمّ لأبي موسى:

أبا موسى [بليت][(١)] [فكنت][(٢)] شيخاً
قريب القَعْرِ مَدهوشَ الجنانِ
رَمَى عمرو صفاتك يا ابن قيسٍ
بأمرٍ لا تنوءُ به اليَدانِ
وقد كنّا نُجَمْجِمُ عن ظُنونٍ
فصرَّحتَ الظُّنونُ عن العِيانِ
فعضّ الكفَّ من نَدمٍ وماذا
يردُّ عليكَ عَضُّك بالبَنانِ[(٣)]

وبهذا انتهت مهزلة تحكيم الحَكَمَين التي دبّرها عمرو بن العاص، وشَرى دينه بإمارة مصر، ثمّ إنّ معاوية بعد ما ولاّه مصر عزله عنها، وولاّها عبد العزيز بن مروان بن الحَكَم. فكتب إليه عمرو:

معاوية الحال لا تجهل
وعن [طرق][(٤)] الحقِّ لا تعدلِ
خلعت الخلافة من حيدر
كخلع النَّعالِ من الأرجُلِ

(١) في المصدر [خُدِعتَ].
(٢) في المصدر [وكنت].
(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٤٤ ـ ٥٤٩، بتلخيص وتقديم وتأخير.
(٤) في المصدر [سُبل].

وألبستها [لك][١] يا ابن اللئام
كلبس الخواتم في الأنمل
ولولايَ كنت [كمثل][٢] النِّساء
تُعاف الخروج من المنزل
ولم تك والله من أهلها
وربِّ العباد ولم تَكمُلِ
فأين الحصى من نُجومِ السماءِ
وأين الحِسام من المِنجلِ
وأين الثُّريّا وأين الثَّرى
وأين معاوية من عليّ
وأعطيت مصراً لعبد العزيز
ولم تعطني زبة الخردل[٣]

قال الشيخ محمّد الأمير من كبار عُلماء مصر في حاشيته على المغني عند ذكر هذه الأبيات ما لفظه : وكأنّه رضي الله عنه تبيّن له خطأ اجتهاده[٤]...الخ.

فانظر واعجب وقل له : لا ما تبيّن له خطأ اجتهاده لأنّه لم يكن مجتهداً إلّا في تحصيل حطام الدنيا، وإنَّما تبيّن له إنّ مصر التي باع بها دينه قد ذهبت

---

(١) في المصدر [فيك].

(٢) في المصدر [شبيه].

(٣) هذه القصيدة طويلة وتُسمّى بالجلجلية، كتبها عمرو بن العاص إلى معاوية، في جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر ويتابعه على امتناعه عنه. وقد روى منها أبيات ابن أبي الحديد في شرح النّهج ١٠: ٥٩، وقال: رأيتها بخط أبي زكريّا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي بتفاوت بالألفاظ. وذكر من أبياتها السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية: ١٢١/١ ـ ١٢٢، وذكرها بطولها العلّامة الأميني في الغدير: ١٧٣/٢ ـ ١٧٦.

(٤) المصدر غير متوفّر لدينا.

منه ﴿أنّها لا تعمى الأبصار ولكن...﴾ .

وروى نصر: إنّه دخل على عليّ عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، والمغيرة بن شعبة، فسألوه عطاءهم وكانوا قد تخلّفوا عنه في الجمل وصفّين فقال : ما خلّفكم عنّي ؟ قالوا: قُتِل عثمان ولا ندري حلّ دمُه أو لا ؟ وقد كان أحدث أحداثاً ثمّ استتبتموه فتاب، ثمّ دخلتم في قتله، فلسنا ندري أصبتم أم أخطأتم مع أنّا عارفون بفضلك يا أمير المؤمنين وسابقتك وهجرتك .

قال عليّ: «**ألستم تعلمون أنّ الله قد أمركم أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر؟ فقال: ﴿وإن طائفتانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بَغَت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيءَ إلى أمر الله﴾**[1]» قال سعد: أعطني سيفاً يعرف الكافر من المؤمن ، أخاف أن أقتل مؤمناً فأدخل النار.

قال لهم عليّ: «**أليس قد بايعتم عثمان على السّمع والطّاعة فَعلامَ خذلتموه إن كان محسنا، وكيف لم تقاتلوه إن كان مُسيئاً، وقد ظلمتم إذ لم تقومُوا بيننا وبين عدوِّنا بما أمركم الله به إذ قال: ﴿قاتلوا التي تَبغي حتّى تفيءَ إلى أمرِ الله﴾ فردّهم ولم يُعطهم شيئاً**»[2]...إلخ وقال لسعد: كان يلزم على الله تعالى حين أمر بقتال الطائفة الباغية أن ينزّل سيوفاً من السّماء تَعرف الباغي من المبغيّ عليه.

وروى نصر بسنده عن تميم بن جذيم النّاجي: أنّه أُصيب بصفّين من أهل الشّام خمسة وأربعون ألفاً، وأُصيب من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً[3].

آخر الكلام على حرب صفّين، وانتهىٰ تسويده عصير يوم الأحد خامس شعبان المعظّم سنة (١٣٥٤ هـ) على يد مؤلّفه العبد الفقير محسن الأمين

(١) الحجرات: ٩.

(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٥١ ـ ٥٥٢، بتصرّف يسير بالألفاظ.

(٣) المصدر السابق: ٥٥٨ .

الحسيني العاملي: بمنزله في قرية شقراء من جبل عـامل صـين عـن الآفـات والغوائل حامداً مُصلّيا مُسلماً.

إرسال أمير المؤمنين عليه السلام قيس بن سعد والياً على مصر

كان يلزم تقديم ذلك على وقعة صفّين. لكن أخّرناه لتكون اخـبار وُلاة مصر متتابعة متوالية من سنة (٣٦ هـ) إلى سنة (٣٨ هـ).

في صفر سنة (٣٦ هـ) أرسل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قيس بن سـعد بـن عبادة من المدينة إلى مصر والياً عليها.

وكان ذا رأي وبأس وحزم ومن شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومناصحيه.

قال ابن الأثير[1] [وإبراهيم بـن سـعد بـن هـلال الـثقفى][2] فـي كـتاب الغارات[3] فيما حكاه عنه ابن أبي الحديد: قال أمير المؤمنين لقيس: إئتها ـ أي مصر ـ **بجُند فإنّ ذلك أرعب لعدوّك وأعزّ لوليّك، وأحسـن إلى المُحسن، واشـدُد عـلى المُريب، وأرفق بالعامّة، فإنّ الرّفق يُمن.**

فقال: أمّا الجُند فأدعُهُ لك، وأمّا ما وصيّتني به من الرِّفقِ والإحسان، فـالله تعالى هو المستعان على ذلك. فدخلها في سبعة مـن أهـله، وذلك يـدلّ عـلى حزمه وشدّة ثقته بنفسه.

فصعد المنبر وأمر بكتاب أمير المؤمنين عليه السلام، فـقُرِىءَ عـلى أهـل مـصر بإمارته ويأمرهم بمبايعته ومساعدته عـلى الحقّ، ثـمّ قـام فـخطب. خـطبة مختصرة جمعت فأوعت فقال: الحمد لله الذي جـاء بـالحقّ وأمـات البـاطل

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣: ٢٦٨ ـ ٢٧١، بتفاوت يسير واختصار.

(٢) في المصدر [أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي].

(٣) الغارات: ١٢٧ ـ ١٣٥ بتفاوت يسير واختصار.

وكَبَتَ الظالمين.

أيُّها الناس؛ إنّا قد بايعنا خير مَن نعلم بعد نبيّنا، فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسُنّة رسوله، فإن نحن لم نَعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فبايعه الناس إلّا أهلَ قريةٍ يُقال لها خربتا كان أهلها عُثمانيّة، فهادَنَهم وجبىٰ الخراج ليس أحد يُنازعه.

وخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الجَمَل؛ ورجع وهو بمكانه، فكان أثقل خلق الله على معاوية، مَخافةَ أن يُقبل عليّ في أهل العراق، وقيس في أهل مصر فَيقع بينهما معاوية.

فكتب معاوية إلى قيس يلزمه بدم عثمان، ويطلب منه مُبايعته ويَعده بسلطان العراق لهُ، وسلطان الحجاز لمَن أحَبّ مِن أهله. فأجابه قيس مخادعاً بأنّه ينظر في ذلك فأجابه معاوية مصرّحاً وقال: إنّه ليس مثلي يُصانع بالخداع ولا يخادع بالمكائد.

فأجابه قيس حينئذٍ جواباً صريحاً وتهدّده أيضاً فأيس منه معاوية وعَمد إلى حيلة أُخرى فأظهر لأهل الشّام أنّ قيساً صار مُواليا له مُساعداً على الطلب بدم عثمان وزوّر كتاباً عن قيس له بذلك وقرأه على أهل الشّام. فَبَلَغ ذلك عليّاً من عيونه بالشّام ومن محمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن جعفر بن أبي طالب، فأعظمه وأكبره.

وقال: والله ما أصدق بهذا عنه(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٥٧ ـ ٦٢ بتلخيص واختلاف يسير باللفظ.

عزل قيس عن مصر وتولية محمّد بن أبي بكر

فأشار عليه عبد الله بن جعفر بعزل قيس.

وجاء كتاب قيس يُخبر بحالِ أهل خربتا وكفّه عن قتالهم، فقال ابن جعفر: ما أخوَفَني أن يكون ذلك مُمالاةٌ منه. فمُره بقتالهم. فأمره به فأجابه: قد عجبتُ لأمركَ بقتال قوم كافّين عنك مفرغيك لعدوّك ومتى حاددناهُم ساعدوا عليك عدوّك، فأطعني يا أمير المؤمنين واكفُفْ عنهم فإنَّ الرأي تركهم.

فقال ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إبعث محمّد بن أبي بكر على مصر واعزل قيساً فقد بَلَغني أنَّ قيساً يقول: إنَّ سُلطاناً لا يستقيم إلّا بقتل مُسلمة بن مُخلّد لسُلطان سُوء.

وكان ابن جعفر أخا محمّد بن أبي بكر لأُمّه ـ أُمُّهما معاً أسماء بنت عُميس ـ فولّىٰ محمّدا مصر فغضب قيس، وذهب إلى المدينة فَشَمت به حسّان بن ثابت، وكان عُثمانياً، فقال له: قَتلت عثمان وعَزَلك عليّ فَبقي عليك الإثمّ ولم يُحسن لك الشُّكر.

فقال له قيس: يا أعمى القلب والبَصَر، والله لو لا أن أُلقي بين قومي وقومك حَرباً لضربت عُنُقك، أُخرج عنّي.

ثمّ خرج قيس، هو وسهل بن حُنيف إلى عليّ فشهدا معه صفّين[1].

وكَتَب أمير المؤمنين عليه السلام مع محمّد كتاباً إلى أهل مصر، يخاطبهم فيه، ويخاطب محمّداً وهو كتاب طويل جدّاً جليل يَشتمل على وصايا جليلة،

(١) الغارات: ١٣٥ ـ ١٣٦ و ١٣٩، تاريخ الأُمم والملوك ٣: ٥٥٤ ـ ٥٥٥، وفيهما تفاوت باللفظ.

وآداب عظيمة، قال إبراهيم: فكان محمّد يَنظُر في هذا الكتاب ويتأدّب[١] بآدابه، فلمّا قتله[٢] عمرو بن العاص، بَعَثَ به إلى معاوية ينظُر فيه ويتعجّب منه، فقال له الوليد بن عقبة: مُر بهذه الأحاديث أن تُحْرَق. فقال: لا أرى ذلك. قال: أفمن الرأي أن يعرف النّاس أنّ أحاديث أبي تُرابٍ عندك تتعلّم منها؟!

قال: ويحك! أتامُرني! أن أحرق علماً مثل هذا ؟! والله ما سمعت بعلمٍ هو أجمع منه، ولا أحكم.

فقال: إن كنت تعجب من علمه وقضائه فَعلامَ تُقاتلَهُ ؟ ثمّ قال لجُلسائه: إنّا لا نقول: هذه من كُتُب عليّ بن أبي طالب، بل[٣] من كُتُب أبي بكرٍ كانت عند ولده[٤]. فلم تَزَل تلك الكُتُب في خزائن بني أُميّة حتّى ولّي عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنّها من أحاديث عليّ بن أبي طالب وكلامه[٥].

وبعث محمّد بن أبي بكر إلى المعتزلينَ: إمّا أن تَدخلُوا في طاعتنا، وإمّا أن تخرجوا [عنّا][٦].

فأجابوه: لا نفعل. وطلَبوا المهلة فأبى عليهم فامتنعوا، وكانت وقعة صفّين وهم هائبونَ لمحمّد، فلمّا رجعَ عليّ عن معاوية وصار الأمُر إلى التحكيم، طمَعُوا في محمّد، فبعثَ إليهم محمّد بن الحارث الجُعفي، فَقاتلهم فقاتلوه وقَتَلُوه فَبعث إليهم آخر فقتلوه[٧].

---

(١) في المصدر [بهذا الجواب ويتعلمه ويقضي به].

(٢) في المصدر [ظهرَ عليه وقتله].

(٣) في المصدر [إنّ هذه من كُتُب].

(٤) في المصدر [ابنه محمّد].

(٥) الغارات: ١٥٩ ـ ١٦٠، وعنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٧٢.

(٦) في المصدر: [وإما أن تخرجوا من بلادنا].

(٧) الغارات: ١٦٣ ـ ١٦٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٧٣ ـ ٧٤، بتلخيص، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٣.

إرسال الأشتر والياً على مصر وقَتله

فلمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إضطراب أمر مصر على محمّد، قال: «**لا يصلح لمصر إلّا قيس، أو الأشتر**».

وكان الأشتر بعد صفّين قد عادَ إلى عَمَله بالجزيرة، وقال عليّ لقيس: «**أقم عندي على شُرطتي حتّى تنقضي الحُكومة، ثمّ تسير إلى آذربيجان**».

وأرسل إلى الأشتر وهو بِنصيبين[1] فاستدعاه وولّاه مصر وكتب له عهداً مشهوراً مذكوراً في نهج البلاغة[2]. فيه مِن ضُروب السّياسةِ وآداب الحكّام والولاة وغير ذلك كَنزٌ ثمين، وبلغ محمّداً عزله بالأشتر فاستاءَ لذلك فَكتبَ إليه أمير المؤمنين عليه السلام: «**بلَغَني مُوجِدَتك من تسريح الأشتر إلى عملك، وإنّي لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجُهد[3]، ولا ازدياداً[4] لك في الجِدّ، ولو نزعتَ ما [تحت يدك][5] من سلطانك لولّيتك ما هو أيسر عليكَ مؤونة وأعجب إليك ولاية**»[6].

فبعث معاوية إلى المقدَّم على أهل الخِراج بالقَلْزَم أنْ يسمَّ الأشتر وتكفَّل له بإسقاط الخِراج عنه ما داما حَيَّين فَسمّهُ في شُربة من عسل وهو صائم[7]، وجعل معاوية يقول لأهل الشّام: إنّ عليّاً قد وجّه الأشتر إلى مصر فادعوا عليه فَدَعوا عليه كلَّ يوم فلمّا بَلغه الذي سقاهُ السُّم موتهُ خَطب أهل الشّام فقال لهم: قد استجابَ الله دعاءَكم، وقال: كانت لعليّ يَمينان قُطعت إحداهما بصفّين ـ

(١) الغارات: ١٦٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٧٤.

(٢) نهج البلاغة: ٤٢٦ ـ ٤٤٤ / كتاب ٥٣.

(٣) في المصدر [عن الجهاد].

(٤) في المصدر [استزاده].

(٥) في المصدر [حوت يداك].

(٦) الغارات: ١٧٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٧٨.

(٧) الغارات: ١٦٦.

يعني عمّار بن ياسر ـ وقُطعت الأُخرى اليوم يعني الأشتر ، وقال: إنَّ للّهِ جُنوداً مِن عَسل.

ولمّا بلغ عليّاً قَتْلَه قال: «**إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، مالك! وما مالك؟! وهل موجود مثل ذلك؟! لو كان من حديد لكان فَنْداً، أو من حَجر لكان صلداً، على مثله فَلتبكِ البَواكي**»[1].

فتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمّد بن أبي بكر

ثمّ إنّ عمرو بن العاص سارَ إلى مصر في ستّة آلاف[2].

فَكتب محمّد بن أبي بكر إلى أمير المؤمنين عليه السلام يَستصرخهُ، فنَدَب الناس إلى نُصرته، فما اجتمع له إلاّ ألفان بعد شهر معَ مالك بن كَعب، فَسار بهم خمسَ ليالٍ فبلَغهم قَتْل محمّد وفَتح مصر فرجعوا[3].

ولمّا قُتِل محمّد بن أبي بكر وضعوه في جيفة حِمار وأحرقُوه بالنّار[4]، وهكذا يكون لؤم الغلَبة.

وقَدِمَ عَلَى أمير المؤمنين ، عينه بالشّام فأخبره بسرورهم بقتل محمّد فقال: «**أما إنَّ حُزننا عليه بقدر سُرورهم به، لا بل يَزيد أضعافا. فعند الله نحتسبه، أما والله إن كانَ كلّما عَلِمت، لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء، ويبغضُ شكل الفاجر ويُحبُّ هُدىٰ المؤمن**»، وكان ذلك سنة ٣٨ هـ[5].

وكتب أمير المؤمنين، إلى ابن عبّاس وهو على البَصرة يخبره بفتح مصر،

---

(١) الغارات: ١٦٨ ـ ١٦٩ و ١٧٠ ، الإختصاص للمفيد: ٨١، وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) الغارات: ١٧٩ .

(٣) الغارات: ١٩٠ ـ ١٩٤ باختصار.

(٤) الغارات: ١٨٧.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٨٢.

وقتل محمّد، فأجابه ابن عبّاس عن كتابه، ثـمّ قَـدم عـليه إلى الكُـوفة يُـعزّيه بمحمّد(١).

وكان محمّد، رَبيب أمير المؤمنين تزّوج أُمّه أسماء بنت عُمَيس بعد وفاة زوجها أبي بكر، وكانت قبل أبي بكر عند جعفر بن أبي طالب، وكانت كابنها محمّد من خيار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج [ج٢ ص ٥٧٥](٢) فـي شـرح قـول أميرالمؤمنين عليه السلام: «والله ما معاوية بأدهى منّي ولكنّه يغدُر ويفجُر»(٣) ـ إلخ عند ذكر الأُمور التي يُنسَب إليه فيها مَن لا يَـعرف حـقيقته ضـعف الرأي. مـا مـثالهُ: ومنها تعلّقهم بتولّية أمير المؤمنين عليه السلام محمّد بن أبي بكر مصر، وعزله قيس بن سعد عنها، حتّى قُتِل محمّد بها واستولى معاوية عليها.

والجواب أن يُقال(٤): إنّه ليس يُمكِن أن يُـقال: إنّ مـحمّداً لم يكُ بـأهلٍ لولاية مصر ؛ لأنه كان شجاعاً زاهدا فاضلاً، صحيح العقل والرأي ؛ ومـمّن لا يُتّهم ولا يرتاب بنصحه، وهو رَبيبَه وخِرّيجه. ثمّ كان المصريّون على غـاية المَحبّة له، والإيثار لولايته، ولمّا حاصروا عثمان وطالبوه بعزل عـبد الله بـن سعد بن أبي سَرْح عنهم ؛ اقترحوا تأمير محمّد بن أبي بكر على مِصر(٥)، لمّا ظهر من مَيْل المِصريّين إليه، وإيثارهم له ؛ واستحقاقه لذلك بتكامُل خـصال الفَضلْ فيه ؛ فكان الظنُّ قويّاً باتّفاق الرّعية على طاعته، وانقيادهم إلى نُصرته،

(١) الغارات: ١٩٦ ـ ١٩٧، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٨٣.
(٢) هذه طبعة سابقة على الطبعة المحققّة المصرية التي تبلغ ٢٠ مجلداً من القطع الوزيري.
(٣) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢١١ والخطبة موجودة في نهج البلاغة: ٣١٨ / خ ٢٠٠.
(٤) ليست في المصدر .
(٥) في المصدر [عليهم].

واجتماعهم على محبّته، فكان من أمره ما كان، وليس ذلك بِعيب على أمير المؤمنين عليه السلام فإنَّ الأُمور إنَّما يعتمدها الإمام على حسب ما يظنّ فيها منَ المَصلحة، ولا يعلم الغيبَ إلّا الله.

وقد ولّى رسول الله صلى الله عليه وآله جعفراً، وزيداً، وعبد الله بن رواحة يوم مؤتة، فَقُتِلوا وهُزِمَ الجَيش، وعادَ مَن عادَ منهم إلى المدينة بأسوأ حال، فهل لأحدٍ أن يعيب رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ويطعن في تدبيره...[1] إلخ .

إرسال معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة لإلقاء الفتنة

قال ابن الأثير : في سنة (٣٨ هـ) بعد مَقتَل محمّد بن أبي بكر، أرسل معاوية عبد الله بن الحَضرمي إلى البصرة لإيقاع الفتنة والفساد لِعلمِهِ: أنّ جُلّ أهلها عُثمانيّة وأنّهم حَنِقُونَ لما أصابهم يوم الجَمَل، وكان ابن عبّاس أميرهم قد ذَهَبَ إلى الكوفة ليُعزّي أمير المؤمنين عليه السلام عن محمّد بن أبي بكر، واستخلف على البصرة زياد بن أبيه فنزلَ ابنُ الحَضرمي في بني تَميم فأتاه العُثمانيّة، وغيرهم فخطبَهم، ودعاهم إلى الطّلب بدم عثمان.

فقام الضّحاك بن قيس الهلالي، وكان على شُرطة ابن عبّاس، فقال: قبّحَ الله ما جئتنا به! أتيتَنا والله بمثل ما أتانا به طلحة، والزبير، أتَيانا وقد بايعنا عليّاً واستقامت أُمورنا فَحَمَلانا على الفُرقة، ونحن الآنَ مُجتمعون على بيعته، وقد أقال العثرة، وعفا عن المُسيء أفتأمرنا أن ننتضي أسيافنا يضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً ؟ والله لَيوم من أيام عليّ خير من معاوية، وآل معاوية!

فردَّ عليه عبد الله بن حازم السّلمي وأجاب إلى ما دعا إليه الضّحاك، وقال

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

له: اقرأ كتاب معاوية فقرأه وفيه الدّعوة إلى الطّلب بدم عثمان، ووعده بأنّه يُعطيهم عطائَين في السنة. ترغيباً لهم في المال.

فقال الأحنف: لا ناقتي في هذا ولا جَمَلي واعتزل . وقامَ عمر بن مَرجُوم(١) العَبدي. فدعا إلى لُزوم الطّاعة وعدم نَكْث البيعة، وخالفه عبّاس بن صُحار العبدي، وكان مخالفاً لقومه في حبّ عليّ عليه السلام ،فأجاب إلى نصرة ابن الحَضرمي فردَّ عليه المُثنّى بن مَخرَمة العبدي، فخاف زياد فاسْتَجار بِحُضين ابن المُنذر ومالك بن مسمع.

فقال حُضَين: نعم. وقال مالك ـ وكان مائلا إلى بني أُميّة ـ أستشير وأنظر.

فلمّا رأى زياد تَثاقُل مالك خاف أن تختلف عليه رَبيعة، فاسْتَجار بِصبرة بن شَيمان الحدّاني. فنقل بيت المال إلى داره.

وكتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالخَبَر، فأرسل إليه أعيُن بن ضَبيعة المجاشِعي ثمّ التَّميميّ ليفرّق قومه عن ابن الحَضرمي، فإن امتَنعُوا قاتَل بمَن أطاعه مَن عصاه ، فأتى قومه ونهض إلى ابن الحضرمي بمَن معه ودعاهم، فشتموه، وواقَفَهم نهاره ثمّ انصرف.

فَدخل عليه قوم قيل: إنَّهم من الخوارج، وقيل: وضعهم ابن الحَضرمي على قتله، وكان مَعهم، فَقُتلوا غيلة.

وكتب زياد إلى عليّ عليه السلام بذلك فأرسل جارية بن قُدامة السَّعدي، مع جماعة فقرأ عليهم كتاب عليّ عليه السلام، يوبّخهم ويتهدَّدهم بالمسير إليهم، والإيقاع بهم وَقعة لا(٢) تكون وَقعة الجمل عندها شيئاً(٣). وسارَ جارية إلى ابن

(١) في المصدر [مرحوم].
(٢) ليست في المصدر .
(٣) في المصدر [هباء].

الحَضرمي ومعه الأزد(١).

غارة الضَحاك بن قيس الفهري على الحاجّ ونهبه الأموال وقَتْله النفوس البريئة بأمر معاوية بعد الحَكَمَين، وقبل وقعة النهروان

في شرح النَّهج، روىٰ إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي، في كتاب الغارات: إنَّ غارة الضَّحاك بن قيس كانت بعد الحَكَمَين، وقبل قتال النهروان، وذلك أنّ معاوية لمّا بلغَه أنَّ علياًعليه السلام بعد واقعة الحَكَمَين تحمّل إليه مقبلاً هاله ذلك فخرج من دمشق مُعسكراً وبَعَث إلى كُور الشّام نُسخة واحدة فقُرئت على الناس. وفيها : إنّا كُنّا كتبنا كتاباً بينَنا وبين عليّ، وشرطنا فيه شُروطاً، وحكَّمنا رَجُلَين يحْكُمان علينا وعليه بحُكم الكتاب لا يعدُوانه، وجعلنا عهد الله وميثاقه على مَن نَكث العهد ولم يمضِ الحُكم، وإنَّ حَكَمَي أثبَتَني، وحَكَمَه خَلعه، وقد أقبَلَ إليكم ظالماً ﴿فمن نكث فإنّما ينكُث على نفسه﴾(٢)، تجهّزوا للحرب بأحسن الجهاز يسَّرنا الله وإيّاكم لصالح الأعمال !

فاجتمع إليه الناس ، [فاستشار أصحابه](٣) ، وقال: إنّ علياً قد خرج من الكوفة، وعَهد العاهد به أنّه قد فارق النُّخيلة.

[فأشار](٤) حبيب بن مسلمة ، بالذِّهاب إلى صفّين. وأشار عمرو بن العاص، بالإيغال في الجزيرة . فَمكثوا يومين، أوثلاثة يجيلون الرأي، حتّى قدمت عليهم عيونهم أنّ علياً فارقته فرقة أنكروا أمر التحكيم، وأنّه قد رجع

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٦٠ ـ ٣٦٣ بتلخيص واختصار.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) في المصدر [فاستشارهم].

(٤) في المصدر [فقال].

عنكم إليهم. فكبّر النّاس سُروراً بذلك ثمّ جاء الخَبر بقتل الخوارج، وأنّ عليّاً أراد بَعد قتلهم أن يَقبل إليكم، ولكن أصحابه استنظروه، فسّروا بذلك[(١)(٢)].

قال الطّبري : وكان عمارة بن عقبة بن أبي معيط مُقيماً بالكوفة بعد قتل عثمان لم يهجه عليّ ولم يَذْعَره، تكرّماً منه وتمسّكاً بالدّين وكان يكتب إلى معاوية بالأخبار سرّاً[(٣)].

وروى ابن إسحاق: أنّه جاء كتاب عمارة إلى معاوية، وهو مُعسكر، بأنّ عليّاً خرج عليه قرّاء أصحابه ونساكهم، فقتلهم، وقد فسد عليه جُنده.

قال: فدعا معاوية الضّحاك بن قيس الفهري، فسرّحه فيما بين ثلاثة آلافٍ إلى [خمسة][(٤)] آلاف.

وقال: سر حتّى تَمُرّ بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت، فمَن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغِرْ عليه، وإن وجدت له مَسلحةً أوخيلاً فأغِرْ عليها.

فأقبَل الضّحاك فنهب الأموال، وقَتَل مَن لقيَ من الأعراب حتّى مرّ بالثعلبيّة، فأغار على الحاجّ، فأخذ أمتعتهم، ثمّ لقيَ عمرو بن عميس بن مسعود [الذهلي][(٥)] وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي فقتله في طريق الحاجّ عند القُطْقُطَانة. وقَتَل معه ناساً من أصحابه[(٦)]... إلخ.

وكان ذلك كلّه اجتهاداً يُثاب فاعله !

---

(١) الغارات: ٢٨٨ وفيه اختلاف يسير باللفظ..

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢: ١١٣ ـ ١١٤ بتفاوت يسير.

(٣) حكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢: ١١٥.

(٤) في المصدر [أربعة].

(٥) في المصدر [الهذلي].

(٦) الغارات: ٢٩٠ ـ ٢٩٢. بتفاوت يسير باللفظ، وابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ١١٤ ـ ١١٧.

فخَطَب أمير المؤمنين عليه السلام الناس وأنَّبهم وحثّهم على الخروج إلى عدوّهم، فردّوا عليه ردّاً ضعيفاً، ورأى منهم عجْزاً وفشلاً، ثمّ نزل.

فخرج يَمشي حتّى بلغ الغريّين، ثمّ دعا حجر بن عَديّ الكندي فعقد له أربعة آلاف.

فخرج حجر حتّى مرَّ بالسّماوة وهي أرض كلب فلَقيَ بها امرئ القيس بن عَديّ الكلبي، وهم أصهار الحسين عليه السلام ـ لأنَّ الحسين عليه السلام كان متزوِّجا الرّباب ابنة امرئ القيس هذا ـ فكانوا أدلاّءه على الطريق وعلى المياه، فلم يزل مُغِذاً في أثر الضّحاك، حتّى لقيه بناحية تَدْمُر، فواقعه فاقتتلوا ساعة، فقَتَل من أصحاب الضّحاك تسعة عشر رجُلاً، وقُتِلَ من أصحاب حجر رجلان، وحجز اللّيل بينهم. فلمّا أصبحوا لم يجدوا للضّحاك ولا لأصحابه أثراً[١]...إلخ.

أخباره مع أخيه عقيل

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: لم يشهد عقيل مع أخيه أمير المؤمنين شيئاً من حُروبه أيّام خلافته، وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه ولم يكلّفه حضور الحرب.

ثمّ قال: واختلف الناس في عقيل؛ هل التحق بمعاوية وأمير المؤمنين حيّ؟

فقال قوم: نعم، وروَوا أنّ معاوية قال يوماً وعقيل عنده: هذا أبو يزيد، لو لا علمه إنّي خيرٌ له من أخيه لمّا أقام عندنا وتركه.

فقال عقيل: أخي خيرٌ لي في ديني، وأنت خير لي في دنياي، وقد آثرت

---

(١) الغارات: ٢٩٣ ـ ٢٩٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١١٧ ـ ١١٨، بتلخيص واختصار.

دنياي، وأسأل الله خاتمة خير(١).

وقال أيضاً: [روى](٢) أنّ عقيلاً قدم على أمير المؤمنين، فوجده جالساً في صحن مسجد الكوفة. فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ـ وكان عقيل قد كفّ بصره ـ فقال: «[والسلام عليك](٣) يا أبا يزيد»، ثمّ التفت إلى ابنه الحسن، فقال: «قُم فأنزل عمّك» فقام فأنزله إليه، ثمّ عاد فقال: اذهب فاشترِ لعمّك قميصاً جديداً، ورداءً جديداً وإزاراً ونعلاً جديداً.

فذهب فاشترى له فغدا عقيل على عليّ عليه السلام في الثياب، فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين. قال: «وعليك السّلام يا أبا يزيد» قال: يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً، وإنّي لا ترضى نفسي من خلافتك بما رضيت به لنفسك. فقال يا أبا يزيد: **يخرج عطائي فادفعه إليك.**

فلمّا ارتحل عن أمير المؤمنين، أتى معاوية فأمر له بمائة ألفٍ فقبَضَها، ثمّ غدا عليه يومًا بعد ذلك، وبعد وفاة أمير المؤمنين، وبيعة الحسن لمعاوية)(٤) الحديث.

ثمّ قال ابن أبي الحديد في تتمة كلامه السابق: وقال قوم: إنّه لم يأتِ(٥) إلى معاوية إلّا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام،واستدلّوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه في آخر خلافته والجواب الذي أجابه به عليه السلام. قال: وهذا القول هو الأظهر عندي)(٦) وأشار بالكتاب والجواب إلى ما رواه أبي إسحاق في كتاب

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢٥٠ ـ ٢٥١.
(٢) في المصدر [رووا].
(٣) في المصدر [وعليك السّلام].
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٢٤.
(٥) في المصدر [يَعُدْ].
(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢٥١.

الغارات، قال: كتب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين عليه السلام في أثر وقعة الضّحاك بن قيس، حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به. ومرَّ ذكر غارة الضّحاك آنفاً.

كتاب عقيل إلى أمير المؤمنين بعد وقعة الضّحاك

«لعبدالله عليّ أمير المؤمنين ـ من عقيل بن أبي طالب: سلامٌ عليك فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو. أمّا بعد فإنّ الله حارسُك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه وعلى كلّ حال؛ إنّي [قد](١) خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلقاء، فعرفت المنكر في وجوههم، فقلت: إلى أين يا أبناء الشانئين؟ أبمعاوية تلحقون عداوة والله منكم قديمة غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره؟ فأسمعني القوم وأسمعتهم.

فلمّا قدمت مكّة سمعت أهلها يتحدّثون: إنّ الضّحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من [أموالها](٢) ما شاء ثمّ انكفأ راجعاً سالماً فأُفٍّ لحياة في دهر جرّأ عليك الضّحاك، وما الضّحاك إلّا فَقع بقَرْقرٍ!!(٣) وقد توهّمت [حين](٤) بلغني ذلك أنّ شيعتك وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا ابن أُمّي

(١) ليست في المصدر.

(٢) في المصدر [أموالهم].

(٣) الفَقْعُ: ضَرْبٌ في الكَمأة، وهي أردأ الكَمْأة طَعماً وأسرعها فساداً. كتاب العين للفراهيدي ١: ١٧٦ (مادة فقع).

والقَرْقرَةُ: الأرض المنبسطة الملساء ليست بحدٍّ واسعة، فإذا اتّسعت غلبت عليها اسم التذكير فقالوا: قَرْقَر. كتاب العين للفراهيدي ٥: ٢٢ (مادّة قر).

(٤) في المصدر [حيثُ].

برأيك، فإن كنت الموت تُريد تحمّلت إليك ببني أخيك، وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً[١] وأقسم بالأعزّ الأجلّ أنَّ عَيشا نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[٢].

جواب أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: «**من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب: سلامٌ عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو .**

أمّا بعد كلأنا الله وإيّاك كَلاءَة مَن يخشاه بالغيب إنّه حميدٌ مجيدٌ. قد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنّك لقيت عبد الله بن أبي سرح، مقبلاً من قديد في نحو من أربعين [فارساً][٣] من أبناء الطُّلقاء متوجِّهين إلى [جهة الغرب][٤]، وإنَّ ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصدَّ عن سبيله وبغاها عوجاً، فدَع ابن أبي سرح، ودَع عنك قريشاً، وخلّهم وتركاضهم في الضّلال وتِجوالهم في الشّقاق، ألا وإنّ العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم [إجماعها][٥] على حرب [رسول الله][٦] صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه، وجحدوا فضله، وبادروه العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا

---

(١) الفُواق: فُواق الناقة، رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها، تقول العرب: ما أقام عندي فواق ناقة. كتاب العين للفراهيدي ٥: ٢٢٤ (مادّة فوق).

(٢) إن الذي يكتب هذا الكتاب لا يمكن أن يقال عنه إنّه التحق بمعاوية في حياة أخيه.

(٣) في المصدر [شاباً].

(٤) في المصدر [المغرب].

(٥) في المصدر [اجتماعها].

(٦) في المصدر [النّبي].

عليه كلّ الجهد، وجرّوا [إليه][(١)] جيش الأحزاب.

اللّهمَّ فأجز قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعت رَحمي، وظاهرت عليَّ، ودفَعتني عن حقّي، وسلَبتني سُلطان ابن أُمّي، وسلَّمت ذلك إلى مَن ليس مثلي في قرابتي من الرسول، وسابقتي في الإسلام.

إلّا أن يدّعي مُدّع ما لا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه؛ والحمد للّه على كلّ حال.

وأمّا ما [ذكرته][(٢)] من غارة الضّحاك على أهل الحيرة، فهو أقلُّ وأذلُّ من أن يلم بها أو يدنو منها، ولكنّه قد كان أقبَل في جريدة خيلٍ، فأخذ على السَّماوة حتّى مرَّ بواقصةٍ، وشراف، والقُطقُطانة ممّا والى ذلك الصُّقع، فوجّهت إليه جُنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرَّ هارباً، فأتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن وكان ذلك حين طَفَلت الشمس للإياب؛ فتناوشوا القتال قليلاً، فلم يصبر لوقع المشرفيّة، وولّى هارباً، وقتل من أصحابه [بضعة][(٣)] عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق، فلأيا بلأي[(٤)] ما نجا.

فأمّا ما سألتني أن أكتب لك برأيي فيما أنا فيه، فإنّ رأيي جهاد المُحلّين حتّى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزّة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة، [لأنني][(٥)] مُحق، والله مع المُحقّ[(٦)]، ووالله لا[(٧)] أكره الموت على الحقّ، وما الخير كلّه إلّا[(٨)] بعد الموت[(٩)] لمن كان

---

(١) في المصدر [عليه].

(٢) في المصدر [ذكرتَ].

(٣) في المصدر [تسعة].

(٤) أي كانت نجاته بعد جهد ومشقة.

(٥) في المصدر [لأنّي].

(٦) في المصدر [الحق].

(٧) في المصدر [ما].

(٨) ليست في المصدر.

(٩) في المصدر بعد الموت [إلّا].

مُحقّاً.

وأمّا ما عرضت به من سيرك إليّ بِبَنيكَ وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً؛ فوالله [ما](١) أحبّ أن تَهلكوا معي إنْ هَلَكت، ولا تحسبنّ ابن أُمّك(٢) لو أسلمه الناس متخشّعاً ولا متضرّعا، [إنّه](٣) لكما قال أخو بني سليم:

[إن](٤) تسألينى كيف أنت فإنّني
صبورٌ على رَيبِ الزّمانِ صليبُ
جهيد على أن لا ترى بي كآبةٌ(٥)
فيشْمَتُ [واش](٦) أويُساء حبيبُ(٧)

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النَّهج عن الزبير بن بكار أنّه روىٰ في كتاب الموفّقيات، بسنده: أنّه لما حُوصر عُثمان أبرد مروان بريدين إلى الشّام، واليمن ومع كلّ منهما كتاب إلى يعلى بن منية باليمن، ومعاوية بالشّام يستنجد بهما.

ثمّ جاء كتاب مروان إلى معاوية بقتل عثمان، فكتب معاوية إلى جماعة من بني أُميّة وغيرهم يحرّضهم على الطلب بدم عثمان، فكلّهم كتبوا إلى معاوية يحرّضونه، ويقرونه إلّا سعيد بن العاص فإنّه كتب إليه ينهاه عن

(١) [ما]ليست في المصدر.
(٢) [و] في المصدر قبل [لو].
(٣) في المصدر: [إنّي].
(٤) في المصدر [فإن].
(٥) في المصدر: صدر البيت [يَعزُّ عليّ أنْ تُرى بي كآبةٌ].
(٦) في المصدر [عادٍ].
(٧) الغارات: ٢٩٥ ـ ٣٠٠.

ذلك[1].

قال: وقد روى في خبر مشهور أنّ معاوية وبّخَ سعيد بن العاص على تأخره عنه في صفّين، فقال سعيد: لو دعوتّني لَوَجدتّني قريباً، ولكن جلست مجلس عقيل وغيره من بني هاشم، ولو أوعبنا لأوعبوا... إلخ.

وقال ابن أبي الحديد: فأمّا عقيل فالصحيح الذي اجتمع ثقاتُ الرّواة عليه أنّه لم يجتمع مع معاوية إلّا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنّه لازَمَ المدينة ولم يحضر حرب الجمل وصفّين، وكان ذلك بإذن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد كتب عقيل إليه بعد الحَكَمَين يستأذنه في القُدوم عليه الكوفة بولده وبقيّة أهله، فأمره بالمقام[2]... إلخ.

وفي بعض خطب النَّهج: «**وعاودني ـ أي عقيل ـ مؤكّداً، وكرّر عليّ القول مُردّداً، فأصغيت إليه سمعي، فظنَّ أنّي أبيعه ديني، وأتّبع قياده مُفارقاً طريقتي، فأحميت له حَديدة**»[3] إلى آخر الكلام.

هذا ما وصل إلينا من أخباره مع أخيه عقيل، ويُمكننا أن نلخّصه في أُمور:

الأوّل: إنَّ عقيلاً كان قد بقي بأولاده في المدينة، كما يَدلُّ عليه قول سعيد بن العاص؛ ولكن جلست مجلس عقيل. إلخ. وكتاب عقيل إلى أخيه الدّال على أنَّ عقيلاً كان بالحجاز مع أولاده عند غارة الضّحاك التي كانت بعد الحَكَمَين وإنَّ أمير المؤمنين أمره بالإقامة بأولاده بالحجاز، وعدم المجيء إلى العراق، كما نصَّ عليه جواب الكتاب.

الثاني: إنّ عقيلاً لم يذهب إلى معاوية في حياة أمير المؤمنين، وإنَّما ذهب

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٣٣ ـ ٢٣٥ و٢٤٤ باختصار.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٢٥٠ باختصار.

(٣) نهج البلاغة: ٣٤٦ ـ ٣٤٧ / خ ٢٢٤.

بعد موته، ويدلّ على ذلك الكتاب والجواب، وكلام سعيد بن العاص. فكلام سعيد يدلّ على أنّ عقيلاً كان عند حرب صفّين بالحجاز، والكتاب والجواب يدلاّن على أنّه كان بعد الحَكَمَين بمدّة بها أيضاً، وذلك في آخر خلافة أميرالمؤمنين.

ويمكن أنّ القائل بذهابه إلى معاوية، في حياة أخيه اشتَبَه عليه ذهابه بَعد وفاة أخيه بذهابه في حياته.

الثالث: هل جاء عقيل إلى الكوفة في خلافة أخيه ؟ يمكن أن يُقال: نَعم، وإنّه أمر ابنه الحسن أن ينزله عنده، وأن يشتري له كسوة جديدة، ونعلاً جديداً، ففعل، وجاء إليه في غدوة اليوم الثاني في ثيابه ونعله الجُدُد، فأخبره عقيل أنّه لا يرضىٰ لنفسه ما رضيه أخوه لنفسه من المُساواة مع باقي المسلمين في العطاء، وإنّه يُريد التميُّز عنهم، فهو أخو الخليفة، فيلزم أن يميّز عن غيره في العطاء، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام وقد اختطَّ لنفسه خطّة العدل والمُساواة بين الناس، وبدأ في ذلك بنفسه وبولَديهِ أعزّ الناس عليه، فأخذ لنفسه من العطاء ما يأخذه أي شخص من المسلمين، وأعطى ولديه كذلك، ولمّا جاء إليه أخوه عقيل أكرمه غاية جُهده، فجعله ضيفاً عند ولده، وكساه كسوة جديدة، ولمّا طلب الزيادة عن الناس في العطاء، قال: يخرج عطائي فأدفعه إليك وهذا غاية ما في وسع أمير المؤمنين أن يفعله، وهو غاية الجُود، والكَرَم، والرأفة، والشّفقة، فأمير المؤمنين لم يكن يدّخر مالاً. ونفقته ونفقة عياله محصورة في عطائه، فجاد به على عقيل، وهو كلّ ما يملك، ووطّن نفسه على أن يبقىٰ بدون نفقة، ويستدين على عطائه الثاني.

فليس من المُبالغة في شيء قولنا: «هذا غاية الجود والشّفقة، ولكن عقيلاً لم يُرضه ذلك، ولم يُقنعه، وكرّر المُطالبة، وألحَّ وألحف وعاود أخاه

مؤكّداً، وكرّر عليه القول مُردّداً، ولزمه لزوم الأعمى غريمه، حتّى أحرجه، ولم يجد منه مَخرجاً إلّا إحماء الحديدة، وإدناءها من جسمه ليعتبر بها، وكان صرفه وإقناعه منحصراً في ذلك، ومنه يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقصّر في إكرام أخيه عقيل وبرّه بغاية ما تتّسع له ذات يده، ويُساعد عليه دينه وعدله، وإنّ ما فعله مع عقيل الذي يريد حمله بالإلحاح والإلحاف على ما لا يُمكن أن يفعله من إحماء الحديدة، ليس فيه شيء من القسوة والجفوة، كما يتوهّم في بادي النَّظر.

والظاهر أنّ عقيلاً لمّا جاء إلى الكوفة، أحضر معه ولده ليكون وجودهم أدعى للعطف عليه، ثمّ عادَ بهم إلى المدينة، ولابُدّ أن يكون أمير المؤمنين لمّا خرج عطاؤه بعث به إليه مع عطاء عقيل فإنّه لم يكن ليخلف ما وعد به.

وقعة النهروان مع الخوارج سنة (٣٧ هـ) وقيل سنة (٣٨ هـ)(١)

الخوارج هم الذين أنكروا التّحكيم الذي وقع يوم صفّين، وقالوا: لا حُكْم إلّا لله. وقد مرَّ ذكر أوّل مَن قال ذلك ويُقال لهم: الحَرورية أيضاً لأنّهم في أوّل أمرهم اجتمعوا بمكان يقال له حروراء، وقاتَلَهم عليّ عليه السلام وقَتَلَهُم بمكان يُسمّى النهروان، وهو موضع بين بغداد وحلوان، فَسُمِّيَتْ الوقعة به.

وأساس عقيدتهم تولي الشّيخين والبراءة من الصّهرين، فيتولّون عثمان إلى حين وقوع الأحداث، ويتولّون عليّاً إلى حين وقوع التّحكيم، وهم القُرّاء الذين كانوا في صفّين، وقد اسودّت جباههم من طول السُّجود، وقال لهم أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّها حيلةٌ، فلم يقبَلوا وأجبروه على التّحكيم، ثمّ أنكروه ثمّ

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٩.

كانت لهم وقائع مشهورة مذكورة في كُتُب التواريخ في زمان مُلوك بني أُمّية، وبني العبّاس، ولا يزال منهم طائفة إلى اليوم في زنجبار، والمغرب، وشمال أفريقية وغيرها.

وروى الطبري في تاريخه: إنَّ علياً لمّا أراد أن يبعث أباموسى للحكومة أتاه رجُلان من الخوارج، زرعة بن البرج الطائي، وحرقوص بن زهير السَّعدي فقالا له: لا حُكْم إلّا لله. فقال عليّ: «لا حُكْم إلّا لله». قال له حرقوص: تب من خطيئتك، وارجع عن قضيّتك، واخرج بنا إلى عدوّنا.

فقال: «قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً، وشرطنا شروطاً، وأعطينا عليها عُهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وأوْفُوا بِعَهْدِ الله إذا عاهَدْتُم ولا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكيدِها وقَدْ جَعَلْتُم الله عَلَيكُم كفيلاً﴾[1].

فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه. قال عليّ: «ما هو ذنبٌ، ولكنّه عجزٌ من الرأي، وضعف من الفعل وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه». فقال له زرعة:

أمّا والله يا عليّ، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزَّ وجلّ قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، قال عليّ: «بؤساً لك ما أشقاك كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الريح». قال: وددت أنه كان ذلك.

قال له عليّ: «لو كنت محقّاً كان في الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا، إن الشيطان قد استهواكم، فاتّقوا الله. فخرجا من عنده يحكمان.

وخرج عليّ ذات يوم يخطب فإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد، فقال: الله أكبر، كلمة حقٍّ يُراد بها باطل».

---

(١) النحل: ٩١.

وقال له رجل منهم يوماً وهو يخطب : ﴿ولقد أوحي إليكَ وإلى الذينَ مِنْ قَبْلِكَ لئن أشركت ليحبطنَّ عَمَلُكَ ولَتكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ﴾(١) فقال عليّ : ﴿فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفنّكَ الذين لا يوقنون﴾(٢)(٣).

وروى الطبري: إنه لمّا وقع التحكيم ورجع عليّ من صفّين رجعوا مُباينين له، فلمّا انتهوا إلى النَّهر، أقاموا به فدخل عليّ في الناس الكوفة، ونزلوا بحروراء(٤) .

قال ابن الأثير: لمّا رجع عليّ من صفّين فارقه الخوارج، وأتوا حروراء، فنزلوا بها إثنا عشر ألفا ونادى مناديهم : أمير القتال شبث بن ربعي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عزّ وجلّ، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر.

فقامت الشيعة، فقالوا لعليّ: في أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت.

فقالت الخوارج : استبقتم أنتم وأهل الشّام إلى الكفر كفَرَسي رهان ، بايع أهل الشّام معاوية على ما أحبّوا وكرهوا، وبايعتم عليّاً على أنكم أولياء من والى وأعداء من عادى.

فقال لهم زياد بن النَّضر: أما والله ما بايعنا عليّاً إلاّ على كتاب الله وسُنّة نبيّه، ولكنّكم لمّا خالفتموه جاءته شيعته فقالوا: نحن أولياء من واليت وأعداء

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الروم: ٦٠.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٥٢ ـ ٥٤.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٥٤.

من عاديت، ونحن كذلك وهو على الحق والهُدى ومن خالفه ضالّ مُضل[(١)].

قال الطبري: وبعث إليهم ابن عبّاس، فرجع ولم يصنع شيئاً[(٢)].

وقال المبرد وغيره: لمّا وجه ابن عبّاس إليهم ليناظرهم قال لهم: ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟ قالوا له: قد كان للمؤمنين أميراً، فلمّا حكّم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر، نعدّ له.

فقال ابن عبّاس: ما ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه بشكّ أن يقرّ على نفسه بالكُفر. قالوا: إنه حَكّم.

قال: إن الله أمر بالتحكيم في قتل صيد. قال: ﴿يَحكُم به ذَوا عَدلٍ منكم﴾[(٣)] فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؟

فقالوا: إنّه حكم عليه فلم يرض.

فقال: إنّ الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته، وكذلك الحكمان لمّا خالفا نُبذت أقاويلهما. فقال بعضهم لبعض: اجعلوا احتجاج قريش حجّة عليهم فهذا من الذين قال الله فيهم: ﴿بل هُم قومٌ خَصِمون﴾[(٤)] وقال جلّ شأنه: ﴿وتُنذِرَ بِهِ قَوماً لُدّاً﴾[(٥)])[(٦)].

قال المبرّد: ثمّ ناظرهم أمير المؤمنين بعد مناظرة ابن عبّاس فكان فيما قال لهم: «ألا تعلمون إن هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحف قلت لكم: إنّ هذه مكيدة،

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٥٤.

(٣) المائدة: ٩٥.

(٤) الزخرف: ٥٨.

(٥) مريم: ٩٧.

(٦) الكامل للمبرد ٣: ١٦٥، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٧٣، وحكاه عن المجلسي في بحار الأنوار ٣٣: ٣٤٩.

وأنّهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني، وسألوني![١] أفتعلمون أن أحداً كان أكره للتحكيم منّي؟».

قالوا: صدقت. قال: «فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني على ذلك حتّى أجبتكم إليه، فاشترطت أنّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله، فمتى خالفاه، فأنا وأنتم من ذلك بُرآء، وأنتم تعلمون أنّ حكم الله لا يعدوني». قالوا: اللّهم نعم. فقالوا: حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرّون بأنّا كفرنا، ولكنّنا الآن تائبون فأقرّ بما أقررنا، به وتب ننهض معك إلى الشّام.

قال: أما تعلمون أن الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرّجل وامرأته فقال سبحانه: ﴿فابعثوا حَكَماً مِنْ أهلهِ وحَكَماً من أهلها﴾[٢] وفي صيد أُصيب كأرنب يساوي نصف درهم. فقال: ﴿يَحكُم بهِ ذَوا عدلٍ مِنكُم﴾[٣].

فقالوا له: فإنّ عمراً لمّا أبى عليك أن تقول في كتابك «هذا ما كتبه عبد الله عليّ أمير المؤمنين» محوت اسمك من الخلافة، وكتبت «عليّ بن أبي طالب» فقد خلعت نفسك.

فقال: لي برسول الله ﷺ أُسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب «هذا كتاب كتبه محمّد رسول الله وسهيل بن عمرو» وقال: لو أقررت بأنّك رسول الله ما خالفتُك، ولكن أُقدّمك لفضلك؛ فاكتب «محمّد بن عبد الله» فقال لي: يا عليّ امح رسول الله. فقلت: يا رسول الله لا تشجّعني نفسي على محو اسمك من النّبوة، فمحاه بيده ثمّ قال: «اكتب محمّد بن عبد الله» ثمّ تبسّم إليّ: وقال: يا عليّ أما إنّك ستسام مثلها فتُعطي».

(١) في المصدر زيادة [التحكيم].

(٢) النساء: ٣٥.

(٣) المائدة: ٩٥.

فرجع معه ألفان من حروراء وكانوا تجمّعوا بها فسمّوا الحَرورية(١).

قال المبرد: ومن شعر أمير المؤمنين الذي لا اختلاف فيه أنّه قاله وكان يردّده لمّا ساموه أن يقرّ بالكفر، ويتوب حتّى يسيروا معه إلى الشّام. فقال: أبعدَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله والتّفقّه في الدين أرجع كافراً؟!

ثمّ قال:

يا شاهد الله عليّ فاشهد أنّي على دين النبيّ أحمد
مَن شكّ في الله فإنّي مُهتدي(٢)

وفي رواية ذكرها المبرد في الكامل أيضاً: إنّه عليه السلام خرج إليهم إلى حروراء فقال: هذا مقام من فلج فيه اليوم فلج يوم القيامة. ثمّ كلّمهم وناشدهم، فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم وقد تُبنا فتُب إلى الله كما تُبنا نَعُد معك.

فقال عليّ عليه السلام: **«أنا أستغفر الله من كلّ ذنب»** فرجعوا معه وهم ستة آلاف، فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ عليّاً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً، فأتى الأشعث عليّاً فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ الناس قد تحدّثوا إنّك رأيت الحكومة ضلالاً، والإقامة عليها كفراً، فقام عليّ يخطب فقال: **من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ.** فخرجت الخوارج من المسجد فحكّمت(٣).

قال ابن أبي الحديد: كلّ فساد في خلافة عليّ أصله الأشعث، ولولا فعله هذا لم يكن حرب النهروان فإنّه عليه السلام أراد أن يسلك معهم مسلك التعريض،

---

(١) الكامل للمبرد ٣: ١٨١ ـ ١٨٢، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٧٤ ـ ٢٧٥، والمجلسي في البحار ٣٣: ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) الكامل للمبرد ٣: ١٨٧ ـ ١٨٨، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٧٨، والمجلسي في البحار ٣٣: ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٣) الكامل للمبرد ٣: ٢١١ ـ ٢١٢، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٧٨ ـ ٢٧٩، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٣: ٣٥٣.

فقال لهم كلمة مُجملة يقولها الأنبياء، والمعصومون فرضوا بها، فألجأه الأشعث إلى التصريح حيث سأله بحضور مَن لا يمكنه معه إلّا التصريح، فانتقض ما دبّره(١).

قال الطّبري: لمّا بعث عليّ عليه السلام أباموسى لإنفاذ الحكومة، اجتمعت الخوارج في منزل عبدالله بن وهب الراسي، فخطبهم وقال: اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها. ثمّ ولّوه أمرهم وكاتبوا مَن بالبصرة، وتعبّدوا ليلة الجمعة ويومها، وساروا يوم السبت، حتّى نزلوا جسر النهروان. فأتى عليّاً أصحابه وشيعته فبايعوه، وقالوا: نحن أولياء مَن واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم في سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء ربيعة بن أبي شدّاد الخثعميّ، وكان شهد معه الجَمل، وصفّين ومعه راية خثعم، فقال له عليّ عليه السلام: بايع على كتاب الله وسُنّة رسوله صلى الله عليه وآله. فقال: على سنّة أبي بكر وعمر، فقال عليّ: **ويلك! لو أن أبابكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسُنّة رسوله، لم يكونا على شيء من الحقّ.**

فبايعه، فنظر إليه عليّ وقال: **«أما والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج، فقُتِلت وكأنّي بك وقد وطأتك الخَيل بحوافرها»**. فقُتل يوم النهر مع خوارج البصرة.

وأمّا خوارج البصرة فاجتمعوا في خمسمائة، وجعلوا عليهم مِسعر بن فدكي التّميمي، فعلم بهم ابن عبّاس، فأتبعهم أباالأسود الدؤلي، فلحقهم بالجسر الأكبر، فتواقفوا حتّى حجز بينهم اللّيل، وأدلج مِسعر بأصحابه حتّى لحق بعبد الله بن وهب بالنهر.

وقام عليّ عليه السلام في الكوفة فخطبهم، فقال: **الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادحِ، والحدَثان الجليل. أمّا بعد فإنّ المعصية تُورث الحسرة، وتعقب النّدم، وقدكنت**

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٧٩ ـ ٢٨٠ بتلخيص.

أمرتكم في هذين الرَّجُلين وفي هذه الحكومة أمري، ونحلتكم رأيي لو كان لقصير أمر، ولكن أبيتم إلّا ما أردتم فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن:

أمـــرتُهم أمـــري بـمنعرَجِ اللّـوى فـلم يَستبينوا الرُّشدَ إلّا ضُحى الغَدِ

ألّا إنّ هذين الرَّجُلين الذين اخترتموهما، حَكَمَين قد نبذا حُكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هُدى من الله فحكما بغير حجّة بيّنة، ولا سُنّة ماضية، واختلفا في [حكمهم](١)، وكلاهما لم يُرشد فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، استعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشّام وأصبِحوا في مُعسكركم إن شاء الله يوم الإثنين.

ثمّ نزل، وكَتب إلى الخوارج: إنّ الرجلين الّذين ارتضينا حُكمَهُما، قد خالفا كتاب الله واتّبعا أهواءهما، فأقبِلوا فإنّا سائرونَ إلى عدوّنا وعدوّكم، ونحن على الأمر الذي كنّا عليه.

فكتبوا إليه: إنّك لم تَغْضَب لِرَبّك، إنّما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفرِ واستقبلت التّوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلّا فقد نابذناك على سَواء، إنّ الله لا يُحبُّ الخائنين.

فأيِسَ منهم ورأى أن يَدَعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشّام(٢).

وكتب إلى عبدالله بن عبّاس أمير البصرة يأمره بإشخاص أهلها إليه، فقرأ عليهم الكتاب، وأمرهم بالشّخُوص مع الأحنف، فشخص معه منهم ألف وخمسمائة، فاستقلّهم ابن عبّاس، فَخطبهم وقال: لم يَشخص منكم إلّا ألف وخمسمائة، وأنتم ستّون ألفاً ألا انفروا مع جارية بن قُدامة السّعدي.

---

(١) في المصدر [حكمها].

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٥٤ ـ ٥٧ بتلخيص.

وتهدَّد مَن يتأخّر وأمر أبا الأسود بحشرهم فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة فقدموا عليه بالنُّخيلة، ثمّ جَمع رؤوساء أهل الكوفة. وقال: **أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحقّ، وصحابتي على جهاد عدوّي المحلّين، بكم أضرب المُدبر، وأرجو تمام طاعة المُقبِل.** وطلب إليهم أن يكتب له كلّ رئيس ما في عشيرته، فقام سعيد بن قيس الهَمداني فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحةً، أنا أوّل الناس جاء بما سألت.

وقام معقلْ بن قيس الرّياحي فقال له: نحواً من ذلك: وقام عَديّ بن حاتم، وزياد بن خَصفة، وحجر بن عَديّ، وأشراف النّاس، والقبائل فقالوا: مثل ذلك، فرفعوا إليه خمسة وستّين ألفاً فكانوا مع أهل البصرة ثمانية وستّين ألفاً ومائتين، وبَلَغَهُ أنَّ الناس يقولون: لو سارَ بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم، ثمّ خرجنا إلى المحلّين فَخَطبهم عليه السلام وقال: **إنَّ غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم، فدعوا ذِكرهم وسيروا إلى قوم يقاتلونكم، كيما يكونوا جبّارين مُلوكاً، ويتّخذوا عباد الله خولاً.** فَتَنادَوا من كلّ جانب سِرْ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت.

وقام صيفيّ بن فَسيل الشَّيبانيّ فقال: يا أمير المؤمنين نحن حِزْبُكَ وأنصارك نُعادي من عاديتَ ونُشايعْ مَن أناب إلى طاعتك فَسِرْ بنا إلى عدوّك من كانوا، وأينما كانوا فإنَّك إن شاء الله لن تؤتى من قلّة عددٍ، ولا ضعفِ نيةٍ أتباع.

وقام إليه مِحرز بن شهاب التّميمي من بني سعد فقال: يا أمير المؤمنين! شيعتك كقلب رَجُلٍ واحدٍ في الإجماع على نُصرتك، والجِدَّ في جهاد عدوِّك، فأبشر بالنَّصر، وسِرْ بنا إلى أيِّ الفريقَينِ أحببت، فإنّا شيعتك الذين نرجوا في طاعتك، وجهاد مَن خالفك صالح الثَّواب، ونخاف في خذلانك والتخلّف

عنك شدّة الوَبال(١).

وقال المسعودي: كان عليّ انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً، وأتاه من البصرة من قِبَل ابن عبّاس، وكان عامله عليها، عشرة آلاف فيهم الأحنف بن قيس، وجارية بن قُدامة السَّعدي، وذلك في سنة (٣٨ هـ)، فنزل على الأنبار والتأمت إليه العساكر، فَخَطب الناس وحرَّضهم على الجهاد. وقال: «سيروا إلى قتلة المهاجرين والأنصار، [قد](٢) طالما سَعوا في إطفاء نور الله، وحرَّضوا على [قتل](٣) رسول الله ﷺ ومن معه، ألّا إنَّ رسول الله أمرني بقتال النّاكثين، وهم هؤلاء الذين فَرَغنا منهم، والمارقين ولم نلقهم بعد، فسيروا إلى القاسطين فهم أهمُّ علينا من الخوارج، سيروا إلى قومٍ يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين يتّخذهم الناس أرباباً، ويتَّخذون عباد الله خولاً، ومالهم دولاً، [فأبَوا إلّا أن يَبدأوا بالخوارج](٤)... إلخ.

وأمّا الخوارج فقد قال أبو العبّاس المبرد في الكامل: إنَّهم مَضوا إلى النهروان فمِن طريف أخبارهم أنّهم أصابوا في طريقهم مُسلماً ونصرانياً فقتلوا المُسلم لأنَّه عندهم كافر، لأنّه على خلاف معتقدهم، واستوصَوْا بالنصرانيّ، وقالوا: احفظوا ذمّة نبيّكم(٥).

قال: ونحو ذلك إنّ واصل بن عطاء أقبَل في رفْقَةٍ فأحسَّ بالخوارج، فقال واصل لأهل الرّفقة: إنَّ هذا ليس من شأنِكم، فاعتزلوا ودَعوني وإيّاهم، وكانوا قد أشرفوا على العَطَب، فقالوا: شأنك. فخرج إليهم فقالوا: ما أنت وأصحابك؟

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٥٨ ـ ٦٠ بتلخيص.

(٢) في المصدر [قُدماً، فإنّهم].

(٣) في المصدر [قتال].

(٤) مروج الذّهب ٢: ٤٠٤.

(٥) الكامل للمبرد ٣: ٢١٢، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٨٠، والمجلسي في البحار ٣٣: ٣٥٤.

قال قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده. قالوا: قد أجرناكم. قال: فعلّمُونا. فجعلوا يعلّمونهم أحكامهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومَن مَعي. قالوا: فامضوا مصاحبين فقد صِرتم إخواننا. فقال: بل تُبلغوننا مأمْننا لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وإنْ أحَدٌ مِنَ المُشْرِكينَ اسْتَجَارَكَ فَأجِرْهُ حتّى يَسْمَعَ كَلامَ الله ثُمّ أبْلِغْهُ مأمَنَهُ﴾(١). قال: فَيَنْظُرُ بَعضُهم إلى بَعْض، ثمّ قالوا: ذاك لكم، فساروا معهم بجمعهم حتّى أبلغوهم المأمَن(٢).

قال: ولقيهم عبد الله بن خَبّاب صاحب رسول الله ﷺ في عنقه مصحف على حمار، ومعه امرأته وهي حامِل، فقالوا له: إنّ هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فوَثب رجُل منهم على رُطَبة سقطت من نخلة، فوضعها في فَيْهِ، فصاحوا به فلفظها تورُّعاً، وعرض لرجل منهم خِنْزير فضربه فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض(٣).

قال الطبري : فأتى صاحب الخِنزير فأرضاه، فلمّا رأى ذلك منهم ابن خَبّاب، قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى فما عليَّ منكم بأس، إنِّي لمُسلم ما أحدثت في الإسلام حدثاً، ولقد آمنتموني، قلتم: لا رَوْع عليك. وكانوا قالوا له ذلك لمّا لقيهم(٤).

قال المبرد : فقالوا له: ما تقول في عليّ بعد التَّحكيم والحكومة ؟ قال : إنّ عليّاً أعلم بالله منكم، وأشدّ تَوَقّياً على دينه، وأنفذُ بصيرة ، قالوا: إنّك لست

(١) التوبة: ٦.

(٢) الكامل للمبرد ٣: ١٦٤ ـ ١٦٥، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٨١.

(٣) الكامل للمبرد ٣: ٢١٢ ـ ٢١٣، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٢، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٣: ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦١.

تتّبع الهُدى إنّما تتّبع الرجال على أسمائهم(١).

قال الطبري : قالوا: والله لنقتلنّك قتلةً ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتّفوه، ثمّ أقبلوا به وبإمرأته وهي حُبْلَى متمٌ فأضجعوه فذبحوه، وسالَ دمه في الماء، وأقبلوا إلى المرأة فقالت: إنّي إنّما أنا امرأة ألا تتّقون الله؟!

فَبَقَروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيءٍ وقتلوا أُمّ سِنان الصَّيداوية(٢).
قال المبرد: وساوَمُوا رجلاً نصرانياً بنخلة له، فقال: هي لكم، فقالوا: ما كنّا نأخذها إلّا بِثَمَن فقال: وا عجباه، أتَقتُلون مثل عبدالله بن خَبّاب، ولا تقبلون جَنَا نخلة إلّا بِثَمَن؟!(٣)

وقال المسعودي: اجتمعت الخوارج في أربعة آلاف، فبايَعوا عبدالله بن وَهب الرّاسبيّ، ولحقوا بالمدائن، وقتلوا عبدالله بن خَبّاب عامل عليّ عليها. ذبحوه ذبحاً وبَقَروا بطن امرأته، وكانت حاملاً، وقتلوا غيرها من النّساء(٤).

قال الطبري: فبلغ عليّاً قتلهم عبدالله بن خَبّاب، واعتراضهم النّاس، فبعث إليهم الحارث بن مُرّة العبدي، لينظر فيما بلغه عنهم، فقتلوه فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الناس: عَلامَ نَدع هؤلاء وَراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا؟! سِرْ بنا إليهم فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم، سِرْنا إلى عدوّنا من أهل الشّام وقام إليه الأشعث الكندي، فكلّمه بمثل ذلك، وكان الناس يتّهمونه قبل أن يقول ذلك إنّه يرى رأيهم، فنادى عليّ عليه السلام بالرحيل وسار إليهم(٥).

(١) الكامل للمبرد: ٢١٢/٣ ـ ٢١٣ .
(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٠ ـ ٦١.
(٣) الكامل للمبرد ٣: ٢١٣، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٨٢، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٣: ٣٥٥.
(٤) مروج الذّهب ٢: ٤٠٤.
(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦١.

وقال المسعودي: بَعث إليهم بالحارث بن مُرّة العبدي رسولاً، يدعوهم إلى الرّجوع، فقتلوه وبعثوا إلى عليّ: إن تَبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكُفر بايعناك، وإن أبيت فاعتزلنا حتّى نختار لأنفسنا إماماً فإنّا منك بُرآء.

فبعث إليهم عليّ: «**أن ابعثوا إليّ بقتلة إخواني فأقتلهم، ثمّ أُتارككُم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب، ولعلّ الله يقلب قلوبكم**».

فبعثوا إليه: كلّنا قتلة أصحابك، وكلّنا مستحلٌّ لِدمائِهم، مشتركون في قتلهم[1]... إلخ.

وروى إبراهيم بن ديزيل في كتاب صفّين: إنّه لمّا عزَمَ عليّ عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحَرورية قال له مُنَجِّم من أصحابه اسمهُ مسافر بن عَفيف الأزدي: يا أمير المؤمنين، لا تَسر في هذه الساعة، وسِرْ في ساعة كذا فإنّك إن سِرْت في هذه السّاعة أصابك وأصحابك أذىً وضرّ شديد، وإن سِرْت في السّاعة التي أقول لك ظَفرت وظهرت.

فقال له عليّ عليه السلام: **أتدري ما في بطن فَرَسي؟** قال: إن حسبت عَلِمت. فقال: **مَن صدّقك بهذا فقد كذّب بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرْحَامِ﴾[2] الآية. ثمّ قال: إنَّ محمّداً صلى الله عليه وآله ما كان يدّعي علم ما ادّعيت؛ أتزعم أنّك تهدي إلى السّاعة التي يُصيب النّفع مَن سار فيها، وتصرف عن السّاعة التي يحيق السُّوء بمَن سار فيها! فمَن صدّقك بهذا فقد استغنىٰ عن الإستعانة بالله. وينبغي للمُوقِن بأمرك أن يُولّيك الحمد دون الله، فمَن آمَن بك في هذا لم آمَن عليه أن يكون كمَنِ اتّخذ من دون**

---

(١) مروج الذّهب ٢: ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٢) لقمان: ٣٤.

الله ضِدّاً ونِدّاً. اللّهمّ لا طَير إلّا طَيْرُك [ولا ضير إلّا ضيرك][(١)]، ولا إله غيرُك. ثمّ قال: نُخالف ونَسير في السّاعة التي نَهيت عنها.

ثمّ أقبَلَ على النّاس فقال: أيُّها الناس إيّاكم والتعلُّم للنُّجوم إلّا ما يُهْتَدىٰ به في ظُلمات البرّ والبحر، إنَّما المُنجِّم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النّار. أما والله لئن بلغني أنّك تعمل بالنُّجوم لأخلدنّك السِّجن، ولأحرمنّك العطاء.

ثمّ سار في الساعة التي نهاه عنها فظفر، ثمّ قال: لو سِرْنا في السّاعة التي أمرَنا بها لقال الناس: ظَفر لأنّه سار في السّاعة التي أمره، أمّا إنّه ما كان لمحمّد صلى الله عليه وآله منجّم ولا لنا من بعده[(٢)].

قال المسعودي: وأخبره الرَّسول الذي أرسله إليهم ـ فأجابوه: بأنّا كلّنا قتلة أصحابك، وكان من يهود السّواد ـ أنّ القوم قد عبروا نهر طبرستان وهذا النهر في هذا الوقت عليه قنطرة تعرف بقنطرة طَبرستان، بين حلوان وبغداد.

فقال عليّ: «والله ما عبروه ولا يقطعونه، حتّى نقتلهُم بالرّميلة دونه».

ثمّ تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر، وعبورهم هذا الجسر، وهو يأبى ذلك ويحلف أنّهم لم يعبروه وإنّ مصارعهم دونه[(٣)].

وقال ابن الأثير: ثمّ إنّ الخوارج قَصدوا جِسر النهر، وكانوا غربه، فقال لعلي أصحابه: إنّهم قد عبروا النهر. فقال: لن يعبروا. [فأرسلَ][(٤)] طليعة فعاد وأخبره: أنّهم عبروا النهر. وكان بينهم وبينه عطفة من النهر، فَلِخوف الطّليعة

---

(١) في المصدر [ولا ضذرٌ إلّا ضُرُّك].

(٢) عنه في شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٣) مروج الذّهب ٢: ٤٠٥.

(٤) في المصدر [فأرسلوا].

منهم لم يقربهم فعاد، فقال: إنَّهم عبروا النهر(١).

قال المدائني في كتاب الخوارج: لمّا خرج عليّ عليه السلام إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مُقدّمته يركُض حتّى انتهى إلى عليّ عليه السلام فقال: البشرى يا أمير المؤمنين.

قال: ما بُشراك؟ قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبْشِر؛ فقد منحك الله أكتافهم؛ فقال له: لله أنت رأيتهم قد عبروا؟ قال: نعم. فأحلفه ثلاث مرّات، في كلّها يقول: نعم.

فقال عليّ عليه السلام: **«والله ما عَبروه ولن يعبروه؛ وإنَّ مصارعهم لَدُون النطفة؛ والذي فلق الحبّة، وبَرَأ النَّسمة، لن يبلغوا إلّا ثلاث، ولا قصر بوران، حتّى يَقتلهم الله، وقد خابَ مَنِ افترىٰ».**

ثمّ أقبل فارس آخر يركض فقال: كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ عليه السلام بقوله، وجاءت الفُرسان تركُض كلّها تقول: مثل ذلك.

فقام عليّ عليه السلام فَجالَ في متن فَرَسه. فلمّا انتهى إلى النَّهر، وجد القوم قد كَسَروا جُفون سُيوفهم، وعرقَبوا خيلهم، وجَثَوا على رَكبهم، وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل(٢).

قال المسعودي: فَسار عليّ فأشرف عليهم، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرّميلة(٣).

قال ابن الأثير في الكامل: تقدَّم عليّ فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان النّاس قد شَكّوا في قوله وارتاب به بعضهم، فلمّا رأوا الخوارج لم يعبروا

(١) الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٤٥.

(٢) عنه في شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٣) مروج الذهب ٢: ٤٠٥.

كبّروا وأخبروا علياً بحالهم. فقال: «والله ماكَذَبْت ولاكُذِّبْت»(١).

قال الطبري : فلمّا وصَل النَّهر، بعث إليهم: ادفعوا لنا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثمّ أنا تارككُم وكافٍ عنكم حتّى ألقى أهل الشّام فلعلَّ الله يردّكم إلى خيرٍ ممّا أنتم عليه، فقالوا: كلّنا قَتلتهم، وكلّنا نستحلّ دماءهم ودماءكم.

وخرج إليهم قيس بن سعد بن عبادة، فوعَظهم واحتجّ عليهم، وقال لهم: ركبتم عظيماً من الأمر، تَشهدون علينابالشِّرك، وتسفكون دماء المسلمين؟!

فلم ينجع ذلك فيهم، وخَطبهم أبو أيّوب الأنصاري فقال: إنّا وإيّاكم على الحال الأولى التي كنّا عليها فَعلامَ تُقاتلوننا؟ فقالوا: إنّا لو تابعناكم اليوم حكّمتم غداً. قال: فإنّي أنشدكم الله أن تُعجّلوا فتنة العام؛ مخافة ما يأتي في القابل.

وقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أيَّتُها العصابة التي أخرجها عداوة المراء، واللّجاجة، وصدّها عن الحقِّ الهوى؛ ألم تعلموا أنّي نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم مَكيدة، ونبّأتكم أنَّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإنّي أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالاً، وهم أهل المَكر والغدر، وإنَّكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم ، فعصيتموني حتّى إذا أقررت بأن حكمت، فلمّا فَعَلْت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحَكَمَين أن يُحييا ما أحيا القرآن، ويُميتا ما أمات، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسُّنة، فنبذنا أمرهما، ونحن على أمرنا الأوّل، فما الذي بكم جاء؟ ومن أين أتيتم؟

قالوا: إنّا حكّمنا فلمّا حكمنا أثمنا، وكنا بذلك كافرين وقد تُبنا فإن تُبت كما تُبنا، فنحن منك ومعك، وإن أبَيت فاعتزلنا، فإنّامنابذوك على سواء، إنَّ الله

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٥.

لا يُحبُّ الخائنين.

فقال عليّ: «**أصابكم حاصب**[١]**، ولا بقي منكم [آبر**[٢]**]**[٣] **أبعد إيماني برسول الله ﷺ، وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين**»، ثمّ انصرف عنهم.

فَتنادوا: لا تخاطبوهم ولا تُكلّموهم وتهيّأوا للقاء الرَّب ، الرواح الرواح إلى الجنة.

وخرج عليّ فعبّأ أصحابه، وعبأت الخوارج[٤].

قال الطبري: ورفع عليّ عليه السلام، راية أمان مع أبي أيّوب فناداهم: من جاء هذه الراية ممّن لم يقتل فهو آمن، ومَنِ انصرف إلى الكوفة أوالمدائن فهو آمن، فانصرف خمسمائة فارس منهم إلى البندنيجين، وخرجت طائفة إلى الكوفة، وخرج إلى المدائن نحو مائة، وكانوا أربعة آلاف فبقي منهم ألفان وثمانمائة وزحفوا إلى عليّ[٥].

قال المسعودي : وقف عليهم عليّ بنفسه، فدعاهم إلى الرجوع والتَّوبة، فأبوا ورموا أصحابه فقيل له: قد رمونا. فقال: «**كفّوا**». فكرّروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكفّ حتّى أُتي برجل قتيل متشحِّط بدمه فقال عليّ : **الله أكبر، الآن حلَّ قتالهم، إحملوا على القوم.**

---

(١) الحاصب الريح الشديد التي تثير الحصباء.

(٢) قال الرضي يروى على ثلاثة أوجه: آبر بالراء للذي يأبر النخل أيّ يلقّحه ويروى آثر بالثاء المثلثة الذي يأثر الحديث أي يحكيه ويرويه قال وهو أصح الوجوه عندي كأنه قال: لا بقي منكم مخبر ويروى آبز الزاي المعجمة وهو الواثب.

(٣) في المصدر [وآبر].

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٢ ـ ٦٣.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٤.

فحمل رجل من الخوارج على أصحاب عليّ فجرح فيهم، وجعل يغشى كلّ ناحية ويقول:

أضربهم ولو أرى عليّاً ألبسته أبيض مشرفيّاً

فخرج إليه عليّ عليه السلام وهو يقول:

يا أيّهذا المُبتغي عليّا إنّي أراك جاهلاً شقيّا
قد كُنت عن كفاحهِ غنيّا هلمّ فابرِز هاهُنا إليّا

وحمل عليه عليّ فقتله ثمّ خرج منهم آخر فحمل على الناس ففتك فيهم وجعل يكرّ عليهم وهو يقول:

أضربهم ولو أرى أباحَسَنْ ألبسته بِصارمي ثوب غَبنْ

فخرج إليه عليّ وهو يقول:

يا أيّهذا المُبتغي أباحَسَنْ إليك فانظر أيّنا يلقى الغبن

وحمل عليه وشكّه بالرّمح وترك الرّمح فيه، وانصرف عليّ وهو يقول: لقد رأيت أباحَسَنْ فرأيت ما تكره(١).

وقال المبرد: لمّا واقفهم عليّ عليه السلام بالنهروان قال: لا تبدأوهم بقتال حتّى يبدأوكم، فحمل منهم رجل على صفّ عليّ فقتل منهم ثلاثة ثمّ قال:

أقتلهم ولا أرى عليّاً ولو بدا أوجرتُه الخَطيّا

فخرج إليه عليّ عليه السلام فضربه، فقتله، فلمّا خالطه سيفه قال: يا حبّذا الرّوحة إلى الجنّة. فقال عبدالله بن وهب من رؤساء الخوارج: والله ما أدري إلى الجنّة أم إلى النّار. فقال رجل منهم من بني سعد: إنّما حضرت اغتراراً بهذا الرجل يعني عبدالله وأراه قد شكّ واعتزل عن الحرب بجماعة من النّاس.

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

وقال عليّ عليه السلام: «لا يقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة»، فقتل من أصحابه تسعة أوسبعة، وسلم من الخوارج ثمانية[١].

وقال المسعودي: إنَّه قال: والله لا يفلت منهم إلّا عشرة، ولا يقتل منكم عشرة ـ فقتل من أصحاب عليّ تسعة، ولم يفلت من الخوارج إلّا عشرة[٢].

ثمّ تنادى الخوارج: الرواح الرواح إلى الجنَّة وشدّوا على الناس[٣].

روى أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ قال: التفت عليّ إلى أصحابه فقال لهم: شدُّوا عليهم فأنا أوّل مَن يشدُّ عليهم، وحمل بذي الفقار حملة منكرة ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعوّج متنه ثمّ يخرج فيسوّيه بركبتيه ثمّ يحمل به حتّى أفناهم[٤].

قال الطبري: فاستقبلت المرامية وجوههم بالنّبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرّماح والسّيوف فما لبثوهم أن أناموهم ، ثمّ إن صاحب خيلهم لمّا رأى الهلاك نادى أصحابه أنِ انزلوا، فذهبوا لينزلوا فلم يستقرّوا حتّى حملت عليهم الخيل، فأهمدوا في الساعة[٥].

وروى أبو عبيدة مُعمّر بن المُثنّىٰ قال: طعن واحد من الخوارج يوم النهروان، فمشى في الرمح وهو شاهر سَيفه إلى أن وصل إلى طاعنه، فضربه فقتله وهو يقرأ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٦][٧].

---

(١) الكامل للمبرد ٣: ١٨٧، وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٣، بتفاوت يسير.

(٢) مروج الذّهب ٢: ٤٠٥ و٤٠٦ .

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٤ .

(٤) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٤ .

(٦) طه: ٨٤ .

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٨٢.

قال الطبري : وطلب من به رمق منهم فوجدوا أربعمائة رجل فـأمر بـهم عليّ عليه السلام فدفعوا إلى عشائرهم وقال: **احملوهم معكم فداووهم فإذا برئوا فوافوا بهم الكوفة وخذوا ما في عسكرهم من شيء.**

وأمّا السّلاح والدّواب وما شهدوا به الحرب فقسّمه بين المسلمين. وأمّـا المتاع والعبيد والإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله ، وكان مع الخوارج طـرفة بن عديّ بن حاتم قتل معهم فدفنه أبوه ـ [**يُخرج الحيّ مِنَ الميّت ويُخرج الميّت من الحيّ**[1]] ودفن رجال من الناس قتلاهم. فقال أمـيرالمـؤمنين عليه السلام: **ارتـحلوا إذا تقتلونهم ثمّ تدفنونهم فارتحل الناس**[2]... إلخ.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس مَن طلب الحقّ فأخطأه كمَن طلب الباطل فأصابه**»[3].

قال ابن الأثير : ولما فرغ عليّ من أهل النهر حمد الله وأثنى عليه وقال: **إنَّ الله قد أحسن بكم وأعزّ نصركم فتوجّهوا من فَورِكم هذا إلى عدوّكم [بالشّام]**[4].

قالوا: يا أمير المؤمنين، نفدت نبالنا وكلّت سيوفنا ونصلت أسنّة رماحنا، وعاد أكثرها قصداً، فارجع بنا إلى مصرنا، فلنَسْتَعِد ولعلّ أمير المؤمنين يزيد في عدّتنا. وتولّى كلامه الأشعث بن قيس. فأقبل حتّى نزل النّخيلة فأمر الناس أن يلزموا معسكرهم ويـوطّنوا عـلى الجـهاد أنـفسهم ويـقلّوا زيـارة أبـنائهم ونسائهم فأقاموا أيّاماً ثمّ تسلّلوا فدخلوا الكـوفة وتـركوا المـعسكر خـالياً إلّا رجالاً من وجوه الناس ، فلمّا رأى ذلك دخل الكوفة وانكسر عـليه رأيـه فـي

(١) الروم: ١٩.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٦٦ .

(٣) نهج البلاغة: ٩٤ / خ ٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٧٨.

(٤) ليست في المصدر .

المسير ، وخطبهم مرّة بعد مرّة فقال : «أيّها الناس استعدّوا للمسير إلى عدوّكم ومن في جهاده القربة إلى الله عزّ وجل ودرك الوسيلة عنده حيارى عن الحقّ جفاة عن الكتاب ﴿وأعدُّوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِباطِ الخيْلِ﴾(١) وتوكّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً وكفى بالله نصيراً، فلم ينفروا.

ثمّ دعا رؤساءهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم فمنهم المعتل ومنهم المتكرّه وأقلّهم من نشط. فخطبهم فقال : «عبادالله ما بالكم إذا أمرتكم أن تنفروا ﴿اثّاقلتُم إلى الأرض أرضَيتُم بالحياةِ الدُّنيا مِنَ الآخرة﴾(٢) وبالذل والهوان من العزّ خلفاً؟ وكلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنّكم من الموت في سكرة. لله أنتم! ما أنتم إلّا أُسد الشرى في الدعة وثعالب روّاغة حين تدعون إلى البأس. ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي. ما أنتم بركب يُصال به. لعمر الله لبئس حُشّاش الحرب أنتم! إنّكم تكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم وأنتم لا تتحاشون(٣).

الخوارج بعد النهروان

قال ابن الأثير : لمّا قتل أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيباني على عليّ بالدّسكرة في مائتين ثمّ سار إلى الأنبار فوجّه إليه عليّ الأبرش بن حسّان في ثلثمائة فواقعه فقتل أشرس في ربيع الآخر سنة (٣٨ هـ).

ثمّ خرج هلال بن علفة من تيم الرّباب ومعه أخوه مجالد فأتى مَاسَبَذَان، فوجّه إليه عليّ معقل بن قيس الرّياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين وكان قتلهم في جمادى الأولى سنة (٣٨ هـ).

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) التوبة: ٣٨.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٩ ـ ٣٥٠، وفيه اختلاف يسير باللفظ.

ثمّ خرج الأشهب أوالأشعث بن بشر من بجيلة، في مائة وثمانين رجلاً فأتىٰ المعركة التي أصيب فيها هلال وأصحابه فصلّى عليهم ودفن من قدر عليه منهم فوجّه إليهم عليّ جارية بن قُدامة السّعدي وقيل حجر بن عَديّ [فاقتتلوا](١) بجرجرايا من أرض جوخى، فقُتل الأشهب وأصحابه في جمادى الآخرة سنة (٣٨ هـ).

ثمّ خرج سعيد بن قفل التميمي ـ من تيم الله بن ثعلبة ـ في رجب بالبَنْدَنيجَين ومعه مائتا رجل فأتى دَرزْنجان وهي من المدائن على فرسَخَين، فخرج إليهم سعد بن مسعود فَقتلهم في رجب سنة (٣٨ هـ).

ثمّ خرج أبو مريم السَّعدي التميمي فأتى شهرزور وأكثر من معه من الموالي، لم يكن معه من العرب غير ستّة هو أحدهم، واجتمع معه مائتان وقيل أربعمائة، وعاد حتّى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل إليه عليّ يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل. وقال: ليس بيننا غير الحرب، فبعث إليه عليّ شُريح بن هانيء في سبعمائة، فحمل الخوارج على شُريح وأصحابه فانكشفوا، وبقي شُريح في مائتين، فانحاز إلى قرية، فتراجع إليه بعض أصحابه ودخل الباقون الكوفة، فخرج عليّ بنفسه، وقدم بين يديه جارية بن قُدامة السَّعدي، فدعاهم جارية إلى طاعة عليّ وحذّرهم القتل، فلم يجيبوا، ولحقهم عليّ أيضاً فدعاهم فأبوا عليه وعلى أصحابه، فقتلهم أصحاب عليّ ولم يسلم منهم غير خمسين رجلاً استأمَنوا فأمنهم، وكان في الخوارج أربعون جريحاً فأمر عليّ بإدخالهم الكوفة ومداواتهم حتّى برأوا، وكان قتلهم في شهر رمضان سنة (٣٨ هـ) وكانوا من أشجع مَن قاتل مِن الخوارج ولجرأتهم قاربوا الكوفة(٢).

(١) في المصدر [فاقتتلا].

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣٧٢ ـ ٣٧٣، وفيه تفاوت يسير باللفظ.

خبر الخرّيت بن راشد الناجي ومصقلة بن هبيرة الشيباني مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

قال ابن الأثير : (في حوادث سنة ٣٨) في هذه السَّنة أظهر الخرّيت بن راشد من بني ناجية الخلاف على عليّ أمير المؤمنين وكان مع عليّ من بني ناجية ثلاثمئة خرجوا معه من البصرة وشهدوا معه الجمل وصفّين، فجاء الخرّيت إلى أمير المؤمنين في ثلاثين راكباً فقال له: يا عليّ والله لا أطيع أمرك ولا اصلّي خلفك وإنّي غداً مفارقٌ لك.

فقال له: ثكلتك أُمّك إذاً تعصي ربّك، وتنكث عهدك، ولا تضرّ إلّا نفسك، خبّرني لِمَ تفعل ذلك ؟

قال: لأنّك حكّمت وضعفت عن الحقّ، وركنت إلى القوم الذين ظلموا ، فقال له: هلمّ أُدارسك الكتاب، وأُناظرك في السُّنن، وأُفاتحك أُموراً أنا أعلم بها منك، فلعلّك تعرف ما أنت له الآن منكر. قال: فإنّي عائد إليك.

قال: لا يستهوينّك الشّيطان ولا يستخفنّك الجُهّال والله لئن استرشدتني وقبلت منّي لأهدينّك سبيل الرَّشاد»، فخرج وسارَ مِن ليلته بأصحابه ، فقال عليّ: بُعداً لهم كما بَعدتْ ثمود، إنَّ الشَّيطانَ اليوم استهواهُم وأضلّهم، وهو غداً متبريء منهم.

فقال له زياد بن خصفة البَكري من بكر بن وائل: يا أمير المؤمنين إنه لم يعظم علينا فقدهم فتأسى عليهم لكنّا نَخاف أن يُفسدوا علينا جماعة كثيرة فأذن لي في اتّباعهم.

فقال له: اخرج رَحِمَك الله وأنزل دير أبي موسى حتّى يأتيك أمري، فإن كانوا ظاهرين فسيكتب إليَّ عُمّالي بخبرهم، فخرج في مائة وثلاثين رجلاً ونزل دير أبي موسى وأتى عليّاً كتاب عامله قرظة بن كعب الأنصاري يخبره أنّهم توجّهوا

نحو نفرّ[١] وأنّهم قتلوا دِهقاناً كان قد أسلم. فقالوا له: أمُسلِم أنت أم كافر ؟ قال: بل مُسلم. قالوا: فما تقول في عليّ ؟ قال: أقول فيه خيراً إنّه أمير المؤمنين وسيّد البَشَر ووصي الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا: كفرت، وقتلوه ، وأخذوا معه يهوديّاً فقالوا: ما دينك ؟ قال: يهوديّ. فتركوه[٢] فأرسل عليّ إلى زياد مع عبد الله بن وال يخبره بذلك وأمره بردّهم إليه فإن أبوا يناجزهم، فاستأذنه عبدالله في المسير مع زياد فأذِنَ له وقال له: إنّي لأرجو أن تكون من أعواني على الحقّ، وأنصاري على القوم الظالمين.

قال ابن وال: فَوَالله ما أُحبُّ أنَّ لي بمقالته تلك حُمْرَ النَّعَم . وأتى زياداً بكتاب عليّ، وساروا حتّى أتوا «نفرّ» فقيل لهم: إنَّهم ساروا نحو «جرجرايا» فتبعوهم حتّى أدركوهم بالمذار وهم نُزُول قد أقاموا يومهم، فأتاهم زياد وقد تقطع أصحابه وتعبوا، فلمّا رأوهم ركبوا خيولهم وقال لهم الخرّيت: ما تُريدون ؟ فقال له زياد وكان مُجرّباً رفيقاً: قد ترى ما بنا من التّعب والذي جئناك له لا يصلحه الكلام علانية ولكن ننزل ثمّ نخلو جميعاً فنتذاكر أمرنا فإنْ رأيت ما جئناك به حظّاً لنفسك قبلتهُ وإن رأينا فيما تقول أمراً نرجو فيه العافية لم نردّه عليك.

قال: فانزل. فنزل زياد وأصحابه على ماءٍ هناك وأكلوا وعلقوا على دوابّهم ووقف زياد في خمسة فَوارِس بين أصحابه وبين القوم، وقد نزلوا، وقال زياد لأصحابه: إنَّ عدّتنا كعدّتهم وأرى أمرنا يصير إلى القتال فلا تكونوا أعجز الفريقين.

---

(١) نفرّ بكسر النون وتشديد الفاء آخره راء بلد من نواحي بابل من أعمال الكوفة ـ المؤلّف ـ.

(٢) ما بين القوسين ليس في المصدر . ذكره ابن أبي الحديد في شرح النّهج ٣: ١٣١ ـ ١٣٢ عن إبراهيم بن هلال.

وخرج زياد إلى الخرّيت فسمعهم يقولون: جاءونا وهم تعبون فتركناهم حتّى استراحوا، هذا والله سوء الرأي .

فقال زياد للخرّيت: ما الذي نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتّى فارقتنا ؟ فقال: لم أرَ صاحبكم إماماً ولا سيرتكم سيرة، فرأيت أن أكون مع من يدعو إلى الشورى فقال له زياد: وهل يجتمع النّاس على رجل يُداني صاحبك الذي فارقته علماً بالله وسُنّته وكتابه مع قرابته من الرّسولﷺ وسابقته في الإسلام ؟ فقال : [لا أقول لا][(١)]، فقال : ففيما قتلت ذلك الرجل المُسلِم ؟ فقال : ما أنا قتلته إنَّما قتله طائفة من أصحابي، قال: فادفعهم إلينا. قال: ما إلى ذلك سبيل.

فدعا زياد أصحابه، ودعا الخرّيت أصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً تطاعنوا بالرِّماح حتّى لم يَبْقَ رمح وتضاربوا بالسُّيوف حتّى انحنت وعقرت عامّة خيولهم، وكثرت الجراحة فيهم، وقتل من أصحاب زياد رجلان ومن أولئك خمسة، وجرح زياد وحجز بينهم اللّيل وهَرَب الخرّيت ليلاً وسار زياد إلى البصرة، وأتاهم خبر الخرّيت أنّه أتى الأهواز واجتمع إليه نحو مائتين وانضاف إليه علوج من أهل الأهواز كثير أرادوا كسر الخراج ولصوص وطائفة من العرب ترى رأيه وطمع أهل الخراج في كسره فكسروه، فكتب زياد إلى عليّ بخبرهم وإنَّه مُقيم يُداوي الجرحى وينتظر أمره، فندب عليّ لقتالهم مَعقل بن قيس في ألفين من أهل الكوفة وكتب إلى ابن عبّاس أن يبعث من أهل البصرة رجلاً شجاعاً معروفاً بالصّلاح في ألفين إلى مَعْقِل وهو أمير أصحابه حتّى يلقى مَعقلاً، فإذا لقيه فمَعقل أمير الجميع، وكتب إلى زياد

(١) في المصدر [ذلك لا أقول لك].

بن خصفة يشكره ويأمره بالعود.

ووصّىٰ عليّ مَعقل بن قيس حين سار فقال له: «**اتّقِ الله ما استطعت ولا تبغِ على أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذمّة، ولا تتكبّر وإنَّ الله لا يُحبّ المُتكبّرين**». هذه وصية أمير المؤمنين لجنوده.

ووصية معاوية لجنوده: أن يقتلوا كلّ مَن هو في طاعة عليّ وأن يَنهبوا الأموال ويقول لهم: إنَّ نَهب الأموال لا يقصر عن قتل الرجال[1]، ولكنّه كان مجتهداً يطلب بذلك ثواب الله والدار الآخرة !!

وسار مَعقل وأدركه المدد مع خالد بن معدان الطائي، فلحقوا الخوارج قريب جبل من جبال رامْهُرمُز، فصفّ معقل أصحابه، وصفّ الخرّيت أصحابه، وحرَّك مَعقل رأسه مرَّتين ثمّ حمل في الثالثة فصبروا له ساعة ثمّ انهزَموا فقَتل أصحاب مَعقل منهم سبعين رجلاً من بني ناجِية ومَن معهم من العرب، ونحواً من ثلاثمائة من العلوج والأكراد، وانهزم الخرّيت إلى أسياف البَحْر وبها كثير من قومه فما زال يغويهم حتّى اتّبعه كثير منهم.

وكَتَبَ مَعقل إلى عليّ بالفتح، فقرأه على أصحابه واستشارهم فأشاروا بأن يأمر مَعقلاً باتّباع الخرّيت حتّى يقتله أو ينفيه، لأنّه لا يؤمن أنْ يُفْسِدَ النّاس.

فكتب إلى مَعقل يُثني عليه وعلى مَن مَعَه ويأمُره باتّباعه وقتله أو نفيه، فَسار إليهم مَعقل حتّى انتهى إلى أسياف البحر فلمّا سمع الخرّيت بمسيره قال لمَن معه من الخوارج: أنا عَلَىٰ رأيكم في إنكار التّحكيم ولآخرين من أصحابه إنّ علياً حَكّم فخلعه حَكَمُه وكان هذا رأيه. وقال للعُثمانيّة سِرّاً: إنّا على رأيكم وعثمان قُتِلَ مظلوماً. فأرضىٰ الجميع فلمّا انتهى إليه مَعقل نصب رآية أمان

---

(١) انظر تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١٠٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١١٦.

وقال: مَن أتاها فهو آمِن إلّا الخرّيت وأصحابه الّذين حارَبُونا أوّل مرّة.

فتفرّق عن الخرّيت أكثر مَن كان معه من غير قومه وعَبّأ معقل أصحابه وزَحَفَ نحو الخرّيت فقال الخرّيت لمن معه: قاتِلوا عن حريمكم وأولادكم فَوَالله لئن ظهروا عليكم ليقتلنّكم وليسبينّكم.

فقال له رجل من قومه: هذا والله ما جرّته علينا يدك ولسانك. فقال: سبق السَّيف العذل. ثمّ حمل مَعقل بأصحابه فقاتلوا قتالاً شديداً وصَبَروا له وبَصُرَ النُّعمان بن صهبان الرّاسبي بالخرّيت فَحَمَل عليه وقتله وقتل معه في المعركة سبعون ومائة رجل وتفرَّق الباقون، وسبى مَعقل مَن أدرك من حريمهم وذراريهم وأخذ رجالاً كثيراً فَمَن كان مُسلِماً خلاّه وأخذ بيعته وتَرَك له عياله وعرض الإسلام على المُرتدّين، فرجعوا فخلّى سَبيلَهُم وسبيل عيالهم، وأخذ الصّدقة ممَّن منعها عن عامين وأمّا غيرهم الذين ساعدوا على حربه ونقضوا عهد الذِّمة فاحتملهم وعيالاتهم معه وكتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام بالفتح ومرَّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشَّيباني وهو عامل عليّ عليه السلام على أردشيرخره وهم خمسمائة فَبَكىٰ إليه النّساء والصبيان وتَصايحَ الرِّجال: يا أباالفضل يا حامل الثِّقل أمنُن علينا فاشترنا واعْتقنا فَبَعَث مصقلة إلى مَعقل أن يبيعه إيّاهم فباعه إيّاهم بخمسمائة ألف درهم ودفعهم إليه فأعتقهم وقال: عجِّل بالمال إلى أمير المؤمنين وأقبل مَعقل فأخبر أمير المؤمنين بما كان فقال له: أحسنت وأصبت ووفّقت.

وأبطأ مصقلة بالمال وبلَّغ أمير المؤمنين أنَّه أطلقهم ولم يسألهم أنْ يُعينوه فقال: ما أظنّه إلّا تحمّل حمّالة، سترونه عن قريب منها مبلّداً. ثمّ كتب إليه أن يَبْعَث إليه بالمال وأنّه أمر رسوله أنْ لا يَدَعه ساعة واحدة يُقيم إلّا أنْ يَبعث بالمال أويحضر إلى الكوفة ، وأدّىٰ مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي وقال

لذهل بن الحارث: إنَّ أمير المؤمنين يسألني هذا المال ولا أقدر عليه فقال: لو شئت ما مَضَت جمعة حتّى تحمله. فقال: ما كنت لأحمِّلَها قومي أما والله لو كان ابن هند ما طالَبَني بها ولو كان ابن عفان لوهبها لي. أما تَراهُ أطعم الأشعث ابن قيس كلّ سَنة من خراج آذربيجان مائة ألف. فقال: إنَّ هذا لا يَرى ذلك الرأي ولا يترك منها شيئاً. فهرب مصقلة من ليلته فلحق بمعاوية فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **ما له ترّحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر! [فما أنطق مادحه حتّى أسكته ولو أقام لأخذنا مَيسُوره وانتظرنا بماله وفوره]**[1]، وهدم داره وأجاز عتق السَّبي. وقال: **أعتقهم مبتاعهم وصارت أثمانهم دَيْناً عليه.**

وكان أخوة نعيم بن هبيرة شيعة لعليّ فكتب إليه مصقلة من الشّام مع رَجُل من تغلب اسمه حلوان: إنّ معاوية قد وَعَدَك الأمارة والكرامة، فأقبل. فأخذ مالِك بن كعب الأرحبي الرَّسُول فسرّحه إلى عليّ فقطع يده فمات. وكتب نعيم إلى مصقلة من أبيات:

لا ترمينَّ هداك الله مُعترضاً ... بالظنّ مِنك فَما بالي وحلوانَا
ما ذا أردت إلى إرسالهِ سَفَهاً ... ترجو سِقاطَ أمرئٍ لم يلف وَسنانَا
قد كنتَ في منظرٍ عن ذا ومُستَمعٍ ... تحمي العراق وتُدْعى خَيرَ شَيبانَا
عَرَّضتهُ لِعَليّ إنَّهُ أسَدٌ ... يَمشي العِرَضْنَةَ من آسادِ خَفّانا
لو كنتَ أدّيتَ مال [الله][2] مُصطبراً ... للحقّ [زكيت][3] أحيانا ومَوْتانا
لكن لَحِقتَ [بأرضِ][4] الشّام مُلْتَمِساً ... فضلَ ابنِ هندٍ وذاك الرأيُ أشجانا
فاليَوم تَقرَعُ سِنَّ العجزِ من نَدمٍ ... ما ذا تقولُ وقد كان الذي كانا

---

(١) ليس في المصدر، إنّه في نهج البلاغة: ٨٥ / خ ٤٤، وفي شرح النّهج لابن أبي الحديد ٣: ١١٩.

(٢) في المصدر [القوم].

(٣) في المصدر [أحييتَ].

(٤) في المصدر [بأهل].

أصبحتَ تُبْغضُكَ الأحياءُ قاطبةً   لم يَرفَعِ اللهُ بالبغضاء إنساناً

فلمّا وقع الكتاب إليه علم أنّ التغلبي هلك وأتاه التغلبيون فطلبوا منه دية صاحبهم فوداه[١].

أخباره مع عبد الله بن العبّاس

كان ابن عبّاس تلميذ أمير المؤمنين وخرّيجه مضافاً إلى ما أخذه عن النبيّ صلى الله عليه وآله ولذلك كان يُسمّى حِبر الأُمّة وصَحِبَه في حروبه كلّها الجمل وصفّين والنهروان[٢] وولّاه البصرة[٣] وكان يعدّه لمهامّ الأُمور فقد أرسله إلى أُمّ المؤمنين بعد حرب الجمل[٤] فكان له في ذلك المقام المشهود والحُجّة القاطعة، وأراده للحكومة يوم صفّين[٥] فأبى أهل الجباه السُّود العُميَ القلوب، وبعثه إلى الخوارج يوم النهروان[٦] فاحتجّ عليهم بأبلغ الحُجَج، وكان له في نُصرة أمير المؤمنين وأبنائه مواقف مشهودة منها لمّا مرَّ بصفّة زمزم وسمع شامياً يَسُبّ علياً عليه السلام ومنها مع عبدالله بن الزُّبير ومع معاوية[٧] وهو الذي كَتَب إلى يزيد بعد قَتل الحسين عليه السلام[٨] بما كَتب وكان يمسك بركاب الحسنين عليهما السلام إذا ركبا[٩].

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٤٧ ـ ٣٧١، وفيه تفاوت وتقديم وتأخير.

(٢) الإستيعاب ٣: ٦٨ و ٧٠.

(٣) رجال الكشّي: ٦٠ / ح ١٠٩.

(٤) رجال الكشّي: ٥٧ / ح ١٠٨.

(٥) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٥٠٠.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٧٣.

(٧) أنساب الأشراف ٤: ٥٤ ـ ٥٥، المحاسن والمساوئ ١: ٦٧.

(٨) تذكرة الخواص: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٩) المصدر السابق: ٢٣٤.

وروى الكشّي بسنده أنّه قال لمّا حضرته الوفاة: اللّهمّ إنّي أحيا على ما حيي عليه عليّ بن أبي طالب، وأمُوت عَلىٰ ما ماتَ عليه عليّ بن أبي طالب[١].

ما نسب إليه من مفارقة أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ مال البصرة

قد نسب إليه أنّه فارقَ أمير المؤمنين عليه السلام، وأخذ مال البصرة، وذهب إلى مكّة، وأنكر ذلك جماعة.

روى الكشّي في رجاله بسنده عن الزهري عن الحارث قال: استعمل عليّ عليه السلام على البصرة عبدالله بن عبّاس فحمل كلّ مال في بيت المال بالبصرة ولَحق بِمَكّة، وكان مَبلغه ألفي ألف درهم، فصعد عليّ عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فَبَكى فقال: **«هذا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن مَن كان دونه»**[٢] الحديث.

وقال ابن الأثير في حوادث سنة(٤٠ هـ): في هذه السّنة خرج عبدالله بن عبّاس من البصرة ولَحق بمكّة في قول أكثر أهل السّير، وقد أنكر ذلك بعضهم وقال: لم يَزل عاملاً عليها لعليّ حتّى قتل عليّ، وشهد صلح الحسن مع معاوية، ثمّ خرج إلى مكّة والأوّل أصحّ، وإنّما كان الذي شهد صلح الحسن عُبيدالله بن عبّاس[٣]... إلخ. ثمّ ذكر سبب خروجه وهو: إنّه مرَّ بأبي الأسود وكان على قَضاء البصرة، فقال: لو كُنت من البهائم لكُنت جَمَلاً، ولو كنت راعياً لمّا بلغت المَرعىٰ. فكتب أبو الأسود إلى أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ ابن عمّك قد أكلّ ما تحت يديه بغير علمك.

---

(١) رجال الكشّي: ٥٦ / ح ١٠٦.

(٢) المصدر السابق: ٦٠ / ح ١٠٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٦.

فكتب إلى ابن عبّاس في ذلك، فكتب إليه ابـن العـبّاس: إنَّ الذي بَـلَغَك باطل. فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أعلِمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت، وفيما وضعت؟

فكتب إليه ابن عبّاس: قد فهمت تعظيمك مـرزاة مـا بَـلَغك، إنّـي رزأتـه فابعث إلى عملك مَن أحببت.

وخرج واستدعى أخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلّها فحمل مالاً وقال: هذه أرزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة يريدون أخذ المال فمنعته قيس ومضى إلى مكة[1]... إلخ.

وفي نهج البلاغة : من كتاب له عليه السلام إلى بـعض عـمّاله، ولم يـصرّح بـاسم المَكتوب إليه، والكتاب يتضمّن ذمّاً عظيماً للمكتوب إليه ، ولكن الكشّي في رجاله روى بسنده عن الشعبي، إنّ المكتوب إليه هو عبدالله بـن عـبّاس لمّـا احتمل بيت مال البصرة، وذهب به إلى الحجاز ، وذكر الكتاب بطوله وذكره ابن أبي الحديد في شرح النَّهج أيضاً ، ومن جـملته : فـإني أشـركتك فـي أمـانتي **وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي، فلمّا رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب قلبت لإبن عمّك ظهر المجن ففارقته مع المـفارقين، وخـذلته مـع الخاذلين، وخنته مع الخائنين ، فلا ابن عمّك آسيت ولا الأمانة أدَّيت ، وكأنَّك إنَّـما كـنت تَكيد هذه الأُمّة عن دنياهم، فلمّا أمكنتك الشدّة في خيانة الأُمّة أسرعت الكرّة، واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المَصونة لأراملهم وأيتامهم، فحملته إلى الحجاز غير متأثّم من أخذه كأنّك لا أبالَنير ك حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك وأُمّك.**

فسبحان الله ، أما تؤمن بالمعاد ؟ أوما تخاف نقاش الحساب أيّها المعدود عندنا كان

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

من أُولي الألباب ؟ ووالله لو أنَّ الحسن والحسين فَعَلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة»[١].

وبعد تصريح الكشّي بأنَّ المكتوب إليه ابن عبّاس لا حاجة إلى ما حكاه ابن أبي الحديد عن أصحاب القول الأوّل من أنَّهم استدلّوا على ذلك بألفاظ من الكتاب كقوله: أشركتُك في أمانتي إلخ، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك، وقوله ابن عمّك ثلاث مرّات ، وقوله لا أباً لغيرك، وهذه كلمة لا تُقال إلّا لمثله، أمّا غيره من أفناء الناس فكان يقول له: لا أباً لك[٢]، وقوله: أيّها المعدود عندنا من أُولي الألباب ، وقوله: لو أنَّ الحسن والحسين الدّال على أنّ المكتوب إليه قريب من أن يجري مجراهما عنده[٣].

قال الكّشي[٤] وابن أبي الحديد واللفظ للثاني : فكتب إليه ابن عبّاس جواباً عن هذا الكتاب : «أتاني كتابك تعظم عليَّ ما أصبت من بيت مال البصرة ولعمري إنَّ حقّي في بيت المال أكثر ممّا أخذت».

فكتب إليه عليّ: **«إنَّ من العجب أن تُزيِّن لك نفسك أنَّ لك في بيت مال المسلمين من الحقِّ أكثر ممّا لرجل واحد من المسلمين، وقد بَلَغَني أنّك اتَّخذت مكّة وطناً، وضربت بها عَطنا، تشتري بها مولّدات مكّة والمدينة والطائف، تختارهنَّ على عينك، وتعطي فيهنَّ مال غيرك، فارجع هداكَ الله إلى رُشدِك وتُب إلى ربّك، واخرج إلى المسلمين من أموالهم فعمّا قليل تفارق من ألفت، وتترك ما جَمَعت، وتغيب في صَدَع من الأرض غير موسّد ولا**

(١) نهج البلاغة: ٤١٢ ـ ٤١٤ /كتاب ٤١، ورجال الكشّي: ٦٠ ـ ٦١ /ح ١١٠، وشرح النّهج لابن أبي الحديد ١٦: ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) في كتاب الكشي لا أبا لك ولعلّه من سبق القلم أو تحريف النسّاخ فأميرالمؤمنين عليه السلام أجلّ من أن يقول ذلك لعمّه وابن عمّه.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) رجال الكشّي: ٦٢. ذيل ح ١١٠.

ممهّد، قد فارقت الأحباب، وسَكَنْتَ التُّراب وواجهت الحِساب غنيّاً عمّا خلّفت، فقيراً إلى ما قدّمت».

فكتب إليه ابن عبّاس: إنَّك قد أكثرت عليَّ، ووالله لأن ألقى الله قد احتويت على كنوز الأرض كلّها وذهبها وعقيانها ولجينها أحبُّ إليَّ من ألقاه بدم امرئٍ مسلم»[1].

قال المؤلّف: ما ذكره ابن الأثير من أنّه واجه أباالأسود بهذا الكلام البشع يصعب تصديقه فابن عبّاس كان أعرف بفضل أبي الأسود من كلّ أحد فكيف يواجهه بهذا الكلام الذي لا يصدر إلّا مِن الأسافل وابن عبّاس مع فضله وكمال معرفته لا يمكن أن يفوه بمثل هذا مهما كان السّبب الدّاعي إليه.

والذي يظهر: إنّ ناسب ذلك إليه أراد الحطّ من مقام أبي الأسود وابن عبّاس معاً لغرض في نفسه وذلك لإخلاصهما في حبّ عليّ عليه السلام وتشيّعهما له.

أمّا ما رواه أصحاب القول الأوّل من المكاتبة بين أمير المؤمنين عليه السلام وابن عبّاس فإن أمكننا تصديقه لم يُمكننا تصديق الجواب الأخير منه المشتمل على قول ابن عبّاس: «لأن ألقى الله بكذا أحبّ إليَّ مِن أن ألقى الله بدم امرئٍ مسلم»، فابن عبّاس مع فضله المشهور كيف يعيب أمير المؤمنين عليه السلام بقتل مَن أمر الله بقتله وقتاله بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا التي تَبغي﴾[2]. وَهبه أراد التمويه والإقتداء بمَن قال: إنَّ عمّاراً قتله مَن ألقاه إلينا ، أفتراه كان يجهل أنّ ذلك ممّا يعيبه به النّاس، ويُوجب سقوطه من نفوسهم وهو كان شريكاً في تلك الدِّماء فيعيب نفسه قَبل أن يعيب غيره وهو ليس بِمُضطر إلى هذا الجواب كما اضطرّ مَن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧٠ ـ ١٧١.
(٢) الحجرات: ٩.

أجاب عن قتل عمّار. وإن كان قصده بهذا الجواب إبداء عُذره أمام النّاس فلم يَصنع شيئاً لأنّ النّاس يعلمون أنّه جواب فاسد، وأنّه شريك في تلك الدّماء فيزداد بذلك لوماً عندهم بدلاً عن أنْ يعذروه. ولو قصد ذلك لاقتصر على جوابه الأوّل أنّ له حقّاً في بيت المال، فأخذه فلمّا أجابه عليّ عليه السلام: «**إنّك أخذت أكثر من حقّك**»، كان يمكنه أن يُجيب بجواب مُموّه يدلّ علىٰ أنّه ليس أكثر من حقّه، فيكون أقرب إلى القبول من هذا الجواب الذي يعرف فساده كلّ أحد، ومن ذلك يتطرّق الشّك إلى باقي المكاتبة وجواباتها.

وحكى ابن أبي الحديد عن الراوندي: إنّ المكتوب إليه هو عبيدالله لا عبدالله، وردّه بأنّ عبيدالله كان عاملاً لعليّ على اليَمَن. ولم ينقل عنه أنّه أخذ مالاً ولا فارق طاعة ، قال: وقد أشكَلَ عَلَيَّ أمر هذا الكتاب. فإن قُلت: أنّه موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام خالفت الرُّواة فإنّهم أطبقوا على رواية هذا الكلام عنه ، وإنْ صرفته إلى عبدالله بن عبّاس صدّني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد وفاته.

وإن صرفته إلى غيره لم أعلم إلى مَن أصرفه من أهل أمير المؤمنين وهو يشعر بأنّ المخاطب به مِن أهله وبني عمّه[1]... إلخ.

أقول: بعد تصريح الكثير بأنّه لأمير المؤمنين عليه السلام إلى ابن عبّاس وظهور مضامينه ظهوراً بيّناً في أنّه لا يصلح أنْ يكون المخاطب به غير ابن عبّاس لم يَبقَ مجال لتردّده.

ويظهر أنّ أمر مفارقته عليّاً عليه السلام وأخذه مال بيت مال البصرة كان مشهوراً، فقد حَكى عن قيس بن سعد بن عبادة أنّه خطب الجيش الذي أرسله الحسن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧١ ـ ١٧٣.

للقاء مُعاوية عندما تركهم أميرهم عبيدالله بن العبّاس، وذهب إلى معاوية فقال ما معناه : لا يهولنّكم ما فَعل فإنَّ هؤلاء قد خرج أبوهم العبّاس لحرب رسول الله ﷺ يوم بدر ، وابنه عبدالله أخذ مال البصرة، وهرب إلى مكّة، وابنه عبيدالله فعل ما تَرَون[١].

وقد عيّره بذلك ابن الزّبير فقال: إنَّه أخذ مال البصرة،وترك المسلمين بها يرتضخون النَّوى.، ولم يتبرّأ ابن عبّاس من ذلك بل أجابه: بأنّه كان لنا فيه حقّ فأخذناه[٢].

وقال ابن أبي الحديد : الأكثرون على القول الأوّل ، وقال آخرون وهم الأقلّون: هذا لم يكن ولا فارق عبدالله بن عبّاس عليّاً عليه السلام، ولا باينه، ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قُتل عليّ عليه السلام. ثمّ قال: وهذا عندي هو الأمثل والأصوب[٣]... إلخ.

وقال العلّامة في الخلاصة :كان مُحباً لعليّ عليه السلام أشهر من أن يَخفى ، وقد ذكر الكشّي أحاديث تتضمّن قدحاً فيه وهو أجلّ من ذلك[٤]... إلخ. ومن جملة تلك الأحاديث حديث مفارقته عليّاً عليه السلام وأخذه مال بيت مال البصرة المتقدّم والحديث الآتي من كتاب أمير المؤمنين إليه في ذلك وجوابه[٥].

وقال الشَّهيد الثاني في حاشية الخلاصة : جملة ما ذكره الكشّي من الطّعن فيه خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السَّنَد[٦].

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣) المصدر السابق ١٦: ١٧١.

(٤) خلاصة الأقوال للعلّامة الحِلّي: ١٩٠ / ترجمة ٥٨٦.

(٥) رجال الكشّي: ٥٤ / ح ١٠٩ ـ ١١٠.

(٦) أورده عنه في مُنتهى المقال للمازندراني ٤: ١٩٧ / ترجمة ١٧٤١.

وقال السيد ابن طاووس: حاله في المحبّة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وموالاته والنصر له والذب عنه والخصام في رضاه والمؤازرة له ممّا لا شبهة فيه. ثمّ قال معرِّضاً بأخبار الذَّم: ومثل الحبر موضع أنْ يحسده النّاس ويباهتوه:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً أنّه لدميم

قال: ولو ورد في مثله ألف رواية أمكَنْ أن تُعرَّض للتُّهمة فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيكة؟![1]... إلخ.

قال ابن أبي الحديد: يدلّ على عدم مفارقة ابن عبّاس أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه أبو الفرج الإصفهاني أنَّه لمّا استشهد أمير المؤمنين عليه السلام دسَّ معاوية رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان له بالأخبار، فدلّ عليهما فقُتِلا. فكتب عبدالله بن العبّاس من البصرة إلى معاوية: «أمّا بعدُ فإنَّك ودسُّك أخا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش...»[2]. إلى آخر الكتاب، فهو يدلّ على وجوده في البصرة عند وفاة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: وقالوا كيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية ويجرّه إلى جهته؟ فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمّال أمير المؤمنين عليه السلام واستمالهم بالأموال فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينهما ـ لم يستمل ابن عبّاس. وكلّ من قرأ السِّيَر وعرف التواريخ يعرف مشاقة ابن عبّاس لمعاوية بعد وفاة عليّ عليه السلام وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وماكان يثني به على أمير المؤمنين، ويذكر

---

(١) التحرير الطاووسي: ١٥٩ و١٦٣ / ترجمة ٢٠٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٦٢ ـ ٦٣.

خصائصه وفضائله ويصدع به من مناقبه ومآثره فلو كان بينهما غبار أوكدر لَمَا كان الأمر كذلك[١]... إلخ.

قال المؤلِّف : إنكار أخذ ابن عبّاس المال من البصرة، وإنكار كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه المقدَّم ذكره صعب جدّاً بعد ملاحظة ما تقدَّم، ولا يحتاج فيه إلى تصحيح روايات الكشّي، وبعد ما ذكرناه من الشواهد على اشتهار الأمر في ذلك. كما أنَّ إخلاص ابن عبّاس لأمير المومنين عليه السلام وتفوّقه في معرفة فضله لا يمكن إنكاره.

والذي يلوح لي: أنَّ ابن عبّاس لمّا ضايقه أمير المؤمنين عليه السلام في الحساب عمّا أخذ ومِنْ أين أخذ وفيما وضع كما يقتضيه عدله ومحافظته على أموال المسلمين وعلم أنّه مُحاسَب على ذلك أدقَّ حساب وغير مُسامَح في شيء سوَّلَتْ له نفسه أخذ المال من البصرة والذهاب إلى مكّة، وهو ليس معصوم وحُبّ الدّنيا ممّا طبعت عليه النّفوس. فلمّا كتب إليه أمير المؤمنين ووعظه وطلب منه التَّوبة تاب وعاد سريعاً.

وعدم نصّ المورِّخين على عَوده لا يَضُرّ، بل يكفي ذكرهم أنّه كان بالبصرة عند وفاة أمير المؤمنين عليه السلام كما دلَّ عليه كتابه السّابق إلى معاوية، أمّا الجواب الأخير الذي زعموا أنّه أجاب به أمير المؤمنين عليه السلام فمَعاذ الله أن يصدر منه، والله العالم بحقائق الأحوال.

سنة (٣٩ هـ) غارة النعمان بن بشير على عين التَّمر

كان النُّعمان صحابيّاً أنصاريّاً ممالئاً لمعاوية وابنه يزيد. قال ابن الأثير في

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧١، وذكر نص الكتاب في ص ٣١ ـ ٣٢.

حوادث سنة (٣٩ هـ):

فيها وجّه معاوية النّعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التّمر (شفاثاً) اجتهاداً منهما للفساد في الأرض، وسفك الدِّماء الحرام، ونهب الأموال بـغير حِلّها، فكانا بذلك مأجورين ثابتة عدالتهما!!

وفيها مالك بن كعب مسلحة لعليّ في ألف رجل، وكان مالك قد أذن لهم فأتوا الكوفة، ولم يَبْقَ معه إلّا مائة رجُل، فلمّا سَمع بـالنّعمان كـتب إلى أمـير المؤمنين يخبره ويستمدّه. فخطب بالناس وأمرهم بالخروج، فتثاقلوا فـصعد المنبر فخطبهم وقال: **«يا أهل الكوفة كلّما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلّكم انجَحر كلّ امرئٍ منكم في بيته، وأغلق عليه بابه، انجحار الضَّب في جُحره والضبع في وجارها»** في كلام آخر وبّخهم به.

وواقع مالك النُّعمان وجعل جدار القرية في ظهور أصحابه واقتتلوا أشـدّ قتال، وكتب مالك إلى مخنف بـن سـليم يسـتعينه، فـوجّه مـخنف ابـنه عـبد الرّحمن في خمسين رجلاً فانتهوا إلى مالك وأصـحابه، وقـد كَسـروا جـفون سيوفهم، واستقتلوا، فلمّا رآهم أهل الشام انهزموا عند المَساء وظـنّوا أنَّ لهـم مَدداً وتبعهم مالك وقتل منهم ثلاثة نفر[١].

غارة سفيان بن عُوف على الأنبار

قال: وفيها وجّه معاوية سفيان بن عُوف في ستة آلاف وأمره أن يـقطع هيت ويأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها، فأتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثـمّ أتى الأنبار[٢] وفيها مسلحة لعليّ تكون خمسمائة رجل وقد تفرّقوا، ولم يَبْقَ

(١) الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٢) مدينة قرب الفلوجة هي الآن خراب ـ المؤلف ـ.

منهم إلّا مائتان، لأنّه كان عليهم كميل بن زياد فبلغه أنَّ قوماً بقرقيسيا يريدون الغارة على هيت فسار إليهم بغير أمر عليّ، فأتى أصحاب سفيان، وكميل غائب عنها، وخليفته أشرس بن حسّان البَكريّ فطمع سفيان في أصحاب عليّ لقتلهم، فقاتلهم فصبروا له وقتل صاحبهم أشرس وثلاثون رجلاً، واحتملوا ما في الأنبار من أموال أهلها، ورجعوا إلى معاوية، وبلغ الخبر عليّاً، فغضب على كميل وكتب إليه ينكر عليه فعله، وأرسل في طلبهم فلم يُدرَكوا.

غارة عبدالله بن مسعدة على تيماء

«تيماء» بليدة في أطراف الشّام بينها وبين وادي القُرىٰ. قال: وفيها وجّه معاوية عبدالله بن مسعدة الفزاريّ في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يصدِّق مَن مرَّ به مِن أهل البَوادي ويقتل من امتنع. ففعل ذلك وبلغ مكّة والمدينة واجتمع إليه بشر كثير من قومه، وبلغ ذلك عليّاً، فأرسل المُسيّب بن نجبة الفزاريّ في ألفين، فلحقهم بتيماء فاقتتلوا قتالاً شديداً، وحمل المُسيّب على ابن مسعدة، فضربه ثلاث ضربات، لا يريد قتله ويقول له: النّجاء النّجاء، لأنّه من قومه فدخل ابن مسعدة وجماعة معه الحصن، وهرب الباقون، وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي مع ابن مسعدة، وحصرهم ثلاثة أيّام، ثمّ أحرق الباب فأشرفوا عليه وقالوا: يا مُسيب قومك فرقٌ لهم، وأمر بإطفاء النّار، وقال: جاءتني عيوني بأنَّ جُنداً قد أتاكم من الشّام. فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سرّحني في طلبهم، فأبى فقال: غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم[1].

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٧٦ ـ ٣٧٧، وفيه اختلاف يسير باللفظ.

مسير يزيد بن شجرة إلى مكّة

قال: وفيها أرسل معاوية يزيد بن شجرة الرّهاوي[١] إلى مكّة في ثلاثة آلاف فارس ليُقيم للنّاس الحجّ، ويأخذ له البيعة، وينفي عامل عليّ عنها، وهو قَثم بن العبّاس، فخَطب قَثم أهل مكّة ودعاهم إلى حربهم فلم يجيبوه بشيء إلّا شَيبة بن عُثمان العبدريّ، فأجابه بالسّمع والطّاعة، فأراد قَثم مفارقة مكّة إلى بعض شعابها، ومكاتبة أمير المؤمنين، فنهاه أبو سعيد الخدري عن ذلك وقال: أقِم فإن رأيت بك قوّة على قتالهم وإلّا فالمسير أمامك، فأقام وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بذلك. فسيّر إليه جيشاً في أوّل ذي الحجّة، وقدم ابن شجرة قبل التروية بيوم، وبعث إلى قَثم أن يعتزل الصلاة ويعتزلها هو، وصلّىٰ بالناس شَيبة بن عُثمان، وحجَّ بهم ورجع يزيد إلى الشّام، وأقبَلَت خيل عليّ وعليهم مَعقل بن قيس، فتبعوهم وأدركوهم وقد رحلوا عن وادي القُرىٰ فظفروا بنفر منهم فأخذوهم أُسارىٰ، ففادى بهم أمير المؤمنين أُسارىٰ كانت له عند معاوية[٢].

غارة عبد الرّحمن بن قباث على أهل الجزيرة

قال: وفيها سيّر معاوية عبد الرّحمن بن قباث إلى بلاد الجزيرة وفيها شبيب بن عامر بنَصيبين. فكتب إلى كميل بن زياد وهو بهيت يعلمه خبرهم، فسار كميل إليه في ستمائة فارس، فأدركهم وقاتلهم وهزمهم وغلب عَلىٰ عسكرهم، وأكثر القتل على أهل الشّام، وأمر أن لا يتبع مُدبر، ولا يُجهز على

(١) منسوب الى الرها بفتح الراء اسم قبيلة وأما البلد فبضم الراء.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣٧٨ ـ ٣٧٩ بتخليص .

جَريح، وقتل من عسكره رجُلان، وكتب إلى عليّ بالفتح، فجزّاه خيراً وأجابه جواباً حسناً ورضى عنه بعد سخطه عليه لما مرَّ وأقبَلَ شبيب من نَصيبين، فرأى كُميلاً قد أوقع بهم فهنّأه بالظَّفر، واتبع الشاميين فلم يلحقهم، فَعَبر الفُرات وبث خيله، فأغارت على أهل الشّام حتّى بلغ بعلبك، فوجّه إليه معاوية حبيب بن مسلمة فلم يدركه، ورجع شبيب فأغار على نواحي الرِّقة، فلم يَدَعْ للعُثمانيّة بها ماشية إلّا استاقها ولا خيلاً ولا سلاحاً إلّا أخذه، وكتب إلى عليّ، فكتب إليه عليّ ينهاه عن أخذ أموال الناس وحاشاه أن يَفعل كفعل معاوية، إلّا الخيل والسّلاح الذي يُقاتلون به. وقال: **«رحم الله شبيباً، لقد أبعد الغارة، وعجَّل الإنتصار»**(١).

غارة الحارث بن نمر التَّنوخيّ على أهل الجزيرة

قال: لمّا قدم يزيد بن شجرة على معاوية وجّه الحارث بن نمر التَّنوخي إلى الجزيرة ليأتيه بمَن هو في طاعة عليّ، فأخذ من أهل «دارا» سبعة نفر من بني تَغْلب وكان جماعة من بني تَغْلب قد فارقوا عليّاً إلى معاوية، فسألوه في إطلاق أصحابهم، فلم يفعل. فاعتزلوه وكتب معاوية إلى عليّ لِيُفادي من أسرهم معقل بن قيس من أصحاب يزيد بن شجرة بهؤلاء السَّبعة فَفَعل، وبعث عليّ عليه السلام عبد الرّحمن الخثعَميّ إلى ناحية المُوصل ليُسكِّن الناس، فلقيه التغلبيون المعتزلون معاوية، فتشاتَموا واقتتلوا فقتلوه، فأراد عليّ أن يوجّه إليهم جيشاً فقالت له ربيعة: هم معتزلون لعدوّك داخلون في طاعتك، وإنّما قتلوه خطأ فأمسك عنهم.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٣٧٩ بتخليص.

بعث معاوية رجلاً إلى السّماوة لأخذ الصّدقات

قال: وفيها بعث معاوية زهير بن مكحول العامريّ إلى السّماوة ليأخذ صدقات النّاس، وبلغ ذلك عليّاً فبعث جعفر بن عبدالله الأشجعي، وعروة بن العشبة، والجُلاس بن عُمير الكلبيين، ليصدّقوا مَن في طاعته من كلب، وبكر بن وائل، فوافوا زهيراً، فاقتتلوا فانهزم أصحاب عليّ، وقُتِل جعفر ومرَّ الجُلاس براعٍ فأخذ جُبّته وأعطاه جُبّة خَز فأدركته الخيل فقالوا: أين أخذ هؤلاء الترابيّون؟ فأشار إليهم أخذوا هاهنا.

ثمّ أقبل إلى الكوفة وظهرت الخيانة من ابن العشبة ـ فإنّ زهيراً حمله على فرس، فلحق بعليّ فعنّفه وعلاه بالدرة لأنّه اتّهمه بسبب حمل زهير إيّاه فَغَضِب ولحق بمعاوية[1]. وهكذا كان كلّ من يغضب من عدل عليّ يلحق بمعاوية، فهذه سبع غارات في سنة واحدة سعياً في الأرض بالفساد.

بعث معاوية مُسلم بن عقبة إلى دومة الجَنْدل

وهي المُسمّاة اليوم بالجوف. قال: فيها بعث معاوية مُسلم بن عقبة المُرّي صاحب وقعة الحرّة إلى دومة الجندل، وكان أهلها امتنعوا من بيعة عليّ ومعاوية، فدعاهم إلى بيعة معاوية فامتنعوا، وبلغ ذلك عليّاً فسيرّ مالك بن كعب الهمدانيّ إليهم في جمع فلم يشعر مُسلم إلّا وقد وافاه مالك فاقتتلوا يوماً، وانهزم مسلم وأقام مالك أيّاماً يدعوهم إلى بيعة عليّ فلم يفعلوا فانصرف عنهم.

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٠ بتقديم وتأخير.

غزو السند

قال: وفيها توجّه الحارث بن مُرّة العبديّ إلى بلاد السِّند غازياً متطوّعاً بأمر أمير المؤمنين عليّ، فأصاب غنائم وسبياً كثيراً وقسّم في يوم واحد ألف رأس.

ولاية زياد بن أبيه بلاد فارس

قال: وفيها وَلّىٰ عليّ زياداً كرمان وفارس ـ شيراز ونواحيها ـ لأنّه لمّا قُتل ابن الحضرمي واختلف النّاس على عليّ طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف فاستشار عليّ النّاس، فأشار جارية بن قُدامة بتولية زياد وقال: إنَّه صلب الرأي، عالم بالسّياسة، كافٍ لما وَلي، فأمَر عليّ ابن عبّاس أن يولّيها زياداً فسيّره إليها في جمع كثير وقيل: إنَّ ابن عبّاس أشار بولايته، فلم يزل يبعث إلى رؤوسهم يَعد مَن ينصره ويعينه ويخوّف مَن امتنع عليه، وضرب بعضهم ببعض وصفت له فارس ولم يلقَ منهم حرباً[1]... إلخ.

ثمّ أدرك زياداً سُوء العاقبة فاستلحقه معاوية في خلافة الحسن عليه السلام بشهادة أبي مريم الخمّار أنَّ أباسفيان زَنىٰ بأُمّه سمّية وهي تحت عبيد[2]، فكان أضر على شيعة عليّ عليه السلام وأبنائه من فرعون على بني إسرائيل.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٣٨١ ـ ٣٨٢، وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٢) المصدر السابق ٣: ٤٤٤.

سنة (٤٠ هـ) غارة بسر بن أبي أرطاة على الحجاز واليمن

كان بسر صحابيّاً، وكان من شيعة معاوية، وشهد معه صفّين واقتدى بعمرو في كشف سوأته كما مرَّ في حرب صفّين، وذكرنا ترجمته مفصّلة في حرف الباء من هذا الكتاب[1] وغارته على الحجاز واليَمَن، وما فعله من قبائح الأفعال ونذكر إجمالها هنا وما لم نذكره هنالك.

روى إبراهيم بن هلال الثّقفيّ في كتاب الغارات وابن الأثير في حوادث سنة (٤٠ هـ): أنَّ معاوية بعث بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف، وقال: سِرْ حتّى تمرّ بالمدينة ومكّة وصنعاء، وانْهَب أموال كلّ من أصبت له مالاً ممَّن لم يكن دخل في طاعتنا، فقَدم بسر المدينة وبها أبو أيّوب الأنصاري عامل عليّ عليها، فهرب أبو أيّوب ودخلها بسر، فصعد منبرها وشتم الناس وتهدّدهم وشتَمَ الأنصار فقال: يا معشر اليَهود وأبناء العبيد، وقال: والله لو لا ما عهد إليَّ معاوية ما تركت بها محتلماً، وهدم بها دوراً، وأكره جماعة عَلى البيعة، منهم جابر بن عبدالله واستخلف عليهم أباهريرة، ثمّ أتىٰ مكّة فهرب عامل عليّ عليها قُثم بن العبّاس، فشتمهم بسر وأنّبهم وقتل في طريقه رجالاً، وأخذ أموالاً، وأكره الناس على البيعة، ثمّ سار إلى اليَمَن وكان عليها عبيدالله بن عبّاس عاملاً لعليّ، فهرب منه وأخذ بسر ابنين لعبيدالله صغيرين فقتلهما[2]. قال المبرد: أخذهما من تحت ذيل أُمّهما وذبحهما على درج صنعاء، فذهب عقلها وكانت لا تزال تنشدهما في المواسم فتقول:

---

(١) يقصد أعيان الشيعة.

(٢) الغارات لابن هلال الثّقفي: ٤١٠ ـ ٤١١ و٤١٥ و٤٢١، ملخّص وفيه اختلاف، الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٣.

هـا مـن أحسّ بـابني اللّـذين هـما كـالدُرَّتين تشظى عنهما الصدف[١]

في أبيات ذكرناها في ترجمته وقتل جماعة من شيعة عليّ باليمن وقال إبراهيم الثّقفي: قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً، وحرق قوماً بالنار ـ وهو مع ذلك ومن أرسله مجتهدان مثابان ثبتت لهما العدالة لأنّهما صحابيان!! ـ وبلغ علياً الخبر فأرسل جارية بن قُدامة السّعدي في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية إلى البصرة، ثمّ أخذ طريق الحجاز حتّى أتَىٰ اليَمَن، وبلغ بسراً مسيره فانحدر إلى اليَمامة وأتى جارية نجران فقتل بها ناساً من شيعة عثمان وصمد نحو بسر، وبسر بين يديه يَفِرّ من جهة إلى جهة حتّى أخرجه من أعمال عليّ كلّها، ووثب الناس ببسر لمّا انصرف من بين يدي جارية لسُوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه. وتبعه جارية حتّى أتَىٰ مكّة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد استشهد فقال: بايعوا أمير المؤمنين. فقالوا: قد هلك فلِمَن نُبايع؟ قال: لمَن بايع له أصحاب عليّ.

فبايَعوا الحسن عليه السلام خوفاً منه، ثمّ أتى المدينة وأبو هريرة يُصلّي بالناس فهرب منه فقال جارية: لو وجدت أباسنور لقتلته، ثمّ قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن عليّ، فبايعوه ثمّ عاد إلى الكوفة[٢].

دعوى الرُّبوبيّة فيه

كانت هذه الدّعوى في زمن خلافته، ولسنا نعلم وقتها على التحقيق فلذلك أوردناها في هذا المكان، ويمكن أن يُستفاد ممّا يأتي أنها قبل وفاته

(١) الكامل للمبرد ٨: ١٥٨، بشرح المرصفي وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٤٠ نقلاً عنه.

(٢) الغارات لابن هلال الثّقفي: ٤٣٠ و ٤٤٠ ـ ٤٤١، بتقديم وتأخير وتلخيص.

بسنة.

قال ابن أبي الحديد في شرح النَّهج : وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله المُنافية لقُوى البَشر، غلا فيه من غلا بحلول الجوهر الإلهي فيه ، وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك فقال: «يهلك فيك رجلان مُحبّ غالٍ، ومُبغض قالٍ». وقال له مرّة أُخرى: «والذي نفسي بيده لو لا أنّي أشفق أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التُّراب من تحت قَدَمَيك للبركة»[(١)]... إلخ.

وروى هشام بن سالم في الصحيح عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «أتى قوم أمير المؤمنين، فقالوا: السّلام عليك يا ربّنا، فاستتابهم، فَلَمْ يَتُوبوا» الحديث[(٢)].

وقال ابن أبي الحديد في موضع من شرح النَّهج : روى أبو العبّاس أحمد بن عبيدالله بن عمّار الثَّقَفي بسنده: أنَّ علياً عليه السلام مرَّ بقوم يأكلون في شهر رمضان. فقال: أسُفَّر أم مَرضى؟ قالوا: ولا واحدة منهما. قال: أمِن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمّة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في نهار رمضان؟ فقالوا: أنت أنت. يؤمّون إلى رُبوبيّته، فنزل عن فرسه فألصق خدّه بالأرض وقال: «ويلكم إنَّما أنا عبد من عبيدالله فاتّقوا الله وارجعوا إلى الإسلام، فأبوا» الحديث.

ثمّ استترت هذه المقالة سنة أونحوها، ثمّ ظَهَرَ عبدالله بن سبأ وكان يهودياً يتسترّ بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين، فأظهرها واتبعه قوم فسُمّوا السبائية[(٣)].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٤.

(٢) الكافي للكليني ٧: ٢٥٧ / ح ٦٨، والإستبصار للطوسي ٤: ٢٥٤ / ح ٩٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ١١٩ ـ ١٢٠.

وقال في موضع آخر منه: (وشفع جماعة من أصحاب عليّ منهم عبدالله بن عبّاس في ابن سبأ، وقالوا: إنّه تاب فأطلقه وشرط عليه أن لا يُقيم بالكوفة، فنفاه إلى المدائن، فلمّا قُتِلَ أمير المؤمنين قال: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة لَعَلِمْنا أنّه لم يَمُتْ ولا يموت حتّى يسوق العرب بعصاه)[١].

وقد أشار إلى دعوى الربوبية فيه جماعة من الشُّعراء قال الحاج هاشم الكعبي من قصيدة:

بشر أقل صفاته إن عاينوا　　منهنَّ ما ظنّوا به المعبودا[٢]

وقال ابن أبي الحديد من قصيدة:

تقبلت أفعال الربوبية التي　　عذرت بها من شكَّ أنَّك مَربُوب[٣]

وقال آخر:

كَفى في فضل مولانا عليّ　　مقال الخَلْقِ فيه أنَّه الله[٤]

وقال آخر:

ضلّت خلائق في عليّ مثلما　　ضلّت بعيسى قبل ذاك خلائق

وقال بعض شعراء الشيعة كما حكاه ابن أبي الحديد:

إذا كنتم مَمَّن يروم لحاقَهُ　　فهلاّ برزتم نحو عَمرو ومَرْحَبِ
وكيف فررتم يوم أُحد وخَيبَر　　ويوم حُنينٍ مهرباً بعد مهرب
ألم تشهدوا يوم الإخاء وبيعةالغدير　　وكلّ حُضَّرٌ غير غُيَّبِ
فكيف غداً صنو النفيلي ويحه　　أميراً على صِنو النَّبيِّ المُرجَّبِ

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٥: ٦ـ٧.
(٢) انظر ديوان الشيخ هاشم الكعبي.
(٣) الهاشميات والعلويات: ٩٨.
(٤) الأربعين لمحمّد طاهر القُمّي الشيرازي: ٣٨٠.

وكيف علا من لا يطأ ثوب أحمدٍ على مَن علا مِنْ أحمدٍ فَوْقَ منْكَبِ
يجلُّ عن الأفهام كُنه صفاته ويرجع عنها الذِّهْنُ رجعة أخيَبِ
فَلَيس بيان القَول عنه بكاشفٍ غِطاءٍ ولا فصلُ الخطاب بِمُعرَبِ
وحقّ لقبرٍ ضَمَّ أعضاءَ حيدرٍ وغُودرَ منه في صفيح مُغَيَّبِ
يكون ثَراهُ سِرُّ قُدسٍ مُمَنَّعٍ وحَصْباؤهُ من نُورٍ وَحيٍّ مُحَجَّبِ
وتغشاه من نور الإلٰه غمامةٌ تُغاديه من قُدس الجَلالِ بِصَيِّبِ
وتنقض أسرابُ النُّجومِ عَوَاكِفاً على حُجرَتَيْهِ[كَوكباً][(١)] بعدَ كوْكَبِ
ولم يغلُ فيك المسلمون جَهالَةً ولكن لسرٍّ في عُلاك مُغَيَّبِ[(٢)]

مقتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وقدر عمره ومدة خلافته

قُتِلَ عليه السلام سنة (٤٠ هـ) من الهجرة في شهر رمضان، ضُرِبَ ليلة تسع عشرة ليلة الأربعاء، وقبض ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين على المعروف بين أصحابنا[(٣)] وعليه عمل الشيعة اليوم، وروى الطبري وابن الأثير: أنَّه ضرب ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان[(٤)]، فتكون وفاته ليلة الأحد.

وعمره ثلاث وستّون سنة رواه الحاكم في المُستدرك عن محمّد بن الحنَفيّة[(٥)] أو أربع وستّون أوخمس وستّون سنة. منها عشر سنين أو اثنتا

(١) في المصدر [كوكبُ].
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٧ ـ ٩.
(٣) الإرشاد ١: ٩ ـ ١٠، إعلام الورىٰ بأعلام الهُدى ـ ١: ٣٠٩، منتهى الآمال ١: ٣٢٩.
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٠، الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٧.
(٥) مستدرك الحاكم النيسابوري ٣: ١٤٥.

عشرة سنة قبل البعثة، وثلاث وعشرون مع النبيّ ﷺ بعد البعثة ثلاث عشرة بمكّة وعشر بالمدينة، وثلاثون سنة بعد وفاة النبيّ ﷺ ، وقيل في سنه غير ذلك فروى الحاكم في المستدرك عن جعفر بن محمّد عن أبيه: أنّه قُتِلَ وهو ابن ثمان وخمسين سنة(١).

وأشهر الأقوال الأوّل والثالث. قال ابن شهرآشوب في المناقب : قبض ﷺ قتيلاً في مسجد الكوفة وقت التنوير ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة مضين من شهر رمضان فبقي يومين إلى نحو الثُّلث من الليل، وله يومئذٍ خمس وستّون سنة في قول الصّادق عليه السلام وقالت العامّة: ثلاث وستّون سنة(٢)...إلخ.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى : قُتِلَ عليّ يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة (٤٠ هـ) وهو يوم قتل ابن ثلاث وستّين سنة أوأربع وستّين.

وبسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة : قتل عليّ بن أبي طالب سنة(٤٠ هـ) من مهاجر رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستّين سنة قتل يوم الجمعة للحادي والعشرين من شهر رمضان ومات يوم الأحد ودفن بالكوفة)(٣)... إلخ.

وكانت مدّة خلافته خمس سنين إلّا نحواً من أربعة أشهر أوثلاثة أشهر لأنّه بُويع لخمس بقين من ذي الحجّة سنة (٣٥ هـ) كما مرّ.

وروى الحاكم في المستدرك عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى: أنّ خلافته كانت خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر، ثمّ روى عن أبي بكر بن أبي شيبة أنّه قال:

---

(١) مستدرك الحاكم النيسابوري ٣: ١٤٤.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٠٧.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١١٢ ١١٣.

وَلِيَ عليّ بن أبي طالب خمس سنين)[١]... إلخ، وكأنَّه مبني على نوع من التَّسامح.

نعيه نفسه قبل مقتله

قال ابن الأثير في الكامل: قيل من غير وجه أنَّ علياً كان يقول: «**ما يمنع أشقاكم أن يخضب هذه من هذه ـ يعني لحيته من دم رأسه ـ ؟**.

وقال الحسن بن كثير عن أبيه: (خرج عليّ من الفجر فأقبل الأوز يصحن في وجهه فطردوهنَّ عنه فقال: «**ذروهنَّ فإنهنَّ نوائح**»، فضربه ابن مُلجم في ليلته، وقال الحسن بن عليّ يوم قُتل عليّ: «**خرجت البارحة وأبي يُصلّي في مسجد داره. فقال لي: يا بُنَيَّ إنّي بِتُّ أوقظ أهلي لأنَّها ليلة الجمعة فملكتني عيناي فنمت، فسنح لي رسول الله ٩ فقلت: يا رسول الله ماذا لقيتُ من أُمَّتك من الأود واللّدد؟**. قال [أبو الفرج][٢]: ـ والأود العوج واللّدد الخصومات ـ فقال لي: **ادعُ عليهم، فقلت: اللّهمَّ أبدلني بهم مَن هو خير منهم، وأبدلهم بي مَن هو شرّ منّي، فجاء ابن [الثباج][٣] فآذنه بالصّلاة فخرج وخرجتُ خلفه فضربه ابن ملجم فقتله**[٤].

وفي تذكرة الخواصّ: عن الشعبي أنشد عليّ عليه السلام قبيل قتله بأيّام:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربّك لا فازوا ولا ظفروا
فإن بقيت فرهن ذمّتي لهم [بذات ودقين لا يعفو لها أثر][٥]
وسوف يورثهم فقدي على وجل ذلّ الحياة بما خانوا وما غدروا[٦]

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١١٢ ١١٣..
(٢) ليست في المصدر.
(٣) في المصدر [النباج].
(٤) الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٨.
(٥) في المصدر [وإن عدمت فلا يبقى لهم أثر].
(٦) تذكرة الخواص: ١٧٤.

سبب قتل أمير المؤمنين عليه السلام

قال الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل: كان سبب قتله عليه السلام أنّ عبد الرّحمن بن ملجم المُرادي، والبرك بن عبدالله التّميميّ الصريمي واسمه الحجاج، وعمروبن أبي بكر التّميمي السّعدي، وهم من الخوارج اجتمعوا فتذاكروا أمر النّاس، وعابوا الوُلاة ثمّ ذكروا أهل النّهر فترحّموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟! فلو شرينا أنفسنا لله وقتلنا أئمة الضّلال وأرحنا منهم البلاد. فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليّاً، وقال البرك بن عبدالله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمروبن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا أن لا ينكص أحدهم عن صاحبه الذي توجّه إليه حتّى يقتله أويموت دونه.

وأخذوا سيوفهم فسمّوها واتّعدوا لتسع عشرة أوسبع عشرة من رمضان، فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه بها وكتمهم أمره، ورأى يوماً أصحاباً له من تيم الرّباب ومعهم امرأة منهم اسمها قطام بنت الأخضر التّيمية قُتل أبوها وأخوها يوم النّهر وكانت فائقة الجمال فخطَبَها. فقالت: لا أتزوّجك إلّا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل عليّ. فقال: أمّا قتل عليّ فما أراك ذكرته وأنت تريدينني. قالت: بل ألتمس غرّته فإن أصبته شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي، وإن قُتِلت فما عندالله خير من الدنيا وما فيها. قال: والله ما جاء بي إلّا قتل عليّ فَلَكِ ما سألتِ. قالت: سأطلب لك مَن يشدّ ظهرك ويساعدك، وبعثت إلى رجل من قومها اسمه وَردان فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع اسمه شبيب بن بجرة. فقال: هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال: وماذاك ؟ قال: قتل عليّ بن أبي طالب. قال شبيب: ثكلتك أُمّك لقد جئت شيئاً إدّا، كيف تقدر على قتله ؟ قال: أكمِن له في المسجد فإذا خرج إلى صلاة

الغداة شددنا عليه فقتلناه. قال: ويحك! لو كان غير عليّ كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاءه في الإسلام، وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلمه قتل أهل النهر العباد الصالحين ؟ قال: بلى. قال: فلنقتله بمَن قتل من أصحابنا فأجابه. فلمّا كان ليلة الجمعة وهي الليلة التي واعد ابن ملجم فيها أصحابه على قتل عليّ ومعاوية وعمرو، جاءوا قطام وهي في المسجد الأعظم مُعتكفة، فدعت لهم بالحرير وعصّبتهم به[١].

وقال المفيد: إنَّهم أتوا قُطام ليلة الأربعاء[٢].

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: إنَّهم أتوا قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرّباب وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قُبّة، فدعت لهم بحرير، فعصّبت به صدورهم، وتقلّدوا سيوفهم ومَضوا فَجلسوا ممّا يلي السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين عليه السلام إلى الصلاة[٣].

قال المفيد: وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين عليه السلام وأوطأهم على ذلك وحضر الأشعث في تلك الليلة لمعونتهم. وكان حجر بن عَديّ في تلك الليلة بائتاً في المسجد، فسمع الأشعث يقول لابن ملجم: النّجاء النّجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح، فأحسّ حجر بما أراد الأشعث. فقال: قتلته يا أعور وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين ليخبره الخبر ويحذّره من القوم وخالفه أمير المؤمنين عليه السلام في الطريق فدخل المسجد[٤].

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٠ ـ ١١١، وفيه تفاوت يسير باللفظ، وانظر الكامل في التاريخ ٣: ٣٨٨ ـ ٣٩٠.

(٢) الإرشاد ١: ١٩.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٧، وفيه تفاوت يسير.

(٤) الإرشاد ١: ١٩ ـ ٢٠.

قال الطبري وابن الأثير: فلمّا خرج عليّ نادى الصلاة الصلاة فضربه شبيب بالسَّيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أوالطلق وضربه ابن ملجم على قرنه بالسّيف، وقال: الحكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك(١).

وقال أبو الفرج: فضربه ابن ملجم فأثبت الضربة في وسط رأسه(٢).

قال ابن عبد البر : فقال عليّ: فزت وربّ الكعبة، لا يَفوتنَّكم [الرجل](٣)(٤).

قال المفيد وأبو الفرج : وأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين(٥).

وروى أبو الفرج بسنده عن عبد الله بن محمّد الأزدي قال: إنّي لأُصلّي في تلك اللّيلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوَّله إلى آخره، اذ نظرت إلى رجال يُصلّون قريباً من السدة إذ خرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام لصلاة الفجر فأقبل يُنادي: الصلاة الصلاة. فما أدري أنادى أم رأيت بريق [السّيوف](٦) ؟ وقائلا يقول: الحكم لله يا عليّ لا لك ولا لأصحابك، وسمعت علياً يقول: «لا يفوتنّكم الرجل»(٧).

وفي الإستيعاب: اختلفوا هل ضرَبه في الصلاة أوقبل الدّخول فيها(٨).

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١١ و١١٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣: ٣٩٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٨.

(٣) في المصدر [الكلب].

(٤) الإستيعاب ٣: ٢١٨. .

(٥) الإرشاد ١: ٢٠، مقاتل الطالبيين: ٤٧.

(٦) في المصدر [السيف].

(٧) مقاتل الطالبيين: ٤٨.

(٨) الإستيعاب ٣: ٢١٩.

وهرب القوم نحو أبواب المسجد وتبادر الناس لأخذهم قال أبو الفرج: (فأمّا شبيب فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السّيف ليقتله به، فرأى النّاس يقصدون نحوه فخشي أن يعجّلوا عليه ولم يسمعوا منه، فوثب عن صدره وخلاّه وطرح السّيف من يده، ومضى [شبيب][١] هارباً حتّى دخل منزله ودخل عليه ابن عمّ له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له: ما هذا ؟ لعلّك قتلت أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول له: لا. فقال: نعم. فمضى ابن عمّه واشتمل على سيفه، ثمّ دخل عليه فضربه حتّى قتله[٢].

قال المفيد : وأمّا ابن ملجم، فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة، ثمّ صرعه وأخذ السّيف من يده، وجاء به أمير المؤمنين عليه السلام، وأفلت الثالث وأنسلّ بين الناس[٣] ، وفي رواية الطبري وابن الأثير: أنَّ الذي قُتل وردان والذي أفلت شبيب[٤].

قال ابن الأثير : (وقدم عليّ عليه السلام جعدة بن هبيرة ابن أُخته أُمُّ هانيء يُصلّي بالناس الغداة)[٥].

قال الشيخ في الأمالي: وخرج الحسن والحسين عليهما السلام وأخذا ابن ملجم وأوثقاه ، واحتمل أمير المؤمنين عليه السلام فأُدخل داره، فقعدت لُبابة عند رأسه، وجلست أُمّ كلثوم عند رجليه، ففتح عينيه فنظر إليهما. فقال: «الرّفيق الأعلى خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً». ثمّ عرق، ثمّ أُغمي عليه، ثمّ أفاق، فقال: «رأيت رسول الله

(١) في المصدر [الرجل] .
(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٩.
(٣) الإرشاد ١: ٢١، وفيه اختلاف يسير باللفظ.
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١١، الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٠.
(٥) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٠.

يأمرني بالرّواح إليه عشاء ثلاث مرات»[١].

قال ابن الأثير : وأُدخل ابن ملجم على أمير المؤمنين وهو مكتوف فقال: أيْ عدوّ الله ألم أُحسن إليك؟! قال: بلى. قال: «فما حملك على هذا» ؟ قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شرّ خلقه. قال عليّ: «لا أراك إلّا مقتولاً به، ولا أراك إلّا من شرِّ خَلْقِ الله». ثمّ قال: «النّفس بالنّفس، إنْ هَلَكْتُ فاقتلوه كما قتَلني، وإنْ بَقيت رأيت فيه رأيي ، يا بني عبد المطلب لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين ألا لا يُقتلنَّ إلّا قاتلي ، انظر يا حسن إن أنا متّ من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تُمثلنَّ بالرَّجُل، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم والمُثلة ولو بالكَلبِ العَقور»[٢].

قال المفيد : فقال ابن ملجم: والله لقد ابتعْته بألف، وسممته بألف، فإن خانني فأبعده الله ، ونادته أُمّ كلثوم: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين! قال: إنّما قتلت أباكِ ، قالت: يا عدوَّ الله إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس ، قال لها: فأراكِ إنّما تبكين عليَّ إذاً والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم. فأخرج من بين يديه، وأنَّ الناس ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم سِباع وهم يقولون: يا عدوّ الله ما فعلت؟! أهلكت أُمّة محمّد، وقتلت خير الناس، وإنّه لَصامت لا ينطق. فذُهِب به إلى الحبس، وجاء الناس إلى أمير المؤمنين، فقالوا: مُرْنا بأمرك في عدوّ الله، والله لقد أهلك الأُمّة وأفسد المِلّة. فقال لهم: «إن عشت رأيت فيه رأيي، وإن هلكت فاصنعوا به كما يُصنع بقاتل النبيّ، اقتلوه ثمّ احرقوه بعد ذلك بالنار»[٣].

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٦٥ /ح ٧٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٣) الإرشاد ١: ٢١ ـ ٢٢، وفيه اختلاف يسير باللفظ.

قال الطبري : وفي قتل عليّ يقول ابن أبي ميّاس المُرادي ونسبها الحاكم في المستدرك إلى الفرزدق [١]:

ولم أرَ مهراً ساقه ذوسماحة | كمهر قطام من فصيحٍ وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة | وضرب عليٍّ بالحسام المُصمَّم
فلا مهر أغلى من عليّ وإن غلا | ولا فتك إلّا دون فتك ابن ملجم [٢]

قال الطبري : وأمّا البرك بن عبد الله فانه في تلك الليلة قعد لمعاوية. فلمّا خرج ليُصلّي الغداة شدَّ عليه بسيفه فوقع في إلْيَته فأُخِذَ، فقال: إنَّ عندي خبراً أسرُّك به، فإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم. قال: إنَّ أخاً لي قتل عليّاً في مثل هذه اللّيلة. قال: لعلَّه لم يقدر على ذلك ؟ قال: بلى، إنَّ عليّاً يخرج ليس معه من يحرسه. فأمر به معاوية فقُتل ، وبعث معاوية إلى السّاعديّ وكان طبيباً، فقال: اختَر إمّا أن أحمي حديدة فأضعها موضع السَّيف، وإمّا أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبرئ فإنَّ ضربتك مسمومة ، قال : أمّا النار فلا صبر لي عليها، وأمّا الولد فإنَّ في يزيد وعبدالله ما تقرّ به عيني. فسقاه الشربة فبريء وعالج جرحه حتّى التأم ولم يولد له بعدها [٣].

قال سبط ابن الجوزي : لمّا بلغ القاضي أباحازم ذلك قال: يا ليت ذلك قبل أن يُولد يزيد [٤] ، (وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه إذا سجد [٥]. قال ابن الأثير : وهو أوّل من عملها في

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٣ ـ ١٤٤

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٥ ـ ١١٦.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٤ ـ ١١٥.

(٤) تذكرة الخواص : ١٨٣. .

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٥.

الإسلام(١).

أقول: المقصورة بناء أوشبهه يُصلّي داخله الحامل لقب الخلافة، لئلا يغتاله أحد، ويُصلّي الناس خلفه. أوّل من عمله معاوية واقتدي به من بعده.

وأمّا عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته من بني عامر بن لؤي فخرج ليُصلّي فشدّ عليه وهو يرى أنّه عمرو فقتله فأُخذ إلى عمرو فرآهم يسلّمون عليه بالإمرة، فقال: مَن هذا ؟ قالوا: عمرو. قال: فمَن قتلتُ؟ قالوا: خارجة. فقال لعمرو: أما والله يا فاسق، ما ظننته غيرك. قال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة. فقدّمه عمرو فقتله وبلغ ذلك معاوية فكتب إلى عمرو:

[وقتك](٢) وأسباب المَنايا كثيرةٌ   مَنيَّةُ شيخٍ من لُؤيِّ بن غالبِ
فيا عمرو مَهلاً إنّما أنت [همه](٣)   وصاحبه دون الرِّجال الأقارِب
نَجَوْتَ وقد بلّ المُراديُّ سَيْفَهُ   مِن ابن أبي شيخ الأباطِحِ طالبِ
ويضربُني بالسَّيف آخرُ مِثْله   فكانت علينا تلك ضَربةَ لازِبِ(٤)

أقول : وفي ذلك يقول ابن عبدون في رائيته المشهورة :

وليتها إذْ فَدَت عَمراً بخارجةٍ   فدت عليّاً بمَن شاءت مِنَ البَشَرِ(٥)

وروى أبو الفرج الأصبهانى في مقاتل الطالبيّين وابن عبد البرّ في الاستيعاب بإسناديهما وبين كلّ منهما بعض التفاوت. ونحن نذكر محصّل

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٣.
(٢) في المصدر [وَقْتَلْ].
(٣) في المصدر [عمه].
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٥.
(٥) كشف الغمة ٢: ٦٦.

الكلامين : أنّه جُمع لعليّ عليه السلام أطباء الكوفة يوم جُرِحَ، فلم يكن أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانيء السُّكوني وكان أبصَرَهم بالطِّب وكان متطبّباً صاحب [كرسي][(1)] يعالج الجراحات.

وقال أبو الفرج: كان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التَّمر فسباهم.

وقال ابن عبد البرّ: وهو الذي تنسب إليه صحراء أثير، فلمّا نظر إلى الجرح أخذ رئة شاة حارّة فَتَتَبَّع عرقاً منها، فاستخرجه وأدخله في الجرح. ثمّ نفخ العرق فاستخرجه، فإذا عليه بياض الدِّماغ فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فإنَّ عدوَّ الله قد وَصَلَتْ ضربته إلى أُمِّ رأسك[(2)].

قال أبو الفرج الأصبهاني: روى أبو مخنف عن أبي الطفيل: أنّ صعصعة بن صوحان استأذن على عليّ عليه السلام وقد أتاه عائداً لمّا ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن. فقال صعصعة للآذن : قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيّاً وميّتاً لقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً.

فأبلغه الآذن فقال: قل له: وأنت يرحمك الله، فلقد كنت خفيف المؤونة، كثير المَعونة[(3)].

وروى الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي في أماليه بسنده إلى الأصبغ بن نباتة قال: لمّا ضرب ابن ملجم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب غدونا عليه نفر من أصحابنا، أنا والحارث وسويد بن غفلة وجماعة معنا. فقعدنا على الباب فسمعنا البكاء من الدّار، فبكينا فخرج إلينا الحسن بن

(١) في المصدر [كسرى].

(٢) الاستيعاب ٣: ٢٢١، مقاتل الطالبيين: ٥١.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٥٠.

عليّ عليه السلام فقال: يقول لكم أمير المؤمنين: انصرفوا إلى منازلكم. فانصرف القوم غيري واشتدَّ البكاء في منزله، فبكيت. فخرج الحسن فقال: ألَم أقل لكم انصرفوا ؟ فقلت: لا والله يا ابن رسول الله ما تتابعني نفسي، ولا تحملني رِجلاي أن أنصرف حتّى أرى أمير المؤمنين وبكيت. فدخل الدّار ولم يلبث أن خرج فقال لي: أُدخل. فدخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فإذا هو مستند، مَعصُوب الرأس بعمامة صفراء. قد نزف دمه، واصفرَّ وجهه، فما أدري وجهه أشدّ صُفرة أم العمامة. فأكببت عليه فقبَّلته وبكيت. فقال لي: **لا تبكِ يا أصبغ فإنَّها والله الجنَّة**. فقلت له: جُعلتُ فِداك إنّي أعلم والله أنّك تصير إلى الجنّة، وإنّما أبكي لفقداني إيّاك يا أمير المؤمنين(١).

وروى قطب الدّين سعيد بن هبة الله الرّاوندي في كتاب الخرائج عن عمرو بن الحمق قال: دخلت على عليّ عليه السلام حين ضُرِب الضربة بالكوفة فقلت: ليس عليك بأس إنَّما هو خدش. قال: **لعمري إنّي لمُفارقكم**. ثمّ أُغميَ عليه. فبكت أُمّ كلثوم. فلمّا أفاق قال: **«لا تؤذيني يا أُمّ كلثوم فإنّكِ لو تَرين ما أرى إنَّ الملائكة من السماوات السَّبع بعضهم خلف بعض، والنَّبيين يقولون إنطلق يا عليّ فما أمامك خير لك ممّا أنت فيه»**(٢).

وروى ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن عمرو ذي مُرّ قال: لمّا أُصيب عليّ بالضربة دخلت عليه وقد عصّب رأسه فقلت: يا أمير المؤمنين أرني ضربتك فحلها فقلت: خدش وليس بشيء. قال: **إنّي مفارقكم**. فبكت أُمّ كلثوم من وراء الحجاب. فقال لها: **اسكتي فلو تَرين ما أرى لَمّا بَكيتِ**. فقلت يا أمير

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ١٢٣ / ح ١٩١، وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٧٨ ح ١١.

المؤمنين: ماذا ترى ؟ قال: «هذه الملائكة وُفود والنّبيون وهذا محمّد يقول: يا عليّ أبشر فما تصير إليه خير ممّا أنت فيه».(١)

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي في الأمالي(٢) بسنده عن حبيب بن عمرو نحوه.

وصية أمير المؤمنين عليه السلام

ذكرها أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري في تاريخه وأبو الفرج الإصبهاني في مقاتل الطالبيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أوصى به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. أوصى أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون، ثمّ ﴿إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحياي ومَماتي لله ربِّ العالَمين لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أوّلُ المُسلِمينَ﴾(٣).

[أُوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ واعملا للأجر [للآخرة](٤)، وكونا للظالم خصماً وللمَظلوم عَوناً، أُوصيكما وجميع ولْدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بِتقوى الله ونَظْمِ أمرِكم وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول: صلاح ذات البَين أفضل

(١) أسد الغابة ٤: ٣٨.

(٢) لم نعثر عليه في أمالي الشيخ الطوسي، وعثرنا عليه في أمالي الشيخ الصدوق: ٣٩٦ / ح ٥١٠، والحديث نُقل عن الصدوق في أماليه كما في مدينة المعاجز لهاشم البحراني ٣: ٥٠ / ح ٧١٥، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٢: ٢٠١ / ح ٦ وج ٤٣: ٣٥٩ / ح ١.

(٣) الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٤) لم ترد في المصادر.

من عامّة الصلاة والصيام(١) وإنّ [البغضة](٢) حالقة الدّين ولا قُوّةَ إلّا بالله، انظروا ذَوي أرحامكم فَصِلُوهُم يهوّن الله عليكم الحساب، والله الله في الأيتام لا تُغبّوا أفواههم ولا يُضيّعوا بحضرتكم [فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من عالَ يتيماً حتّى يستغني أوجب الله له الجنّة كما أوجب لأكلّ مال اليتيم النّار](٣)، والله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم، والله الله في جيرانكم فإنّهم وصية نبيّكم ما زال يُوصينا بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم، والله الله في بيت ربّكم فلا يخلونّ منكم ما بقيتم فإنّه إن تُرِك لم تناظروا وإن أدنى ما يرجع به من أمّه أن يُغفَر له ما سَلف من ذنبه، والله الله في الصّلاة فإنّها خير العمل وإنّها عمود دينكم، والله الله في الزّكاة فإنّها تُطفيء غضب ربّكم، والله الله في صيام شهر رمضان فإنّ صيامه جنّة مِنَ النّار، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فإنّما يُجاهد في سبيل الله رجلان إمام هُدى ومُطيع له مقتدٍ بهُداه، والله الله في ذريّة نبيّكم فلا يُظلمنّ بين أظهُركم، والله الله في أصحاب نبيّكم [الذين لم يحدثوا حدثاً ولم يؤوا محدثاً](٤) فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم [ولعن المحدث منهم ومن غيرهم والمؤوي للمحدث](٥)، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم، والله الله في النّساء وما ملكت أيمانكم فإنّ آخر ما تكلّم به رسول الله ﷺ أن قال: أُوصيكم بالضّعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم. ثمّ قال: الصلاة الصلاة ولا تخافنّ في الله لَومَةَ لائم يكفكم مَن أرادكم وبغيَ عليكم، قولوا للناس حُسناً كما أمركم الله عزّ وجلّ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر فيولّي الله الأمر شراركم ثمّ تدعُونّ فلا يُستجاب لكم، عليكم بالتّواصل والتّباذل والتّبار وإيّاكم والتقاطع والتدابر والتفرّق ﴿وتَعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تَعاونوا على

(١) نهج البلاغة: ٧٦/٣، كتاب ٤٧ . تحقيق الشيخ محمّد عبده.
(٢) الحالقة: المبيدة . والوصية في مقاتل الطالبيين، وليست في تاريخ الأُمم والملوك.
(٣) ما بين المعقوفتين ليس في المصدرَين.
(٤) ما بين المعقوفتين ليس في المصدرَين.
(٥) ما بين المعقوفتين ليس في المصدرَين.

الإثمِ والعُدْوان واتّقوا اللهَ إنَّ الله شديدُ العقاب ﴾[١]. حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيّكم وأستودعكم الله خير مُستودعٍ وأقرأ عليكم السّلام ورحمة الله وبركاته»[٢].

وقال ابن الأثير: إنَّه دعا الحسن والحسين عليهما السلام فقال لهما: «أُوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدُّنيا وإن بَغتكما، ولا تَبكيا على شيء زوي عنكما منها، وقولا الحقّ، وارحما اليتيم، وكونا للظّالمِ خَصماً وللمظلوم ناصراً، واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لَوْمَة لائم، ثمّ نظر إلى محمّد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيتُ به أخويك ؟ قال: نعم. قال: فإنّي أُوصيك بمثله وأُوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك ولا تقطع دونهما أمراً. ثمّ قال: أُوصيكما به فإنَّه شقيقكما وابن أبيكما وقد علمتما أنَّ أباكُما كان يُحبّه. وقال للحسن: أُوصيك أي بُنيّ بتقوى الله، وإقام الصلاةِ، وإيتاء الزكاة، وغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرَّحم، والحلم عن الجاهل، والتفقُّه في الدّين، والتعاهد للقرآن، وحُسن الجِوار، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكَر، واجتناب الفَواحش»[٣].

ثمّ قال للحسن : [أبصروا][٤] ضاربي، أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي.

ثمّ قال للحسن عليه السلام: إذا أنا مِتُّ فلا تغال في كَفَني[٥]. وصلِّ عليَّ وكبّر عليَّ سبعاً[٦] وفي رواية خمساً[٧] وغيّب قبري[٨].

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٣ ـ ١١٤، مقاتل الطالبين: ٥١ ـ ٥٣، وفيهما اختلاف باللفظ، وأورد المصنف ضمن الخطبة ما نعثر عليه في المصدَرين.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٤) في المصدر [فما فعل].

(٥) المناقب للخوارزمي: ٣٨٨ / ح ٤٠٣.

(٦) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٢.

(٧) مقاتل الطالبيين: ٥٤.

(٨) تذكرة الخواص: ١٧٨، بالمعنى وتفاوت يسير.

قال ابن الأثير: ثمّ لم ينطق إلّا بلا إله إلّا الله حتّى توفي عليه السلام[١]... الخ وبقي إلى نحو ثلث اللّيل وتوفي فصرخت بناته ونساؤه وارتفعت الصيحة في القصر فعلم أهل الكوفة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قبض، فأقبل الرجال والنّساء يهرعون أفواجاً أفواجاً وصاحوا صيحة عظيمة فارتجّت الكوفة بأهلها وكَثُر البكاء والنَّحيب وكثر الضَّجيج بالكوفة وقبائلها ودُورها وجميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا تُوفي غسّله الحسن والحسين عليهما السلام ومحمّد يصبّ الماء[٢].

وقال أبو الفرج: غسّله الحسن وعبدالله بن عبّاس[٣].

وقال ابن الأثير: وعبدالله بن جعفر مكان عبدالله بن عبّاس[٤][٥].

وكُفِّن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيهما قميص ولا عمامة[٦] بل كان القميص والعمامة من غيرها وحُنِّط ببقيّة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٢.

(٢) البحار ٤٢: ٢٩٣ و٢٩٤، عن نسخة قديمة لديه.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٥٤.

(٤) روى المفيد أنه كان يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبدالله بن جعفر. والذي في الأصل عبدالله بن عباس ووضع عبدالله بن جعفر مكان عبدالله بن عباس خطأ مطبعي، ولعلّ الصواب أنه كان يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبدالله بن جعفر وليلة عند عبدالله بن العباس، وأنّ هؤلاء هم الذين غسّلوه. وهذا من الأدلة على أنّ ابن عباس لم يُفارق أميرالمؤمنين عليه السلام كما أنه سيأتي في سيرة الحسن عليه السلام أنّ عبدالله بن العباس قام بين يديه ودعا الناس الى بيعته فبادروا إليها وأن الحسن عليه السلام رتّب العمال وأنفذ عبدالله بن العباس الى البصرة، وهو أيضاً من الأدلة على عدم مفارقته أميرالمؤمنين عليه السلام إلّا أن يكون الصواب عبيدالله بن العباس مصغراً بدل عبدالله مكبراً كما ربما يدل عليه قول الطبري وابن الأثير أنّ الذي حضر صلح الحسن هو عبيدالله لا عبدالله والله أعلم ـ المؤلّف ـ.

(٥) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٢.

(٦) مناقب الخوارزمي: ٣٨٦.

ثمّ وضعوه على سريره، وصلّى عليه الحسن ابنه وكبّر خمساً[١]. وقيل ستّاً[٢]، وقيل سبعاً[٣]، وقيل تسعاً[٤]. وحُمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة إلى النَّجف، فدُفِن بالثوية عند قائم الغريين[٥].

وفي خبر عن الباقر عليه السلام: «**دخل قبره الحسن والحسين ومحمّد بَنُوه عليهم السلام وعبدالله بن جعفر رضى الله عنه**»[٦].

وكان إخفاء قبره بوصيّة منه عليه السلام خوفاً من بني أُميّة ومن الخوارج.

وروى أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين بسنده عن أبي البختري: أنَّه لمّا جاء عائشة قتل أمير المؤمنين عليه السلام سجدت[٧].

وقال الطبري في تاريخه، وابن الأثير في الكامل، وروى أبو الفرج في مقاتل الطالبيين، وابن سعد في الطبقات، وذكر المرزباني في معجم الشُّعراء، أنَّه لمّا أتى عائشة نعي أمير المؤمنين عليه السلام تمثّلت:

فألقت عصاهاواستقرّت بهاالنَّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافر

ثمّ قالت: مَن قتله ؟ قيل: رجل من مراد. فقالت:

فإنْ يَكُ نائياً فلقد [نعاه][٨] غلام ليس في فيهِ التُّراب

فقالت زينب ابنة أبي سلمة: ألعليّ تقولين هذا ؟! فقالت: إنِّي أنسى فإذا

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٤.

(٢) تذكرة الخواص: ١٧٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مناقب الخوارزمي: ١٧٨ .

(٥) إعلام الورى بأعلام الهُدى ١: ٣١٢.

(٦) الإرشاد : ٢٥.

(٧) مقاتل الطالبيين: ٥٥.

(٨) في مقاتل الطالبيين [بغاه].

نسيت فذكّروني[1].

قال أبو الفرج: ثمّ تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا شتم الصّديق وكثرة الألقاب
حتّى تركت كأنّ قولك فيهم في كلّ مجتمع طنين ذُباب[2]

... إلخ.

وفي ضربة ابن ملجم أمير المؤمنين عليه السلام يقول عمران بن حطان الرقاشي الخارجي:

يا ضربة من [تقي][3] ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنّي لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البريّةِ عند الله ميزانا
أكرم بقومٍ بطون الأرض أقبُرهُم لم يخلطوا دينهم بغياً وعُدوانا
لله دَرُّ المُراديِّ الذي سفكت كفاه مهجة شرَّ الخَلْقِ إنسانا
أمسى عشية غشاه بضربته ممّا جناه من الآثام عُريانا[4]

وقد ردَّ عليه جملة من الشُعراء منهم طاهر بن محمّد حكاه عنه سبط بن الجوزي في تذكرة الخواصّ فقال:

يا ضربة من لعين ما أراد بها إلّا إمام الهُدى ظُلماً وعدوانا
إنّي لأذكره يوماً [فأثبته][5] أشقى البريّةِ عند الله خُسرانا

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٥، الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٤، ومقاتل الطالبيين: ٥٥، الطبقات الكُبرى ٣: ٤٠، ومعجم الشُعراء للمرزباني.
(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٥.
(٣) في الأغاني [كريم].
(٤) الأغاني ١٨: ١٧ ولم يذكر البيت الثالث، وسير أعلام النُبلاء ٤: ٢١٥، ولم يذكر البيتين الأخيرَين.
(٥) في المصدر [فأحسبه].

وقـالَ: هـذا رسـول الله سـيدنا وخـاتم الرُّسُلِ إعلاما وإعلانا(١)

ومنهم القاضي أبو الحارث الطبري أورده سبط بن الجوزي أيضا وفي الإصابة: (عارضه الإمام أبو الطيب الطبري، وذكر البيتين الأوَّلَين فقط :

إنـي لأبـرأ مـمّا أنت قـائله عـن ابـن مـلجم المَـلعُونِ بُـهتانا
إنّـي لأذكـره يـوماً فـألعنه ديـناً وألعـن عـمرانَ بـن حطّانا
عـليك ثـمّ عـليه الدّهـرُ مُـتَّصلاً لعـائن الله إسـراراً وإعـلانا
فـأنتم مِـن كِـلابَ النّارِ جاء بـه نـصّ الشَّـريعةِ بُـرهاناً وتـبيانا(٢)

ومنهم السيد الحميري فقال :

لا درّ درّ المُـرادِ الذي سـفكت كـفاه مـهجة خـير الخـلق إنسـانا
[قد صـار مـمّا](٣) تـعاطاه بـضربته مـمّا عـليه مـن الإسـلام عُـريانا
أبْكَـىٰ السَّـماء لُـباب كـان يـعمره مـنها وحـنت عـليه الأرض تـحنانا
طوراً أقول ابن ملعونَين ملتقَط من نسل إبليس [بل قد](٤) كان شيطانا
ويـل أُمّـه أي مـاذا لعـنة ولدت [لا إنْ كما قال عمران بن حطانا](٥)
عـبد تـحمّل إثـما لو تـحمله ثـهلان طـرفة عـين هـد ثـهلانا)(٦)

ومنهم أبو المظفر الشهرستاني في كتابه التبصير فقال :

كذبت وأيـم الذي حـجّ الحـجيج له وقـد ركـبت ضـلالاً مـنك بـهتانا
لتـلقينَّ بـها نـاراً مـؤجَّجة يـوم القـيامةِ لا زُلفـى ورضـوانا

(١) تذكرة الخواص: ١٨٢.
(٢) تذكرة الخواص: ١٨٢، الإصابة: ٢٣٢ / ترجمة ٦٨٩١.
(٣) ما بين المعقوفتين في المصدر [أضحى بما قد].
(٤) في المصدر [لا بل].
(٥) العجز في المصدر [ويل له أيماذا لعنة كانا].
(٦) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣١٥ ـ ٣١٦، ونُسب البيت الأوّل للسيّد الحميري، ونُسب باقي الأبيات لبعضهم.

تبّت يداه لقد خابت وقد خسرت وصار أبخس مَن في الحشر ميزانا
هذا جوابي لذاك النّذل مرتجِلا أرجو بذاك من الرّحمنِ غُفرانا[١]

وقال أبو بكر بن حماد، أوبكر بن حماد التاهرتي:

قُلْ لابن مُلجم والأقدار غالبة: هَدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل مَن يمشي على قدم وأوّل النّاسِ إسلاماً وإيمانا
وأعلم النّاس بالقرآنِ ثمّ بما سَنَّ الرَّسول لنا شَرْعاً وتِبيانا
صِهر النبيّ ومَولاه وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحَسودِ لهُ مكان هارون من موسى بن عِمْرانا
وكان في الحرب سَيفاً صارماً ذكرا ليثا إذا لَقي الأقران أقرانا
ذكرتُ قاتله والدَّمْعُ مُنحدِرُ فقلت: سبحان ربّ النّاس سُبحانا
إنّي لأحسبه ما كان مِن بَشرٍ [كلاّ ولكنّه قد][٢] كان شيطانا
أشقىٰ مُراد إذا عُدَّتْ قبائلها وأخسر النّاس عند الله ميزانا
كعاقرِ النّاقةِ الأُولىٰ التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خُسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها قبل المنيّة [أشقاها وقد كانا][٣]
فلا عفا الله عنه ما تحمّله ولا سقىٰ قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقيٍّ ظلَّ مُجترماً ونالَ ما نالهُ ظُلْماً وعُدوانا
يا ضربةً مَن تقي ما أراد بها إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غَويّ أوردته لظى فسوف يَلقى بها الرّحمن غضبانا
كأنّه لم يَرِدْ قصداً بضربته إلّا لِيَصْلىٰ عذابَ الخُلدِ نيرانا[٤]

(١) المصدر غير متوفّر لدينا عنه في العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل: ١٢٢.
(٢) في المصدر [يخشى المعاد ولكن].
(٣) في المصدر [أزمانا فأزمانا].
(٤) الإستيعاب ٣: ٢٢١ ـ ٢٢٢، وذكره ابن الأثير في الكامل ٣: ٣٩٥ ـ ٣٩٦ باختلاف يسير.

قتل ابن ملجم لعنه الله

كان أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ضربه ابن ملجم أوصى به فيما رواه الحاكم في المستدرك.

(فقال: «**أحسنوا إليه فإن أعش فهضم أو قصاص، وإن أمت فعاجلوه، فإنّي مخاصمه عند ربّي عزّ وجلّ**»(١).

وفي رواية للحاكم لمّا جاءوا بابن ملجم إلى عليّ عليه السلام قال: اصنعوا به ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله برجل جعل له على أن يقتله، فأمر أن يُقْتَل ويُحرق بالنار(٢).

قال الطبري: ولمّا قبض أمير المؤمنين عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم فأحضره فقال للحسن: هل لك في خصلة إنّي أعطيت الله عهداً أن لا أُعاهد عهداً إلّا وفّيت به، وإنّي عاهدت الله عند الحطيم أن أقتُل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خلّيت بيني وبينه فلَكَ عليّ عهد الله إن لم أقتله وبقيت أن آتيك حتّى أضع يديّ في يدك. فقال له الحسن: لا والله حتّى تعاين النار، ثمّ قدّمه فقتله، وأخذهُ الناس فأدرجوه في بواري وأحرقوه بالنار(٣).

وقال المفيد في الإرشاد: استوهبت أُمّ الهيثم بنت الأسود النُّخعية جيفته منه لتتولّىٰ إحراقها فوهبها لها، فأحرقتها بالنار(٤).

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي إسحاق الهمداني: رأيت قاتل عليّ بن أبي طالب يُحرَق بالنار في أصحاب الرِّماح(٥).

---

(١) المستدرك لحاكم ٣ ١٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ١١٤، وفيه تفاوت يسير.

(٤) الإرشاد ١: ٢٢.

(٥) المستدرك للحاكم ٣: ١٤٤.

موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام

قد عرفت أنَّه حُمِلَ ليلاً إلى ناحية الغريين ودُفن هناك وأُخفي قبره بوصيّة منه[1].

وحكى ابن أبي الحديد في شرح النَّهج: عن أبي القاسم البلخي أنَه قال: إنَّ عليّاً عليه السلام لما قُتل قصد بَنُوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أُميّة أن يحدثوا في قبره حدثاً، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة وهي ليلة دفنه إيهاماتٍ مختلفة، فشدّوا على جمل تابوتاً موثقاً بالحبال يفوح منه روائح الكافور، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبه ثقاتهم يوهمون أنَّهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام ،وأخرجوا بَغلاً وعليه جنازة مُغطّاة، يُوهمون أنَّهم يدفنونه بالحيرة، وحفروا حفائر عدّة منها بالمسجد، ومنها برحبة قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبدالله بن يزيد القسري بحذاء باب الوراقين ممّا يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية فعمي على النّاس موضع قبره، ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلّا بَنُوه والخواصّ المخلصون من أصحابه، فإنَّهم خرجوا به عليه السلام وقت السَّحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه على النَّجف بالموضع المعروف بالغريّ بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك، وعهد كان عهد به إليهم، وعُمِّيَ موضع قبره على الناس، واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعّبت، وادّعى قوم أنَّ جماعة من طيء وقعوا على جمل في تلك الليلة وقد

---

(١) انظر الإرشاد ١: ٢٤.

أضلّه أصحابه ببلادهم، وعليه صندوق فظنّوا فيه مالاً، فلمّا رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البّعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أُميّة وشيعتهم واعتقدوه حقّاً فقال الوليد بن عقبة من أبيات [يقصد فيها الردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال:

وإن تُولّوها عليّاً تجدوا هادياً مهدياً][١]:

فإن يك قد ضلَّ البّعيرُ بحمله فما كان مُهدياً وكان هاديا)[٢]

...إلخ. ما حكاه ابن أبي الحديد، ولذلك وقع [لـ][٣]اختلاف في موضع قبره الشريف بين غير الشيعة، أمّا الشيعة فمتّفقون خلفاً عن سَلف نقلاً عن أئمتهم أبناء أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لم يُدفن إلّا في الغري في الموضع المعروف الآن ووافقهم المحقّقون من عُلماء سائر المسلمين والأخبار فيه متواترة، وقد كتب السيّد عبد الكريم بن طاووس كتاباً في ذلك سمّاهُ «فرحة الغريّ» استقصى فيه الآثار والأخبار الواردة في ذلك وأتى بما لا مزيد عليه.

وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن جابر بن يزيد قال: سألت أباجعفر بن عليّ الباقر عليه السلام أين دُفن أمير المؤمنين؟ قال: **«دُفن بناحية الغريين، ودُفن قبل طلوع الفجر»**. وبسنده عن أبي عُمير عن رجاله، قيل للحسين بن عليّ عليه السلام: أين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال: **«خرجنا به ليلاً على مسجد الأشعث حتّى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغريّين فدفناه هناك»**[٤].

وقال ابن الأثير: دُفن عند مسجد الجماعة، وقيل في القصر، وقيل غير

---

(١) ما بين المعقوفتين لم ترد في المصدر، الظاهر أنها من المصنف.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٨١ ـ ٨٢، الغارات: ٢/٥١٩.

(٣) في المصدر [ولا].

(٤) الإرشاد ١: ٢٤ ـ ٢٥.

ذلك، والأصح أنَّ قبره هو الموضع الذي يتبرّك به ويُزار[١]... إلخ.

أقول: وهذا ممّا لا شبهة فيه، ولا ريب لأن أولاده وذرّيته وشيعتهم كانوا يزورونه في هذا الموضع، وأعرف الناس بقبر الميت أهله وأتباعه وعليه جميع الشيعة وأئمة أهل البيت وجميع المسلمين إلّا من شذّ.

وفي تذكرة الخواص : حكى أبو نعيم الأصفهاني أنّ الذي على النجف إنّما هو قبر المُغيرة بن شعبة. قال: ولو علم به زواره لرجموه. قلت: وهذا من أغلاط أبي نعيم فإنَّ المغيرة بن شعبة لم يُعرف له قبر، وقيل: إنّه مات بالشّام[٢]... إلخ.

قال المفيد في الإرشاد: لم يزل قبره عليه السلام مخفياً لا يعرفه غير بنيه وخواصّ شيعتهم حتّى دلَّ عليه الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام في الدولة العبّاسية، وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة، فعرفته الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته[٣]... إلخ.

قال صفوان بن مهران الجمّال، فيما روي عنه في فرحة الغريّ: لمّا وافيت مع جعفر الصادق عليه السلام الكوفة، يريد أباجعفر المنصور قال لي: يا صفوان أنخ الراحلة فهذا قبر جديّ أمير المؤمنين . فأنختها، ثمّ نزل فاغتسل وغيّر ثوبه وتحفّى وقال لي: إفعل مثلما أفعل. ثمّ أخذ نحو الذكوة وقال لي: قصّر خطاك طلباً لثواب زيادة الخطى ـ إلى أن قال: ـ ثمّ مَشى ومشيت معه وعلينا السّكينة والوقار نسبّح ونقدّس ونُهلّل ، إلى أن بلغنا الذكوات. فوقف ونظر يُمنة ويُسرة وخط بعكازته فقال لي: اطلب. فطلبت فإذا أثر القبر. ثمّ أرسل دموعه وقال : السّلام

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٣٩٦.

(٢) تذكرة الخواص: ١٧٩.

(٣) الإرشاد ١: ١٠.

عليك أيّها الوَصي إلى آخر الزيارة ـ إلى أن قال: ـ قلت: يا سيدي تأذن لي أن أُخبر أصحابنا من أهل الكوفة به؟ فقال: نعم. وأعطاني دراهم وأصلحت القبر(١).

وفي رواية عن الصادق أنّه قال: «لمّا كنت بالحيرة عند أبي العبّاس يعني السّفاح، كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً بناحية نجف الحيرة إلى جانب غريّ النُّعمان، فأُصلّي عنده صلاة اللّيل وأنصرف قبل الفجر»(٢).

وفي رواية عن صفوان الجمّال قال: حملت جعفر بن محمّد عليه السلام فلمّا انتهيت إلى النّجف قال: يا صفوان، تياسر حتّى تجوز الحيرة فتاتي القائم. فبلغت الموضع الذي وصف فنزل وتوضأ. ثمّ تقدّم هو وعبدالله بن الحسن، فصلّيا عند قبر. فلمّا قضيا صلاتهما قلت: جُعلت فداك، أيّ موضع هذا القبر؟ قال: هذا قبر عليّ بن أبي طالب وهو القبر الذي تأتيه الناس هناك(٣).

وينبغي أن يكون هذا في خلافة السّفاح، لأنّه هو الذي وفد عليه عبدالله بن الحسن.

وعن فرحة الغريّ بسنده عن عبدالله بن عبيد بن زيد قال: رأيت جعفر بن محمّد، وعبدالله بن الحسن بالغريّ عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام(٤).

وروى ابن قولويه في كتاب كامل الزيارة بسنده عن صفوان الجمّال قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام؟ فوصف لي موضعه

(١) فرحة الغري: ٩٤ ـ ٩٦، بتفاوت يسير.
(٢) فرحة الغري: ١٠١، بتفاوت يسير.
(٣) فرحة الغري ٥٦، بتفاوت يسير.
(٤) فرحة الغري: ٥٦، بتفاوت يسير.

حيث دكادك[١] الميل. فأتيته فصلّيت عنده. ثمّ عُدت إلى أبي عبدالله عليه السلام من قابل فأخبرته بذهابي وصلاتي عنده. فقال: أصبت، فمكثت عشرين سنة أُصلّي عنده[٢].

أقول: صفوان كان جمّالاً يسافر بجماله من الحجاز إلى العراق، وبالعكس، فكان كلّما سافر إلى العراق يُصلّي عند القبر الشريف، وكان هذا قبل أن يركب معه الصادق عليه السلام من الحجاز إلى العراق كما مرّ، فدلّه على القبر. فعرّفه بالوصف ثمّ لمّا حمله على جمله دلّه على موضعه بالتعيين، وكان من أصحاب الصادق عليه السلام وشيعته، وفي عدّة روايات عن الصادق عليه السلام أنّه لمّا أتى الكوفة صلّى ركعتين، ثمّ تنحّى فصلّى ركعتين، ثمّ تنحّى فصلّى ركعتين. فسُئل عن ذلك؟ فقال: «**الأولى موضع قبر أمير المؤمنين، والثانية موضع رأس الحسين**[٣]، **والثالثة موضع منبر القائم عليه السلام**»[٤].

وقد دلّ الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه على قبر أمير المؤمنين بظهر الكوفة في المكان المعروف، منهم أبو بصير، وعبدالله بن طلحة، ومعلى بن خنيس، ويونس بن ظبيان، وزرارة، وغيرهم[٥].

وقبل ذلك جاء الإمام عليّ زين العابدين عليه السلام من الحجاز إلى العراق مع خادم له لزيارته. فزاره، ثمّ رجع[٦] ولكن لم يعرفه جميع الناس. ثمّ عرفه وأظهره الرشيد العباسيّ بعد سنة (١٧٠ هـ)، فعرفه عامّة الناس.

---

(١) الدكاك جمع دكدك ما يكبس من الرمل أو أرض فيها غلظ والميل ثم الغريّ الذي مرّ تفسيره سابقاً.

(٢) كامل الزيارات: ٨٨ / ح ٨٨.

(٣) لما روي من أن رأس الحُسين مدفون مما يلي رأس أميرالمؤمنين عليه السلام .

(٤) فرحة الغري: ٥٧ ـ ٥٨.

(٥) المصدر السابق: ٥٩ ـ ٧١.

(٦) المصدر السابق: ٤٣.

روى المفيد في الإرشاد: عن محمّد بن زكريا حدَّثنا عبدالله بن محمّد بن عبدالله عن ابن عائشة حدَّثني عبدالله بن حازم، قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية، فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور والكلاب، فجاولتها ساعة ثمّ لجأت الظباء إلى أكمه. فوقفت عليها، فسقطت الصقور ناحية، ورجعت الكلاب. فعجب الرشيد من ذلك، ثمّ إنَّ الظباء هبطت من الأكمة، فهبطت الصقور والكلاب، فرجعت الظباء إلى الأكمة. فتراجعت عنها الصقور والكلاب، فعلت ذلك ثلاثاً. فقال الرشيد: اركضوا فمَن لقيتُموه فأتوني به فأتيناه بشيخ من بني أسد فقال له: هارون: أخبرني ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك. قال: لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك.

قال: حدّثني أبي عن آبائه أنّهم كانوا يقولون: إنَّ في هذه الأكمة قبر عليّ بن أبي طالب جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلّا أمن. فنزل هارون فدعا بماء، فتوضأ وصلّى عند الأكمة، وتمرَّغ عليها، وجعل يبكي ثمّ انصرفنا.

قال محمّد بن عائشة: وكان قلبي لا يقبل ذلك فحججت إلى مكّة، فرأيت بها ياسراً [خادم][1] الرشيد فقال: قال لي الرشيد ليلة من الليالي وقد قدمنا من مكّة فنزلنا الكوفة: يا ياسر قُل لعيسى بن جعفر فليركب. فركبا جميعاً، وركبت معهما حتّى إذا صرنا إلى الغريّين. فأمّا عيسى فطرح نفسه فنام، وأمّا الرشيد فجاء إلى أكمة فصلّى عندها، فكلّما صلّى ركعتين دعا وبكى وتمرّغ على الأكمة. ثمّ يقول: يا ابن عمٍّ أنا والله أعرف فضلك وسابقتك، وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه، وأنت وأنت ولكن ولْدُك يُؤذونني، ويخرجون

---

(١) في المصدر [رحال].

عليّ. ثمّ يقوم فيُصلّي ثمّ يعيد هذا الكلام ويدعو ويبكي حتّى إذا كان وقت السَّحر قال لي: يا ياسر، أقم عيسى. فأقمته. فقال له: يا عيسى، قُم فصلِّ عند قبر ابن عمّك. قال له: وأيّ [ابن عمّ منّي][1] هذا؟ قال: هذا قبر عليّ بن أبي طالب. فتوضأ عيسى وقام يُصلّي. فلم يزالا كذلك حتّى طلع الفجر. فقلت: يا أمير المؤمنين أدركك الصبح فركبنا ورجعنا إلى الكوفة[2]... إلخ.

تعمير القبر الشريف

العمارة الأولى

أوّل من عمّره هارون الرشيد بعد سنة (١٧٠ هـ)[3]، وما في بعض الكتب من أنَّ ذلك كان سنة (١٥٥ هـ)[4] إشتباه لأنَّ الرشيد استخلف سنة (١٧٠ هـ)، ومات سنة (١٩٣ هـ)، وإظهاره القبر وتعميره إنَّما كان في خلافته.

قال الديلمي الحسن بن أبي الحسن محمّد في إرشاد القلوب بعدما ذكر مجيء هارون إلى القبر: وأمر أن تبنىٰ عليه قُبّة بأربعة أبواب[5]... إلخ.

وقال أحمد بن عليّ بن الحسين الحسني في كتابه عُمدة الطالب بعدما ذكر زيارة الرشيد للقبر الشريف: ثمّ إنَّ هارون أمر فبُني عليه قُبّة، وأخذ الناس في زيارته والدّفن لموتاهم حوله[6].

وقال السيّد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس الحسني في كتاب فرحة

(١) في المصدر [وأي عمو منّي].

(٢) الإرشاد ١: ٢٥ ـ ٢٨.

(٣) عمد الطالب: ٤٣.

(٤) رياض السياحة: ٣٠٩.

(٥) إرشاد القلوب: ٢ / ١٤٨.

(٦) فرحة الغزي: ١٢٢.

الغريّ: ذكر ابن طحال أنَّ الرشيد بنى عليه بُنيانا بآجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم من كلّ جانب بذراع ولمّا كشفنا الضريح الشريف وجدنا مبنيّاً عليه تربة وجصّاً. وأمر الرشيد أن يُبنى عليه قُبّة. فبُنيت من طين أحمر، وعلى رأسها جرّة خضراء، وهي في الخزانة اليوم[١]... إلخ.

ويظهر من حديث رواه السيّد عبد الكريم بن طاووس في كتاب فرحة الغريّ الآنف الذِّكر: أنَّ داود[٢] العباسي عمل على القبر صندوقاً.

وقال أبو الحسن عليّ بن الحسن بن الحجّاج: أنَّه رأى هذا الصندوق لطيفاً[٣].

قال السيّد عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن طاووس في فرحة الغريّ: أخبرني عمّي السعيد عليّ بن موسى بن طاووس، والفقيه نجم الدّين أبو القاسم بن سعيد، والفقيه المقتدىٰ بقية المشيخة نجيب الدّين يحيى بن سعيد، أدام الله بركاتهم كلّهم، عن الفقيه محمّد بن عبدالله بن زهرة الحسيني، عن محمّد بن الحسن العلوي السّاكن بمشهد الكاظم عليه السلام، عن القطب الرّاوندي، عن محمّد بن عليّ بن [المحسن][٤] الحَلَبي، عن الشيخ الطوسي، ونقلته من خطّه حرفاً حرفاً عن المفيد محمّد بن محمّد بن النُّعمان، عن محمّد بن أحمد بن داود، عن أبي الحسين محمّد بن تمام الكوفي حدّثنا أبو الحسن عليّ بن

(١) عمدة الطالب: ٤٣.

(٢) ذكر بعض المعاصرين أنّ داود هذا هو داود بن عيسى بن موسى بن محمّد بن عليّ بن عبدالله بن عباس لكن سيأتي إسماعيل بن عيسى قال عمّي داود واذا كان داود هو ابن عيسى يكون أخاه لا عمه إلّا أن يكون إسماعيل وأبوه كلاهما يُسمّىٰ عيسى أو غير ذلك.

(٣) فرحة الغزي: ١٣٩.

(٤) في المصدر [الحسن].

الحسن بن الحجّاج من حفظه قال: كنّا جلوساً في مجلس ابن [عمّي][١] أبي عبدالله محمّد بن عمران بن الحجاج، وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ، وفيمن حضر العبّاس بن أحمد العباسيّ، وكانوا قد حضروا عند ابن عمّي يهنؤنَه بالسَّلامة، لأنَّه حضر وقت سقوط سقيفة سيّدى أبي عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في ذي الحجة سنة (٢٧٣ هـ)، فبينا هم قُعُود يتحدَّثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسي، فأحجمت الجماعة عمّا كانت فيه، وأطال إسماعيل الجلوس فقال: يا أصحابنا أعزَّكم الله لَعليّ قطعت حديثكم بمجيئي. فقال أبو الحسن عليّ بن يحيى السُّليماني، وكان شيخ الجماعة ومقدّماً فيهم: لا والله يا أبا عبدالله أعزَّك الله [ما][٢] أمسكنا لحال من الأحوال. فقال لهم: يا أصحابنا اعلموا أنَّ الله عزَّ وجلَّ مسائلي عمّا أقول لكم وما أعتقده من المذهب، حتّى حلف بعتق جواريه، ومماليكه، وحبس دوابه، أنّه لا يعتقد إلّا ولاية عليّ بن أبي طالب والسّادة من الأئمة، وعدَّهُم واحداً واحداً، فانبسط إليه أصحابنا.

ثمّ قال لهم: رجعنا يوم الجمعة من الصلاة مع عمّي داود، فقال لنا: أينَما كنتم قبل أن تغرب الشمس فصيروا إليّ، ولا يتخلّف منكم أحد. وكان جمرة بني هاشم، فصرنا إليه. فقال: صيحوا بفلان وفلان من الفعلة، فجاءه رجلان معهما آلتهما. فقال لنا: اركبوا في وقتكم هذا وخذوا معكم الجمل غلاماً كان له أسود يُعرف بالجمل، وكان هذا الغلام لو حمل على سكر دجلة لسكرها من شدّته وبأسه، وامضوا إلى هذا القبر الذي قد أُفتتن به الناس ويقولون إنّه

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

قبر عليّ، حتّى تنبشوه وتجيؤوني بأقصى ما فيه. فمضينا إلى الموضع، فحفر الحفّارون وهم يقولون: لا حول ولا قُوّة إلّا بالله في أنفسهم، حتّى نزلوا خمسة أذرُع. فقالوا: قد بلغنا إلى موضع صلب وليس نقوى بنقره، فأنزلوا الحبشي، فأخذ المنقار، فضرب ضربة سمعنا لها طنيناً شديداً، ثمّ ضرب ثانية فسمعنا طنيناً أشدَّ، ثمّ ضرب الثالثة فسمعنا طنيناً أشدّ. ثمّ صاح الغلام صيحة فقلنا: اسألوه ما باله؟ فَلَم يُجِبْهُم، وهو يستغيث فشدّوه بالحبل، وأخرجوه. فإذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرافقه دم، وهو يستغيث لا يكلّمنا، ولا يحير جواباً، فحملناه على بغل، ورجعنا طائرين حتّى انتهينا إلى عمّي. فأخبرناه، فالتفت إلى القبلة، وتاب ورجع عن مذهبه. وركب بعد ذلك في الليل إلى مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقاً، ولم يخبره بشيء ممّا جرى، ووجّه من طمَّ الموضع، وعمَّر الصندوق عليه.

قال أبو الحسن بن حجاج: رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً إلى أن قال: هذا آخر ما نقلته من خطّ الطوسي رحمه الله.

ورواه الشريف أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين ابن عبد الرّحمن الشجري بإسناده نحوه، قال الفقيه صفيّ الدّين محمّد بن معد: وقد رأيت هذا الحديث بخطّ أبي يعلىٰ محمّد بن حمزة الجعفري صهر الشيخ المفيد، والجالس بعد وفاته مجلسه. أقول: وقد رأيته بخط أبي يعلى الجعفري أيضاً في كتابه كما ذكره صفيّ الدّين المراد نقله من كلام ابن طاووس في فرحة الغري[1].

(١) فرحة الغريّ: ١٣٦ ـ ١٤٠.

العمارة الثانية

عمارة محمّد بن زيد الحسني[(١)] الملقّب بالداعي الصغير صاحب بلاد الديلم وطبرستان، فإنَّه أمر بعمارته، وعمارة الحائر بكربلاء، والبناء عليهما بعد سنة (٢٧٩ هـ) وبنى على المشهد العَلوي حِصناً فيه سبعون طاقاً، وهو محمّد بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الملقَّب بالدّاعي الصغير ملك الطبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد، وأقام بها سبع عشرة سنة وسبعة أشهر، وخطب له رافع بن هرثمة بنيسابور، ثمّ سار إلى خراسان لمّا بلغه أسر الصفّار ليستولي عليها، وحاربه محمّد بن هارون السرخسي صاحب إسماعيل بن أحمد الساماني، وجرى بينهما قتال شديد. ثمّ انهزم عسكر العَلَوي، وجُرح جراحات عديدة، ومات منها بعد أيام سنة (٢٨٧ هـ)، وأسر ابنه زيد بن محمّد في المعركة وحمله إلى إسماعيل الساماني، فأكرمه، ووسّع عليه، وحمل رأسه إلى [إسماعيل إلى][(٢)] بخارا ودفن بدنه بجُرجان عند قبر الدّيباج محمّد بن الصادق[(٣)].

قال ابن طاووس في فرحة الغريّ: إنَّ محمّد بن زيد الداعي بنى المشهد الشريف الغروي أيام المُعتضد[(٤)]... إلخ، والمعتضد بُويع سنة (٢٧٩هـ) وتوفّي (٢٨٩ هـ)[(٥)].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٠٨.

(٢) بين المعقوفتين لم ترد في المصادر.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٨: ٢٠٤، الكامل في التاريخ ٧: ٥٠٤.، وفيهما اختلاف في اللفظ، وعمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٩٣.

(٤) فرحة الغري: ١٢٨.

(٥) الكامل في التاريخ ٧: ٤٥٢ ـ ٥١٣.

وعن محمّد بن أبي طالب في كتابه زينة المجالس أنّه قال : إلى أن خرج الدّاعيان الحسن ومحمّد ابنا زيد بن الحسن، فأمر محمّد بعمارة المشهدين: مشهد أمير المؤمنين، ومشهد أبي عبدالله الحسين، وأمر بالبناء عليهما(١)...إلخ.

وممَّن ذكر بناء محمّد بن زيد العلوي محمّد بن طحال فيما حكي عنه(٢).

ويدلّ بعض الأخبار أن الذي بناه الحسن بن زيد المُلقّب بالدّاعي الكبير أخو محمّد بن زيد المتقدِّم ظهر بطبرستان سنة (٢٥٠ هـ) وتوفي سنة (٢٧٠هـ)قتله مرداويج الديلمي(٣).

ففي ذيل خبر داود العباسي المتقدِّم الذي مرَّ أنّه عمّر عليه الصندوق قال أبو الحسن بن حجاج: رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً، وذلك قبل أن يُبنىٰ عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد ، وفي ذيل حديث ابن الشجري المُشار إليه آنفا وذلك قبل أن يُبنى عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد بن محمّد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب المعروف بالدّاعي الخارج بطبرستان... إلخ. ولعلّه وقع اشتباه من النُّساخ أوبعض المؤلِّفين، فأبدل اسم محمّد باسم أخيه الحسن، أو أن الحسن كان قد بنى عليه حائطاً، ثمّ بناه أخوه محمّد فجعل له حِصنا بسبعين طاقاً،كما مرَّ وبعد ذلك زيد فيه.

وممَّن عمّره: الشريف عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر المقتول سنة (٢٥٠ هـ)، ابن يحيى بن الحسين ذي الدّمعة بن زيد بن عليّ بن

---

(١) تسلية المجالس وزينة المجالس، المصدر غير متوفّر لدينا.

(٢) انظر فرحة الغريّ: ١٢٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٧: ١٣٠ و٤٠٧.

الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

في مستدركات الوسائل: أنَّ عمر الثاني هذا ردَّ الله على يده الحجر الأسود لمّا نهبَت القرامطة مكّة سنة (٢٧٣ هـ)، وبنىٰ قبّة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله(١)... إلخ.

هذا ولكن يظهر من بعض الروايات أنَّ ابن زيد هو أوّل من بنى على القبر الشريف، وأنّه قبل عمارته لم يكن عليه بناء، ولم يكن عليه شيء، وما كان إلّا الأرض، وهو يُنافي ما مرَّ من أنَّ أوّل مَن بناه الرشيد، وأنَّ داود العبّاسي عمل له صندوقاً.

فعن الطبري في دلائل الإمامة: عن حبيب بن الحسين، عن عبيد بن خارجة، عن عليّ بن عثمان، عن فرات بن أحنف، عن الصادق عليه السلام في حديث زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام قال: هاهنا قبر أمير المؤمنين، أما إنّه لا تذهب الأيّام حتّى يبعث الله رجلاً ممتحناً في نفسه بالقتل، يبني عليه. قال حبيب بن الحسين سمعت هذا الحديث قبل أن يُبنىٰ على الموضع شيء، ثمّ إنَّ محمّد بن زيد وجّه فَبنىٰ عليه(٢)... إلخ.

وعن كتاب المنتظم لأبي الفرج الجوزي: أنبأنا شيخنا أبو بكر بن عبد الباقي سمعت أباالغنائم ابن [السرسيّ](٣)، كان يقول: توفي بالكوفة ٣١٣ من الصحابة [لا يُدرى أحد منهم قبره](٤) إلّا قبر عليّ، وجاء جعفر بن محمّد، ومحمّد بن عليّ بن الحسين، فزارا الموضع من قبر أمير المؤمنين عليّ، ولم

(١) خاتمة مستدرك الوسائل ٢: ٢٩٧.

(٢) دلائل الإمامة للطبري: ٤٥٩ / ح ٤٣٩. وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٣) في المصدر [النرسي].

(٤) في المصدر [لا يتبين قبر أحد منهم].

يكن إذ ذاك القبر، وما كان إلّا الأرض حتّى جاء محمّد بن زيد الدّاعي [فأظهر][(١)] القبر[(٢)]... إلخ.

ولكن ما تقدَّم يؤكد بناء الرشيد عليه لا سيَّما قول ابن طاووس أنَّ الجرة الخضراء التي كانت على أعلى القُبّة موجودة في الخزانة[(٣)]، ويُمكن أن يكون بناء الرَّشيد قد انهدم ودرس لا سيّما أنّه كان من طين أحمر، وأمّا بناؤه القبر بالآجر الأبيض فالظاهر أنّه كان تحت الأرض، ولم يكن ظاهراً منه إلّا قدر أربع أصابع أونحو ذلك، فطُمِر بالرّمال على طول المدّة.

العمارة الثالثة

عمارة السلطان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي في أيّام الطائع، فإنَّه عمَّر المَشهَدَين العلوي والحُسيني، وبلغ الغاية في تعظيمهما والأوقاف عليهما، وعمَّر مشهد أمير المؤمنين عليه السلام عمارة عظيمة، وأنفق عليه أموالاً جليلة، وستر حيطانه بخشب السّاج المنقوش، ووقف له الأوقاف، وبنىٰ عليه قُبّة بيضاء، وفيها يقول ابن الحجاج الشاعر المشهور:

ياصاحب القُبّة البَيضاء على النَّجف — من زار قبرك واستشفىٰ لديك شفي[(٤)]

وملك عضد الدّولة العراق سنة (٣٦٧ هـ)[(٥)]، وتوفّي (٣٧٢ هـ)[(٦)]، والظاهر أنَّ العمارة كانت سنة (٣٦٩ هـ) فما يُوجَد في بعض المؤلّفات أنَّ

(١) في المصدر [و].
(٢) المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ١٧: ١٥١.
(٣) فرحة الغريّ: ١٢٢.
(٤) الكُنى والألقاب للقُمّي ١: ٢٥٦، الغدير ٤: ٨٨.
(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨: ٦٨٩.
(٦) المصدر السابق ٩: ١٨.

عمارته كانت سنة (٣٣٨ هـ)، وما في بعضها أنّها كانت سنة (٣٧٦ هـ) اشتباه، لأنَّ التاريخ الأوّل متقدِّم على ولايته العراق، والثاني متأخِّر عن وفاته.

قال الديلمي في إرشاد القلوب بعد ما ذكر أنَّ الرشيد أمر أن يُبنىٰ عليه قُبَّة بأربعة أبواب: وبقي إلى أيّام السُّلطان عضد الدّولة، فجاء فأقام في ذلك الطريق قريباً من سنة هو وعساكره، وبعث فأوتي بالصنّاع والأُستاذية من الأطراف، وخرَّب تلك العمارة، وصرف أموالاً كثيرةً جزيلةً، وعمَّر المَشْهَدَين عمارة جليلة حسنة، هي العمارة التي كانت قبل عمارة اليوم[1]...إلخ.

وظاهره أنَّ العمارة التي كانت قبل عمارة عضد الدولة هي عمارة الرشيد مع أنّها عمارة الحسن بن زيد.

وفي عمدة الطالب عند ذكره لهذه العمارة قال: وعيّن له أوقافاً ولم تزل عمارته باقية إلى سنة (٧٥٣ هـ)، وكان قد ستر الحيطان بخشب السّاج المنقوش، فاحترقت تلك العمارة، وجُدِّدت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن، ولم يبقَ من عمارة عضد الدّولة إلّا القليل، وقبور آل بويه هناك ظاهرة مشهورة لم تحترق[2]... إلخ.

ولكن عن آخر كتاب الأماقي في شرح الإيلاقي لعبد الرحمن العتايقي الحلّي المجاور بالنَّجف الأشرف في نسخته المخطوطة في الخزانة العلويّة الذي تمَّ كتابة في المحرم سنة (٧٥٥ هـ). قال: في هذه السَّنة احترقت الحضرة الغرويّة صلوات الله على مشرفها وعادت العمارة وأحسن منها في

(١) إرشاد القلوب: ٢ / ١٤٨.

(٢) عمدة الطالب: ٤٤.

سنة (٧٦٠ هـ)[١]... الخ.

وهو أعرف بتاريخ احتراقها من صاحب إرشاد الدَّيلمي لأنَّه شاهده، وذلك متأخِّر عنه لأنَّه توفّي (٨٤١ هـ)، وأراد عضد الدولة أن يجري الماء من الفُرات إلى النَّجف تحت الأرض، لأنّ مكانه مرتفع لا يمكن أن يصل إليه الماء على وجه الأرض، فحفر إلى جهة الشّمال فنبعت في أثناء الحفر عين منعت من مواصلة الحفر لكن ماءها ليس بشروب، فاكتفى بها للإنتفاع بغير الشُرب، وساق ماءها إلى آبار عميقة محكمة البناء، ووصل بينها بقنوات محكمة يسير فيها الفارس فيجري الماء من بئر إلى بئر، ثمّ يخرج ما يفضل منه إلى جهة المغرب، ثمّ حفر الناس بعد ذلك آباراً أُخر منها موصول بتلك الآبار، ومنها غير موصول، ولذلك كانت بعضها آباراً شرعيّة، وبعضها حكم مائها حكم الماء الجاري.

والسراديب التي لها شبابيك إلى تلك الآبار يأتي إليها الهَواء البارد في الصَّيف لاتّصال بعضها ببعض، وقد شاهد عمارة عضد الدّولة ابن بطوطة في رحلته وكانت سنة (٧٢٧ هـ) فقال: دخلنا من باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنَّه قبر عليّ عليه السلام وبازائه المدارس والزوايا والخوانق، معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا، لكن لونه أشرق، ونقشه أحسن ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيّام من الخبز، واللَّحم، والتَّمر، ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القُبّة، ثمّ أشار إلى الإستئذان وتقبيل العتبة

---

(١) الأماقي في شرح الإيلاقي، المصدر غير متوفّر لدينا والظاهر أنّه مخطوط على حدّ قول المصنّف، وقال الشيخ جعفر آل محبوبة في ماضي النَّجف وحاضرها ١: ٤٦ في الحاشية.

قال: وهي من الفضّة وكذلك العضادتان. ثمّ يدخل الزائر القُبّة وفي وسطها مصطبة مربعة مكسوّة بالخشب، عليه صفائح الذّهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضّة قد غلب على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة قبور يزعمون أنّها قبر آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام وعليّ رضى الله عنه، وبين القبور طشوت ذهب وفضّة فيها ماء الورد والمِسك وأنواع الطّيب يَغمس الزائر في ذلك يده ويدهن به وجهه تبرّكاً، وللقبّة باب آخر عتبته أيضاً من الفضّة يفضي إلى مسجد، وله أبواب أربعة عتبتها فضّة(١)... إلخ.

وذلك هو الذي بناه عمران بن شاهين في أيّام عضد الدولة بعد عمارة عضد الدّولة، وقوله: «إنّ بين القبور طشوت ذهب وفضّة» لعلّه اشتباه منه فرأى أواني تشبه الذّهب والفضّة فظنّها منهما، فاستعمال أواني الذّهب والفضّة محرم لا يمكن أن يرخّص فيه العُلماء ولا أن يستعمل من دون إذنهم.

وقال ابن طاووس في فرحة الغريّ: إنّ عضد الدّولة بنى الرواق المعروف برواق عمران في المَشهدَين الشريفين الغرويّ والحائري على مشرّفهما السّلام(٢)... إلخ، وإلى الآن يعرف الباقي منه في دهليز باب الطوسي بمسجد عمران.

وبلغ عضد الدَّولة الغاية في تعظيم المشهد وبنى لنفسه قُبّة عظيمة في النَّجف بجوار المشهد من جهة الغرب، وأوصى أن يُدفن(٣) فيها فدفن هناك وبقيت القُبّة حتّى هدمها السُّلطان سليمان العُثماني لمّا دخل العراق سنة

(١) رحلة ابن بطوطة: ١ / ١٠٩.

(٢) فرحة الغريّ: ٥٧.

(٣) مجالس المؤمنين: ٣٧٩.

(٩٤٠ هـ) وجعلها تكية للبكتاشية، وبقيت إلى هذا الزمان، وبابها في الجهة الغربية من الصحن الشريف.

وبعض يظن إنَّ الذي فعل ذلك هو السُّلطان سليم والصواب أنَّه ولده سليمان وإنَّما نُسب إلى سليم لشهرته.

وحكى بعض المعاصرين عن صاحب جريدة العجائب أنَّه قال عند ذكر الكوفة: وفيها قُبَّة عظيمة يقال: إنَّها قبر عليّ بن أبي طالب، والقُبَّة بناء أبي العبّاس عبدالله بن حمدان في دولة بني العبّاس.

وفي نزهة الجليس للسيد عبّاس الموسوي العامليّ المكّي: أنَّه قد عقدت على قبر آدم ونوح وعليّ عليهم السلام قُبَّة عظيمة وأوّل مَن عقد هذه القُبَّة عليهم عبدالله بن حمدان في دولة بني العبّاس ثمّ عمرها الملوك من بعده[1]...إلخ، وعبدالله هذا هو والد سيف الدَّولة الملقَّب بأبي الهيجاء ولاه المكتفي إمارة الموصل سنة (٢٩٣ هـ)[2]، وإذا صحّت هذه الرواية كان بناء عبدالله بن حمدان قبل بناء عضد الدّولة لأن ابن حمدان توفّي قبل سنة (٣١٧هـ)، وعضد الدولة توفّي سنة (٣٧٢ هـ) ولكن لم نجد من ذكر بناء عبدالله بن حمدان غيرهما والله أعلم.

العمارة الرابعة

التي حصلت بعد عمارة عضد الدَّولة التي احترقت كما مرَّ فجددت سنة (٧٦٠ هـ) ولا يعلم مجددّها، وربَّما تكون من جماعة لا من شخص واحد،

(١) نزهة الجليس ومُنية الأديب ١: ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ: ٥٣٨/٧.

ولذلك لم يذكر مجددها والعادة قاضية بأنَّها لو كانت من شخص واحد لذكر اسمه خصوصاً إذا كان معروفاً وخصوصاً ممَّن شاهدها كابن العتايقي كما مرّ.

وفي أثناء هذه المدّة حدثت فيه اصلاحات وعمارات من البويهيين والحمدانيين، وبعض العباسيين وبني جنكيز، والإيلخانيين وغيرهم[1].

العمارة الخامسة

الموجودة اليوم والمشهور بين أهل النَّجف أنَّها للشاه عبّاس الصفوي الأوّل، وأنَّ المباشر والمهندس لها الشيخ البهائي، فجعل القُبّة خضراء بعد ما كانت بيضاء، ولكن في رسالة نزهة أهل الحَرَمَين: إنَّ الإبتداء بها كان بأمر الشاه صفيّ الصفوي سنة (١٠٤٧ هـ) كما ذكره صاحب البحر المحيط[2] واشتغلوا بها إلى أن توفّي الشاه صفيّ سنة (١٠٥٢ هـ)، فأتمّها ابنه الشّاه عبّاس الثاني. وما اشتهر بين أهل النَّجف أنَّها عمارة الشاه عبّاس بهذا الإعتبار. ثمّ استشهد على ذلك بكلام السيّد شرف الدّين عليّ النَّجفي في حواشيه على اثني عشرية صاحب المعالم، حيث قال عند ذكر محراب مسجد الكوفة وحائطه القبلي وإنَّ فيهما تيامناً عكس ضريحه المقدّس ما لفظه: وعند عمارته بأمر السُّلطان الأعظم الشاه صفيّ قلت للمعمار غيّره إلى التيامن فغيّره ومع هذا فله تياسر في الجملة ومخالف لمحراب الكوفة... إلخ، واستشهد أيضا بقول الشيخ محمّد بن سليمان بن زوير السليماني: الذي ثبت عندي أنَّ أوّل عمارته الموجودة الآن كانت سنة(١٠٥٧ هـ)، والشاه صفيّ

(١) عمدة الطالب: ٤٦، وإرشاد القلوب: ٢ / ١٤٨.

(٢) نقله عن نزهة الحرَمَين الشيخ جعفر آل محبوبة في ماضي النَّجف وحاضرها ١: ٤٧.

توفي ، (١٠٥٢ هـ) والمشهور بين أهل المشهد أنّ العمارة كانت في أكثر من عشرين سنة، ولا يستقيم ذلك إلاّ بأن يكون مبدأ العمارة كان زمن الشاه صفيّ، وإتمامها على يد الشاه عبّاس...إلخ.

أقول: كلام السيّد شريف الدّين يدلّ على عمارته بأمر الشاه صفيّ، ولا ينفي أن يكون عُمِّر قبل ذلك بأمر الشاه عبّاس الأوّل، فقد بقي في الملك ٧٢ سنة. فيمكن أن يكون عمّره في أوائل سلطنته، ثمّ وقع فيه خلل فأعاده حفيده الشاه صفيّ، وأمّا كلام السليماني فظاهر أنّه اجتهاد لقوله : الذي ثبت عندي وبنائه، إنّ إكمال عمارته على يد الشاه عبّاس الثاني على ما اشتهر بين أهل المشهد، فإذا كانت للشهرة بينهم قيمة فليعتبر ما اشتهر بينهم أنّ مُؤسّسها الشاه عبّاس الأوّل، ويحصل الجمع بذلك على أنّ امتداد العمارة أكثر من عشرين سنة، والآمر بها ملك عظيم بعيد عن الإعتبار. على أنّ المحكي عن المنتظم الناصري في حوادث سنة (١٠٤٢ هـ) أنّ الشاه صفيّ حينما زار المشهد الشريف رأى بعض النقصان في بناء المرقد، فأمر وزيره ميرزا تقيّ المازندراني بإصلاح تلك الأماكن المشرفة. فجاء بالمعمارين والمهندسين إلى النَّجف ومكث فيها ثلاث سنين مشغولاً بهذا العمل[1]... إلخ.

وهو ينافي ما تقدم عن السليماني ولعلّه الصَّواب هذا مع ما يظهر من بعض القيود: أنّ الشاه صفيّ وسّع الصحن الشريف، وزاد عليه، والله أعلم.

ثمّ جدّد عمارة الصفويّة السلطان نادر الأفشاري، وزاد عليها، وزخرف القُبَّة الشريفة ومنارَتَي المشهد وإيوانه بالذَّهب الأبريز بعد فتحه الهند كما هي عليه اليوم. ويقال: إنّ على كلّ لبنه توماناً نادرياً من الذَّهب، وأهدى إلى المشهد الشريف من الجواهر والتُّحف شيئاً كثيراً، وذلك في سنة (١١٥٦ هـ)

(١) المنتظم الناصري لمحمّد حسن خان ٢: ١٨٢.

أو (١١٥٤ هـ) ، وكتب اسمه داخل طاق الباب الشرقيّ هكذا: المتوكلّ على الملك القادر السّلطان نادر، وتحته تاريخ لم يبقَ بذا كرتي، وأظنّه التاريخ السابق، وعمَّر فيه الشاه أحمد ناصر الدّين القاجاري بعد ذلك، وتنافست الملوك والأُمراء في عمارته والإهداء إليه. وأهدى إليه السّلطان عبد العزيز العُثماني شمعدانَيْن عظيمَين من الفضّة الموزَّرة بالذَّهب على أبدَع شكل، وكذلك إلى مشهد الحسين عليه السلام ومثلهما إلى مَشهَدَي الكاظميّة وسامراء، ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد.

أسوار النجف

لمّا كانت النَّجف على طرف البريّة المتّصلة ببر الشَّام، وكان يخشى عليها من غزو الأعراب وغيرهم. اجتهد ملوك الشيعة وأُمراؤها في حفظها وردّ عادية الغزاة عنها فبنوا عليها سوراً وجدّدوه كلما إقتضى الحال.

السّور الأوّل

بناه عضد الدّولة فناخسرو بن بويه الديلميّ ملك العراق حين عمّر الحضرة الشريفة بين سنة (٣٦٧ هـ) و (٣٧٢ هـ) كما مرّ.

السّور الثاني

بناه الحسن بن سهلان وزير سلطان الدّولة بن بويه الديلمي سنة (٤٠٠هـ) كما ذكره ابن الأثير وغيره. وذلك أنّه مَرِض فنذر إن عُوفي أن يبني عليها سُوراً، فعُوفي، فأمر ببنائه[١].

---

(١) الكامل في التاريخ ٩: ٢١٩، المنتظم ١٥: ٧٠.

إمّا بأن يكون الأوّل قد استهدم فهدمه، وأعاد بناءه، أو بنى سوراً أوسع من الأوّل وهدم الأوّل.

السّور الثالث

بناه بعض ملوك الهند كما عن بستان السياحة ويقال: إنّه أوسع من السُّور الثاني، ويقال: إنّ نادر شاه حين مجيئه للنّجف أمر بتسويرها، وكان مجيئه إليها سنة(١١٥٦ هـ) ، ولعلّه أصلح السُّور السابق.

السّور الرابع

بناه نظام الدولة محمّد حسين خان العلاف الإصفهاني وزير فتح عليّ شاه القاجاري وهو أعلى الأسوار التي بُنيت وأحكمها، وهو الموجود الآن وفي هذه السنين هدم كثير منه لعدم الحاجة إليه.

أوّل من أمر بضرب السّكة الإسلامية

ذكر الفاضل المتتبّع الشيخ حيدر قُلي خان بن نور محمّد خان الكابلي نزيل كرمانشاه في رسالته «غاية التعديل في الأوزان والمكاييل»، وأخبرني به من لفظه بمنزله في كرمانشاه يوم السّبت العشرين من المحرّم سنة (١٣٥٣هـ) في طريقنا إلى زيارة الرّضا عليه السلام وهو يعرف اللّغة الإنكليزية جيّداً. قال: رأيت في دائرة المعارف البريطانيّة في صفحة ٩٠٤ من الطبعة الثالثة والعشرين عند الكلام على المسكوكات العربيّة ما تعريبه ملّخصاً: إنّ أوّل من أمر بضرب السّكة الإسلامية هو الخليفة عليّ بالبصرة سنة (٤٠ هـ) من الهجرة الموافقة لسنة (٦٦٠م) مسيحية ثمّ أكمل الأمر عبد الملك الخليفة سنة

(٧٦ هـ) من الهجرة الموافقة لسنة (٦٩٥ م)... إلخ.

ويأتي في سيرة الباقر خبر ضرب السّكة في عهد عبد الملك بن مروان[١].

مؤلّفات أمير المؤمنين عليه السلام

قد ذكرناها مفصّلة في الجزء الأوّل[٢] في المقدّمات عدىٰ الأخيرين، ونُعيد ذكرها هاهنا إجمالاً لترتبط بسيرته عليه السلام:

١ ـ جمع القرآن وتأويله أوجمعه على ترتيب النزول كما مرّ في المقدمات.

٢ ـ كتاب أُملي، فيه ستّين نوعاً من أنواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثالاً يخصّه، وذكرنا في المقدّمات سندنا إليه.

٣ ـ الجامعة.

٤ ـ الجفر.

٥ ـ صحيفة الفرائض.

٦ ـ كتاب في زكاة النِّعم.

٧ ـ كتاب في أبواب الفقه.

٨ ـ كتاب آخر في الفقه.

٩ ـ عهده للأشتر.

١٠ ـ وصيته لمحمّد بن الحنفية.

---

(١) حياة الحيوان للدميري ١: ٦٣، مستدرك الوسائل ٧: ٨٤، أبواب زكاة الذّهب والفضّة، ب ١٣، ح ٢.

(٢) من أعيان الشيعة ١ : ٥٣٩ طبعة دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.

١١ ـ كتاب عجائب أحكامه وقضاياه، وقد جمعها جماعة من العُلماء، وجمعناها نحن في كتاب وأدرجنا فيه كتاب عجائب أحكامه، رواية محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي عن أبيه عن جدّه مطبوع.

١٢ ـ ما أثر عنه من الأدعية والمناجاة جَمَعَه بعض العُلماء وسمّاه الصحيفة العلويّة.

١٣ ـ مسنده الذي جَمعه النسائي أي ما أثر عنه من الأحاديث والروايات.

في كشف الظنون ما صوّرته : مسند عليّ لأبي عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفّى سنة (٣٠٣ هـ)[١]... إلخ، وهو غير كتاب خصائص النسائي في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي ذُكر في كشف الظنون أيضاً[٢].

والثلاثة الأخيرة إنّما يمكن عدّها من مؤلّفاته بنوع من التوسع.

١٤ ـ جنّة الأسماء.

في كشف الظنون ما صورته. جنّة الأسماء للإمام عليّ بن أبي طالب شرحها الإمام حجة الإسلام محمّد بن محمّد الغزالي المتوفّى سنة (٥٠٥ هـ)، كذا وجدت في بعض الكتب[٣]...إلخ، ولم يظهر ما هي جنّة الأسماء هذه التي شرحها الغزالي، وما هي جهة نسبتها إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّه وقع تحريف في الكلام.

(١) كشف الظنون ٢: ١٦٨٤.

(٢) المصدر السابق ١: ٧٠٦.

(٣) المصدر السابق ١: ٦٠٦ ـ ٦٠٧.

الكتب المجموعة من كلامه عليه السلام

مرَّ في القسم الأوّل من هذا الجزء[١] قول ابن أبي الحديد: (إنّه لم يدوَّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشر ممّا دوّن له)[٢].

وقد أشرنا إلى أسماء ما اطّلعنا عليه ممّا دوّن من كلامه في ج ٣[٣]ق ١ ونعيد ذكرها هنا باختصار وزيادة عمّا ذُكر هناك:

١ ـ نهج البلاغة، جَمعه الشريف الرّضي طُبع عدّة مرّات.

٢ ـ ما فات نهج البلاغة من كلامه، جَمعه الفاضل المعاصر الشيخ هادي ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر الفقيه النَّجفي الشهير.

٣ ـ مائة كلمة، جمع الجاحظ.

٤ ـ غُرر الحكم ودُرر الكلم، جمع عبد الواحد بن محمّد بن عبد الواحد الآمدي التَّميمي، جَمعه من حِكَمَهُ القصيرة يُقارب نهج البلاغة، ودعاه إلى جَمعه ما تبجّح به الجاحظ في جَمعه المائة كلمة.

٥ ـ دستور معالم الحكم.

٦ ـ نثر اللآلىء، جمع أبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان.

٧ ـ كتاب مطلوب كلّ طالب من كلام عليّ بن أبي طالب، جمع أبي إسحق الوطواط الأنصاري فيه مائة من الحِكَم المُنسوبة إليه طبع في لبسك وبولاق، وتُرجم إلى الفارسية، والألمانية.

---

(١) شرح النَّهج لابن أبي الحديد ١: ٢٥.

(٢) من أعيان الشيعة ١: ٥٣٩ طبعة دار التعارف بيروت.

(٣) من أعيان الشيعة:

٨ ـ قلائد الحِكَم وفرائد الكَلِم، جمع القاضي أبي يوسف يعقوب بن سليمان الأسفراييني.

٩ ـ كتاب مُعمّيات عليّ عليه السلام.

١٠ ـ أمثال الإمام عليّ بن أبي طالب، طبع الجوائب مرتّب على حروف المعجم.

١١ ـ ما جمعه المفيد في كتاب الإرشاد من كلامه عليه السلام.

١٢ ـ ما اشتمل عليه كتاب صفّين لنصر بن مزاحم من خطبه وكُتبه.

١٣ ـ ما اشتمل عليه كتاب جواهر المطالب من كلامه إلى غير ذلك.

الكلام على نهج البلاغة

نهج البلاغة كتاب جَمَعَهُ الشريف الرضيّ محمّد بن أبي أحمد الحسين الهاشمي العلوي واختاره وانتخبه من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقال في خطبته: رأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة ، أوّلها : الخُطَب والأوامر ، ثانيها : الكُتب والرسائل ، ثالثها : الحِكَم والمَواعظ.

وقال في خطبته أيضاً: وفيه حاجة العالِم والمتعلّم وبُغية البليغ والزاهد ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخَلق ما هو بلال كلّ غلّة، وشفاء كلّ علّة، وجلاء كلّ شبهة[1]...إلخ.

ويمكن تقسيم محتويات هذا الكتاب إلى أقسام:

١ ـ الكلام في التوحيد والعدل وصفات الباري تعالى وتنزيهه عن

---

(١) نهج البلاغة: ٣٥ و٣٦.

شبه الخلق.

٢ ـ الخطب السياسية وخُطَب الحروب والتّظلم

٣ ـ الخطب الدينية في الوعظ والترهيب والترغيب وذمّ الدنيا والأخلاقيات والوصايا ومدح العلم.

٤ ـ الوصايا.

٥ ـ الأدعية.

٦ ـ الملاحم.

٧ ـ الصفات كوصف الطاووس، والخفّاش، والنملة، والجرادة، ووصف الجنّة وغيره.

٨ ـ الكُتب والرسائل.

٩ ـ الحِكَم القصيرة والأمثال.

وهذا الكتاب قد حَوىٰ من نفائس الكلام ما استحقّ به أن يُسمّى نهج البلاغة واشتهر في جميع الأقطار والأمصار والأعصار اشتهار الشمس في رابعة النهار.

وشُرح نيّفا وثلاثين شرحاً من أعاظم العُلماء، وأوّل من شرحه عليّ بن النّاصر المعاصر للشريف الرّضي جامع النَّهج وآخر من شرحه الشيخ محمّد عبده مُفتي الدّيار المصرية من أهل هذا العصر، وهذا الكتاب الذي هو من مفاخر العرب والإسلام مجموع من أماكن متبدّدة من كتُب العُلماء كغيره من الكتب التي جُمعت من كلام الفصحاء من الشُّعراء والخطباء وغيرهم، كديوان الحماسة الذي جَمعه أبو تمام من مختارات الأشعار، وكتاب المُفضليات للضبي وحماسة البَحتري التي جَمعها على نحو حماسة أبي تمّام، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وغير ذلك من الكتب التي لا تُحصى، المجموعة من

كلام البُلغاء نثراً ونظماً ولم نجد أحداً قدح فيها أو في نسبتها إلى أصحابها إلّا شاذاً قد يُخطّئون فيه المؤلّف في نسبته شعراً أو كلاماً لرجل فيقولون: قد روى فلان أنّه لغيره.

الشبهات المثارة حول نهج البلاغة وعللها*

ولكن نهج البلاغة تناوله جماعة بالإنكار، فقال بعضهم: إنّه كلّه من كلام جامِعه لا من كلام من نُسب إليه، وبعضهم أخطأ في اسم جامِعه فنسبه إلى الشريف المرتضى أخي الشريف الرّضي، وادعى أنّه مَن وضعه لا من كلام عليّ(١).

وبعضهم تنازل عن هذه الدّعوى إلى ما هو أخف منها فقال: إنّه قد أُدخل فيه ما ليس من كلام عليّ عليه السلام(٢).

وبعضهم كالذّهبي في ميزانه تجاوز الحدّ فادعى أنّ كلامه ركيك وأنّه ليس من نفس القرشيين(٣).

وإذا تأمّلنا بعين البصيرة والإنصاف وجدنا أنّ الباعث لهؤلاء على إنكار نهج البلاغة كلّه أو بعضه إنّما هو اشتماله على ما يعدّونه قدحاً في الصحابة المقدّسين عن كلّ قدح كالذي اشتملت عليه الخُطبة الشقشقية وغيرها، واشتماله على ما يظهر منه التألُّم ممَّن تقدَّمه في الخلافة وإظهار أنّه أحقّ بها منهم، هذا هو الباعث لهم على الإنكار لا أقل ولا أكثر.

(*) إضافة العنوان من محقق الكتاب.

(١) انظر لسان الميزان ٤: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، ترجمة ٥٨٩.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٢٧ و١٢٩.

(٣) ميزان الإعتدال ٣: ١٢٤ / ت ٥٨٢٧.

وقد أوضح عن هذا المعنى أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في كلام له في مجمع من أفاضل دمشق المشهورين حين زارها بعد رجوعه من أوربا بعد الحرب العالميّة الثانية فجرى ذكر نهج البلاغة فقال أحدهم: إنَّه موضوع على لسان عليّ، ووافقه الباقون، والأمير شكيب ساكت فسألوه عن رأيه في ذلك، فقال: إذا كان موضوعاً فمَن هو واضعه؟ هل هو الشريف الرضي ؟ قالوا: نعم. قال: إنَّ الشريف الرضي لو قسّم أربعين رجلاً ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة قصيرة من خطب نهج البلاغة أوجملة من جُمله ، نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب دون شكّ أو ريب، ولكن الذي أوجب الشكّ فيه اشتماله على القدح في الصحابة الذين هم مقدّسون في أنظار الناس... إلخ.

ولمّا كان نهج البلاغة له منه عليه شواهد، وهو كسائر كلام عليّ كما قيل عنه: إنَّه بعد كلام النبيّ ﷺ فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق[1] لا يرتاب في ذلك إلّا أمثال من يريد التشكيك في الشمس الضاحية، وقد تشبّث جماعة من أهل هذا العصر بوجوه اقتبسوا أكثرها من أقوال بعض المستشرقين ممّن يهمّهم التشكيك في كلّ أثر إسلامي.

منها: أنَّه ليس فيه أسانيد.

والجواب أنَّ جامعه لمّا كان من العُلماء الثُّقات الخيّرين وجب قبول قوله في أنَّه أخذ ما جمعه من كتب العلماء المعتبرة، ولم يكن قصده من جمعه أن تؤخذ منه الأحكام ومسائل الحلال والحرام ليذكر أسانيده وإنَّما قصد جمع مختارات كلام له حظه في الفصاحة، والبلاغة، والمضامين العالية لينتفع

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٤.

قُرّاؤه بذلك.

ولو علم الشريف الرضي أنّه سيجيء زمان ينكر فيه بعض النّاس أنّ نهج البلاغة من كلام عليّ ويدّعي فيه الرّكة وهو لا يعرف جامعه فينسبه إلى غيره لاجتهد في ذكر أسانيده وذكر الكُتب التي انتخبه منها كما أنّه أشار إلى بعضها.

ومنها: وجود كلمات فيه لم تتكلّم بها العرب في الجاهليّة ولا في الإسلام حتّى تُرجمت كتب المنطق والفلسفة، ووضع علم الأُصول وذلك كلفظة الكيفية وما أُشتق منها بقوله في خطبة الأشباح: «لتجري في كيفية صفاته» وقوله: «فتكون في مَهب فكرها مُكيّفا»[١] وبعد كون اللفظة عربية والإشتقاق منها عربي لا يضرّ عدم اطلاع هؤلاء على وجودها في كلام العرب في جاهليّة أو إسلام ومتى أحاطوا بكلام العرب أو بما نُقل في كتب الأدب من كلام العرب، وقد وجدت كلمة القسطاس وغيرها من الألفاظ الغير العربيّة في القرآن المجيد ولم يعترض منكروا القرآن على القرآن بأنّ فيه كلمات غير عربية أولم تَرد في كلام العرب ومثل هذا الإعتراض إنّما يقوله العاجز الذي لا يجد اعتراضاً ويريد أن يتشبّث بالأوهام.

وكلفظ الخاصّ والعام والمحكم والمتشابه والمُجمل والمُبين التي هي من مصطلح علم الأُصول الذي وُضِع في القرن الثاني وهي موجودة في الخطبة التي يُذكر فيها إبتداء خلق السموات والأرض وآدم[٢]، ومن البعيد أن يتّفق لإنسان سَرد أسماء متعدّدة موضوعة لمعانٍ خاصّة بها في علم خاصّ من غير أن يكون له اطلاع على ذلك العلم ومعرفة بمواضعات أهله.

---

(١) نهج البلاغة: ١٢٥ و١٢٧ / خ ٩١.

(٢) المصدر السابق: ٣٩ / خ ١.

وهذا الإعتراض كسابقه في أنّه إعتراض من يُريد أن يعترض ولا يجد باباً للإعتراض فيتشبّث بما ليس فيه تشبّثاً فهذه الألفاظ عربية صحيحة ورد بعضها وهو المحكم والمتشابه في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الّذي أَنْزَلَ عليكَ الكتاب مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَر مُتَشابِهاتٌ﴾[1]، والعام والخاصّ والمجمل والمُبين من الألفاظ الشائعة في كلام العرب الكثيرة الإستعمال، وقد وجد العُموم والخصوص والإجمال والتبيين في القرآن الكريم فإذا أراد عليّ أن يُبيّن هذه المعاني الموجودة في القرآن عند كلامه على القرآن فبأي لفظ يريد أن يعبّر؟ هل كان عليه أن يجتنب لفظ العموم والخصوص والإجمال والتبيين لأنّها ستوجد في مُصطلح الأُصوليين ما هذا إلّا تحكُّم، ولعلّ الأُصوليّين إنّما أخذوها من كلام عليّ وكلام غيره من العلماء السابقين عليهم.

وكلفظ أزل وأزليّة بمعنى القدم، فقد تكررت هذه الكلمة في مواضع من نهج البلاغة، وقد صرَّح أئمة اللغة أنَّ قولهم أزلي وأزلية مصنوع، وليس من كلام العرب[2]. وتكلّفوا لتخريجه وهذا أيضاكسابقيه فقد نصَّ الفيروزآبادي في قاموسه وهو ما لا ينكر تبحّره في اللغة وسعة اطّلاعه على أنَّ الأزل عربي فقال ما لفظه: الأزل بالتّحريك القِدم وهو أزلي أو أصله يزلي منسوب إلى لم يَزل ثمّ أُبدلت الياء ألفاً للخفّة كما قالوا في الرّمح المنسوب إلى ذي يزن: أزني[3] وفي الصِحاح: (الأزل بالتحريك: القدم). يُقال: أزلي وذكر بعض أهل العلم أنَّ أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يَزل ثمّ نسب إلى هذا فلم يستقم

(١) آل عمران: ٧.

(٢) انظر تاج العروس ٧: ٣٠٥ (مادّة أزل).

(٣) القاموس المحيط ٣: ٣٢٨ (مادّة أزل).

إلّا بالاختصار فقالوا: يَزلي، ثمّ أُبدلت الياء ألفا لأنَّها أخفّ فقالوا: أزلي كما يُقال في الرّمح المنسوب إلى ذي يزن: أزني، ونصل أثربي[1] أي منسوب إلى يثرب، وكيف كان فقد اعترف صاحب القاموس بوجود أزل وأزلي في كلام العرب. أمّا أنّه مأخوذ ومُولّد من لم يَزل كما حُكِيَ عن بعض أهل العلم أو مُرتجل فأمر لا يقدح في وجوده في كلام العرب ولا يوجب الشّك في نهج البلاغة إذا وجد فيه إلّا ممّن يُريد أن يتشبّث بما لا تشبّث فيه.

وكقوله في خطبة خلق السّماء والأرض: **لشهادة كلّ صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة**[2]، فإنَّ هذا التعبير لم تعرفه العرب قبل أن يُوضَع علم الكَلام في العصر العبّاسي.

وهذا أيضاً كالأُمور السابقة فإنَّ العبارات لا حجر فيها على أحد، وإذا وافقت كلمة من كلمات نهج البلاغة تعبير أهل الكلام فليس لأحدٍ أن يقدح في صحّة نسبة نهج البلاغة إلى عليّ بكونها موافقة لاصطلاح عُلَماء الكلام إلّا أن يُريد أن يتعنَّت ويتعسَّف، ولعلَّ أهل علم الكلام أخذوا هذه العبارة من كلام عليّ، فبعد أن تكون ألفاظها عربيّة فصيحة شائعة في استعمال العرب فلا حجر على أحد في استعماله،أو لا استبعاد في وجودها في نهج البلاغة، ومن أينَ لنا أنْ نقول: إنَّ هذا التعبير لم تعرفه العرب، وهو عربيّ فصيح ومفرداته شائعة في كلام العرب كثيرة الدَّوَران على أُلسنتهم.

ومنها: وجود كلمات مخالفة لقواعد اللُّغة والفصيح المشهور منها مثل كلمة معلول في قوله: (**وكُلّ خَوف مُحقَّقْ إلّا خَوْف الله فإنَّهُ مَعْلُولٌ**)[3]، وقوله: (وكُلّ

---

(١) الصحاح ٤: ١٦٢٢ (مادة أزل).

(٢) نهج البلاغة: ٣٩ / خ ١.

(٣) المصدر السابق: ٢٦ / خ ١٦٠.

قائمٍ في سِواه مَعْلُولٌ)[١] ولم تردّ هذه الكلمة في كلام صحيح إذ يُقال: علّى يعلّ بالبناء للفاعل فهو عليل وأعلّه الله فهو معل.

ولكن صاحب الصحاح نصّ على صحّة استعمال علّى بالبناء للمفعول فهو معلول فقال: ([وعلّى][٢] الشيء فهو معلول)[٣]. أمّا صاحب القاموس فإنّه قال: عَلَّ يَعُلُّ واعتلّ وأعلّه الله تعالى فهو مُعِلّ وعَليل، ولا تقل معلول. والمتكلّمون يقولونها ولست منه على ثلج[٤].

وفي تاج العروس: استعمل أبو إسحاق لفظ المعلول في العروض وقال في شرح قوله: (ولست منه على ثلج) لأنَّ المعروف إنَّما هو أعلَّهُ الله فهو مُعِلْ إلّا أنْ يكون على ما ذهب إليه سيبويه [من][٥] قولهم: مجنون ومسلول[٦].

فقد ظهر أنَّ لفظ معلول عربي نصّ عليه صاحب الصحاح وكفى به إماماً في علم اللُّغة، وكون الفيروزآبادي ليس منه على ثقة، لا يوجب عدم صحّته مع كون صاحب الصِّحاح منه على ثقة، والقياس يقتضيه باقتضائه جواز أن يُقال: [علّى][٧] بالبناء للمعقول. كحم وجن. وكفى دليلاً وجوده في كلام عليّ فبدلاً أن يستدل بهذه اللَّفظة على عدم صحة نهج البلاغة، لورودها فيه يجب أن يستدل على صحتها بوجودها في نهج البلاغة.

ومنها: استعمال إلتقىٰ به والعرب تقول: التقى الرجلان.

---

(١) نهج البلاغة: ٢٧٢ / خ ١٨٦.

(٢) في المصدر [وعلَّ].

(٣) الصحاح ٥: ١٧٧٤ (مادّة علّ).

(٤) القاموس المحيط ٤: ٢١ (مادّة علّ).

(٥) في المصدر [في].

(٦) تاج العروس ٨: ٣٢ (مادّة علّ).

(٧) في المصدر [علَّ].

وإذا كانت العرب تقول: إلتقى الرجلان، فماذا يقول الرجل إذا أراد أن يخبر أنّه إلتقى مع رجل آخر، هل له عبارة إلّا أن يقول: التقيت به؟ والتضمين في كلام العرب شائع فلا مانع من أن يضمّن التقى معنى إجتمع، فيقال: إلتقى به، كما يقال: إجتمع به. وعدم نصّ أهل اللّغة على ذلك لا يجعله غير صحيح فكم فات أهل اللُّغة من الاستعمالات الصحيحة العربيّة، ونرى العرب يقولون: علمته وعلمت به فيعدّون «علم» بالباء مع أنّه متعد بنفسه.

ومنها: وجود كلمات مولدة مثل تلاشت في قوله: (وما تلاشت عنه بروق الغمام)[1] وكلمة تلاشي مولدة لم ترد في كلام صحيح للمتقدمين.

وكون كلمة تلاشي مولدة عن لا شيء لا يمنع من استعمالها في كلام المتقدّمين من فُصحاء العرب، وعدم العثور عليها في كلامهم لا يوجب انتفاءها، فعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

ومنها: وجود الغيرية والأبعاض وهما بكلام المناطقة والمتكلّمين أشبه.

فأمّا الغيريّة فهي نسبة إلى غير، والنسب قياسيّة، وأمّا الأبعاض فهي جمع بعض بنصّ الجوهري[2]، والفيروز آبادي[3]، ودخول الألف واللام عليها لا مانع منه حتّى لو سلّمنا عدم جواز دخولها على مفردها ـ كما يقول بعضهم ـ مع أنّه غير مسلّم، فدخولها على الجمع لا مانع منه لأنّه نكرة، ووجودها في كلام المناطقة والمتكلّمين لا يمنع من وجودها في الكلام العربيّ الفصيح، ولعلّ المناطقة والمتكلّمين إنّما أخذوها من كلام العرب الفصيح.

ومنها: وجود مبالغة في الوصف كقوله في وصف النملة: (لا تَكاد تُنَالَ

---

(١) نهج البلاغة: ٢٦١ / خ ١٨٢.

(٢) الصحاح ٣: ١٠٦٦ (مادّة بعض).

(٣) القاموس المحيط ٢: ٣٢٤ (مادّة بعض).

بِلَحْظِ البَصَرِ ولا بِمُسْتَدْرَكِ الفِكرِ)[١]، وفي وصف الطاووس: (فكيف تصل إلى هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول، أو [ننتظم][٢] وصفه أقوال الواصفين، وأقلُّ أجْزائِهِ قَدْ أعْجَزَ الأوْهَامَ أنْ تُدْرِكَهُ والألْسِنةَ أنْ تَصِفَهُ)[٣]، وهذا بأسلوب أهل الخيال من الشعراء والكتاب أشبه منه بأسلوب العُلماء أهل الورع في تقرير الأدلّة على قدرة الخالق وإبداع صنعته.

والمبالغة قد جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أوْ كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ لُجّيّ يَغشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فوقه سَحابٍ ظُلماتٍ بَعضُها فَوْقَ بعضٍ إذا أخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فما لَهُ مِنْ نُور﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يُزجي سَحاباً ـ إلى قوله ـ ويُنزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِن جبالٍ فيها مِن بَرَدٍ ـ إلى قوله ـ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبصار﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿أوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فيهِ ظُلُمات ورَعدٌ وبَرقٌ يَجعَلُونَ أصابِعَهم في آذانهم مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ المَوتِ واللهُ محيطٌ بالكَافِرين * يَكادُ البَرقُ يَخطَفُ أبصارَهُم...﴾[٦] سورة البقرة آية (٣٣) والمبالغة المعتدلة هي من أقسام البلاغة فلا مانع من وجودها في أقوال العلماء أهل الورع في تقرير الأدلّة على أيّ شيء كان.

ومنها: أنَّ فيه ما يُنافي زهده في الدنيا كتلهّفه على الخلافة ممّا تضمّنته الخطبة الشقشقية.

والجواب: أنَّ ذلك لا يُنافي الزهد بوجه من الوجوه وإذا كان يرى أنَّ

---

(١) نهج البلاغة: ٢٧٠ / خ ١٨٥.

(٢) في المصدر [أوْ تَسْتَنْظِمُ].

(٣) نهج البلاغة: ٢٣٨ / خ ١٦٥.

(٤) النور: ٤٠.

(٥) النور: ٤٣.

(٦) البقرة: ١٩ ـ ٢٠.

الخلافة حقّ له، وفرض ديني واجب عليه، فلا جرم أن يتألّم ويتلهّف من منعه إيّاه.

ومنها: بعض الجُمَل المشتملة على اللّعن أو الذّم كقوله لابن عبّاس: (لا تلقينّ طلحة فإنّك إنْ تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه)[١] وقوله للأشعث بن قيس: (عليك لعنة اللاعنين حائك ابن حائك ومنافق ابن كافر)[٢] وكقوله للمغيرة بن الأخنس: (يا ابن اللّعين الأبتر)[٣] وقوله من كتاب إلى عمرو بن العاص: (فطلبت[٤] فضله اتّباع الكلب للضرغام)[٥] وكقوله من كتاب إلى عثمان بن حنيف: (وسأجهد في أن أُطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس)[٦].

والجواب: إنّ تعبيره عن طلحة بذلك يراد به الشدّة، ولم يكن هذا التعبير يعدّ فُحشاً في ذلك العصر على أنّه إذا ذمّ من نكث عهده، وخرج لحربه ولو استطاع قتله لقتله لم يكن في ذلك استغراب.

وأمّا الأشعث فقد كان منافقاً وعدوّاً لأمير المؤمنين، وكان يُفسد عليه أُموره فلا غرو إن قال له ذلك.

وكذلك المغيرة بن الأخنس، واجهه بكلام ولا يواجه به مثله من قوله: أنا أكفيك.

وكتابه إلى عمروبن العاص هو دون ما يستحق، وكذلك كتابه إلى عثمان

---

(١) نهج البلاغة: ٨٢ / خ ٣١.
(٢) المصدر السابق: ٦١ / خ ١٩.
(٣) المصدر السابق: ١٩٣ / خ ١٣٥.
(٤) في المصدر [وطَلَبْتَ].
(٥) نهج البلاغة: ٤١١ / ك ٣٩.
(٦) المصدر السابق: ٤١٨ ـ ٤١٩ / ك ٤٥.

ابن حنيف هو دون ما يستحقّه من قيل فيه ذلك.

ومنها: إخباره عن كثير من أُمور الغيب.

ولكنّه عليه السلام يقول: «**ليس هو بعلم بغيب وإنّما هو تعلّم من ذي علم**»[١].

ومنها: أنَّ فيه ما يصادم أحكام الشريعة كقوله عن النِّساء: «**لا تطيعوهن في المعروف حتّى لا يطمعن في المُنكر**»[٢] فإنَّ النَّهي عن إطاعتهنَّ في المعروف لا يلائم أحكام الشريعة.

والجواب: أنَّ المراد بذلك ليس النَّهي عن فعل المعروف الذي تأمر به النِّساء، بل النَّهي عن إظهار أنَّ فعله بسبب إطاعتهنَّ حتّى لا يطمعن في المنكر، ويظهر منهنَّ الغضب عند عدم إطاعتهنَّ فيه، فيقع الرجال في المشقّة. فإذا أيسنَ من إطاعتهنَّ استراح الرجال من مشقّة مخالفتهنَّ. وضعف آرائهن ظاهر لا يحتاج إلى البرهان.

وكقوله عن الباري تعالى يقول: (**لمّا أراد كونه «كن فيكون» لا بصوت يُقرع، ولا بِنداء يُسمع، وإنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً**)[٣] وهذا من أدلّة المُعتزلة على مذهبهم في الصفات.

والجواب: أنَّ الكلام في الصِّفات وأنَّها قديمة مغايرة للذّات، أوغير مُغايرة هو من مسائل الكلام الدقيقة المعضلة التي وقع فيها الخلاف بين الإمامية والمُعتزلة من جانب، والأشاعرة من جانب، فإذا وافق كلام أمير المؤمنين أحد المذهبَين ليس لنا أن نجزم بأنه ليس كلامه لأجل تلك الموافقة، لأنَّ المسألة من المسائل النظرية الدقيقة لا من المسائل البديهية.

---

(١) نهج البلاغة: ١٨٦ / ١٨٢، وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٢) المصدر السابق: ١٠٦ / خ ٨٠.

(٣) المصدر السابق: ٢٧٤ / خ ١٨٦.

ودعوى قوم إنَّ الحق معهم فيها لا تجعلها كذلك واقعاً.

ومنها: إنَّ فيه كثيراً من امتداح نفسه كقوله: «**سَلوني قَبْلَ أنْ تفقدوني**»(١) وأمثال ذلك.

والجواب: أنَّ مدح النَّفس قد وقع من الرسول صلى الله عليه وآله فقال: «**أنا أفصح مَن نطق بالضّاد**»(٢)، «**وأنا سيّد ولِد آدم**» وامتداح النفس لغرض صحيح ليس فيه ما يُعاب.

مع أنَّه مرويّ في أسد الغابة(٣).

ومنها: أنَّ فيه كثيراً من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله، ولسنا ندري أيّ مانع من موافقة بعض كلامه لكلام النبيّ صلى الله عليه وآله من باب توارد الخواطر خصوصاً في المعاني المطروقة.

وقد وقع توارد الخاطر [الخواطر] كثيراً بين الخُطباء والشعراء، وهو قد رُبّيَ في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله وطُبع بطابعه. فلا غرو إن أتى على بعض آرائه ومعتقداته في الحياة.

ومنها: أنَّ في كلامه كثيراً من كلام عمر بن الخطّاب.

وهذا كسابقه.

مع أنَّ المظنون إن لم يكن المتيقّن، إنَّه نُسب إلى عمر كثير ممّا أُثر عن عليّ.

ومنها: إنَّ في كلامه كلاماً مرويّاً لابن المقفَّع في رسائل البُلغاء.

وموافقة كلام ابن المقفَّع لكلامه تُرشدنا إلى أنَّ ابن المقفع أخذ من كلام

---

(١) نهج البلاغة: ١٣٧ / خ ٩٣ وص ٢٨٠ / خ ١٨٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١: ٣٢، سبل الهدى والرشاد ١: ٤٢٩.

(٣) أسد الغابة ١: ٢٠ في مقدمته ذكر نسب النّبي صلى الله عليه وآله وقال: «أبو القاسم سيّد ولد آدم».

عليّ، ولا توجب الشّك في نسبة الكلام إلى عليّ.

ومنها: اختلاف بعض النُسَخ بالزّيادة والنّقصان، وإنَّ النَّهج الذي بين أيدينا لم يَصل إلينا كما جَمَعه جامِعه، بل تضخَّم بالزّيادات على توالي الأيّام بعد وفاة الرّضي والمُرتضى. بل بعد وفاة شارحه ابن أبي الحديد (٦٥٤ ﻫ) إذ أنَّ في النسخة التي علّق عليها الشيخ محمّد عبده المطبوعة في بيروت نحو خمسين صفحة في الجزء الأوّل من (ص ٣٧٧ ـ ٤٣٣) لم يروِها ابن أبي الحديد فيما شرحه، ونحن راجعنا النُسخة المطبوعة في بيروت التي علّق عليها الشيخ محمّد عبده فوجدنا آخر الجزء الأوّل منه (ص ٢٥٨)، وآخر الجزء الثاني (ص ١٥٠)، فأينَ هي الخمسون صفحة التي علّق عليها الشيخ محمّد عبده ولم يروِها ابن أبي الحديد وهي تبلغ نحو خُمس الجزء الأوّل فلا شكَّ أنَّه وقع اشتباه من هذا الناقد بنى عليه نقده فهو خطأ مبني على خطأ، ونسخ نهج البلاغة المخطوطة والمطبوعة في إيران ودمشق وغيرهما وشروحه المطبوعة والمخطوطة كلّها متّحدة ليس بينها تفاوت. وقد مضى على جمعه مئات السنين، وانتشرت نسخه في الأقطار وكُتب بالخطوط الفاخرة ورواه العلماء عن شيوخهم بالأسانيد العديدة شأن كثير من الكتب المؤلّفة، ولم نجد أحداً ادّعى وقوع زيادة أو نُقصان في نُسَخه وذلك ممّا تقضي العادة بِعُثور العلماء على تلك الزيادة، وتنبيههم عليها لو كانت، وهل من الممكن أن يطّلع الشيخ محمّد عبده على نسخة من نهج البلاغة فيها زيادة (٥٦) صفحة عمّا في أيدي الناس ولا يطّلع عليها أحد من العلماء في أكثر من ألف سنة؟ وأين عثر الشيخ محمّد عبده على هذه النسخة؟ ولو كان عثر على نسخة مخطوطة نادرة لقابلها أقله بنسخة من النسخ المطبوعة، ولعثر على تلك الزيادة فيها ونبّه عليها فإنَّ ذلك من أهمّ ما يُنبّه عليه كلامه. فالشيخ محمّد

عبده لم يأخذ إلّا نسخة من النسخ المطبوعة وعلّق عليها وطبعها، ولكن هذا النّاقد تسرّع بما قال فأخطأ وأحوجنا إلى تصحيح خطئه بما كنّا في غنى عنه.

وهناك أشياء أُخرى تشبّث بها المشكّكون في نهج البلاغة من أهل هذا العصر لا تستحقّ الذِّكر ولا تستحقّ الجواب، ولكننا نذكرها لدفع الوهم.

مثل: أنَّ أكثر الأحاديث النبويّة رُويَت بالمعنى فكيف بكلام الإمام؟!

فكون أكثر الأحاديث النبويّة رُويَت بالمعنى لم يَقُل به أحد، وإذا جاز رواية الحديث بالمعنى لأنَّه ليس المقصود فصاحته وبلاغته. بل ما تضمَّنه من حكم شرعي أو غيره فلا يجوز رواية الخطب والكتب وسائر الكلام الذي يُراد منه زيادة على معانيه فصاحته وبلاغته.

وإذا شكّك هذا الرجل في كلام النهج لاحتمال أن يكون روي بالمعنى فليشكّك في خُطب النبيّ ﷺ، وفي كلّ خطبة وكلام نُسب إلى الفُصحاء من العرب لاحتمال أن يكون روي بالمعنى، وهذا ما لا يلتزمه ذو معرفة.

ومثل: أنَّ النزعات المذهبية والأغراض السياسية لا تتحرّج من الوضع والدَّس.

فالنزعات المذهبية والأغراض السياسية لا تجوّز الوضع والدَّس، فما رواه ثقات العلماء لا يَسوْغ لأحد أن يُشكِّك فيه لموافقته لغرض سياسي، أونزعة مذهبية فإنَّ ذلك لا يكون إلّا من غير الثّقات.

ومثل: أنَّ جامع الكتاب نفسه يقول في المقدمة ما يشعر بعدم القطع بصحّة ما جَمَعه قال: (وربما جاء في أثناء هذا الإختيار اللّفظ المردّد، والمعنى المُكرر، والعذر في ذلك: إنَّ روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً)[1] .

---

(١) نهج البلاغة: ٣٦.

وهذا الكلام ليس معناه تشكيك جامعه فيما جمعه بل إنَّه يقول: أنَّ روايات كلامه في المعنى الواحد تختلف اختلافاً شديداً، فيروي فيه بعض كلاماً لم يروه الآخر، وهذا لا يمنع أن يكون كِلا الكلامين صحيحاً قد قاله الإمام مراراً فاختلفت بعض عباراته، وتكرّرت معانيه. بل ذلك دليل على شدّة وَرع جامعه بإبدائه العذر في جمع كلام مكرر المعنى، مختلف العبارة، ونحن نرى مثل ذلك موجوداً في كلام النبيّ ﷺ، وفي كلام سائر البُلغاء. فإذا اختلفت الرواية فيه لا يوجب ذلك الشّك في صحته، وقد وقع الإختلاف في الرواية في بعض الأحاديث الصحيحة النبويّة.

وإنَّه ليس فيه كلام إلّا بعد قتل عثمان.

وهذا غير صحيح إذ فيه من الكلام الكثير الذي قاله قبل مقتل عثمان وكثير من الكلام الذي لا يعلم تاريخه.

واستعمال لفظة لأنَّ وهي لم ترد في القرآن ولا في كلام فصيح.

فالقرآن لم يجمع جميع كلمات العرب فهل فيه الحوذان، والنفل، والجنوب، والشمال، والقرنقل، وحينئذ، وساعتئذ، وحتام، وحتّى متى، ونعم، وأجل، وغيرها حتّى من الكلمات الكثيرة الدَّوران، ومن أين لنا أن نجزم بأن لفظة لأنَّ لم ترد في كلام فصيح، ومَن الذي أحاط علماً بجميع الكلام الفصيح؟

على أنَّها وردت في حديث نبويّ رواه الطبراني والحاكم، وصحّحه السيوطي **«أحبُّ العرب لثلاث لأنّي عربيّ»**[1]... إلخ.

ووردت في قول الشاعر الذي استشهد النّحويون بشعره مع قلب

---

(١) المعجم الأوسط ٦: ٢٧١ / ح ٥٥٧٩، المستدرك للحاكم ٤: ٨٧، الدُر المنثور ٤: ٤.

الهمزة هاء:

لـــهَنَّكَ سَـــمحٌ ذا يســـار ومُـــعدِما   كما قد أَلِفتَ الحلم مُرضٍ ومـغضبا

وكثرة ما فيه من التزويق والصنعة.

وهذا إن لم يدل على الصحة لم يدل على البطلان فهو كاشف عن مـزيد القدرة على صوغ الكلام.

واشتماله على التقسيم العددي مثل «الإيمان على أربع دعائم».

فمن الغريب أن يُعد ذلك من موجبات الشَّك فيه فالتقسيم العددي يعرفه ويحتاجه كلّ خطيب وبليغ، وقد وجد في الحديث النـبوي نـظير ذلك: «**بُني الإسلام عـلى خـمس دعـائم**» كـما فـي الجـامع الصـغير للسـيوطي[1]، وشـرحـه للعزيزي[2].

وكدقّة ما فيه من الوصف وإحاطته بصفات الموصوف، كما في خطبة الخفاش، والطـاووس، مـع أنَّـهما شـائعان فـي كـلام العـرب فـي الجـاهلية والإسـلام، وموجودان في وصف أُم معبد الخزاعية النبيّ صلى الله عليه وآله، فوجودهما في النهج أقوى دليل على بلاغته فهو أولى بأن يجعل دليلاً على الصِّحة مِـن أن يـجعل دليـلاً على عدمها: إذاً محاسني اللآتي أدلّ بها عدّت ذنوباً، فقل لي: كيف أعتذر؟!

وكاشتماله على مباحث تتعلّق بعلم الطبيعة.

ولم يبيِّنوا ما هي هذه المباحث، ولما يفترض جهل عليّ بها.

ومن الغريب ما حكاه بعض أهل العصر ممّن يـروق لهـم الإسـتشهاد بكـلام الغــربيين، صـحيحه وسـقيمه عـن الأُسـتاذ المسـتشرق المسـيو مـاسينيون

---

(١) الجامع الصغير: ١٢٦.

(٢) السراج المنير بشرح الجامع الصغير، المصدر غير متوفّر لدينا.

الفرنسوي إنّه مع اعتقاده بأنَّ نهج البلاغة من كلام علـيّ، وإنّـه لا يـمكن أن يكون من وضع الشّريف الرضي لأسباب ذكرها. فهو يعتقد أنَّ الكُتب التي أخذ عنها الشريف الرضي، هي كتب الزيدية لا الإمامية، لأسباب أهـمها: أنَّ الإماميّة لا يعترفون بخلافة الشَّيخين بعكس الزيدية الذيـن يـقولون بـصحة خلافتهما، وإن كان عليّ أحقّ مـنهما بـتولّي أُمـور المسـلمين، فـالزيدية إذن واسطة تفاهم وتوفيق بين السُّنيين والشيعيين، لذلك كانوا يعتنون بجمع كلام عـليّ ونشـره بـين النـاس، وكـان غـرضهم مـن هـذا الجـمع ليس كـغرض المؤرّخين. بل إنَّ علياً كان بنظرهم مثلاً أعلى يـجب أن يـحتذى، وصـاحب أخلاق سامية يجب أن تُخلّد، وطريقه في الحكم والإدارة وحـلّ المشـاكـل يجب أن تُعرف، وماكان مثل هـذه الحـاجة يـعرض للشـيعيين، لأنَّ كـتاب هؤلاء هو إمامهم الذي يعيش في عصرهم لذلك لما اضطرّ الشـيعة إلى جـمع كلام عليّ نقلوا عن كتب الزيدية... إلخ.

وهو اعتقاد فاسد فإنَّ علياً إذا كـان بـنظر الزيـدية مـثلاً أعـلى يـجب أن يُقتدى به، وصاحب أخلاق سامية يجب أن تخلد، وطريقه في الحكم والإدارة يجب أن تعرف، فهو عند الشيعة الإمامية لا ينقص عن ذلك، بـل يـزيد وإنَّ الشيعة الإمامية تعتقد أنَّ قوله وفعله وتقريره حجّة.

وتعليله ذلك بأنَّ كتاب الإمامية هو إمامهم الذي يعيش في عصرهم، قـد أخطأ فيه، فالإمامية لا فرق عندهم بين إمامهم الذي يعيش في عصرهم وغيره في أنَّ كلام الجميع وفعلهم وتقريرهم حجّة، وإن كان عليّ أفضلهم.

والزيدية وإن قال البترية منهم: بإمامة الشيخين، إلّا أنَّ الباقين لا يقولون بذلك والبترية بعد الشيخين يشـترطون فـي الإمـام أن يكـون مـن وُلد عـليّ وفاطمة، ولا فرق بينهم من هذه الجهة وبين الإمامية.

فقد تعاطى الأُستاذ ماسينيون في ذلك ما ليس من صنعته، وما لم تصل إليه معلوماته.

وتساءل الأُستاذ ماسينيون فيما حكاه عنه هذا البعض عن الشيء الذي كان يقود الشريف الرضي في اختياره لنصوص النَّهج، أهوَ الذوق الأدبي، أم النزعة الإمامية؟ وزعم أنَّ النزعة الإمامية كان لها أثرها في اختيار قطع النَّهج بدليل وجود خطب أُخرى تُنسب لعليّ كانت معروفة قبل عصر الرَّضي، ولم تدخل في الكتاب لمخالفتها لعقيدة الإمامية، بل ربما دخل في النهج كلام ليس لعليّ بتأثير هذه النزعة، وتصرّف ببعض الخطب، وحذف وقصر فيها، وضمنت بعض الحشو.

ولكن كلّ هذا لم يمنعه من الإعتراف بأنَّ كلام عليّ ظلّ في الكتاب محترماً لم يمس.

وهذا أيضاً غير صواب. فالذي كان يقود الشريف في اختياره لنصوص النهج، هو الذَّوق الأدبي والبلاغة والفصاحة، لا النزعة الإمامية كما توهّم.

واستدلاله بوجود خطب تنسب لعليّ قبل عصر الرضي، لم تدخل في الكتاب لمخالفتها للعقيدة الإمامية غير صحيح.

أوّلاً: لجواز أن يكون الرضي لم يطّلع عليها فلا يطّلع على جميع الأُمور إلاّ علاّم الغُيوب.

ثانياً: لعلّ تلك الخطب التي لم يذكرها ممّا لم يَقع عليه اختياره، فإنَّه لا يذكر كلّما وجده من كلام أمير المؤمنين عليه السلام بل ينتخبه انتخاباً.

وأمّا قوله: بل ربما دخل في النهج... إلخ. فلعله يشير به إلى ما اشتملت عليه الخطبة الشقشقية، وغيرها ممّا أجبنا عنه، وأمّا الحذف من الخطب فقد بيّن الرضي أنّه لا ينقل جميع كلامه، بل ينتخبه انتخاباً، ومن كان دأبه كذلك

لابدّ له من التّصرف بحذف البعض.

وأمّا الحشو الذي يزعمه، فكان عليه أن يبيّنه فإنّا لا نرى في نهج البلاغة شيئاً من هذا الحشو المزعوم.

الخطبة الشقشقية

سُمّيت بذلك لأنَّ عليّاً عليه السلام لمّا وصل إلى آخر الموجود منها (قام إليه رجل من أهل السّواد فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه. فقال له ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك من حيث أفضيت، فقال: «**هيهات يا ابن عبّاس تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت**»[1].

فهذه الخطبة بسبب اشتمالها على تظلّم عليّ عليه السلام ممّن قبله في أمر الخلافة، وعلى أنّه كان أحقّ بالخلافة منهم، أنكرها جماعة من النّاس، وزعموا أنّها من كلام الرضي. دسّها في نهج البلاغة، ونحلها عليّاً عليه السلام، وليس لهم مستند في ذلك، إلّا اشتمالها على ما ذكرناه. فهو يقول فيها: «**أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنَّ محلي منها ـ أي الخلافة ـ محلّ القطب من الرّحى، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أنْ أُصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن، حتّى يلقى ربّه، فرأيت أنَّ الصبر على هاتا أحجى فصبرت، وفي العين قذىً، وفي الحلق شَجى، أرى تراثي نهباً، حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطّاب بعده** . ثمّ تمثّل بقول الأعشى :

---

(١) نهج البلاغة: ٥٠ / خ ٣.

شتان ما يومي على كُورها ويوم حيان أخي جابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطّرا ضرعيها، فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة، زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم، حتّى صرت أُقرن إلى هذه النظائر؟ فصغى رجل منهم لضغينه، ومال الآخر لصهره[1]، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل، نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وقسط آخرون[2] كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةِ نَجْعَلُها للّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوّاً في الأرضِ ولا فَساداً والعاقِبَةُ للمُتَّقينَ﴾[3] بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها»[4].

والمتأمّل في هذه الخطبة يعلم أنّها من كلام عليّ عليه السلام، وأنّه لا فرق بينها وبين سائر كلامه وخطبه في أسلوبها وبلاغتها، وأنّها لا تفترق عن سائر كلامه بشيء، وأنّ الذي دعاهم إلى أن يقولوا إنّها منحولة، إنّها لا تتوافق مع بعض ميولهم المذهبية، ولكن هذا لا يوجب الشّك فيها بعد أن رواها الثّقات عن عليّ عليه السلام، وكانت في بلاغتها وفصاحتها لا تفترق عن شيء من كلامه والميول

---

(١) قال ابن أبي الحديد: فصغي رجل منهم لضغينه يعني طلحة لأنه تيمي، وقدكان حصل في نفوس بني هاشم على بني تيم حقد شديد لأجل الخلافة، وكذلك صار في نفوس بني تيم على بني هاشم. وأما قوله ومالَ الآخر لصهره فإنه يعني عبدالرحمن بن عوف مالَ الى عثمان لأن أُم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحت ابن عبدالرحمن وهي أُخت عثمان من أُمّه.

(٢) نكثت طائفة يريد بهم أصحاب الجمل ومرقت أُخرى يريد بهم معاوية وأصحابه وقسط آخرون يُريد بهم الخوارج.

(٣) القصص: ٨٣

(٤) نهج البلاغة: ٤٨ ـ ٥٠ / خ ٣، بتفاوت يسير باللفظ.

المذهبية، لا تصلح سنداً لإنكار شيء علم ثبوته، فما فيها ذكر الجاحظ نظيره في البيان والتبيين ج٢ ص ٣٨ من ضمن خطبة لعليّ يقول فيها: «سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همّته بطنه، ويحه لو قصّ جناحاه، وقطع رأسه، لكان خيراً له»[1].

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: حدَّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطي سنة (٦٠٣ هـ) قال: قرأت على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب هذه الخطبة، وقلت له: أتقول إنَّها منحولة؟ فقال: لا والله، وإنّي لأعلم أنَّها كلامه، كما أعلم أنَّك مصدّق. فقلت له: إنَّ كثيراً من الناس يقولون: إنَّها من كلام الرضي. فقال: [ما][2] للرضي ولغير الرضي هذا النَّفَس، وهذا الأسلوب. قد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خل ولا خمر.

ثمّ قال: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كُتب صُنّفت قبل أن يُخلق الرضي بمائتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب، قبل أن يُخلق النَّقيب أبو أحمد والد الرضي.

قال ابن أبي الحديد: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلق الرضي بمدّة طويلة، ووجدت أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبه أحد متكلّمي الإمامية، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف، وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي، ومات في

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) في المصدر [أنّى].

ذلك العصر قبل أن يكون الرضي موجوداً[١]... إلخ.

والخلاصة: أنَّ اشتمال هذه الخطبة على ما لا يتلاءم مع بعض الميول المذهبية، هو الذي دعا إلى إنكارها، بل إلى إنكار نهج البلاغة كلّه من أجلها، وقد ظهر ممّا ذكرنا أنَّ هذا الإنكار بغير محلّه، وأنَّ نهج البلاغة له منه عليه شواهد، وأنَّ الشريف الرضيّ مهما بلغت بلاغته وفصاحته، ليس له قدرة على أن يأتي بخطبة واحدة من خطب نهج البلاغة، وكتاب رسائله موجود، وجملة منه منقولة في كُتب الأدب، وهي كما قال ابن الخشّاب: ليست من كلام نهج البلاغة في خل ولا خمر[٢]، وهي لا تتناسب معه في شيء.

يعرف ذلك كلّ ناظر فيه وفيها.

شروح نهج البلاغة

شرحه أعاظم العلماء والأُدباء من عصر جامعه إلى اليوم شروحاً كثيرة. قال العالم الكبير الشهير الشيخ محمّد عبده مفتي الدّيار المصرية في مقدّمة شرحه على النهج: وقد عني جماعة من أجلّة العلماء بشرحه، وأطال كلّ منهم في بيان ما انطوى عليه من الأسرار[٣]... إلخ.

وذكر الفاضل المتتبع المعاصر الميرزا حسين بن محمّد تقي النوري في خاتمة مستدركات الوسائل منها ٣١ شرحاً، ونحن قد وقفنا من أسماء شروحه على ٣٧ شرحاً فنذكر أوّلاً ما ذكره هو، ثمّ ما عثرنا عليه زيادة على ما ذكره:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق ١: ٢٠٥.

(٣) المصدر السابق ١: ٩.

١ ـ شرح أبي الحسن البيهقي عليّ بن زيد الشهير بفريد خراسان، وهو أوّل من شرحه بعد عليّ بن الناصر الآتي.

٢ ـ شرح الإمام فخر الدين الرازي، صاحب التفسير إلّا أنّه لم يتمّ، صرّح بذلك الوزير جمال الدّين القفطي في تاريخ الحكماء[١].

٣ ـ منهاج البراعة، للقطب الراوندي سعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه في مجلّدين.

٤ ـ شرح القاضي عبد الجبّار المردد بين ثلاثة لا يعلم أيّهم هو، إلّا أنّه قريب العصر من الشيخ الطوسي.

٥ ـ شرح الإمام أفضل الدّين الحسن بن عليّ بن أحمد المهابادي، شيخ منتجب الدّين صاحب الفهرست.

٦ ـ المعراج لرجل مجهول، أشار إليه الكيدري في كلامه الآتي.

٧ ـ شرح لأبي الحسين محمّد بن الحسين بن الحسن البيهقي الكُندري، أوالكيذري[٢]، فرغ منه سنة (٥٧٦ هـ) وقال في أوّله: إنّه استمدّ من كتابي المنهاج والمعراج المقدّم ذكرهما، فالمنهاج للراوندي، والمعراج لا يعرف مؤلّفه[٣].

قال الفاضل النوري[٤] المقدّم ذكره، وصاحب كشف الحجب[٥] فيما حكى عنه: إنَّ اسم هذا الشرح الإصباح، ولكن الموجود في رجال بحر

(١) تاريخ الحكماء: ٢٩٣.

(٢) الكندري بالنون نسبة الى كندر كقنفذ حقق بحر العلوم في رجاله إنه اسم لثلاث قرى والمعروف الكيدري بالمثناة التحتية ولكن لا يوجد قرية تُسمى كيدر بالدال المهملة إنما يوجد كيذر بالذال المعجمة.

(٣) خاتمة مستدرك الوسائل ٣: ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الذريعة للطهراني ٢: ١١٨.

العلوم[١]، أنَّ قطب الدّين الكيدري له الإصباح في الفقه، وشرح نهج البلاغة.

وفي الذريعة: إنَّ شرحه على النهج اسمه حدائق الحقائق[٢]، ولكنّه في مقام آخر نسب حدائق الحقائق للسيّد علاء الدين محمّد بن أبي تراب الأصفهاني، من سادات گلستانه، وإنَّ له بهجة الحدائق مختصر[٣] من هذا الشرح، وحينئذٍ فيكون تسمية شرحه بالإصباح من سهو القلم.

قال الفاضل النوري: وهذه الشروح كلّها قبل شرح ابن أبي الحديد بزمان طويل، ومع ذلك يقول: إنَّه لم يشرح هذا الكتاب قبلي فيما أعلم إلّا القطب الرّاوندي[٤][٥].

أقول: وأسبق من الجميع شرح عليّ بن الناصر المعاصر للشريف الرضي كما يأتي.

٨ ـ شرح عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي ـ طبع مرّتين في إيران، ومرّة في مصر.

٩ ـ مختصر شرح ابن أبي الحديد، للمولى سلطان محمود بن غلام عليّ الطبسي، ثمّ المشهدي القاضي في المشهد الرضوي.

١٠ ـ شرح الشيخ كمال الدين ميثم البحراني الكبير ـ يُقارب شرح ابن أبي الحديد مطبوع بإيران.

١١ ـ شرحه المتوسط.

---

(١) الفوائد الرجالية ٣: ٢٤٢.

(٢) الذريعة للطهراني ٢: ٤٣١.

(٣) المصدر السابق ٣: ١٦١وج ٦: ٢٨٤ وج ١٤: ١٤٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٥.

(٥) خاتمة مستدرك الوسائل ٣: ٢٠٦.

١٢ ـ شرحه الصغير.

١٣ ـ شرح كمال الدين عبد الرّحمن بن محمّد بن إبراهيم العتائقي الحلّي، من علماء المائة الثامنة في أربع مجلّدات، اختاره من شرح ابن ميثم الكبير، وشروح الكندري، والقاضي عبد الجبار، وابن أبي الحديد.

١٤ ـ منهج الفصاحة في شرح نهج البلاغة، لجلال الدّين الحسين بن شرف الدّين عبد الحق الأردبيلي، المعروف بالإلاهي المتوفّى سنة (٩٠٥ هـ)، ألّفه للشاه إسماعيل الصفوي ـ بالفارسية ـ منه نسخة في خزانة أسعد أفندي بالآستانة.

١٥ ـ تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين، لفتح الله بن شكر الله القاشاني، فارسي.

١٦ ـ شرح عليّ بن الحسن الزوارئي المفسِّر المعروف، أُستاذ فتح الله المذكور، فارسي، هو أحسن الشروح الفارسية.

١٧ ـ شرح الشيخ حسين بن شهاب الدّين بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن الجنيدر العاملي الكركي المتوفّى سنة (١٠٧٧ هـ) عدَّ في الأمل[١] من كتبه شرح نهج البلاغة كبير.

١٨ ـ أعلام نهج البلاغة للسيد عليّ بن الناصر ـ وهو معاصر للسيد الرضي جامع النهج فإذا شرحه، أقدم الشروح وعن كشف الحُجب: وأوثقها وأتقنها وأخصرها[٢].

١٩ ـ أنوار الفصاحة وأسرار البراعة، لنظام الدّين الجيلاني ـ فرغ من

(١) أمل الأمل ١: ٧٠ / ترجمة ٦٦.

(٢) كشف الحجب والأستار: ٥٣ / ٢٥٣، وعنه في الذريعة للطهراني ٢: ٢٤٠.

بعض مجلداته سنة (١٠٥٣ هـ).

٢٠ ـ شرح السيّد ماجد البحراني. في أمل الأمل: لم يتم[١].

٢١ ـ شرح السيد رضي الدين عليّ بن طاووس، نسبه إليه صاحب كشف الحُجب[٢].

٢٢ ـ شرح عبد الباقي الخطاط الصوفي التبريزي المعاصر للشاه عبّاس الأوّل، فارسي مبسوط كما في الرّياض[٣].

٢٣ ـ شرح عزّ الدين الآملي شريك المحقق الشيخ عليّ الكركي في الدرس عند الشيخ عليّ بن هلال الجزائري، كما في الرّياض[٤].

٢٤ ـ حاشية عماد الدين عليّ القاري الأستر آبادي.

٢٥ ـ شرح السيد نعمة الله الجزائري، كما في رياض العلماء[٥].

٢٦ ـ شرح ـ قال: رأيته في مشهد الرضا عليه السلام، وقد سقط من أوّله أوراق، وهو مختصر لم أعرف مؤلّفه، لكن النُّسخة قديمة جداً.

٢٧ ـ بهجة الحدائق للسيد علاء الدين گلستانه ـ وفي الذريعة بهجة الحدائق في شرح نهج البلاغة، هو الشرح الصغير، والشرح الكبير يُسمّى حدائق الحقائق، كلاهما للسيد علاء الدّين محمّد بن أبي تُراب من سادات گلستانه، الأصفهاني المتوفّى سنة (١١١٠ هـ)[٦]، ومرَّ أنَّه نسب حدائق الحقائق إلى شخص آخر.

---

(١) أمل الأمل ٢: ٢٢٥ / ترجمة ٦٧٥.

(٢) كشف الحجب والأستار: ٣٥٧ / ٢٠١٧.

(٣) رياض العلماء ٣: ٥٩.

(٤) المصدر السابق ٣: ٣١٢.

(٥) المصدر السابق ٥: ٢٥٤.

(٦) الذريعة للطهراني: ١٦١/٣.

٢٨ ـ شرح آخر له كبير إلّا إنَّه لم يتجاوز الخطبة الشقشقية، إلّا يسيراً.

٢٩ ـ شرح السيد عبد الله بن السيد رضا شبّر الحسيني[١].

٣٠ ـ شرح آخر له.

٣١ ـ شرح الميرزا إبراهيم الخوئي المعاصر ، هذا ما ذكره العلامة النوري، قال: ولعلّ المُسّرح طرفه في أكناف التّراجم يقف على أضعاف ذلك[٢].

وأمّا ما عثرنا عليه زيادة على ذلك فهو:

٣٢ ـ التُحفة العليّة في شرح نهج البلاغة الحيدريّة، لأفصح الدّين محمّد ابن حبيب الله بن أحمد الحسني الحسيني، توجد نسخته في النّجف بخط مؤلّفه، فرغ منه في صَفَر سنة (٨٨١ هـ) ذكره صاحب الذريعة[٣].

٣٣ ـ شرح المولى قوام الدّين يوسف بن حسن الشهير بقاضي بغداد المتوفّى سنة (٩٢٢ هـ) ،كما في كشف الظنون[٤]، وذكر هذا الشرح أيضاً صاحب شذرات الذّهب ج٨ التسلسل ٣٤ ص ٨٥.

٣٤ ـ شرح الشيخ إبراهيم البحراني نزيل كازِرون المدفون فيها، ذكره السيّد شهاب الدّين التبريزي نزيل قم، فيماكتبه إلينا.

٣٥ ـ شرح عليّ، المعروف بالحكيم الصوفي بالفارسية، فرغ منه سنة (١١١٦ هـ) رأيت منه نسخة بهمذان، ولا يبعد أن يكون شرح الزوارئي المتقدِّم، فقد قيل عن الزوارئي: إنَّه يميل إلى التصوف. ولعلّ الطبقة لا تُنافيه، فإنَّ فتح الله بن شكر الله القاشاني تلميذ الزوارئي توفي سنة (٩٨٨ هـ).

---

(١) الذريعة للطبراني: ٤٣١/٢ .

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل ٣: ٢٠٦ ـ ٢٠٩، بتفاوت يسير.

(٣) الذريعة للطهراني ٣: ٤٥٥.

(٤) كشف الظنون ٢: ١٩٩١.

٣٦ ـ شرح السيّد يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي بن إبراهيم بن المهدي بن أحمد جحاف الحبوري اليماني، ذكره السيّد محمّد بن زبارة الحسني اليماني الصنعاني، في ملحق البدر الطالع[١].

عهده للأشتر حين ولّاه مصر

قال الشريف الرضي : وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن[٢]... . وقد احتوى على جميع ما يحتاج إليه الوالي، بل كلّ أحد من الأُمور الاجتماعية، وسياسة الرعية، فلذلك أوردناه بطوله نقلاً من نهج البلاغة، فإنّه كنز ثمين، ومرّ بعض الكلام عليه عند ذكر توليته الأشتر مصر، وأوّله : (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبدالله عليّ أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولّاه مصر جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها).

ما وصّاه به في ذات نفسه من التقوى

أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتّباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسُنَنِه، التي لا يسعد أحد إلّا باتّباعها، ولا يشقى إلّا من جحودها وإضاعتها. وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه، فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره، واعزاز من أعزّه، وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات، [وينزعها][٣] عند الجُمحات فإنَّ النفس أمارة بالسُّوء إلّا ما رحم الله.

---

(١) محلق البدر الطالع: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٢٦.

(٣) في المصدر [ويزعها].

ترغيبه في حسن الذكر

ثمّ اعلَم يا مالك أنّي قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وأنَّ الناس ينظرون من أُمورك في مثل ماكنت تنظر فيه من أُمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ماكنت تقوله فيهم وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبَّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فأملك هواك، وُشح بنفسك عمّا لا يحلُّ لك، فإنَّ الشُحَّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أوكرهت.

أمره بالرحمة، والمحبّة للرعية واللطف بهم، والعفو عنهم

وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبّة لهم ، واللّطف بهم ، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنمُ أكلهم، فإنَّهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدّين، وإمّا نظير لك في الخلق[١]، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ.

فاعطهم من عفوك، وصفحك مثل الذي تُحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنَّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك، وقد استكفاك أمرهم، وابتلاك بهم، فلا تنصبنَّ نفسك لحرب [له][٢] ، فإنّه[لا يُدمى][٣] لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تَندمنَّ على عفو ، ولا تبجحنَّ بعقوبة ، ولا تُسرعنَّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ، ولا تقولنَّ إنّي مؤمر آمر فأطاع فإنَّ ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين ، وتقرّب من الغير.

---

(١) أي المُسلم منهم أخوك في الدين وغير المُسلم نظيرك في الخلق فتقتضي لغة الجنسية الرحمة له.
(٢) في المصدر [الله] .
(٣) في المصدر [لا بد] .

نهيه عن الكبر

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبّهة، أو مَخيّلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنَّ ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك، ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك. إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته، فإنَّ الله يُذلُّ كلّ جبّار، ويُهين كلّ مختال.

أمره بالإنصاف، ونهيه عن الظلّم

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك هوى فيه من رعيّتك، فإنَّك إن لا تفعل تظلم.

ومن ظلم عبداً لله كان الله خصمه، دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً حتّى ينزع ويتوب.

وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم. فإنَّ الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد.

أمره بتقديم رضى العامة مع العدل على رضى الخاصّة

قال : وليكن أحبَّ الأُمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية. فإنَّ سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة، وإنَّ سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة.

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرّخاء، وأقلّ معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقلَّ شُكراً عند الإعطاء، وأبطأ عُذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمّات الدَّهر من أهل الخاصّة.

وإنَّما عمود الدّين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامّة من الأُمّة ، فليكن

[صفيك][1] لهم وميلك معهم.

نهيه عن قبول قول النّمام والواشي

وليكن أبعد رعيّتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب النّاس، فإنّ في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تُحبّ ستره من رعيّتك، أطلق عن الناس عقدة كلّ حقد، واقطَع عنك سبب كلّ وتر، وتغاب عن كلّ ما لا [يصلح لك][2]، ولا تعجلنّ على تصديق ساعٍ فإن السّاعي غاشّ، وإن تشبّه بالناصحين.

نهيه عن استشارة البخيل والجبان والحريص

ولا تُدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأُمور، ولا حريصاً يزيّن لك الشّره بالجور، فإنّ البخل، والجبن، والحرص، غرائز شتّى يجمعها سُوء الظنّ بالله.

من الذي ينبغي أن يستوزره

إنّ شرّ وزرائك من كان قبلك للأشرار وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنّهم أعوان آثمة، وإخوان ظَلَمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم[3]، وأوزارهم، وآثامهم ممّن لم يُعاون ظالماً على ظلمه

---

(١) في المصدر [صِفوك].

(٢) في المصدر [يضح].

(٣) الآصار بالمد جمع اصر بالكسر وهو الذنب.

، ولا آثماً على اثمه، أولئك أخفَّ عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقلّ لغيرك إلفاً، فاتّخذ أُولئك خاصّة لخلواتك وحفلاتك، ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بِمُرِّ الحقّ لك، وأقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع.

من ينبغي أن يجالسهم

والصق بأهل الورع والصدّق، ثمّ رضّهم على أن لا يطروك، ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإنَّ كثرة الإطراء تحدث الزّهو، وتدني من العزّة.

إيصاؤه بعدم التسوية بين المُحسن والمُسيء

ولا يكوننَّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سَواء، فإنَّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

أمره بالإحسان إلى الرعية

اعلَم إنَّه ليس شيء بأدعى إلى حُسن ظنّ والٍ برعيّته من إحسانه إليهم، وتخفيف المؤونات عليهم، وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حُسن الظّن برعيتك، فإنَّ حُسن الظنّ يقطع عنك [نسباً][1] طويلاً، فإنَّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإنَّ أحق من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده.

---

(١) في المصدر [نصباً].

أمره باتّباع السُّنة الصالحة

ولا تنقض سُنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأُمّة، واجتمعت بها الإلفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثنَّ سُنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السُّنن فيكون الأجر لمن سنَّها، والوزر عليك بما [نقضتها](١).

أمره بمدارسة العُلماء والحُكماء

وأكثر مدارسة العُلماء ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

تقسيمه الرعية إلى طبقات، وبيان ما يجب لكلّ طبقة منهم

واعلم إنَّ الرعية طبقات لا يُصلح بعضها إلّا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة، ومنها قُضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذّمة ومسلمة الناس، ومنها التّجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السُّفلى من ذوي الحاجات والمَسكنة. وكلّ قد سمّى الله له سهمه، ووضع على حدّه وفريضته في كتابه أو سُنّة نبيه ﷺ عهداً منه محفوظاً.

فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الوُلاة وعزّ الدين وسُبل الأمن وليس تقوم الرعية إلّا بهم.

ثمّ لا قوام للجنود إلّا بما يُخرج الله لهم من الخراج الذي يقوُون به على جهاد عدوّهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم.

ثمّ لا قوام لهذين الصّنفين إلّا بالصنف الثالث من القضاء، والعمّال، والكتّاب لما

---

(١) في المصدر [نَقَضْتَ منها].

يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، [ويأتمنون][1] عليه من خواصّ الأُمور وعوامّها.

ولا قوام لهم جميعاً إلّا بالتّجار، وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفّق بأيديهم ممّا لا يبلغه رفق غيرهم.

ثمّ الطبقة السُّفلى من أهل الحاجة والمَسكنة، الذين يحقّ رفدهم ومعونتهم وفي الله لكلٍّ سعة، ولكلٍّ على الوالي حقّ بقدر ما يصلحه.

أمره بالاستعانة بالله لقضاء هذه الحقوق

وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك إلّا بالإهتمام، والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل.

شروط أُمراء الجيوش

فولِّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله، ولرسوله، ولإمامك، وأنقاهم جيباً، وأفضلهم حلماً ممن يبطيء عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممّن لا يثيره العُنف، ولا يقعد به الضَّعف، ثمّ الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثمّ أهل النّجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنّهم جماع من الكرم، وشُعب من العُرف.

تفقّد أُمور الجُند وما يلزم عمله معهم

ثمّ تفقّد من أُمورهم ما يتفقّد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قوّيتهم

(١) في المصدر [ويؤتَمنون].

به، ولا تحقرنَّ لطفاً تعاهدتهم به، وإن قلَّ فإنَّه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحُسن الظّن بك، ولا تدعَ تفقّد لطيف أُمورهم اتكالا على جسيمها، فإنَّ لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

ما يلزم عمله مع رؤساء الجُند

وليكن آثر رؤوس جُندك عندك مَن واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما [يَسعهم](١) من وراءهم من خلوف أهليهم حتّى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدوّ، فإنَّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، وإنَّ أفضل قرّة عين الوُلاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعية، وأنّه لا تظهر مودّتهم إلّا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلّا بحيطتهم على وُلاة [أمورهم](٢)، وقلّة استثقال دُولهم وترك استبطاء انقطاع مدّتهم، فافسح في آمالهم وواصل في حُسن الثّناء عليهم، وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم، فإنَّ كثرة الذّكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع وتحرّض الناكلّ إن شاء الله تعالى، ثمّ اعرف لكلّ امرئٍ منهم ما أبلى، ولا تضيفنَّ بلاء امرئٍ إلى غيره، ولا تقصرنَّ به دون غاية بلائه، ولا يدعونّك شرف امريء إلى أن تُعظّم من بلائه ماكان صغيراً، ولا ضعة امريء إلى أن تصغّر من بلائه ماكان عظيماً.

أمره بالرّجوع فيما يشتبه عليه إلى الكتاب والسُّنة

وأردد إلى الله ورسوله ما يُضلعك من الخطوب، ويشتبه عليك من الأُمور، فقد قال الله سبحانه وتعالى: [أحبّ](٣) إرشادهم ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

---

(١) في المصدر زيادة [ويَسَعَ].

(٢) في المصدر [الأُمور].

(٣) في المصدر زيادة [لقوم أحبّ].

وأولي الأمر منكم فإنْ تنازعتم في شيءٍ فردُّوه إلى الله والرسول﴾[1]، فالرّد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرّد إلى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرّقة.

اختيار القُضاة

ثمّ اختَر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ممّن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادىٰ في الزّلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه.

ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحُجج، وأقلّهم تبرّماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأُمور، وأصرمهم عند اتّضاح الحُكم، ممّن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأُولئك قليل.

ثمّ أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علّته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس.

وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك.

فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإنَّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى، ويطلب به الدنيا.

اختيار العمّال والوُلاة

ثمّ انظر في أُمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباةً وأثرةً، فإنّهما جماع من شُعب الجور والخيانة.

وتوخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصّالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب

---

(١) النساء: ٥٩.

الأُمور نظراً، ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق، فإنَّ ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثمّ تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدّق والوفاء عليهم، فإنَّ تعاهدك في السّر لأُمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرّفق بالرعية وتحفظ من الأعوان.

ما يلزم أن يفعله مع من خان من العمّال

فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبته بمقام المذلّة، ووسمته بالخيانة، وقلّدته عار التُّهمة.

إصلاح الخراج وماليّة الدّولة وعمارة البلاد

وتفقّد أمر الخراج بما يُصلح أهله، فإنَّ في إصلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلّا بهم، لأنَّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنَّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلّا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علّة أو انقطاع شرب أو بالة[1] أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلنَّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنَّه ذُخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك مع استجلابك حُسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثّقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم، ورفقك بهم فربما حدث من الأُمور

(١) بتشديد اللام من البلل قال ابن أبي الحديد: يعني المطر.

ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به. فإنّ العمران محتمل ما حملته، وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنّما يعوز أهلها لإشراف أنفُس الوُلاة على الجمع، وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلّة انتفاعهم بالعبر.

الكُتّاب وأصحاب الديوان

ثمّ انظر في حال كتّابك، فولّ على أُمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تُدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق، ممّن لا تبطره الكرامة فيجتريء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمّالك عليك، وإصدار جواباتها على الصّواب عنك، وفيما يأخذ لك ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأُمور، فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثمّ لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحُسن الظّن منك، فإنّ الرجال يتعرّفون لفراسات الوُلاة بتصنّعهم وحُسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء. ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامّة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً. فان ذلك دليل على نصيحتك لله، ولمن وليت أمره.

أمره بتوزيع فُنون الكتابة وضروبها بينهم

واجعل لرأس كلّ أمرٍ من أُمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها. ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

الوصاية بالتّجار وذوي الصناعات، وعيوب التُّجار ومنع الإحتكار

ثمّ استوصِ بالتّجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله

والمترفق ببدنه، فإنّهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلّابها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترؤون عليها، فإنّهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقّد أُمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكّماً في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة وعيب على الولاة، فامنع من الإحتكار، فإنّ رسول الله ﷺ منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إيّاه، فنكّل به وعاقبه من غير إسراف.

الوصاية بفقراء الرّعية وأيتامهم وشيوخهم

ثمّ الله الله في الطبقة السُّفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعاً[١] ومعتراً[٢]، واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلاّت صوافي[٣] الإسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلّ قد استرعيت حقّه، ولا يشغلنك عنهم بطر، فإنّك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم.

فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، وتفقّد أُمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون، وتحتقره الرجال، ففرّغ لأُولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أُمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فإنّ هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلّ فاعذر إلى الله في تأدية حقّه إليه، وتعهّد أهل اليتم وذوي الرّقة في ألسن ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الوُلاة ثقيل،

---

(١) القانع السائل.

(٢) المعتر الذي يعرض لك ولا يسألك.

(٣) هي الأرض لم تؤخذ بحرب.

والحق كلّه ثقيل، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العافية، فصبّروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم.

أصحاب الحاجات والمصالح

واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جُندك وأعوانك من أحراسك وشُرطك حتّى يكلّمك متكلّمهم غير متعتع فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: «لن تقدّس أُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير [متعتع]»[١]. ثمّ احتمل الخرق منهم، والعي ونح عنهم الضّيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته.

الإعطاء والمنع

واعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار.

ما يجب أن يباشره بنفسه

ثمّ أُمور من أُمورك لابدّ لك من مباشرتها منها: إجابة عمّالك بما يعيا عنه كتّابك، ومنها: إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك.

عدم إدخال عمل يوم في يوم

وامض لكلّ يوم عمله ، فإنّ لكلّ يوم ما فيه.

---

(١) في المصدر [مُتَعتِع].

إيصاؤه له بأداء الفرائض

واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النيّة، وسلمت منها الرّعية ، وليكن في خاصّة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووفّ ما تقرّبت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملاً غير مثلوم، ولا منقوصٍ بالغاً من بدنك ما بلغ، وإذا قُمت في صلاتك للناس فلا تكوننّ منفّراً ولا مضيّعاً، فإنّ في الناس مَن به العلّة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله ﷺ حين وجّهني إلى اليمن كيف أُصلي بهم فقال: «صلِّ بهم كصلاة أضعفهم وكُن بالمؤمنين رحيماً».

نهيه عن الإحتجاب عن الرعية

وأمّا بعد هذا فلا تطولنّ احتجابك عن رعيّتك، فإنّ احتجاب الوُلاة عن الرعية، شعبة من الضّيق، وقلّة علم بالأُمور، والإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغّر عندهم الكبير، ويعظّم الصغير، ويقبّح الحسن، ويُحسّن القبيح، ويُشاب الحقّ بالباطل، وإنّما الوالي بَشَر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأُمور، وليست على الحقّ سمات تعرف بها ضروب الصدّق من الكذب، وإنّما أنت أحد رجلين، إمّا امرؤٌ سخت نفسك بالبذل في الحقّ، ففيمَ احتجابك من واجب حقّ تُعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مُبتلى بالمنع فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك، إذا أيسوا من بذلك، مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شُكاة مظلمة أوطلب إنصاف في معاملة.

ما يلزم أن يعمله مع خاصّته وبطانته

ثمّ إنّ للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلّة إنصاف في معاملة فاحسم مادّة

أُولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعنَّ لأحدٍ من حاشيتك وحامّتك قطيعة، ولا يطمعنَّ منك في اعتقاد عقدة تضرّ بمَن يَليها من الناس في شرب[١]، أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة، وألزِم الحقّ مَن لزمه من القريب والبعيد، وكُنْ في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغِ عاقبته بما يثقل عليك منه ، فإنَّ مغبّة ذلك محمودة.

إبداء عُذره للرعية إذا ظنّوا به الجور

وإن ظنَّت الرعية بك حيفاً فاصحر لهم بعذرك، واعدل عنك ظُنونهم بإصحارك، فإنَّ في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ.

أمره بقبول الصلح، والحذر بعده من العدوّ والوفاء بالعهد

ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك لله فيه رضى، فإنَّ في الصلح دعة لجنودك، وإراحة من همومك، وأمناً لبلادك، ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإنَّ العدوّ ربما قارب ليتغفّل، فخُذ بالحزم واتهم في ذلك حُسن النّية، وإن عقدت بينك وبين عدوٍّ لك عُقدة أو ألبسته منك ذمّة فحط عهدك بالوفاء، وارعَ ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيت، فإنّه ليس من فرائض الله شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم، وتشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا[٢] من عواقب الغدر، فلا تغدرنَّ بذمّتك، ولا تخيسنَّ بعهدك، ولا تختلنَّ عدوّك،

---

(١) الشرب بكسر الشين وسكون الراء النهر يستقى منه.

(٢) أيّ رأوا الوبال.

فإنّه لا يجترىء على الله إلّا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مُدالسة ولا خُداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولنَّ على لحن القول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب إنفساخه بغير الحقّ، فإنَّ صبرك على ضيق أمر ترجو إنفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن [تحيطه][(١)] بك من الله طلبة لا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

نهيه عن سفك الدّماء الحرام

إيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدىء بالحُكم بين العباد فيما تسافكوا من الدّماء يوم القيامة، فلا تقوينَّ سُلطانك بسفك دم حرام، فإنَّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العَمْد لأنَّ فيه قود البَدن، وإن إبتليت بخطأ [وإفراط][(٢)] عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإنَّ في الوكزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحنَّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقّهم.

وصاياه بآداب عامّة والنّهي عن أخلاق وأفعال سيئة العُجب وحُبّ المدح

وإيّاك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الإطراء، فإنَّ ذلك من أوثق فُرَص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

---

(١) في المصدر: تحيط.

(٢) في المصدر: أفرط.

المَنّ والتزيُّد وخلف الوعد

وإيّاك والمَنّ على رعيتك بإحسانك، أو التزيُّد فيما كان من فعلك[١]، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنَّ المَنّ يُبطل الإحسان، والتزيُّد يذهب بنور الحقّ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا ما لا تَفعلونَ﴾[٢].

العجلة والتهاون واللّجاجة والوهن

وإيّاك والعجلة بالأُمور قبل أوانها، أو التساقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت ،أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كلّ أمر موضعه، وأوقع كلّ عمل موقعه.

الإستئثار والتغابي

وإيّاك والإستئثار بما النّاس فيه أُسوة، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون، فإنَّه مأخوذ منك لغيرك وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأُمور ويُنتصف منك للمظلوم.

الحلم والأناء والخوف من الله والإقتداء بصالح السّلف

املك حميّة أنفك، وسورة حدّك، وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس من كلّ ذلك بكفّ البادرة، وتأخير السطوة، حتّى يسكن غضبك فتملك الإختيار ولن تحكم ذلك من

---

(١) أيّ فعل شيء، وذكره في المجالس: أزيد مما فعل.

(٢) الصف: ٣.

نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك، والواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمَن تقدّمك من حكومة عادلة، أو سُنّة فاضلة، أو أثر عن نبيناﷺ، أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت ممّا عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتّباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك لكي لا تكون لك علّة عند تسرّع نفسك إلى هواها.

آخر العهد

وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كلّ رغبة أن يوفّقني وإيّاك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه من حُسن الثّناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النّعمة، وتضعيف الكرامة وأن يختم لي ولك بالسّعادة والشّهادة [إنّا إلى الله راغبون][(١)]، والسّلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله الطّيّبين الطاهرين[(٢)].

بعض الأمثال في كلامهعليه السلام

في الفائق : عليّعليه السلام «شِرعك ما بلغك المحلا» أي حسبك، وأشرعني كذا أي أحسبني وكان معناه الكفاية الظاهرة المكشوفة من شرع الدّين شرعاً إذا أظهره وبيّنه[(٣)]... إلخ. وفي النهاية: (في حديث عليّ: شرعك ما بلغك المحلا)، أي حسبك وكافيك، وهو مَثَل يُضرب في التبليغ باليسير[(٤)]. وشِرعك بكسر الشين وسكون الرّاء.

---

(١) في المصدر [إنّا إليه راجعون].

(٢) نهج البلاغة: ٤٢٦ ـ ٤٤٥ / ك ٥٣.

(٣) الفائق في غريب الحديث ٢: ١٩٥ (مادة شرع).

(٤) المصدر السابق ٢: ٤٦١ (مادة شرع).

الشعر المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام

عن الجاحظ في كتابي البيان والتبيين، وفضائل بني هاشم، والبلاذري في أنساب الأشراف: أنَّ عليّاً أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم وأكتبهم[١].

وعن تاريخ البلاذري: كان أبو بكر يقول: الشعر، وعمر يقول: الشعر، وعثمان يقول: الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[٢].

وعن الشعبي: كان أبو بكر شاعراً، وعمر شاعراً، وعثمان شاعراً، وكان عليّ أشعر الثلاثة[٣].

وعن سعيد بن المسيّب: كان أبو بكر، وعمر، وعليّ يُجيدون الشعر، وعليّ أشعر الثلاثة[٤]... إلخ.

وقد ذكر له عليه السلام في الكتب أشعار كثيرة اشتهرت نسبتها إليه، ورواها الثُّقات ودلّت بلاغتها على صحّة نسبتها ، وقال المرزباني في معجم الشُّعراء: يُروى له شعر كثير... إلخ.

فما يحكىٰ عن المازني[٥] وصوّبه الزمخشريّ ـ من أنَّه لم يصحّ أنَّه تكلَّم بشيء من الشعر غير هذين البيتين :

تلكُم قريش تمنّاني لتقتلني فلا وربّك ما برّوا وما ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر[٦]

---

(١) البيان والتبيين ١: ٢٨٥، فضائل بني هاشم للجاحظ، أنساب الأشراف ٢: ٣٥٨،. وفيها تفاوت ونقل النصّ عنهم ابن شهرآشوب في المناقب ٢: ٤٨ ـ ٤٩، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٠: ١٦٤.

(٢) أنساب الأشراف ٢: ٣٨٢.

(٣) كنز العمّال ١٣: ١١١ / ح ٣٦٣٦٥.

(٤) لم أعثر عليه عن المسيب المنقول عن الشعبي.

(٥) حاشية المحتار ٤: ٤٤٥.

(٦) الفايق في غريب الحديث ٢: ٦٦ (مادة روق).

وما يُحكى عن يونس النَّحوي : ما صحَّ عندنا ولا بلغنا أنَّه قال شعراً إلّا هذين البيتين ـ ليس بصواب[١].

جامعو ديوانه

وقد جمع شعر أمير المؤمنين عليه السلام جماعة، فجعلوه ديواناً كسائر الدواوين:

الأوّل: أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى بعد (٣٣٠ هـ).

الثاني: عليّ بن أحمد النيسابوري الفنجكردي القريب عصره من عصر السيّد الرضي.

الثالث: القطب الكيدري المتوفّى بعد سنة (٥٧٦ هـ) جَمَعه مرّتين، مرّة اقتصر على الآداب والحكم، وسمّاه «الحديقة الأنيقة»، ومرّة سمّاه «أنوار العقول من أشعار وصيّ الرسول».

الرابع: أبو عبدالله المرزباني المتوفّى سنة (٣٨٤ هـ)، ذكر ذلك صاحب مجموعة شعرية في الأمثال موجودة في الخزانة الرضوية.

الخامس: أبو البركات هبة الله بن عليّ بن محمّد المعروف بابن الشجري.

السادس: بعض القُدماء استخرجه من كتاب محمّد بن إسحاق.

السابع: القاضي القضاعي محمّد بن سلامة المغربيّ، صاحب كتاب الشهاب المجموع من كلمات النبيّ صلى الله عليه وآله المتوفّى سنة (٤٥٤ هـ)، لكنّه لم يجعله ديواناً مستقلاً، بل جمع ما اتّصل إليه بالرواية منه وجعله باباً سابعاً لكتابه دستور معالم الحكم المجموع من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، نظير كتاب الشهاب.

---

(١) تاج العروس ٧: ٨٤ (مادة روق).

الثامن: سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ حيث قال: قد ذكرنا ما وقع عليه اختيارنا من اللؤلؤ المنثور في فنون العلوم، فنذكر ما وصل إلينا من الدُّر المنظوم فنقول : أخبرنا بما نُسب إلى أمير المؤمنين من الشِّعر جماعة، منهم ابراهيم بن محمّد العلوي، وأبو القاسم الخطيب الموصلي، وعمر بن صافي، وغيرهم بإسنادهم إلى مشايخهم، وذلك في فنون من أبكار الفضائل والعيون[١].

التاسع: الفقير مؤلّف هذا الكتاب جمع ديوان أمير المؤمنين على الرواية الصحيحة وقد طُبع.

ولكن هذه الدواوين التي جمعها مَن ذكرناهم من شعره عليه السلام، لا يوجد منها بأيدينا اليوم سوى نسخة واحدة طُبعت مراراً في عدّة أماكن، والظاهر أنّها هي التي جمعها عليّ بن أحمد النيسابوري، وشرحها بالفارسية القاضي حسين بن معين الدّين الميبُدي المتوفّى سنة (٨٧٠ هـ) من علماء أهل السُّنة، ولم يأل جامعها جُهداً في جمع ما صحّت نسبته إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فجمع جلّه، وفاته شيء كثير، عثرنا عليه أثناء تتبعاتنا لكنّه أضاف إليه ما علم أنّه ليس له، وما يحتمل كونه له، ولا إمارة تنفي ذلك، وما يظنّ أنّه ليس له، فأمّا أن يكون هذا الديوان تناولته أيدي الزيادة والتّحريف من الناس، أو يكون جامعه قليل البصيرة لبعده عن اللّسان العربيّ، وعدم إقتصاره على المصادر الصحيحة فخلط الدُّر بالحصباء فممّا أورده ممّا علم أنّه ليس له هذين البيتين :

أتصبر للبلوىٰ عزاءً وحسبة   فتؤجر أم تسلو سلو البهائمِ

---

(١) تذكرة الخواص : ١٦٣.

خلقنا رجالاً للتجلّد والأسىٰ   وتلك الغواني للبُكا والمآتم

مع أنّهما لأبي تمام الطائي من قصيدة في ديوانه، والذي أوقعه في الإشتباه البيت الذي قبلهما وهو :

وقال عليّ في التعازي لأشعثٍ   وخاف عليه بعض تلك [العظائم][١][٢]

وأشار به أبو تمام إلى كلام منثور قاله عليه السلام للأشعث يُعزّيه عن ابن له، وأورده الرضي في الباب الأخير من نهج البلاغة وهو : «**يا أشعث إن صبرت جرىٰ عليك القَدَر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القَدَر وأنت مأزور**»[٣].

وهذا التوهُّم لا يصدر ممّن له أدنى معرفة، ومنه إيراده هذا البيت :

ليس مَن مات فاستراح بميّت   إنّما الميت ميت الأحياء

مع أنّه أحد بيتين ثانيهما :

إنّما الميت من يعيش كئيباً   كاسفاً باله قليل الرّجاءِ

وقد ذكرهما صاحب قطر النّدى[٤]، وذكر صاحب شرح شواهده المُسمّى بمعالم الإهتداء إنّ قائلهما عذري الغسّاني.

ومنه إيراده هذا البيت :

أُريد حباءه ويُريد قتلي   عذيرك من خليلك من مُرادِ[٥]

وهو لعمرو بن معد يكرب[٦] تمثّل به أمير المؤمنين عليه السلام ومنه إيراده هذا البيت :

---

(١) في المصدر [المآتِم].

(٢) ديوان أبي تمام: ٣٠٠.

(٣) نهج البلاغة: ٥٢٧ / حكمة ٢٩١.

(٤) قطر الندى وبل الصدى: ٢٣٤ ـ ٢٣٥.

(٥) الإرشاد ١: ١٣.

(٦) الإصابة: ٥٧٤ / ترجمة ٥٩٨٤.

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنُّ إلى القِدِّ

مع أنّه تمثّل به مصرِّحا بذلك بقوله : «أو أكون كما قال القائل»[١]، ومنه إيراده هذين البيتين :

قال المنجِّم والطبيب: كلاهما لا تحشر الأموات قلت: إليكما

إنْ صحَّ قولكما فلست بخاسر أو صحَّ قولي فالخسار عليكما

مع أنّهما لأبي العلاء المعرّي[٢] في ديوانه لزوم ما لا يلزم إلى غير ذلك، ونحن نورد هنا طرفاً ممّا صحت روايته أو وُجد في الكُتب المعتمدة ورتّبناها على حروف المعجم.

حرف الألف

قال عليه السلام أورده القاضي القضاعي في دستور معالم الحكم، وفي الديوان قال يوم بدر :

نصرنا رسول الله لمّا تدابروا وثاب إليه المسلمون ذوو الحجىٰ

ضربنا غواة الناس عنه تكرّما ولمّا يروا قصد السّبيل ولا الهُدى

ولمّا أتانا بالهُدى كان كلّنا على طاعةالرّحمن والحقّ والتُّقى[٣]

حرف الباء

وقال عليه السلام أورده الخطيب البغدادي في تاريخه :

إذا اشْتَمَلَتْ على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واستقرّت وأرست في أماكنها الخطوب

(١) نهج البلاغة: ٤١٨ / ك ٤٥.

(٢) الديوان غير متوفر لدينا.

(٣) دستور معالم الحكم لابن سلامة: ١٨٩ ، ديوان الإمام عليّ عليه السلام : ٤٦.

ولم تَـر لانكشـاف الضُّـرِّ وجـهاً ولا أغـنى بـحيلته الأريب
أتـاك عـلى قـنوط مـنك غـوث يـمن بـه اللـطيف المسـتجيب
وكـلّ الحـادثات إذا تـناهت فـموصول بـها فـرج قـريب(١)

وقال عليه السلام ـ أورده جامع الديوان، وصاحب جواهر المطالب عدا الأخير ـ:

إنّـي أقـول لنـفسي وهـي ضـيقة وقـد أنـاخ عـليها الدهـر بـالعجب
صـبراً عـلى شـدّة الأيّـام إنَّ لهـا عُـقبىوما الصـبر إلّا عـند ذي الحسب
سـيفتح الله عـن قُـرب بـنافعة فـيها لمـثلك راحـات مـن التـعبِ(٢)

وقال عليه السلام ـ لما قتل عمرو بن عبدودّ أورده المفيد في الإرشاد، وابن إسحاق في المغازي ـ:

نـصر الحـجارة مـن سـفاهة رأيـه ونـصرتُ ديـن مـحمّد بـصواب
فـضربته فـتركته مـتجدّلاً كـالجذع بـين دكـادك وروابـي
وعـففت عـن أثـوابـه ولو أنّـني كـنت المـقطر بـزني أثـوابـي
لا تـحسبن الله خـاذل ديـنه ونـبيّه يـا مـعشر الأحـزابِ(٣)

وأوردها الحاكم في المستدرك هكذا:

أعـليّ يـقتحم الفـوارس هكـذا عـنّي وعـنهم خـبّروا أصـحابي
اليـوم يـمنعني الفـرار حـفيظتي ومـصمّم فـي الرأس ليس بـنابي
[آلى](٤) ابـن عـبد حـين شـدّ إليـه وحـلفت فـاستمعوا مِـنْ الكـذّاب

---

(١) لم نعثر عليه في تاريخ بغداد، وحكاه عنه رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٥٢٣ ـ ٥٢٤، والدمشقي في جواهر المطالب ٢: ١٣٢.
(٢) ديوان الإمام علي: ٦٦ ـ ٦٨. جواهر المطالب للدمشقي ٢: ١٣٨.
(٣) الإرشاد ١: ٩٩، عنه في السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٢٠٣.
(٤) في المصدر [إلّا].

إنّــي لأصــدق مــن يـهلل بـالتقى رجــلان يــضطربان كــلّ ضــراب
فــصدرت حــين تــركته مــتجدّلاً كــالجذع بــين دكــادك وروابــي
وعــففت عــن أثــوابــه ولو أنّــني كــنت المــقطر [بـزني][1] أثـوابـي
عـبد الحـجارة مـن سـفاهة [رأيـه][2] وعــبدت ربّ مــحمّد بــصوابِ[3]

وقال عليه السلام: في يوم أُحُد كما عن تاريخ الطبري والأغاني حين خرج طلحة ابن أبي طلحة العبدري صاحب لواء قريش، وطلب المبارزة. قال قتادة: فخرج إليه عليّ وهو يقول:

أنــا ابــن ذي الحــوضين عــبد المطلب وهــاشم المـطعم فـي العـام السـغب
أوفي بميعادي وأحمي عن حسبِ[4]

وقال عليه السلام: ـ ذكره الرضي في نهج البلاغة بعد ذكر قوله عليه السلام: «وا عجبا أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة» ـ فقال: وقد رُوي له في هذا المعنى:

فـإن كُـنت بـالشورى مَـلكت أُمـورهم فكـيف بـهذا المـعنىٰ والمشـيرون غـيّب
وإن كـنت بـالقُربى حـججت خَـصيمَهُم فــغيرك أولى بــالنّبيِّ وأقــرب[5]

وقد أومأ الكميت إلى هذا المعنى بقوله:

بــحقّكم أمْسَت قــريش تــقودنا وبــالفذ مــنها والرديــفين نـركبُ
فـإن هـي لم تـصلح [الحـيِّ][6] سـواهـم فإنَّ ذوي القُـربى أحـقّ [وأوجبُ][7][8]

(١) في المصدر [يزن].
(٢) في المصدر [عقله].
(٣) المستدرك للحاكم: ٣ / ٣٣.
(٤) مناقب ابن شهرآشوب ٣: ١٢٣.
(٥) نهج البلاغة: ٥٠٢ ـ ٥٠٣ / ح ١٩٠.
(٦) في المصدر [لقوم].
(٧) في المصدر [وأقرب].
(٨) الهاشميات والعلويات: ٣٠و ٣٤.

وقال عليه السلام: وهو بصفين ـ رواه نصر في كتاب صفّين ـ:

ألم تَـرَ قـومي إذ دعـاهم أخـوهم أجـابوا وإن [أغضب][١] على القوم يغضبوا
هـم حـفظوا غـيبي كـما كـنت حـافظاً لقـومي أُخـرى مـثلها إذ تـغيّبوا
بـنو الحـرب لم تـقعد بـهم أُمّـهاتهم وآبـاؤهم آبـاء صـدق فـأنجبوا[٢]

وقال عليه السلام ـ كما في تذكرة الخواص ـ:

ذهب الوفـاء ذهـاب أمس الذاهب فـالناس بـين مـخاتل ومـوارب[٣]

حرف التاء

وقال عليه السلام: في بعض أيام صفّين حين ندب أصحابه. فانتدب له من بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، فتقدّمهم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يقول ـ رواه نصر في كتاب صفّين ـ:

دبـوا دبـيب النـمل لا تـفوتوا وأصـبحوا بـحربكم وبـيّتوا
حـتّى تـنالوا الثـأر أو تـموتوا أو لا فـإنّي طـالما عُـصيتُ
قـد قـلتم: لو جـئتنا فـجئت ليس لكـم مـا شـئتم وشـئتُ
بل ما يريد المحيُي المميتُ[٤]

وقال عليه السلام ـ في تذكرة الخواص ـ:

وكـم نـظرة قـادت إلى القـلب شـهوة فـأصبح مـنها القـلب فـي الهـلكات[٥]

---

(١) في المصدر [يغضب].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٦٠.
(٣) تذكرة الخواص: ١٧١.
(٤) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٣.
(٥) تذكرة الخواص: ١٧١.

حرف الجيم

في جواهر المطالب للباغندي ممّا يُنسب إليه عليه السلام:

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنّني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للشرّ بالشرّ مسرج
فمن شاء تقويمي فإنّي مقوم ... ومن شاء تعويجي فإنّي معوج[1]

حرف الدّال

وقال عليه السلام في مهاجرته من مكّة إلى المدينة حين أدركه الطلب وهم ثمانية فوارس فشدّ عليهم شدّة ضيغم وهو يقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد ... آليت ألاّ أعبد غير الواحد[2]

حرف الراء

قال عليه السلام ـ كما في الديوان حين برز إليه مرحب فقال ـ:

إنّا أُناس ولدتنا عبهره ... لباسنا الوشى وريط حبره
أبناء حرب ليس فينا غدره

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام:

أنا الذي سمّتني أُمّي حيدره
ضرغام آجام وليث قسوره

---

(١) جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٣٨.

(٢) الأمالي للطوسي: ٤٧١ / ح ١٠٣٣، مناقب ابن شهرآشوب ١: ١٨٤.

عبل الذراعين شديد القصره
كـــليث غـــابات كـــريه المـــنظره
أكـــيلكم بـــالسيف كـــيل الســـندره
أضـــــربكم ضـــرباً يـــبين الفـــقره
وأتـــــرك القـــــرن بـــقاع جـــزره
أضـــرب بـــالسّيف رقـــاب الكـــفره
ضـــــرب غـــلام مـــاجدٍ حـــزوره
مـــن يـــترك الحـــقّ يـقوم صـعّره[1]

وقال عليه السلام ـ أورده صاحب مجموعة الأمثال الشعرية ـ:

لئـــن ســـاءني دهـــر لقـــد سـرّني دهـــر ... وإنْ مَسَّـــني عُســـر فـقد مَسَّـــني يُســـر
لكـــلٍّ مـــن الأيـــام عـــندي عـــادة ... فـإن ســاءَني صبرٌ وإن سرَّني شُكـر[2]

قال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواصّ، والمرزباني فـي ديـوان شـعر أمير المؤمنين عليه السلام: «قال له رجل: قد عيل صبري فأعطني. قال: فأنشدك شيئاً أمْ أعطيك؟ فقال: كلامك أحبّ إليَّ من عطائك». فقال:

إنْ عـــضّك الدَّهـــر فـــانتظر فـرجـاً ... فـــإنّه نـــازل بـــمنتظره
أو مسّك الضّـــر أو [بـــليت][3] بـــه ... فـــاصبر عـــلى عُســـره وفـــي يُســـره
ربّ مـــعافى عـــلى تـــهوّره ... ومـــبتلى لا يـــنام مـــن حـــذره
وآمـــن فـــي عشـــاء ليـــلته ... دبَّ إليـــه البـــلاء فـــي ســـحره

(١) ديوان الإمام علي عليه السلام: ٢٨٤ و٢٨٦.
(٢) مجموعة الأمثال الشعرية، المصدر غير متوفّر لدينا، أوردها في ديوان الإمام علي: ٣٥٢.
(٣) في المصدر [ابتليت].

من مارس الدهر ذم صحبته ونال من صفوه ومن كدره[(١)]

وقال عليه السلام في ذمّ الناس: قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ: «رأيت في كتاب سرّ العالِمَين للغزالي ـ رحمه الله ـ نسبتها إليه عليه السلام»:

المرء في زمن الإقبال كالشجره وحولها الناس ما دامت بها الثمرة
حتّى إذا ما عرت من حملها انصرفوا عنها عقوقاً وقد كانوا بها برره
وحاولوا قطعها من بعد ما شفقوا دهراً عليها من الأرياح والغبره
قلّت مروّات أهل الأرض كلّهم إلّا الأقلّ فليس العشر من عشره
لا تحمدنّ أمراً حتّى تجرّبه فربّما لم يوافق خُبره خَبَره

وقال عليه السلام في القدر ـ أورده سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ ـ:

للناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل حينما رزقوا لكنّما رزقوها بالمقادير
لو كان عن قوّة أو عن [مغالبة][(٢)] طار البزاة بأرزاق العصافير[(٣)]

وقال عليه السلام يذكر مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة الغار ـ رواه الشيخ الطوسي في الأمالي عن عبدالله بن أبي رافع عنه عليه السلام، ورواه الحاكم في المستدرك بسنده، عن عليّ بن الحسين عليه السلام، عدا البيت الأخير مع بعض التغيير ـ:

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمّد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربّي ذوالجلال من المكر
وبتُّ أُراعيهم متى ينشرونني وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر

---

(١) تذكرة الخواص: ١٧٠ ـ ١٧١، ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ٢٤٦ و٢٤٨، وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) في المصدر [مغالطة].

(٣) تذكرة الخواص: ١٦٦.

وبـــات رســـول الله فـــي الغـــار آمـناً هناك وفـي حفظ الإله وفـي ستر
أقـــام ثـــلاثاً ثـــمّ زمّت قـــلائص قـلائص يفرين الحصى أينما تفري[١]

وقال عليه السلام ذكره جامع الديوان وصاحب جواهر المطالب:

دواؤك [فـــيك][٢] ومـــا تشـــعر وداؤك مـــنك ومـــا تـــبصر
و[تـــحسب][٣] أنّك جـــرم صـــغير وفـــيك انـــطوى العـــالم الأكـــبر[٤]

حرف الزاي

وقال عمرو بن عبد ودّ العامري يوم الخندق:

ولقـــد بـــححت مـــن النـــداء بـــجمعكم هـــل مـــن مـبارز
ووقـــفت إذ جـــبن الشـــجاع بـــموقف البـــطل المـــناجز
إنّـــي كـــذلك لم أزل مـــتسرّعاً نـــحو الهـــزاهـــز
إنّ الشـــجاعة والســـماحة فـــي الفـــتى خـــير الغـــرائـــز

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول ـ أورده خلق كثير ـ:

لا تـــعجلنّ فـــقد أتـــاك مُـــجيب صـــوتك غـــير عـــاجز
ذو نـــيّـــة وبـــصيـــرة والصـــدق مـــنجي كـلّ فـــائز
إنّـــي لأرجـــو أن أُقـــيم عـــليك نـــائحة الجـــنائز
مـــن ضـــربة نـــجلاء يـبقى ذكـرها عـــند الهـــزاهـــز[٥]

---

(١) الأمالي للطوسي: ٤٦٩ / ح ١٠٣١، والمستدرك للحاكم ٣: ٤.
(٢) في الجواهر [منك].
(٣) في الجواهر [تزعم].
(٤) ديوان الإمام علي عليه السلام: ٢٣٦، جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٣٦.
(٥) تفسير القمّي ٢: ١٨٣، وكنز الفوائد للكراجكي: ١٣٧، مكارم الأخلاق لابن أبي دنيا: ٦٨، بحار الأنوار ٣٩: ٥.

حرف العين

قال عليه السلام ـ ذكر ابن أبي الحديد أنّه من الشعر المنسوب إليه ـ:

إنَّ أخاك الحقّ مَن كان معك ... ومن يضرّ نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيك شمله ليجمعك[1]

حرف اللام

وقال عليه السلام في شكوى الزمان ـ أورده القاضي القضاعي في دستور معالم الحكم ـ:

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة ... وصاحبها حتّى الممات عليل
لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الممات قليل
وإنَّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ ... دليلٌ على أن لا يدوم خليل[2]

وقال عليه السلام يوم صفّين لرجل من أصحابه اسمه عبد العزيز بن الحارث أمره أن يذهب إلى جماعة من أصحابه اقتطعهم أهل الشّام، ويبلّغهم رسالته فأجاب ـ رواه نصر في كتاب صفّين ـ:

سمحت بأمرٍ لا يُطاق حفيظةً ... وصدقاً وإخوان الحفاظ قليلُ
جزاك إله الناس خيراً فقد وَفت ... يداك بفضل ما هناك جزيل[3]

وقال عليه السلام في بعض أيّام صفّين ـ أورده نصر ـ:

قد علمت ذات القرون الميل ... والحصر والأنامل الطفول

(١) شرح نهج البلاغة ١٨: ١١٣.

(٢) دستور معالم الحكم: ١٩٧ ـ ١٩٨، وفيه اختلاف باللفظ.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٣٠٨.

إنّـــي بـــنصل السّـــيف خـــنشليل أحـــــمي وأرمــــي أوّل الرعـــيل
بصارم ليس بذي فلول(١)

وقال عليه السلام ـ أورده صاحب جواهر المطالب، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواصّ ـ:

يـــمثّل ذواللّب فـــي نـــفسه مـــصائبه قـــبل أن تـــنزلا
فـــإن نـــزلت بـــغتة لم يـــرع لمـــا كـــان فـي نـفسه مـثلا
رأى الأمـــر يـــفضي إلى آخـــر فـــصيّـــر آخـــــره أوّلا
وذو الجـــهل يـــأمن أيّـــامه ويَـــنسى مـــصارع مـــن قـــد خـلا
فـــإنْ بـــدهته صـــروف الزمـــان بـــبعض مـــصائبه أعـــولا
ولو مـــثل الحـــزم فـــي نـــفسه لعـــــلمه الصـــبر عـــند البـــلا(٢)

وقال عليه السلام أورده صاحب جواهر المطالب فقال: ممّا أنشده الصولي للإمام عليّ عليه السلام سوى البيت الثالث فذكره جامع الديوان:

ألا فـــاصبر عـــلى الحـــدث الجـليل وداوجـــــواك بـــالصبر الجـــميل
ولا تـــجزع وإن أعســـرت يـــوما فـــقد أيســـرت فـــي الزمـــن الطـويل
ولا تـــيأس فـــإنّ اليـــأس كـــفر لعـــلّ الله يـــغني عـــن قـــليل
ولا تـــظننّ بـــربّك غـــير خـــير فـــإنّ الله أولى بـــالجميل
وإنّ العُســـــر يـــتبعه يســـار وقـــول الله أصـــدق كـــلّ قـــيل
فـــلو أنّ العـــقول تـــجر رزقـــاً لكـــان الرزق عـــند ذوي العـقول(٣)

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٠٧.
(٢) جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٣٧ ـ ١٣٨، وتذكرة الخواص: ١٦٩.
(٣) جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٣٤، وديوان الإمام عليّ عليه السلام: ٤٣٠ و٤٣٢.

حرف الميم

قال للحضين بن المنذر الرقاشي ـ أورده ابن العديم في تاريخ حلب مسنداً إليه عليه السلام، وأورده نصر في كتاب صفّين وغيرهما من الرّواة ـ :

لمن راية [سوداء][١] يخفق ظلّها إذا قيل: قدمها حضين تقدّما
[فيوردها][٢] في الصفّ حتّى [يزيرها][٣] [حياض][٤] المنايا تقطر الموت والدما
تراه إذا ما كان يوم عظيمة أبى فيه إلّا عزّة وتكرّما
جزى الله قوماً [قاتلوا][٥] في لقائهم لدى الموت قدما ما أعزّ وأكرما
وأحزم صبراً حين يُدعى إلى الوغى إذا كان أصوات [الرجال][٦] تغمغما
ربيعة أعني أنّهم أهل نجدة وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما[٧]

وقال عليّ عليه السلام بعد ما قتل حريثاً مولى معاوية، وبرز إليه عمرو بن حصين السكسكي فنادىٰ: يا أباحسن هلمّ إلى المبارزة، فأنشأ عليّ عليه السلام يقول ـ رواه نصر في كتاب صفّين ـ :

ما علّتي وأنا جلد حازم وعن يميني مذحج القماقم
وعن يساري وائل الخضارم والقلب حولي مضر الجماجم

---

(١) في وقعة صفّين لنصر بن مزاحم [حمراء].
(٢) في صفّين [ويدنو].
(٣) في صفّين [يديرها].
(٤) في وقعة صفّين [حمام].
(٥) في وقعة صفّين [صابروا].
(٦) في المصدر [الكماة].
(٧) بغية الطالب في تاريخ حلب ٦: ٢٨٣٤، وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٨٩، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٣٩٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٢٢٧.

وأقــبلت هــمدان فــي الحــضارم مشــي الجــمال البــزل الخــلاجم
أقســـــمت بـــالله العــليّ العــالم لا أنــثني إلّا بــرد [الراغــم][١][٢]

وقال عليه السلام بعد رجوعه من أُحد وقد خضب الدّم يده إلى كتفه، ومعه ذوالفقار فناوله فاطمة عليها السلام، وقال: خُذي هذا السَّيف فقد صدقني اليوم. وأنشأ يقول ـ رواه المفيد في الإرشاد ـ:

أفــاطم هــاك السّــيف غير ذميم فــلست بــرعديد ولا بــمليم
لعمري لقد أُعذرت في نصر أحمد وطــاعة ربٍّ بــالعباد عــليم
أمــيطي دمــاء القــوم عــنه فإنّه سقى آل عبد الدّار كأس حميم[٣]

وأورد الطبري في تاريخه هذه الأبيات هكذا:

أفــاطم هــاك السّــيف غير ذميم فــلست بــرعديد ولا بــمليم
لعمري لقد قاتلت في حبّ أحمد وطــاعة ربٍّ بــالعباد رحــيم
وســيفي بكــفّي كــالشّهاب أهــزه أجــذ بــه مــن عــاتق وصــميم
فما زلت حتّى فض ربي جموعهم وحــتّى شــفينا نفس كلّ حليم[٤]

وقال عليه السلام لمّا كتب معاوية في سهم ورماه في عسكر عليّ عليه السلام يوم صفّين: «إنَّ معاوية يُريد أن يفجر عليكم الفرات». فخاف أهل العراق وارتحلوا ونهاهم عليّ عليه السلام فلم يقبلوا:

لو أنّــي أطــعت عــصبت قــومي إلى ركــن اليــمامة أوشــآم

(١) في المصدر [برغم].
(٢) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
(٣) الإرشاد ١: ٩٠.
(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٢: ٢١١.

ولكـــنّي إذا أبـــرمت أمـــراً مـــنيت بـــخلف آراء الطـــغام(١)

وقال عليه السلام يوم صفّين وقد بالغت في نصره همدان ذلك اليوم ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ـ : وهو من الشعر الذي لا يشك أنَّ قائله علي عليه السلام لكثرة الرواة له، أقول: ولكن الروايات فيه مختلفة زيادة ونقيصة فننقله مقتبساً من مجموعها ـ :

لمـــا رأيت الخـيل تـقرع بـالقنا فـوارسـها حـمر العيون دوامـي
وأقـبل رهـج فـي السـماء كـأنّه غـمامة دجـن مـلبس بـقتامِ
ونـادى ابـن هـند ذا الكـلاع ويحصبا وكـندة فـي لخـم وحـي جـذام
تـيممت هـمدان الذيـن هـم إذا نـاب أمـر جُـنتي وحسـامي
دعـوت فـلباني مـن القـوم عـصبة فـوارس مـن هـمدان غـير لئام
فـوارس مـن هـمدان ليسـوا بـعزل غـداة الوغـى مـن شـاكـر وشـبام
ومـن أرحب الشـم المـطاعين بـالقنا وفـهم وأحـياء السـبيع وسـام
ومـن كـلّ حـي قـد أتـتني فـوارس ذوو نـجدات فـي اللـقاء كـرام
بكـل رديـني وعـضب تـخاله إذا اخـتلف الأقـوام شـعل ضـرام
لهـمدان أخـلاق وديـن بـزينهم وبـأس إذا لاقـوا وجـد خـصام(٢)

قال نصر: وفي حديث عمر بن سعد :

وجد وصدق في الحروب ونجدة وقـول إذا قـالوا بـغير أثـام
متى تأتهم في دارهم تستضيفهم تـبت ناعماً في خدمة وطعام(٣)

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٩٠ ـ ١٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٨ ـ ١٩، وبحار الأنوار ٣٣: ٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٧/٥ .

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧٤.

يـــــقودهم حـــــامي الحـــقيقة منهم سـعيد بن قيس والكـريم محامي
جَــزى الله هــمدان الجـنان فـإنها ســمام العـدى فـي كـلّ يـوم زحـام
فــلو كـنت بـوّاباً عـلى بـاب جـنة لقــلت لهــمدان ادخــلوا بسـلام[١]

وقال عليه السلام في قتله عمرو بن عبد ودّ ـ وأورده ابن شهرآشوب في المناقب عن أمالي النيسابوري ـ:

يـــا عـمرو قـد لاقـيت فـارس بـهمّة عـــند اللـــقاء مـعاود الأقـــدام
يـــدعو إلى ديــن الإله ونــصره وإلى الهـدى وشــرائــع الإســلام

ـ إلى قوله ـ:

شــهدت قـــريش والبــراجـم كـلّها أن ليس فــيها مــن يـقوم مـقامي[٢]

وأوردها جامع الديوان وزاد بعد الأوّل:

مـــن آل هــاشم مــن ســناء بـاهر ومـــهذبين مــتوّجين كـــرام

ـ وبعد الثاني ـ:

بـــمهند عـــضب رقـيق حـــدّه ذي رونــق يــفري الفـــقار حســام
ومـــحمّد فــــينا كـــأن جـــبينه شـــمس تــجلّت مــن خــلال غــمام
والله نـــاصر ديـــنه ونــبيّه ومـــعين كـــلّ مــوحّد مــقدام[٣]

وقال عليه السلام لمّا قتل عمرو بن عبد ودّ ـ أورده المرتضى في الفصول المختارة من المجالس والعيون والمحاسن للمفيد، وأورده ابن شهرآشوب في المناقب ـ:

---

(١) ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ٥٧٠ ـ ٥٧٤، بحار الأنوار ٣٢: ٤٩٧ ـ ٤٩٨، وفيهما الأبيات كاملة، وفي وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٧٤، وتاريخ مدينة دمشق ٤٥: ٤٨٧، وغيرهم من الرواة بتفاوت واختصار.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٦.

(٣) ديوان الإمام عليّ عليه السلام: ٥٥٤.

ضـــربته بـــالسيف فـــوق الهـــامه   بـــــضربة صـــــارمة هـــدّامـــه
أنـــا عـــليّ صـــاحب الصـــمصامه   وصـــاحب الحـــوض لدى القـــيامه
أخـــــو رســـــول الله ذي العـــلامه   قـــــد قـــال إذ عـــممني عـــمامه
أنت الذي بعدي له الإمامة(١)

وقال عليه السلام ـ أورده ابن الصباغ في الفصول المهمة ـ:

عش مُـــــوسراً إن شـــئت أومُـــعسرا   لابـــــدّ فـــي الدنـــيا مـــن الغـــمّ
دنـــــياك بـــــالأحزان مـــــقرونة   لا تـــــقطع الدنـــــيا بـــــلاهمّ

وقال عليه السلام ـ أورده ابن الصباغ في الفصول المهمّة أيضاً ـ:

حـــــلاوة دنـــــياك مســـــمومة   فـــــلا تـــأكـــلّ الشـــهد إلّا بســـمّ
مـــحامدك اليـــــوم مـــذمومة   فـــــلا تكسب الحـــــمد إلا بـــذمّ
إذا تـــــم أمـــــر بـــــدا نـــقصه   تـــــوقّ زوالا إذا قـــــيل تـــمّ
إذا كـــــنت فـــــي نـــعمة فـــارعها   فـــإنّ المـــعاصي تـــزيل النـــعم
وداوم عـــــليها بشكـــــر الإله   فـــإنّ الإله ســـريع النـــقم
فـــإنْ تُـــعْطِ نـــفسك آمـــالها   فـــعند مـــناها يـــحل النـــدم(٢)

وقال عليه السلام كما في تذكرة الخواص:

لا تكـــره المكـــروه عـــند حـــلوله   إنّ العـــــواقب لم تـــــزل مـــتباينه
كـــم مـــن يـــد لا تستقل لشكـــرها   لله فـــي طـــي المكـــاره كـــامنه(٣)

وقال عليه السلام كما في الفائق للزمخشري: «أنّ سعد بن أبي وقاص قال: رأيت علياً يوم بدر وهو يقول»:

---

(١) الفصول المختارة: ٢٨٩، المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٣٥.
(٢) الفصول المهمّة: ١١٣.
(٣) تذكرة الخواص: ١٧١.

بـــازل عـــامين حـــديث ســـني ســـنحنح اللـــيل كـــأنّي جـــنّي
لمــــثل هـــــذا ولدتـــني أُمّـــي مـــا تـــنقم الحـــرب العـــوان مـــنّي

قال ويروى: «سمعمع كأنّني من جنّ»(١).

وقال عليه السلام في القدر ـ أورده سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ـ:

مـا لا يكـون فـلا يكـون بـحيلة أبداً ومـــا هـــو كـــائن ســيكون
ســيكون مـا هـو كـائن فـي وقـته وأخـــو الجـــهالة مـتعب مـحزون
يسـعى القـوي فـلا يـنال بسعيه حظّاً ويـــدرك عـــاجز مـــوهون

وقال عليه السلام ـ أورده سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ـ:

هـــذا زمـــان ليس إخـــوانـــه يـــا أيّـــها المـــرء بـــإخوان
إخـــوانـــه كـــلّهم ظـــالم لـــه لســـانـــان ووجـــهان
يـــلقاك بـــالبشروفي قـــلبه داء يـــواريـــه بكـــتمان
حـــتّى إذا مـــا غـــبت عـــن عـــينه رمـــاك بـــالزور وبـــهتان
هـــذا زمـــان هكـــذا أهـــله تـــعزّ عـــن رؤيـــة إنســـان(٢)

وقال عليه السلام في ذمّ الدنيا ـ أورده سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ـ:

دنـــيا تـــجول بـــأهلهافي كلّ يوم مرّتين فغدوّها لتجمّع ورواحها لشتات بين(٣)

حرف الواو

قال عليه السلام ـ أورده سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ـ:

ولربّـــما نـــطق الفـــتى فـــتنافست فـــيه العـــيون وإنّـــه لمـــموه

(١) الفائق في غريب الحديث ١: ٩٥ (مادة بزو).

(٢) تذكرة الخواص: ١٧٠.

(٣) المصدر السابق: ١٦٥.

ولربّـما سكت الفـتى عـن خـصمه ... حـذر الجـواب وإنّـه لمـفوه
ولربـما صـبر الفـتى عـند الأذى ... وفـؤاده مـن حـرّه يـتأوه[1]

شيء من مدائحه

ما من شخصية في العالم شغلت الشعر بمثل ما شغلته شخصية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقد وجد شعراء العصور في شخصيته من المناقب أعظم ما يثير شاعريّاتهم ويحرّك عواطفهم ويلهم أقلامهم ، ولا بدع فإنّ سيرته المثلى وما انطوى عليه من ألمعيات وأريحيّات وبطولات ، وما مُنِيَ به من ظلم واهتضام وحرمان ، وما اجتمع على حربه من لؤم وعقوق وفجور ،كلّ ذلك جعل منه لدى المنصفين المخلصين أروع صورة إنسانية توحي الشعر وتلهم النثر.

والنفوس التي لم تُدنّسها الأغراض والأهواء ولم يُلوّثها التقليد والتعصب، والنفوس البريئة لابدّ أن تهيم أبداً بشخصية على بن أبي طالب .

وليس مستطاعاً إحصاء ما نظمه الشعراء على كل العصور تغنّياً به ورثاء له بجميع اللغات الإسلامية من عربية، وفارسية وتركية واوردية ، وإننا لنأخذ لهذا الجزء هذه القصائد التالية نماذج لغيرها .

ولابدّ من الإشارة الى أمر خطير في تأريخ الأدب العربي أهمل ذكره أو لم ينتبه له مؤرخو هذا الأدب ، ذلك إن الشعراء الذين نظموا في عليّ بن أبي طالب قد أوجدوا الى حد ما الملحمة العربية التي يفتقدها مؤرّخو الأدب فلا يجدونها في حين ان نواتها على الاقل موجودة في الشعر العلوي .

(١) تذكرة الخواص: ١٦٩.

قصيدة السيد الحميري المتوفّى سنة (١٧٣ هـ)

ولقد حلفت وقلت قولاً صادقا ... بالله لم آثم ولم أتريب
لمعاشر غلب الشقاء عليهم ... وهوى آمالهم لأمر متعب
من حمير أهل السماحة والندىٰ ... وقريش الغرّ الكرام وتغلب
أين التطرب بالولاء وبالهوىٰ ... ألى الكواذب من بروق الخلب
ألى أُمية أم الى شيع التي ... جاءت على الجمل الخدب الشوقب(١)
تهوي من البلد الحرام فنبهت ... بعد الهدو كلاب أهل الحوأب
يحدوالزبير بها وطلحة عسكراً ... يا للرجال لرأي أم مشجب(٢)
يا للرجال لرأي أم قادها ... ذئبان يكتنفانها في أذؤب
ذئبان قادهما الشقاء وقادها ... للحين فاقتحما بها في منشب(٣)
في ورطة لحجا بها فتحملت ... منها على قتب بإثم محقب(٤)
أم تدب الى ابنها ووليها ... بالمؤذيات له دبيب العقرب
أما الزبير فحاص حين بدت له ... جأواء تبرق في الحديد الأشهب(٥)

---

(١) الخِدَب: بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء وهو الضخم و(الشوقب): الطويل.

(٢) مشجب: مهلك.

(٣) الحين: بفتح الحاء الهلاك (والمنشب) من نشب في الشيء إذا دخل فيه وعلق به كما ينشب الصيد في الحبال.

(٤) الورطة: الهلكة (ولحجابها) كعلما أي نشبا بها (ومحقب) بوزن اسم المفعول من قولهم إحتقب الذنب وأصل الاحتقاب وضع الشيء في الحقيبة وهي وعاء من جلد.

(٥) حاص: بالحاء والصاد المهملتين عدل وحاء أو حام ويروى جاض بالجيم والضاد المعجمة أي حاد وعدل (والجأواء) الكتيبة التي يضرب لونها الى السواد من صدأ الحديد (والأشهب) الأبيض يتخلله سواد.

حـــتى إذا أمـــن الحــتوف وتــحته — عــاري النـواهـق ذونجاء مـلهب[١]
أُثـــوى ابــن جــرموز عــمير شــلوه — فــي القــاع مــنعفرا كشـلو التـولب[٢]
واغـــترّ طــلحة عــند مــختلف القــنا — عــبل الذراع شـديد أصـل المـنكب[٣]
فـــــاختلّ حـــبّة قـــلبه بـــمذلق — ريـــان مــن دم جــوفه المـتصبب[٤]
فـــي مــارقين مــن الجــماعة فــارقوا — بــاب الهـدى وحـيا الربـيع المـخصب
خـــير البــــرية بــعد أحــمد مــن له — مـــني الهـــوى والى بـــنيه تــطربي
أمســـى وأصـــبح مــعصماً مــني له — بــهوى وحـبل ولايــة لم يـقصب[٥]
ونـــــصيحة خــــلص الصـــفاء له — بــها مــني وشـاهد نـصرة لم يـعزب
ولقـــد ســـرى فــيما يســير بــليلة — بـــعد العشـاء بكـربلا فـي مـوكب
حـــتى أتـــى مـــتبتلاً فـــي قــائم — ألقـــى قـــواعـده بـقاع مـجدب[٦]
بـــانيه ليس بـــحيث يــلقىٰ عــامراً — غـير الوحـوش وغـير أصـلع أشـيب[٧]

(١) النواهق: العظمان الشاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع أي عاري النواهق مـن اللـحم ويـحمد فـي الفرس أن يكون قليل لحم الخدين (والنجاء) الاسراع (وملهب) بصيغة اسم الفاعل سريع العدو.

(٢) الشلو: العضو من اللحم (والتولب) الجحش.

(٣) اغتره: طلب غرته.

(٤) اختل: بالخاء المعجمة أي شدخل في خلل قلبه.

(٥) معصماً: متمسكاً (ويقصب) بالصاد المهملة أي لم يقطع وفي نسخة لم يـقضب بـالضاد المـعجمة وهـو بمعناه.

(٦) أراد بالمتبتل: الراهب وسمي متبتلاً لقطعه نـفسه عـن النـاس مـن البـتل وهـو القـطع (والقـائم) صـومعة الراهب. وهذا البيت ومابعده الى ١٣ بيتاً إشارة الى ما روي مما حاصله أنه لما سار أميرالمؤمنين عليه السلام الى حرب صفين أخذ طريق البر وترك الفرات وأصاب أصحابه عطش شديد فلاح لهم دير فهتف به فاشرف من صومعته فقال: هل قرب قائمك من ماء؟ قال بيني وبين الماء أكثر من فـرسخين، فـسار قـليلاً ونـزل بموضع فيه رمل وأشار الى مكان فكشفوه فاصابوا تحته صخره بيضاء عظيمة تـلمه فـأمرهم بـقلعها فـلم يقدروا فاقتلعها بيده ونحاها فإذا تحتها ماء فشرب الناس وارتووا وحملوا منه... (الحديث).

(٧) رواه السيد المرتضى (تأتيه ليس بحيث تلقى عامراً) وفي نسخة (يأتيه ليس بـحيث يـلقى عـامراً) وفـي ←

فــــــي مـــــدمج زلق أشـــم كـــأنّه حـلقوم أبـيض ضـيق مستصعب[١]
فـــدنا فـــصاح بـه فـأشرف مـاثلاً كـالنسر فـوق شظية مـن مـرقب[٢]
هـــل قـــرب قـائمك الذي بـوأتـه مـاء يـصاب فقال ما مـن مشـرب[٣]
إلّا بـــغاية فـــرسخين ومـــن لنـا بـالماء بـين نـقي وقـيّ سـبسب[٤]
فـــثنى الأعـنة نـحو وعث فـأجتلى مـلساء تـبرق كـاللجين المـذهب[٥]
قـــال أقـــلبوها إنكــم إنْ تــقلبوا تـــرووا ولا تـــروون إنْ لم تــقلب

← نسخة عامر بالرفع فيلقى يمكن أن يقرأ بالبناء للفاعل وعامراً مفعول أو بالبناء للمفعول وعامر بالرفع نائب فاعل ـ ويمكن أن يقرأ يلفى أو يلفي بالفاء ـ والمراد بالأصلع الأشيب الراهب.

(١) في مدمج بدل من قوله في قائم (والمدمج) قال السيد في الشرح هو الشيء المستور قال دمج الرجل ودمج بتشديد الميم إذا دخل في شيء فاستتر به وصومعة الراهب تستر من دخل فيها لا محالة... الخ.
أقول: الأولى أن يقرا مدمج اسم مفعول. في الصحاح دمج الشيء دموجاً إذا دخل في الشيء واستحكم فيه والتأم. وفي تاج العروس عن الأزهري صلح دماج تام محكم قوي وفي التاج أيضاً أدمجت الماشطة ضفائر المرأة ادرجتها وملستها وادمج الحبل اجاد فتله وقيل أحكم فتله في رقة ورجل مدمج ومندمج مداخل كالحبل المحكم الفتل ونسوة مدمجات الخلق كالحبل المدمج... الخ. فيكون وصف بناء الصومعة بأنه مدمج إما لأنه قد دخل بعضه في بعض واستحكم والتأم وقوي ولأنه كالحبل المداخل المحكم الفتل وهو راجع الى الأوّل أو لأنه مدرج مملس كالضفيرة ولعل هذا هو الأنسب بقوله زلق (والزلق) الذي لا تثبت عليه قدم (والأشم) الطويل المشرف (الأبيض) قال السيد هو هاهنا الطائر الكبير من طيور الماء والعرب تسمي الكبير من طيور الماء أبيض وتشبيه الصومعة الطويلة بحلقوم طائر الماء من أوقع التشبيه... الخ. (وضيق مستصعب) صفتان لمدمج وفي نسخة متصعب.

(٢) المائل: المنتصب. وشبه الراهب بالنسر لعلو سنه (والشظية) قطعه من الجبل منفردة (والمرقب) المكان العالي.

(٣) بوئته: اسكنته.

(٤) النقا: قطعة من الرمل محدودبة (والقي) بكسر القاف وتشديد الباء في القاموس قفر الأرض وفي شرح السيد المرتضى الصحراء الواسعة ويوجد في بعض النسخ الصخرة الواسعة وهو تصحيف (والسبب) الأرض القفر.

(٥) الوعث: المكان اللين الذي لا يسلك لأن الاخفاف تغيب فيه ومن الرمل كل لين سهل (واجتلى) أي نظر الى صخرة ملساء وانجلت لعينه (واللجين) الفضة.

فأعصوصبوا في قلعها[١] فتمنعت | منهم تمنع صعبة لم تركب[٢]
حتى إذا أعيتهم أهوى[٣] لها | كفاً متى ترد المغالب تغلب[٤]
فكأنّها كرة بكف حزور | عبل الذراع دحا بها في ملعب[٥]
فسقاهم من تحتها متسلسلاً | عذباً يزيد على الألذ[٦] الأعذب[٧]
حتى إذا شربوا جميعاً ردّها | ومضى فخلت مكانها لم يقرب
أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل | في فضله وفعاله لم يكذب
ليست ببالغة عشير عشير ما | قد كان أعطيه مقالة مطنب
صهر النبيّ[٨] وجاره في مسجد | طهر بطيبة[٩] للرسول مطيب[١٠]
سيّان فيه عليه غير مذمم | ممشاه إن جنباً وإن لم يجنب[١١]
وسرىٰ بمكة حين بات مبيته | ومضى بروعة خائف مترقب[١٢]

(١) في المصدر [قلبها].
(٢) اعصوصبوا: اجتمعوا وصاروا عصبة واحدة.
(٣) في المصدر [أهدىٰ].
(٤) في نسخة متى ترمي المغالب تغلب وفي نسخة متى يوماً تغالب تغلب.
(٥) الحزوز: الغلام القوي (والعبل) الغليظ الممتلىء.
(٦) في المصدر [الزلال].
(٧) المتسلسل: السلس في الحلق ويقال أنه البارد أيضاً.
(٨) في المصدر [الرسول].
(٩) في المصدر [يطهره الرسول].
(١٠) أراد بالمسجد مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله بالمدينة وهي طيبة (ومطيب) أي طاهر كقوله تعالى: ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ ويحتمل أن يكون المراد أنه مضمخ بالطيب.
(١١) إشارة الى ما روي من أنّ الله تعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسد جميع الأبواب النافذة الى المسجد إلّا بابه صلى الله عليه وآله وباب علي عليه السلام ومنع أحداً أن يمر في المسجد جنباً غيرهما.
(١٢) سرى سار ليلاً وفاعل سرى ومضى خير البرية في البيت الذي بعده وفاعل بات راجع الى عليّ عليه السلام
←

خـــير البـــرية هـــارباً مـــن شـرّها بـــالليل مكـــتتماً ولم يســتصحب[١]
بـــاتوا وبـات عـلى الفـراش مـلفعاً فـــيرون أنّ مـــحمّداً لم يـذهب[٢]
حـــتى إذا طـــلع الشـــميط كـــأنه في الليل صفحة خد، أدهم مغرب[٣]
ثـاروا لأخذ أخي الفراش فصادفت غـــير الذي طـــلبت أكـف الخـيب
فـــوقاه بـــادرة الحـــتوف بـنفسه حـــذراً عـــليه مـــن العـدوالمـجلب
حـــتى تـغيب عـنهم فـي مـدخل صـــلّى الإلـــه عـــليه مـــن مـتغيّب
وجـــزاه خـــير جـــزاء مـــرسل أُمـــة أدّى رســـالته ولم يـــتهيّب
فـــتراجـــعوا لمّـــا رأوه وعـــاينوا أســـد الإله وعـصبوا فـي مـنهب[٤]
قـــالوا اطـلبوه فـوجهوا مـن راكب فـــي مـــبتغاه وطـــالب لم يـركب
حـــتى إذا قـــصدوا لبـــاب مـغاره ألفـــوا عـــليه نسـيج غـزل العـنكب
صـــــنع الإله له فـــقال فـــريقهم مـا فـي المـغار لطـالب مـن مطلب

← و(مبيته) أي الموضع الي كان يبيت فيه النبيﷺ وهذا إشارة الى مبيت عليعليه السلام على فراش الرسولﷺ ليلة الغار (والروعة) الخوف (والترقب) الانتظار.

(١) أي عند خروجه من داره لأنه كان قد أمر صاحبه وهند بن أبي هالة أن يقعدا له بمكان ذكره لهما في طريقه الى الغار.

(٢) ملفعاً: أي مغطى.

(٣) الشميط: الصبح لاختلاط بياضه بباقي ظلمة الليل وكل خليطين فهما شميط (وادهم) أي فرس أدهم (ومغرب) بالغين المعجمة وضم الميم وفتح الراء قال السيد في الشرح الفرس المغرب هو الذي أبيضت أشفار عينيه... الخ. وفي الصحاح المغرب ما أبيض أشفاره من كل شيء وفي تاج العروس المغرب من الخيل التي تتسع غرته في وجهه حتى تجاوز عينيه... الخ. فوجه التشبيه اختلاط سواده ببياضه وفي بعض النسخ معرب بالعين المهملة وهو تصحيف لأن المعرب من الخيل الذي ليس فيه عرق هجين ويقال اعرب الفرس فهو معرب إذا صهل فبان عنقه وسلامته من الهجنة وذلك لا يناسب المقام.

(٤) وعصبوا هكذا في بعض النسخ ومعناه غير ظاهر وفي نسخة (وغيظوا) ولا يظهر له أيضاً معنى يناسب وفي نسخة (مجالدا) ومعناه ظاهر (ومنهب) يمكن أني كون من النهب ضرب من الركض نصّ عليه اللحياني أي تراجعوا في مركض أي راكضين.

ميلوا وصدهم المليك ومن يرد	عنه الدفاع مليكه لا يعطب
حتى إذا أمن العيون رمت به	خوص الركاب إلى مدينة يثرب[١]
فاحتلّ دار كرامة في معشر	آووه في سعة المحل الأرحب
وله بخيبر إذ دعاه لراية	ردّت عليه هناك أكرم منقب
إذ جاء حاملها فأقبل متعباً	يهوي[٢] بها العدوي أو كالمتعب
يهوي بها وفتى اليهود يشلّه	كالثور ولّى من لواحق أكلب
غضب النبيّ لها فأنبه بها	ودعا أخا ثقة لكهل منجب[٣]
رجلاً كلا طرفيه من سام وماحام	له بباب ولا بأبي أب[٤]
مَن لا يفرّ ولا يرى في نجدة	إلّا وصارمه خضيب المضرب[٥]
فمشى بها قبل اليهود مصمماً	يرجو الشهادة لا كمشي الأنكب[٦]
تهتزّ في يمنى يدي متعرض	للموت أروع في الكريهة محرب[٧]
في فيلق فيه السوابغ والقنا	والبيض تلمع كالحريق الملهب
والمشرفية في الأكف كأنّها	لمع البروق بعارض متحلب

(١) في القاموس الخوص: محركة غؤر العين خوص كفرح فهو اخوص... الخ. والخوص هنا جمع خوصاء كحمر وحمراء (والركاب) الابل وتخصيص خوص الركاب بالذكر كأنه لبيان أنها لشدة سيرها غارت عيونها.

(٢) في المصدر [يهودي].

(٣) أراد بالكهل المنجب: أبا طالب والد أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) قال السيد في الشرح يروي أجلى والأجلى الذي انحسر شعر رأسه حتى بلغ النصف و(سام) والد البيضان و(حام) والد السودان.

(٥) النجدة القتال وشدة البأس.

(٦) الأنكب: المنحرف.

(٧) المحرب: كمنبر الحسن البلاء في الحرب.

وذووالبصائر فوق كل مقلص نهد المراكل ذي سبيب سلهب(١)
حتى إذا دنت الأسنّة منهم ورموا فنالهم سهام المقنب(٢)
شدّوا عليه ليرجلوه فردّهم عنه بأسمر مستقيم الثعلب(٣)
ومضى فأقبل مرحب متذمراً بالسيف يخطر كالهزبر المغضب(٤)
فتخالسا مهج النفوس فاقلعا عن جري أحمر سائل من مرحب
فهوى بمختلف القنا متجدلاً ودم الجبين بخده المترب(٥)
أجلى فوارسه وأجلى رجله عن مقعص بدمائه متخضب(٦)
فكأن زوره العواكف حوله من بين خامعة ونسر أهدب(٧)
شعث لعامظة دعوا لوليمة أو يأسرون تخالسوا في منهب(٨)

---

(١) المقلص بوزن اسم الفاعل قال السيد مأخوذ من التشمير في الثياب وغيرها ووصف الفرس بذلك لتشمر لحمه وارتفاعه عن قوائمه (ونهد المراكل) أي كثير لحم المراكل وهي مواضع ركل الفارس برجله يصف جسمه بالحسن والتمام. (والسبيب) والسبيبة خصل شعر الناصية وجمعها سبائب (والسلهب) الطويل.

(٢) قال السيد: المقنب: كمنبر جماعة الخيل إذا غارت وليست بالكثيرة.

(٣) ليرجلوه بالراء والجيم أي ليحطوه عن فرسه ويجعلوه راجلاً ويروى ليزحلوه بالزاي والحاء المهملة أي لينحوه (والأسمر) الرمح (والثعلب) طرف الرمح الداخل في السنان ويسمى مدخل الرمح من السنان جبة السنان.

(٤) متذمراً قال السيد يحتمل أن يكون من الذمر وهو الشجاع المنكر كأنه قال أقبل متشجعاً مقدماً متهجماً وأن يكون من الحث يقال ذمرته إذا حثثته كأنه قال أقبل حاثا لنفسه... الخ. ويحتمل أن يكون من قولهم ذمر الأسد أي زأر (ويخطر) من قولهم خطر البعير إذا مشى فضرب بذنبه يميناً وشمالاً (والهزبر) الأسد.

(٥) مختلف القنا الموضع الذي تختلف فيه جهات الطعن (ومتجدلاً) ملقى على الجدالة وهي الأرض السهلة.

(٦) أجلى انكشف (وفوارسه ورجله) أي الفرسان والرجالة (والمقعص) المقتول والقعص القتل يقال ضربه فاقعصه ومات قعصاً إذا اصابته ضربة أو رمية فمات في مكانه.

(٧) العواكف من العكوف وهو طول المقام (والخامعة) الضبع لأنها تتخمع في مشيها فتمشي كأن بها عرجاً والخمع والخماع العرج (والأهدب) كثير أشفار العين قال السيد إنما وصفه بأنه أهدب لسبوغ ريشه ولحوقه بالأرض... الخ. يعني أنه استعار كثرة الأشفار لكثرة الريش.

(٨) شعث جمع أشعث وهو البعيد العهد بالدهن (ولعامظة) باللام والعين المهمله والميم والظاء المعجمة جمع ←

فــاسأل فــإنّك ســوف تــخبر عــنهم — وعــن ابــن فـاطمة الأغـرّ الأغـلب(١)
وعـــن ابـــن عــبد الله عــمرو قـبله — وعــن الوليـد وعـن أبيه الصـقعب(٢)
وبــني قــريضة يــوم فــرق جــمعهم — مــن هــاربين ومــا لهــم مـن مـهرب
ومــــوائـــلين الى أزل مـــمنع — راســي القــواعـد مشـمخر حـوشب(٣)
ردّ الخـــيول عـــليهم فـــتحصنوا — مــن بــعد أرعــن جـحفل مـتحزب(٤)
إنّ الضـــباع مـــتى تـــحس بـــنبأة — من صوت أشوس تـقشعر وتـهرب(٥)
فــدعوا ليـمضي حكــم أحــمد فـيهم — حكـم العـزيز عـلى الذليـل المـذنب(٦)
فـــرضوا بــآخر كــان أقــرب مـنهم — داراً فـــمتوا بـــالجوار الأقـــرب(٧)

← لعموظ كعصفور وهو النهم الشره (والياسرون) جمع ياسر وهو في الأصل الجزار الذي يلي قسمة الجزور ثم استعمل في الضارب بالقداح والمقامر على الجزور وهو المراد هنا (وتخالسوا) خلس بعضهم بعضاً أي أخذه خلسة وغفلة وذلك شأن المتقامرين (والمنهب) موضع النهب والسلب.

(١) ابن فاطمة هو أميرالمؤمنين عليه السلام لأنه أُمّه فاطمة بنت أسد (والأغـر) قـال السيد هـو ذو الغـرة البـيضاء ويوصف بذلك الكريم النجيب (والأغلب) قال السيد الأفعل من الغلبة وهو أشبه هاهنا بالمعنى من أن يريد به القصير العنق الغليظها لأن الغلباء من الأعناق القصيرة الغليظة.

(٢) ابن عبد الله عمرو وهو ابن عبدود وسماء ابن عبدالله نظراً الى الحقيقة (والوليد) هو ابن عتبة بن ربيعة قتله عليّ عليه السلام يوم بدر وشرك مع عمّه حمزة في قتل عتبة (والصقعب) الطويل من الرجال.

(٣) موائلين: لاجئين (والأزل) الذي تزل به الأقدام لطوله ووعورة طرقه وهو حصنهم. (والمشمخر) العـالي (والحوشب) بالحاء المهملة والشين المعجمة العظيم الجنبين.

(٤) في لسان العرب الرعن أنف يتقدم الجبل والجمع رعان ومنه قيل للجيش العظيم ارعن وجيش ارعن له فضول كرعان الجبال وقيل هو المضطرب لكثرته (والجحفل) الجيش الكثير الوافر (ومتحزب) بالزاي قال السيد مشتق من الحزب وهو الجماعة من الناس والجمع أحـزاب... الخ. وفـي نسـخة مـتحرب بـالراء أي غضبان يقال حربته بالتشديد أي حملته على الغضب. وقوله من بعد ارعن متعلق بتحصنوا أي بعدما جاءهم الجيش الأرعن المتحزب دخلوا حصنهم وتحصّنوا به من الجيش.

(٥) النبأة: الصوت (والأشوس) الرافع رأسه تكبراً وأراد به هنا الأسد (تقشعر) ترجف.

(٦) الذليل إذا كان مذنباً كان ذلك أشد لخضوعه وخشوعه.

(٧) المت في النسب أن تصل نفسك بغيرك. ولما حوصروا وضاق ذرعهم دعاهم النبي صلى الله عليه وآله ليـنزلوا عـلى ←

قالوا الجوار من الكريم بمنزل ... يجري لديه كنسبة المتنسب
فقضى بما رضي الإله لهم به ... بالحرب والقتل الملح المخرب[١]
قتل الكهول وكلّ أمرد منهم ... وسبى عقائل بدّناً كالربرب[٢]
وقضى عقارهم لكل مهاجر ... دون الأُلى نصروا ولم يتهيّب
وبخم إذ قال الإله بعزمة ... قم يا محمّد بالولاية فاخطب
وأنصب أبا حسن لقومك ... إنّه هاد وما بلّغت إنْ لم تنصب
فدعاه ثم دعاهم فأقامه ... لهم فبين مصدّق ومكذّب
جعل الولاية بعده لمهذّب ... ما كان يجعلها لغير مهذّب
وله[٣] مناقب لا ترام متى يرد ... ساع تناول بعضها يتذبذب[٤]
إنّا[٥] ندين بحبّ آل محمّد ... ديناً ومن يحببهم يستوجب
منّا المودّة والولاء ومن يرد ... بدلاً بآل محمّد لا يحبب
وكأن قلبي حين يذكر أحمداً ... ووصي أحمد نيط من ذي مخلب
بذرى القوادم من جناح مصعد ... في الجو أو بذرى جناح مصوب[٦]

← حكمه فأبوا ورضوا بحكم سعد بن معاذ لأنّه كان جاراً لهم فظنّوا أنه يحكم بما يوافقهم فحكم بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم وقسمة أموالهم بين المهاجرين.

(١) المُلِح: المستمر (والمخرب) بالخاء المعجمة فانه إذا استمر عليهم القتل أخلى ديارهم وأخربها.

(٢) العقائل جمع عقيلة وهي الكريمة من النساء (والبدن) جمع بادن يقال للمذكر والمؤنث وهي الوافرة لحم الجسم (والربرب) جماعة بقر الوحش ماكان دون العشرة.

(٣) في المصدر [هذي].

(٤) التذبذب الاضطراب والتردد والتحير.

(٥) في المصدر [ندين].

(٦) الذرى جمع ذروة وذروة كل شيء أعلاه (والقوادم) جمع قادمة وهن أربع ريشات في مقدم الجناح وتليهن المناكب ثم الأباهر ثم الخوافي ثم الكلى أو الذنابي أربعة أربعة فذلك عشرون ريشة (والمصعد) ←

حــتى يكــاد مــن النـزاع إليـهما   يفري الحجاب عن الضلوع الصلب(١)
هــبة ومــا يــهب الإله لعــبده   يــزدد ومـهما لا يـهب لا يـوهب
يــمحو ويـثبت مـا يشـاء وعـنده   عـلم الكـتاب وعلم ما لم يكـتب(٢)

قصيدة الحاج هاشم الكعبي المتوفّى سنة (١٢٢١ هـ)

أخذوا بمسروب السراب وجـانبوا   عــذباً يـمير الوافـدين بـرودا
مـصباح ليـلتها صـباح نـهارها   يـمنى نـداهـا تـاجها المـعقودا
بشــر أقـل صـفاته أن عـاينوا   مـنهن مـا ظـنوا بـه المـعبودا
ضلّت قـريش كـم تـقيس بسـابق   الحـلبات مـلطوم الجـبين مـذودا
يــا صـاحب المـجد الذي لجـلاله   عــنت السـرايـا مـنصفاً وعـنيدا
لك غــرّ أفــعال إذا اسـتقريتها   أخـذت عـليّ مـفاوزاً ونـجودا
وصفات فضل أشكلت مـعنى فـلا   اطــلاق يكشــفها ولا تـقييدا
ومــراتب قـلّدتها بــمناقب   كـالعقد تـلبسه الحسـان الخـودا
مـا مـرّ يـومك أبـيضاً عـند الندى   إلّا انــثنى بـدم العـدا خـنديدا
أجــيته بــأبيك وجـه خـريدة   فكسـوت أبـيض خـدّها التـوريدا

← الصاعد علواً (والمصوب) الهاوي سفلاً. ومعنى البيتين إنّ قلبي عند ذكرهما يطير مسرة بهما واشتياقاً إليهما وينزو ويعلو ويجيء ويذهب ارتياحاً ونزاعاً حتى كأنه معلق بأعلى ريش طائر ذي مخلب يرتفع به ويهبط وخض ذا المخلب لأنه أقوى الطير.

(١) يفرى: يقطع وأراد بالحجاب حجاب القلب، والصُلّب بضم الصاد وتشديد اللام. قال السيد في الشرح هي حجارة المسن، والصُلب ـ يعني بضم الصاد وسكون اللام ـ الموضع الغليظ... الخ. وهو من الصلابة ضد الرخاوة ولا يخفى أنّ الصلب بمعنى حجارة المسن لا تناسب المقام والصلبة ضد الرخوة لا يقال في جمعها صلب إلّا أن يكون أراد بالصلب الشبيهة بحجارة المسن في الصلابة.

(٢) القصيدة المذهّب للسيد الحميري ذكرها وشرحها السيد المرتضى في رسائله. رسائل الشريف المرتضى: ٦١/٤ ـ ١٣٧.

أنّىٰ يشقّ غبار شأوك معشر ... كنت الوجود لهم وكنت الجودا
يجنون ما غرست يداك قضية ... ألقت على شهب العقول خمودا
أنّىٰ هم والخيل ينشر وقعها ... نقعاً تخال به السماء كديدا
ومواقف لك دون أحمدَ جاوزت ... بمقامك التعريف والتحديدا
فعلى الفراش مبيت ليلك والعدى ... تهدي إليك بوارقاً ورعودا
فرقدت مثلوج الفؤاد كأنّما ... يهدي القراع لسمعك التغريدا
فكفيت ليلته وقمت معارضاً ... بالنفس لا فشلاً ولا رعديدا
واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم ... جبلاً أشم وفارساً صنديدا
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى ... أوما دروا كنز الهدى مرصودا
وغداة بدر وهو أم وقائع ... كثرت وما زالت لهن ولودا
قابلتهن فلم تدع لعقودها ... نظماً ولا لنظامهن عقيدا
فالتاح عتبة ثاوياً بيمين من ... يمناه أردت شيبة ووليدا
سجدت رؤوسهم لديك وإنما ... كان الذي ضربت عليه سجودا
وتوحدت بعد ازدواج والذي ... ندبت اليه لتهتدي التوحيدا
وقضية المهراس عن كثب وقد ... عمّ الفرار أساوداً وأُسودا
فشدّدت كالليث الهزبر فلم تدع ... ركناً لجيش ضلالة مشدودا
وكشفتهم عن وجه أبيض ماجد ... لم يعرف الأدبار والتعريدا
وعشية الأحزاب لمّا أقبلت ... كالسيل مفعمة تقود القودا
عدلت عن النهج القويم وأقبلت ... حلف الضلال كتائباً وجنودا
فأبحت حرمتها وعدت بكبشها ... في القاع تطعمه السباع حنيدا
وبني قريضة والنضير وسلحم ... والواديين وخثعماً وزبيدا
مزقت جيب نفاقهم فتركتهم ... أمماً لعارية السيوف غمودا

وشللت عشراً فاقتنصت رئيسهم وتركت تسعاً للفرار عبيدا
وعلى حنين أين يذهب جاحد لمّا ثبت به وراح شريدا
ولخيبر خبر يصم حديثه سمع العدى ويفجر الجلمودا
يوم به كنت الفتى الفتاح والكرار والمحبوب والصنديدا
من بعد ما ولي الجبان براية الإيمان تلتحف الهوان برودا
ورأتك فانتشرت بقربك بهجة فعل الودود يعاين المودودا
فنصرتها ونضرتها فكأنّما غصن يرنحه الصبا املودا
فغدوت ترقل والقلوب خوافق والنصر يرمي نحوك الإقليدا
فلقيتها وعقلت فارسها ولا عجب إذا افترس الهزبر السيدا
ويل أُمه أيظنك النكس الذي ولّى غداة الطعن يلوي الجيدا
وتبعتها فحللت عقدة تاجها بيد سمت ورتاجها الموصودا
وجعلته جسراً فقصر فاغتدت طولى يمينك جسرها الممدودا
وأبحت حصنهم المشيد فلم يكن حصن لهم من بعد ذاك مشيدا
وحديث أهل النكث عسكر «عسكر» بهم البهيمة جندها المحشودا
لاقاك فارسهم فبغدد هارباً لو كان محتوم القضا مردودا
وعلى ابن هند طار منك بأشأم يوم غدا لبني الولاء سعودا
ألفى جحاش الكرملين فقادهم جهلاً فبئس قائداً ومقودا
فغدوت مقتنصاً نفوس كماته لله مقتنص يصيد الصيدا
حتى إذا اعتقد الفنا ورأى القنا مذروية ورأى الحسام حديدا
وبدا له العضب الذي من قبله قد فل آباء له وجدودا
رفع المصاحف لا ليرفعها علا لكن ليخفض قدرها ويكيدا
فجنى بها ثمر الأمان وخلفه يوم يجرعه الشراب صديدا
وكذاك أهل النهر ساعة فارقوا بفراقهم لجلالك التأييدا

فوضعت سيفك فيهم فأفادهم تلفاً فديتك متلفاً ومبيدا
ولقد روى مسروقهم عن أُمّه والحقّ ينطق منصفاً وعنيدا
قالت هم شر الورىٰ ومبيدهم خير الورى أكرم بذاك مبيدا
سبقت مكارمك المكارم مثلما ختمت لعمر فخارك التأبيدا
إنّي لأعذر حاسديك على العلا وعلاك عذري لو عذرت حسودا
فليحسد الحسّاد مثلك إنّه شرف يزيد على المدى تجديدا
ما انصفتك عصابة جهلتك إذ جعلت لذاتك في الوجود نديدا
ثم ارتقت حتى ابتك رضى بمن لم يرض كعبك ان يراه صعيدا
ضلّت أدلتها أتبدل بالعمى رشداً وبالعدم المحال وجودا(١)

قصيدة الشيخ كاظم الازري المتوفّى سنة (١٢٠١ هـ)

وهذه القصيدة تبلغ ألف بيت أكلت الأرضة منها أكثر من أربعمائة بيت بعد ان احتفظ بها صاحبها في طومار ولم يبق منها إلّا ٥٧٨ بيتاً نأخذ منها ما يلي:

أسد الله ما رأت مقلتاه نار حرب تشب إلّا اصطلاها
فارس المؤمنين في كلّ حرب قطب محرابها إمام وغاها
لم يخض في الهياج إلّا وأبدى عزمة يتقي الردى إياها
ذاك رأس الموحدين وحامي بيضة الدين من أكف عداها
من ترى مثله إذا صرت الحرب ودارت على الكلمات رحاها
ذاك قمقامها الذي لا يروّي غير صمصامه أوام صداها
وبه استفتح الهدي يوم «بدرٍ» من طغاة أبت سوى طغواها

(١) ديوان الشيخ هاشم الكعبي: ٤٠ ـ ٤٤.

صبّ صـــوب الردى عــليهم هـمام ليس يــخشى عـقبى التـي سـواهـا
يــوم جـاءت وفـي القـلوب غـليل فســـقاها حســامه مــا ســقاها
فــأقامت مـــا بـين طـيش ورعب وكـــفاها ذاك المـــقام كـــفاها
ظــهرت مـنه فـي الوغـى سـطوات مـــا أتـــى القـــوم كـــلهم مـأتاها
يـوم غـصّت بـجيش عـمرو بـن ود لهـــوات الفـــلا وضـــاق فــضاها
وتـــخطى الى المـــدينة فــرداً بســـرايـــا عـــزائـــم ســاراهـا
فـــدعاهم وهـــم اُلوف ولكـــن يـــنظرون الذي يشب لظـــاهـا
أيـــن أنـــتم عـــن قسـور عـامري تـــتقي الأســـد بـأسه فـي شـراهـا
فـــابتدى المـــصطفى يـحدّث عـمّا تـــؤجر الصـــابرون فـي اُخـراهـا
قـــائلاً إنّ للـــجليل جـــناناً ليس غـــير المـــجاهدين يـــراهـا
أيـن مـن نـفسه تـتوق الى الجـنات أو يـــورد الجـــحيم عـــداهـــا
مـــن لعـــمرو وقـــد ضـــمنت عـــلى الله له مـــن جـــنانه أعـلاها
فـــالتووا عـــن جـــوابـه كسـوام لا تـــراهـــا مـــجيبة مـــن دعـاهـا
وإذا هــــمّ بـــفارس قـــرشي تـــرجـــف الأرض خـيفة إذ يـطاها
قـــائلاً مـــا لهـــا ســـواي كـفيل هـــــذه ذمّـــــة عــلـيّ وفـــاهـا
ومشـــي يـــطلب الصـــفوف كـما تـمشي خـماص الحشـا الى مـرعاها
فـــــانتضى مشـــــرفيه فـــتلقى ســـاق عـــمرو بـــضربة فـبراهـا
والى الحشـــر رنـــة الســـيف مـنه يـــملأ الخـــافقين رجـــع صـداهـا
يـــا لهـــا ضـــربة حـوت مكـرمات لم يـــزن ثـــقل أجـــراهـــا
ثـــقلاها هـــذه مـن عـلاه إحـدى المعالي وعلى هـذه فقس مـا سـواهـا
وبـــأحد كـــم فـــل آحــاد شـوس كـــلما أوقـــدوا الوغـــى أطـــفاها
يـــوم دارت بـــلا ثـــوابت إلّا أســـد الله كـــان قـــطب رحـــاها

يــوم خــانت نـبالة القـوم عـهداً لنــبي الهــدى فــخاب رجــاها
وتـــراءت لهـــا غـــنائم شـــتى فـــاقتفى الأكـــثرون أثــر ثـراهـا
وأحـــاطت بـه مـذاكـي الأعـادي بـــعد مـــا أشـرفت عـلى استيلاها
فـترى ذلك النـفير كـما تـخبّط فـــي ظــلمة الدجـــى عشــواهـا
يـتمنّى الفـتى ورود المـنايا والمنايا لو تُشـــترى لاشـــتراهـــا
كــلّما لاح فـــي المـــهامه بـــرق حســبته قـــنا العــدىٰ وظـــباها
لم تـــخلها إلّا أضــالع عــجف قــد بـراهـا السـرى فـحل بـراهـا
لا تــــلمها لحــيرة وارتــياع فـــقدت عـــزّها فـــعزّ عـــزاهـا
إن يـــفتها ذاك الجـــميل فـــعذراً إنّـما حـلية الرجـال حجاها قد أراهـا
فـــي ذلك اليـــوم ضــرباً لو رأتـــه الشـــبان شـــابت لحـــاها
وكســـاهاالعـــار الذمـــيم بـــطعن مـــن حـلى الكـبرياء قـد أعـراهـا
يـــوم سـالت سـيل الرمـال ولكـن هب فـــيها نســيمه فـــذراهــا
لا تـــرم وصـــفه فـــفيه مـــعان لم يــــصفها إلّا الذي ســواهـــا
وله يـــــوم (خـــيبر) فـــتكات كـــبرت مـــنظراً عـلى مـن رآهـا
يـــوم قـــال النـــبيّ إنّـــي لأعـطي رايـــتي ليــثها وحـــامي حـماها
فـــاستطالت أعـــناق كـــل فـــريق ليــــروا أي مــــاجد يــــعطاها
فـــدعا ايـــن وارث العـــلم والحـلم مــــجير الأيـــام مـــن بـــأساها
أيـــن ذوالنـــجدة الذي لو دعـــته فـــــي الثـــريا مـــروعة لبـــاها
فـــأتاه الوصـــي أرمـــد عـــين فســـقاه مـــن ريـــقه فشـــفاها
ومـــضى يـطلب الصـفوف فـولت عــــنه عـــلماً بـــأنّه أمـــضاها
وبـــرى (مـــرحباً) بكـفّ اقـتدار أقـــوياء الأقـــدار مـــن ضـــعفاها
ودحـــا بـــابها بـــقوّة بـــأس لو حـــمتها الأفـــلاك مـنه دحـاها

عائد للمؤملين مجيب سامع ما تسرّ من نجواها
من تلقّى يد (الوليد) بضرب حيدري بري اليراع براها
وسقى منه (عتبة) كأس بؤس كان صرفاً الى المعاد احتساها
ورأى تيه ذي الخمار فردّا ه من الذل بردة ما ارتداها
ومن المهتدي بيوم حنين «حين» غاوي الفرار قد أغواها
حيث بعض الرجال تهرب من بيض المواضي والبعض من قتلاها
حيث لا يلتوي الى الألف ألف كلّ نفس أطاشها ما دهاها
من سقاها في ذلك اليوم كأساً فايضاً بالمنون حتى رواها
أعجب القوم كثرة العد منها ثمّ ولّت والرعب حشو حشاها
وقفوا وقفة الذليل وفرّوا من أُسود الشرى فرار مهاها
وعليّ يلقىٰ الأُلوف بقلب صوّر الله فيه شكل فناها
إنّما تفضل النفوس بجد وعلىٰ قدره مقام علاها
لو تراه وجوده مستباح قبل كشف العفاة سر عفاها
خلت من أعظم السحائب سحباً سقت الروض قبل ما استسقاها
وهو للدائرات دائرة السعد الإساء حظ من ناواها
لم يدع ذلك الطبيب كلوماً قد أساءت بالدهر إلّا أساها
صادق الفعل والمقالة يحوي غرة مثل حسنه حسناها
لم تفه ملة من الشرك إلّا فض بالصارم الإلهي فاها
وطواها طي السجل همام نشر الحرب علمه وطواها
كم عرا مشكل فحلّ عراه ليس للمشكلات إلّا فتاها
واسأل الأعصر القديمة عنه كيف كانت يداه روح غذاها
أي نفس لا تهتدي بهداه وهو من كل صورة مقلتاها

و«بخم» ما ذا جرى يوم خم تلك أُكرومة أبت أن تضاهى
ذاك يوم من الزمان أبانت ملّة الحقّ فيه عن مقتداها
كم حوى ذلك «الغدير» نجوماً ما جرت أنجم الدجى مجراها
إذ رقى منبر الحدايج هاد طاول السبعة العلىٰ برقاها
موقفاً للأنام في فلوات وعرات بالقيظ يشوى شواها
أيّها الناس حدثوا اليوم عني وليبلغ أدنى الورى أقصاها
كلّ نفس كانت تراني مولى فلترَ اليوم حيدراً مولاها
ربّ هذي أمانة لك عندي وإليك الأمين قد أدّاها
والِ من لا يرى الولاية إلّا لعلي وعاد من عاداها
أيّها الراكب المجد رويداً بقلوب تقلبت في جواها
ان تراءت أرض الغريين فاخضع واخلع النعل دون وادي طواها
وإذا شمت قبة العالم الأعلى وأنوار ربّها تغشاها
فتواضع فثمّ دارة قدس تتمنى الأفلاك لثم ثراها
قُل له والدموع سفح عقيق والجوى تصطلي بنار غضاها
يا بن عم النبيّ أنت يد الله التي عمّ كلّ شيء نداها
حسبك الله في مآثر شتى هي مثل الأعداد لا تتناهىٰ
ليت عيناً بغير روضك ترعى قذيت واستمر فيها قذاها
يا أبا النيرين أنت سماء قد محا كلّ ظلمة قمراها
لم يزل بانتظارك الدين حتى جردت كف عزمتيك ظباها
فجعلت الرشاد فوق الثريا ومقام الضلال تحت ثراها
إنّما البأس والتقى والعطايا حلبات بلغت أقصى مداها(١)

(١) الأزرية للشيخ الأزري: ٥٠ ـ ٨٩ بتفاوت يسيرٍ وتقديم وتأخير بالأبيات.

قصيدة الشيخ عبد المهدي مطر

أنشدها يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبي الذي أهداه بعض الإيرانيين لمقام أمير المؤمنين في النجف سنة (١٣٧٣ هـ):

أرصف بباب عليّ أيها الذهب ... واخطف بأبصار من سروا ومن غضبوا
وقل لمن كان قد أقصاك عن يده ... عفواً إذا جئت منك اليوم أقترب
لعلّ بادرة تبدو لحيدرة ... إن ترتضيك لها الأبواب والعتب
فقد عهدناه والصفراء منكرة ... لعينه وسناها عنده لهب
ما قيمة الذهب الوهّاج عند يد ... على السواء لديها التبر والترب
ما سرّه أن يرى الدنيا له ذهباً ... وفي البلاد قلوب شفها السغب
ولا تضجر أكباد مفتتة ... حتى يذوب عليها قلبه الحدب
أو يسقط الدمع من عيني مولهة ... أجابها الدمع من عينيه ينسكب
تهفو حشاه لأنّات اليتيم بلا ... أُم تناغي ولا يحنو عليه أب
هذي هي السيرة المُثلى تموج بها ... روح الوصي وهذا نهجه اللحب
فاحذر دخول ضريح أن تطوف به ... إلّا بأذن عليّ أيّها الذهب
باب به ريشة الفنّان قد لعبت ... فأودعته جمالاً كلّه عجب
تكاد لا تدرك الأبصار دقّته ... مما تماوج في شرطانه اللهب
كأنّ لجة أنوار تموج به ... خلالها صور الرائين تضطرب
سبائك صبها الإبداع فارتسمت ... روائع الفن فيها الحسن منسكب
يدنو الخيال لها يوماً لينعتها ... وصفاً فيرجع منكوساً وينقلب
أدلت بها يد فنان منقمة ... تعنو لروعتها الأجيال والحقب
ملء الجوانح ملء العين رهبتها ... ومربض الليث غاب ملؤه رهب

يــا قــالع البـاب والهـيجاء شـاهدة   من بعد ما طفحت كأس بمن هـربوا
بــابان لم نــدر فـي التـبريح أيّـهما   أشـهى إليك حـديثاً حـين يـقتضب
بـاب مــن التـبر أم بــاب يـقومه   مسـماره وجـذوع النـخل والخشب
هـــذا يشــع عــليه التــبر مــلتهباً   وذاك راح بـــنار الحـــقد يــلتهب
وأي داريك أحـرى أن نـطوف بـها   وأن تـــجللها الأسـتار والحـجب
دار تــحجّ بــها الدنــيا لمـجدك أم   دار عــليك بـها العـادون قـد وثـبوا
هــذي تــدال بــها للـحق دولتــه   زهواً وفي تلك فيء الحقّ يـغتصب
حــتى إذا جــاءت الدنــيا مكــفّرة   عــمّا جـنته وجـاء الدهـر يـتهب
شادت عليك ضريحاً تستطيل عـلى   هــام الســماء بـه الأعـلام والقـبب
وتلك عـقبى صـراع قـد صـبرت له   وذا فــدينك مــظلوماً هــو الغــلب
بـلّغ مـعاوية عـني مـغلغلة وقـل له   وأخـــــو التـــبليغ يـــنتدب
قُم وانظر العدل قد شـيدت عـمارته   والجـور عـندك خـزي بيته خـرب
تبني على الظـلم صـرحاً رنّ مـعوله   بـــجانبيه وهــدّت ركــنه النــوب
أبت له حكــمة البـاري بـصرختها   أن لا يـــخلد مــختال ومــرتكب
قُـم وانـظر الكـعبة العظمى تـطوف بـها   حشـــد الأُلوف وتـجثو عـندها الركب
تـأتي له مـن أقـاصي الأرض طـالبة   وليس إلّا رضـا البـاري هـو الطـلب
قل للـمعربد حـيث الكـأس فـارغة   خفض عـليك فـلا خـمر ولا عـنب
سـموك زوراً أمـير المـؤمنين وهـل   يــرضى بـغير (علـيّ) ذلك اللـقب
هـــذا هـــو الرأس مــعقود لهــامته   تــاج الخــلافة فــأخسأ أيـها الذنب

* * *

يــا بــاب (حـطّة) سـمعاً فـالحقيقة   قد تكشـفت حـيث لاشك ولاريب
مــواهب الله قــد وافـتك مـجزية   ماكنت تبذل من نـفس ومـا تـهب

هذي هي الوقفات الغرّ كنت بها   للدين حصناً منيعاً دونه الهضب
هذه هي الضربات الوتر يعرفها   ضلع بها انقد أو جنب بها يجب
هذي هي اللمعات البيض كان بها   عن وجه خير البرايا تكشف الكرب
هذي هي النفس قد روضت جامحها   فراق للعين منها عيشها الجشب
فلا الخوان لها يوماً ملونة   منه الطعوم ولا إبرادها قشب
لا تكتسي وفتاة الحي عارية   ولا تعب ومهضوم الحشا سغب
نفس هي الطهر ما همت بموبقة   وليس تعرف كيف الذنب يرتكب
هذي التي انقادت الأجيال خاشعة   لهديها وترامت عندها النجب
تعيفوا وركبنا في سفينته   فميز اللجّ من عافوا ومن ركبوا
وساوموا فاشترينا حبّ حيدرة   ولا نبيع ولو أنّ الدنا ذهب
يا فرصة كنت للإسلام ضيّعها   حقد النفوس وأبلى جدها اللعب
شجّوا برغمك أمراً أنت تعصبه   في ذمة الله ما شجوا وما شجبوا
فرحت تنفض من هذا الحطام يداً   إذا شمت فيه يد الأطماع تنتشب
تكالبٌ عنه قد نُزّهت محتقراً   له وعندك ما يشفي به الكلب
فاستنزلوك عن العرش الذي ارتفعت   بك القواعد منه فهو منتصب
لو أنصفوك لفاض العلم منتشراً   في الخافقين وسارت بالهدى كتب
ولأزدهى باسمك الإسلام دوحته   فينانة وفناه مربع خصب
ولا بتنيت عليه من سماء علا   ما ليس تأمل عن آفاقها الشهب
لله أنت فقد حملت من محن   ما لم يطق صابر في الله محتسب
أمر به ضاقت الدنيا بما رحبت   ولم يضق عنه يوماً صدرك الرحب

* * *

جاء تك «فارس» باسم الباب يجذبها   لك الولاء على شوق فتنجذب

أن يـبعدوا عـنك بـالأوطان نـائية فكم لهـم قـربات بـاسمها قـربوا[١]
هم فـي المـحاريب أشباح مـقوسة وفـي الحـروب ليـوث غـابها أشب

* * *

قصيدة الشاعر المصري الشيخ محمّد بن عبد المطلب المتوفّى سنة (١٣٥٠هـ)

أبـا السـبطين كـيف تـفي المـعاني نـثاراً فـي مـديحك أو نـظاما
مـقام دونـه نـجب القـوافـي وإن كـانت مسـوّمة كـراما
فـحسبك يـا أخـا الشـعراء عـذراً رمـيت بـها مكـاناً لن يـراما
ومـا أدراك ويـحك مـا عـليّ فـتكشف عـن مـناقبه اللـثاما
ومـن هـو كـلّما ذكـرت قـريش أنـاف عـلى غـواربـها سـناما
تـبصر هـل ترى إلّا عـليّاً إذا ذكـر الهـدى ذاك الغـلاما
غـلام يـبتغي الإسـلام ديـناً ولمـا يـعد إن بـلغ الفـطاما
إذ الروح الأمـين بـقُم فـأنذر أتـى طـه ليـنذرهم فـقاما
وأُمـتهم الى الإسـلام أم غـدت بـالسبق أوفـرهم سـهاما
وصـلّى حـيدر فشـأى قـريشاً الى الحسـنى فسـمّوه الإمـاما
كـأني بـالثلاثة فـي المـصلّى جـميعاً عـند ربـهم قـياما
تـحييهم مـلائكة كـرام وتـقرئهم عـن الله السـلاما
ومـا أعـتنق الحـنيف بـغير رأي ولم يسـلك مـحجته اقـتحاما
ولكـن النـبوة أمـهلته ليـجمع رأيـه يـوماً تـماما
فـأقبل والحـجى يـرخـي عـليه جـلالاً يـصغر الشـيخ الهـماما

(١) ديوان عبدالمهدي مطر.

يـمد الى النبيّ يد ابن عم — بحبل الله يعتصم اعتصاما
وإذ يدعو العشيرة يوم جمع — لينذر في رسالته الأناما
فكهل في جهالته تولى — وشيخ في ضلالته تعامى
وهذا يوسع المختار لوماً — وذلك عن ملامته تحامى
وآخر لا يبين له جواباً — أطاع الصمت واجتنب الكلاما
وأيده على التقوى أخوه — إذا ما خاف كل أخ وخاما
ولجت في عمايتها قريش — تصارحه العداوة والخصاما
وجاشت بين أضلعها قلوب — على الإسلام تلتهب احتداما
فما فعل الفتى والشر تغلي — مراجله وتهتزم اهتزاما
مضى كالسيف لم يعقد إزاراً — على ريب ولم يشدد حزاما
يروح على مجامعهم ويغدو — كشبل الليث يعترم اعتراما
صغير السن يخطر في إباء — فلا ضيماً يخاف ولا ملاما
وما زالت به الأيام ترقى — على درج النهى عاماً فعاما
وقد جمع الحجى والدين فيه — خلائق تجمع الخير اقتساما
فما أوفى على العشرين حتى — شهدنا من عظائمه عظاما
فلن ينسى النبيّ له صنيعاً — عشية ودّع البيت الحراما
عشيّة سامه في الله نفساً — لغير الله تكبر إن تساما
فأرخصها فدى لأخيه لمّا — تسجّى في حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم والمنايا — لحرب الله تنتحم انتحاما
فلم يأبه لها أنفاً عليّ — ولم تقلق بجفنيه مناما
وأغشى الله أعينهم فراحت — ولم تر ذلك البدر التماما
وغادرت البطاح به ركاب — الى الزوراء تعتزم اعتزاما

وفـي أُم القـرىٰ خـلّى أخـاه على وجـد بـه يشكـو الأواما
أقـام بـها ليـقضيها حـقوقاً على الهـادي بـها كـانت لزاما
فـإن يك عـهده فـيها وبـالا عـلى الطـاغوت أو داءاً عـقاما
فكـم طـابت بـه للـحقّ نـفس بـطيبة حـين أوطـنها مـقاما
وكـم شـهدت له الزوراء يـوماً وكـم حـمد الحـنيف له مـقاما
سـل الرايـات كـم شـهدت عـتياً يـصرف تـحتها الجـيش اللـهاما
كـأني بـابن عـتبة يـوم بـدر يـعاني تـحت مـجثمه جـثاما
ولو عـلم الوليـد بـمن سـيلقى لألقـى قـبل مـصرعه السـلاما
رويـد بـني ربـيعة قـد ظـلمتم بـني الأعـمام والرحـم الحـراما
وصـلناكـم بـها وقـطعتموها فكـان الحـزم أن تـردوا الحـماما
فـهل يـنسون للـفرقان يـوماً سـقاهم مـن صـوارمـنا سـماما
ومـا صـهر النـبيّ إذا تـنادوا كـم يـدعو ربـيعة أو هشـاما
ومـن غـدت البـتول إليـه تـهدي بـنى فـي النـجم بـيتاً لا يسـامى
بـأمر الله قـد زفت إليـه عشـية راح يـخطبها وسـاما
كـأني بـالملائك إذ تـدلت بـذاك البـيت تـزدحم ازدحـاما
فـلو كشـف الحـجاب رأيت فـيه جـنود الله تـنتظم انـتظاما
أطـافوا بـالحظيرة فـي جـلال صـفوفاً حـول فـاطمة قـياما
تـفيض عـلى مـنصتها وقـاراً وتكسـو حسـن طـلعتها وسـاما
فـلا يـحزن خـديجة إن تـولت ولم تـبلغ بـجلوتها مـراما
تـولاها الذي ولّـى أبـاها رسـالته وزوجـها الإمـاما
قِـران زاده الإسـلام يـمناً وشـمل زاده الحب التـئاما
فـإن تـلك خير مـن عـقدت إزاراً وأكـرم كـل مـن أرخت لثـاما

فما شغلته عن خوض المنايا إذا التطمت زواخرها التطاما
فإن تسأل فسائل عنه أحداً غداة هناك طير الموت حاما
وجاءت في زمازمها قريش يهزّون المثقف والهذاما
فقطر كبشها وهوى صريعاً على الدقعاء يلتهم الرغاما
هوى من تحت رايتهم فخرت بأُم الأرض ترتطم ارتطاما
فويح المسلمين هناك ولوا فراراً لا اسميه انهزاما
وخلوا ثم أحمد في وغاها بجند الكفر يصطدم اصطداما
فأرجف بالنبي هناك قوم فعاذوا حول موقفة حياما
وحطم غمد صارمه عليّ وذب عن النبيّ بها وحامى
وأقبل نحوهم وهوى إليهم هوي الباز يعتبط الحماما
فطاروا عن مواقفهم شعاعاً وطاحوا في مصارعهم حطاما
فذاك ولو ترى إذ جاب قوم على الإسلام خندقه اقتحاما
وأقبل في لباس البأس عمرو يزيد على مخيلته عراما
فجال منازلاً ودعا مدلاً فعم الهول حين دعا وغاما
نزال بنى الهدى هل من كمي يسوم الخلد بالنفس استياما
هنالك بادر الكرار لما غدوا والرعب قد منع الكلاما
إذا ما همّ أقعده أخوه وزاد الى اللقاء جوى فقاما
مكانك يا عليّ فذاك عمرو له الأبطال يوم وغى تحامى
فقال وإن يكن عمراً فإنّي عليّ سوف ألجمه الحساما
فلم يك غير أن أودى ابن ود وخاض السيف في دمه وعاما
وعاد الى النبيّ يفيض بأساً ويزخر في حميته جماما
وراح الكفر يرجف جانباه وأمسى عضب عزّته كهاما

وسائل يوم خيبر عن عليّ تجد فيها مآثره جساما
إذ الرايات في جهد عليها تعاصي الفتح والهرب استداما
فأقبل بالعقاب على خميس يهرول مسرعاً يمضي إماما
فشدّ على مناكبها وثاقاً ولفّ على معاطسها خطاما
ولم تغن الحصون ولا الصياصي وإن قام الحديد لها دعاما
وأقبل مرحب في البأس يحبو وكان البأس صاحبه لزاما
وما علم الفتى أنّ المنايا خططن بذي الفقار له مناما
وإنّ له من الكرار يوماً عبوساً مدنياً منه الحماما
ضفا حلق الحديد عليه مثنى وظاهر فوق بيضته الرخاما
فشدّ على الإمام بذي شطوب تضمن حده موتاً زؤاما
فزال مجنه فإذا رتاج هناك تخاله جبلاً تسامى
فسل يسراه كيف تلقفته وقد أعيا تحمله فئاما[1]
علاه بضربة لو أنّ رضوى تلقاها لعاد بها هياما[2]
فلم يعصمه من حين رخام ولم يجد الحديد له عصاما
وعادت خيبر لله فيئاً يقسّم في كتائبه اقتساما
فدع عنك المواطن والمغازي ومن سلّ الظبا فيها وشاما
ومن أجرى عتاق الخيل قبا فأوطأها من الأعداء هاما
يخوض بها المواطن معلمات ونصر الله كان لها علاما
فما وجدت كحيدرة إماماً يصيد الصيد فذا أو تواما

(١) الفئام: الجماعة من الناس.

(٢) الهيام: الرمل المهيل.

وسل أهل السلام تجد علياً أمام الناس يبتدر السلاما
حوى علم النبوة في فؤاد طما بالعلم زخاراً فطاما[1]
سقاه الحقّ أفواق المعاني وهيمه بها حبّاً فهاما
رمى في عالم الأنوار سبحاً الى سوح الجلال به ترامى
ونفساً لم تذق طعم الدنايا ولا لذت من الدنيا طعاما
غذاها الدين مذكانت فشبت على التقوى رضاعاً وانفطاما
ونشأها على كرم وأيد وصاغ من الجلال لها قواما
زكت فسمت عن الدنيا طلاباً وأضنى حبّها قوماً وتاما[2]
طوى عنها على الضرّاء كشحاً وعن فاني زخارفها تسامى
ووجهها فاض نور الله فيه فألبسه المهابة والقساما[3]
يروع الليث منظره عبوساً ويخجل ضاحك الغيث ابتساما
ترى فيه مخايل خندفي[4] بسيما الحقّ يزدان اتّساما
وفيض يد من الوسمي أندى إذا الحيّ اشتكى سنة إزاما
على حب الطعام يصد عنه ليطعمه الأرامل واليتامى
سل القرآن أو جبريل تعلم مكارم لن تبيد ولن تراما
من الأبرار يغتبقون كأساً من الرضوان مترعة وجاما
عليّ والبتول وكوكباه ضياء الأرض إن أفق أغاما

(١) طام: حسن عمله.
(٢) تام: يتم.
(٣) القسام: الحسن.
(٤) خندفي منسوب الى خنف كزبرج لقب ليلى بنت حلوان بن عمران زوجة الياس بن مضر من أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله وإليها تنسب قريش وكل من ولده الياس.

ثــناء فــي الكــتاب له عــبير تــقصر عــنه أرواح الخــزامــى
وكـم أجـرى عـلى المحراب دمعاً لخــوف الله يــنسجم انسـجاما
إذا مـا قـام فـي المحراب قـامت له زمــر المــلائكة احــتشاما
صــلاة اللــيل يـجعلها سـحوراً إذا مـا فـي الغـداة نـوى الصـياما
تــرى صــبر القـنوع له غـذاء جــرى دمـع الخشـوع له إدامـا
رأيـنا فـي الكـهولة مـنه شـيخاً حـوى الجـد اشـتمالاً واعـتماما
فــما للـدهر لم يـعرف حـقوقاً له شــيخاً ولم يــنكر ظــلاما
ســجا ليـل الحـوادث بـعد طـه فــعمّ الديــن والدنــيا ظـلاما
وحـــلت بــالخلافة مــرزئات طـواحـن تـحتشي النـاس التـهاما
رمت المســلمين الى شــتات وأمســى حـبل وحـدتهم رمـاما
فــمنهم مـن أقـام بكسـر بـيت وأخــلد للسكــينة فــاستناما
وطــائفة عـلى الحـقّ استقرّت فكــانت بـين إخـوتها قـوامـا
تــبايع وهــي راضــية عــليّاً وتــرى فــي خـلافته الذمـاما
وأُخرى أوضعت فـي الخلف تـغلو ولم تــحذر عــواقـبه الوخـاما
رضــوا بـالسيف لمـا حكـموه فــقام السـيف بـالأمر احـتكاما
وأقــبلت الجـياد الجـرد تـعدو عــلى الآكـام تـحسبها النـعاما
إلى صــفّين تــحشدها مــنايا وقــد غـصّ الفـضاء بـها زحـاما
أقـام المـوت فـي صـفّين سـوقاً وأرخـصت النـفوس بـها سـوامـا
تــرى مــضراً تـبيع بـها نـزاراً ولخــماً تسـتبيح بـها جـذامـا
ألا صــلّى الإلــه عـلى نـفوس تــرى فـي الحـقّ مـصرعها لزامـا
تــموت عــلى مـنازعها كـرامـاً فــتحيا فــي مـنازعها كـرامـا
فـلمّا كـاد حكـم السـيف يـمضي وولى الجــمع واسـتبقوا الخـياما

أنـاب الى الكـتاب دهـاء عـمرو   دهـاء يـأكـل السـيف الحسـاما
ومـا هـم بـالكتاب أبـرّ مـنه   ولا أولى بـحكمته ائـتماما
ولكـن حـيلة جـرّت بـلاء   عـلى الدنـيا وأيـاماً وخـاما
إذا الحكـمان بـالأمر استقلا   فـليتهما عـلى النـهج استقاما
لقـد قـرنوا أبـا مـوسى بـعمرو   ومـا أدراك مـا عـمرو إذا مـا
مـضى الحكـمان مـا حسـما خـلافا   ولا فـضّا لمشكـلة خـتاما
أمـيرالمـؤمنين أرى زمـاناً   لحـربك هـزّ مـخذمه وشـاما
وأقـبل بـالوفاء عـلى ابـن حـرب   يـصافيه المـودّة والوئـاما
فـما نـقمت أُمـية مـنك حـتى   تـناصبك العـداء والانـتقاما
بـلى إن الزمـان لفـي ضـلال   لوىفـي الحـق وانـتهك الذمـاما
زهـاهم زخـرف الدنـيا فـهاموا   مـع الشـيطان بـالدنيا غـرامـا
وليس لطـالب الدنـيا دواء   إذاكـانت له الدنـيا سـقاما
رمـى بـالخرق أقـوام عـليّاً   وهـم أولى بـما زعـموا اتـصاما
فـما شـهد الزمـان له سـفاهاً   ولا نكـروا له رأيـاً عـقاماً
ولا يـغني الأريب حـجى ورأي   إذا قـاد الأسـافل والطـغاما
عـلمنا رأيـه فـلقاً مـبيناً   له نـهج عـلى الحـقّ استقاما
رأى ورأوا فَسَـدّ ومـا أصـابوا   وأيـقظ حـزمه وجـثوا نـياما
فـأكـبر هـمّه مـذكـان طـفلاً   حـدود الله يـحرص أن تـقاما
فـليتهم وعـوا خُـطَباً أتـتهم   ضـوافـي تُسـمع الصّـم السلاما
سـوابـغ نسـج أروع هـاشمي   سـما مـلك البـيان بـه وسـامى
إذا ابـتدر المـقالة يـوم خـطب   وهـزّ عـلى منصّتها الحسـاما
أصـاخ النـجم أبـرقت المـواضي   وزايـلت الضـراغـمة الأجـاما

إذا مـــا رنّ صــوت الحــقّ فـيها تــولّى الإفك وانــحطم انـحطاما
بــني الشــامات وَيْــحَكُمُ أفــيقوا عـــلام تـنكب الحســنى عـلاما
ظـــلمتم ســـيّد الأبـــرار لمـــا ركـــبتم فــي عـدواتـه الثـماما
ســـلوا الصـديق والفـاروق عـنه كـم اعـتصما بـحكمته اعتصاما
وكـــم وردا له رأيـــاً نـــجيحاً وكـــم سـلكا بـه سـبلاً قـوامـا
بـني الشـامات ويـحكم شـققتم عـــصا الإسـلام فـانقسم انـقساما
مـــددتم خــوارج حــبل خــلف بـــه شـدّوا الى الفـتن الحـزامـا
فـــياقتل الخـــوارج يـوم جـرّوا عـــلى الإســـلام أدهـية دهـاما
لقـــد مـــردت بـفاجرها مـراد عـــلى العـدوان لابـلغت مـرامـا
ألا تـــبّت يـــد بـــالغدر ثـارت تـــمدّ الى أبـــي حســن حســاما
لو أن الســـيف كـــان له خـــيار لعـــرد عـــنه وانـــثلم انـثلاما
ولكـــن القـــضاء جـرى بـرزء له انفصمت عـرى الصبر انفصاما
بـــه فـــجع المـدينة والمـصلى وزلزل بـــطن مكـــة والمـــقاما
نـعى النـاعي أبـا حسـن فـراحت بـواكـي الديـن تـلتدم التـدامـا
بـــنفسي غـــرة يـجري عـليها دم أزكـــى مـــن المسك اشـتماما
بـــنفسي إذ يـجود بـخير نـفس تـخاف عـلى الحـنيفة أن تـضاما
مـضى زيـن الصحابة فـي سبيل إلى مـــلأ بـــجيرته اســـتهاما
الى دار الســـلام مـــضى عـــليّ وجـاور فــي مـنازلها السـلاما(١)

---

(١) ديوان الشيخ المصري محمّد بن عبدالمطلب.

من قصيدة لسفيان بن مصعب العبدي المتوفّى حدود سنة (١٢٠ هـ)

ما هزّ عطفي من شوقي الى وطني ... ولا اعتراني من وجد ومن طرب
مثل اشتياقي من بعد ومنترح ... عن (الغري) وما فيه من الحسب
أذكى ثرى ضمّ أزكى العالمين فذا ... خير الرجال وهذي أشرف الترب
إن كان عن ناظري بالغيب محتجباً ... فإنه عن ضميري غير محتجب
مرّت عليه ضروع المزن رائحة ... من الجنوب فروته من الحلب
بل جاد ما ضمّ ذاك الترب من شرف ... مزن المدامع من جار ومنكسب
ولو تكون لي الأيام مسعدة ... لطاب لي عنده بعدي ومقتربي
يا راكباً جسرة تطوي مناسمها ... ملاءة البيد بالتقريب والخبب
بلّغ سلامي قبراً بالغري حوى ... أوفى البرية من عجم ومن عرب
واجعل شعارك لله الخشوع به ... وناد خير وصي صنو خير نبيّ
اسمع أبا حسن إن الأولى عدلوا ... عن حكمك انقلبوا عن خير منقلب
ما بالهم نكبوا نهج النجاة وقد ... أوضحته واقتفوا نهجاً من العطب
ودافعوك عن الأمر الذي اعتلقت ... زمامه من قريش كف مغتصب
ظلّت تجاذبها حتى لقد خرمت ... خشاشها[1] تربت من كفّ مجتذب
وأنت توسعه صبراً على مضض ... والحلم أحسن ما يأتي مع الغضب
وكنت قطب رحى الإسلام دونهم ... ولا تدور رحى إلّا على قطب
ما أنت إلّا أخو الهادي وناصره ... ومظهر الحقّ والمنعوت في الكتب
وزوج بضعته الزهراء يكنفها ... دون الورى وأبو أبنائها النجب

(١) الخشاش: بالكسر ما يدخل في عظم أنف البعير من الخشب.

مــن كــل مــجتهد فـي الله مـعتضد بــــالله مــــعتقد لله مــــحتسب
وارين هـادين إن ليـل الظـلام دجـا كانوا لطارقهم أهـدى مـن الشـهب
لقــبت بــالرفض لمــا إن مـنحتهم ودي وأفـضل مـا ادّعـى بـه لقـبي
صلاة ذي العـرش تـترى كـل آونـة على ابن فاطمة الكشاف للكرب(١)

من قصيدة لعبدالباقي العمري المتوفّى سنة (١٢٧٨ ﻫ)

أنت العــــليّ فــوق العــلى رفــعا ببطن مكـة وسـط البـيت إذ وضـعا
وأنت ذاك الهـزبر الأنـزع البـطل الـ ـــذي بــمخلبه للشــرك قـد نـزعا
وأنت يـعسوب نـحل المـؤمنين الى أي الجـهات انـتحى يـلقاهمو تـبعا
وأنت مــن حـمت الإسـلام وفـرته ودرعت لبـــدتاه الديــن فــادرعا
وأنت مــن فـجع الديـن المـبين بـه ومــن بــأولاده الإسـلام قـد فـجعا
وأنت أنت الذي لله مـــا وصـــلا وأنت أنت الذي لله مــــا قـــطعا
لله درّ فـــتى الفـتيان مـنك فـتى ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا
نــهج البــلاغة نــهج عـنك بـلغنا رشداً به اجتثّت عرق الغـي فـانقمعا
مــا فــرق الله شـيئاً فـي خـليقته مــن الفــضائل إلّا عــندك اجـتمعا
أبــا الحسين أنـا حسـان مـدحك لا أنــفك أظـهر فـي إنشـائه البـدعا(٢)

(١) عنه في الغدير للشيخ الأميني: ٢٩١/٢ ـ ٢٩٣ بتفاوت يسير .
(٢) نقله عنه الشيخ جعفر النقدي في الأنوار العلوية: ٣٤٣ ـ ٣٤٥ بتقديم وتأخير .

من قصيدة لأبي تمام الطائي المتوفّى سنة (٢٣١ ﻫ)

أخـــوه إذا عـد الفـخار وصـهره فـــلا مـــثله أخ ولا مـثله صـهر
وشــــد بــــه أزر النـــبيّ مـحمّد كـما شـدّ مـوسى بـهارونه الأزر
ومــازال صــباراً ديـاجير غـمرة يمزقها عـن وجـهه الفـتح والنـصر
هو السيف سيف الله في كـل مشـهد وسيف الرسول لا ددان ولا دثـر[1]
فــأي يـد للـذم لم يـبر زنـدها ووجـه ضـلال ليس فـيه له إثـر
ثـوى ولا هـل الديـن أمـن بـحده وللواصمين الديـن فـي حـدّه ذعـر
يسد به الثغر المـخوف مـن الردى ويعتاص[2] من أرض العدو به الثغر
بـأُحد وبـدر حـين مـاج بـرجله وفـرسانه أحـد ومـاج بـهم بـدر
ويــوم حـنين والنـضير وخـيبر وبـالخندق الثـاوي بـعقوته عـمرو
سما للمنايا الحـمر حـتى تكشـفت وأسـيافه حـمر وأرمـاحه حـمر
مشـاهد كـان الله كـاشف كـربها وفـارجـهوالأمـر مـلتبس إمـر
ويوم الغـدير استوضح الحـقّ أهـله بـفيحاء لا فـيها حـجاب ولا سـر
أقـــام رسـول الله يـدعوهم بـها ليـــقربهم عــرف ويــنآهم نكــر
فكـــان له جـــهر بـإثبات حـقّه وكـان لهـم فـي بـزهم حـقّه جـهر
لكـم ذخـركم إن النـبيّ ورهـطه وجيليهم ذخري إذا التـمس الذخـر
جـعلت هـواي الفـاطميين زلفـة الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر[3]

---

(١) الداذان كسحاب من لا غناء عنده والسيف الكهام (الدثر) بالفتح الرجل البطيء الخامل النؤوم.

(٢) يعتاص يقوى ويشتدّ.

(٣) ديوان أبي تمام: ١٥٣ ـ ١٥٥.

استدراك

مما يستدرك على أخبارهعليه السلام أيام خلافته ما ذكره المؤرخون ومنهم ابن خلكان إنه أصاب أهل الكوفة مجاعة وبها غالب أبوالفرزدق الشاعر فخرج أكثر الناس الى البوادي وكان غالب ممن خرج وهو رئيس قومه، وخرج سحيم بن وثيل الرياحي وهو رئيس قومه، واجتمعوا بمكان يقال له: صوأر بوزن جعفر على مسيرة يوم من الكوفة فعقر غالب لأهله ناقة وصنع منها طعاماً وأهدى الى قوم من بني تميم لهم جفاناً من ثريد ووجه الى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتاه بها وقال: أنا مفتقر الى طعام غالب؟ إذا نحر هو ناقة نحرت أنا أُخرى، فوقعت المنافرة بينهما ـ وكان ينبغي لسحيم لو عقل أن يقبل الهدية والكرامة وينحر ويهدي لغالب كما أهدى له ـ وعقر سحيم لأهله ناقة، فعقر غالب من الغد ناقتين، فعقر سحيم ناقتين، فعقر غالب في اليوم الثالث ثلاثاً، فعقر سحيم ثلاثاً، فعقر غالب في اليوم الرابع مائة ناقة فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً، فلمّا عاد الناس الى الكوفة قال بنو رياح لسحيم: جررت علينا عار الدهر هلّا نحرت مثلما نحر وكنّا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين، فاعتذر بغياب إبله وعقر ثلاثمائة ناقة وقال للناس شأنكم بها، وكان ذلك في خلافة أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالبعليه السلام فاستفتي في حلال الأكل منها فقضى بحرمتها وقال: هذه ذبحت لغير مأكلة ولم يكن المقصود منها إلّا المفاخرة والمباهاة فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلتها الكلاب والعقبان والرخم... الخ. هكذا وردت هذه الرواية والذي يلوح لي

أنه عليه السلام نهى عن الأكل منها لا لأن لحمها كان بمنزلة الميتة بل لتقبيح هذا الفعل والمبالغة في النهي عن مثله قطعاً لمادة المفاخرة التي تجر الى أسوأ العواقب فإنّ من ذبح للمباهاة والمفاخرة وسمى على الذبيحة لم تحرم، نعم هو بقصده ذلك مراء مأثوم.

* * *

الفهرس